تفسير وبيان لبعض آيات القرآن

المسمى:

الأنوار البهية المنتزع من كتب أئمة الزيدية

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير وبيان لبعض آيات القرآن

المسمى:

الأنوار البهية المنتزع من كتب أئمة الزيدية

الجزء الأول

الفاتحة - يونس

جمعه

المفتقر إلى عفو الله ورحمته

عبد الرحيم محمد أحسن المتميز

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ -٢٠١٧م

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده؛ ليكون للعالمين نذيرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، القائل: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي؛ إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))، صلى الله وسلم عليه وعلى آله قرناء القرآن؛ وبعد:

فهذا تفسير وبيان لبعض آيات القرآن الكريم، جمعتها من بعض كتب الأئمة عليهم السلام، ونريد أن ننبه على ما يلي:

أولا: أن الذي نقلنا ليس كل ما للأئمة المذكورين في هذا الكتاب؛ فإن الذي نقلنا إنما هو من المراجع التي توفرت لدينا.

ثانيا: النسخ المنقول منها هي المطبوعة.

ثالثا: ولأنه لم تتوفر لدينا النسخ الخطية فقد وقع التصحيح والمراجعة على هذه النسخ المطبوعة، وقد راجعنا حسب الإمكان؛ فإذا وقع إشكال في بعض الألفاظ علقنا عليه بقولنا:" هكذا في النسخة المنقول منها، وهي المطبوعة "، وقد نصوب اللفظ، ونقول:" لعله كذا، أو الصواب كذا ".

رابعا: ما وجدناه من تفسير كامل لبعض السور أثبتناه بعد ذكرنا لتفسيرها مفرقا.

وأخيرا: نسأل الله تعالى أن ينفع به، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يجعلنا من المتمسكين بالثقلين؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وحرر: في شهر ذي الحجة الحرام، آخر شهور سنة ١٤٣٧هـ، سبعة وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية، الموافق: شهر تسعة من عام ٢٠١٦م.

اليمن، صعدة.

الفقير إلى الله تعالى: عبد الرحيم بن محمد بن أحسن المتميز؛ ثبته الله، وغفر الله له ولوالديه، وللمؤمنين والمؤمنات أجمعين.



سورة الفاتحة

في كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليه السلام:

قال الإمام الشهيد أبو الحسين زيد بن علي، عليه وعلى آبائه الصلاة والسلام:

القرآن: اسم كتاب الله تعالى خاصة، ولا يسمى شيئا من سائر الكتب غيره. وإنما سمي قرآنا؛ لأنه يجمع السور فيضمها.

ولسور القرآن أسماء؛ فمن ذلك: أن الحمد تسمى أم الكتاب؛ لأنه يبدأ بها في أول القرآن فتعاد، ويقرأ بها في كل ركعة. ولها اسم آخر، يقال لها: فاتحة الكتاب؛ لأنها يفتتح بها في المصحف فتكتب قبل القرآن، ويفتتح بها في كل ركعة قبل قراءة ما يقرأ به من السور.

أما قوله تعالى: ﴿بسم الله﴾: فإن الله عز وجل دل عباده على أنهم إذا أرادوا قولا أو عملا افتتحوا ببسم الله كما افتتح الله تعالى كلامه، وليجعلوا ذكر اسم الله تعالى استعانة منهم نافعة، وتبركا بالافتتاح باسمه؛ كما قال ابن رواحة:

ببسم الله وبه بدينا ... ولو عبدنا غيره شقينا

" بدينا " بكسرة، وهي لغة الأنصار خاصة.

﴿الرحمن﴾ مجازه: ذو الرحمة؛ وكانت العرب لا تعرف الرحمن في أسماء الله تعالى، ولا تسمي الله تعالى به، وكانوا يقولون لعراف اليمامة: رحمن اليمامة، وكان أهل الكتاب يعلمون أنه من أسماء الله تعالى؛ فلما أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله

عليه وآله وسلم -قالت قريش: ﴿وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا﴾ [الفرقان: ٦٠]، يقول: إنا لا نعرف هذا الاسم من أسماء الله تعالى، ولا ندعوه بما لا نعرف، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ [الإسراء: ١١٠]، يقول: فأي ذلك دعوتموه به فهو اسمه وهو حسن. والرحمن: المنان.

ثم قال: ﴿الرحيم (١)﴾، ومجاز الرحيم: الرحمن المترحم الرحيم بعباده، ففي رحمته يتقلبون، وبرحمته ما بأنفسهم من نعمة، وما سخر لهم في السماء والأرض، وما أنزل عليهم من غيث، وما أخرج لهم من معاش. ومن رحمته بخلقه: أمهلهم في إعطائه، وهم يعبدون به غيره، ومن رحمته: استتابهم من شتمه، وتكذيب كتبه، وقتل رسله، ولم يعجل إهلاكهم على عظيم ما ركبوا؛ فأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين الرؤوف الحكيم: الله الذي هو كذلك، لا مثل له من خلقه.

وتأويل الرؤوف الرحيم واحد، والكلمة جامعة لكل نعمة في الدنيا. وتأويل الرحمة من الله لعباده: إغاثة الفقير، والصفح عن الإساءة؛ فالله عز وجل غياث كل مضطر، وخير الغافرين.

ثم افتتح بعد أسمائه الحسنى ما وصف به نفسه من الإلهية، فقال: ﴿الحمد لله﴾، يقول: الشكر لله على عباده بما أنعم عليهم؛ وشكرهم إياه وحمدهم إياه: طاعتهم إياه فيما أمرهم به ونهاهم عنه. والكلمة جامعة لكل طاعة ونعمة؛ لأن الحمد: شكر على النعم، فالنعم كلها من الله تعالى، والشكر واجب على الطاعة كلها؛ لأنها بالله كانت؛ فهو أهل أن لا يعصى ولا ينسى.

﴿رب العالمين(٢)﴾، يقول: الحمد لله لمولى العالمين، والرب هو: المولى، والعالمين: أهل السماوات والأرض، وجميع ما خلق الله تعالى من خلقه، وواحد العالمين: عالم، يقول: فليس لرب العالمين شريك.

وأنشد الإمام زيد بن علي عليهما السلام قول الشاعر حيث يقول:

ما إن رأيت ولا سمعت ... بمثلهم في العالمينا

قال الإمام زيد بن علي عليه وعلى آبائه السلام: وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((لله أربعة عشر ألف عالم: الجن والإنس منها عالم واحد)).

ثم عاد إلى أسمائه الحسنى، فقال: ﴿الرحمن الرحيم (٣)﴾، يقول: رب العالمين هو الرحمن الرحيم.

﴿مالك يوم الدين (٤)﴾ أي: هو يملك يوم الدين، كما هو اليوم رب العالمين؛ يخبر: أن الدنيا والآخرة له، وهو ملكهما لا غيره. والدين هو: الجزاء يوم يدان الناس بعضهم من بعض، ويجازيهم بما كانوا يعملون. وإنما أخبرنا أنه يدين بعض الخلائق من بعض: يخوفهم بذلك ويحذرهم؛ ليزدجروا ويحذروا، وقد يقال في الأمثال: كما تدين تدان.

ثم أمر عباده بالإخلاص، فقال: قولوا ﴿إياك نعبد وإياك نستعين (٥)﴾، ﴿إياك نعبد﴾: لا نعبد غيرك، ومعنى ﴿نعبد﴾: نطيع ونتعبد، ونصلي ونوحد. ﴿وإياك نستعين (٥)﴾: على عبادتك؛ فأمرهم تبارك وتعالى أن يستعينوا به فيما يتعبدهم في كل أمورهم؛ لأنهم لا ينالون خيرا إلا بالله تعالى. وقد كان الكفار يستعينون بآلهتهم التي كانوا يعبدون من دون الله تعالى، فأمر الله تعالى المؤمنين أن يخلصوا ذلك له.

﴿اهدنا الصراط المستقيم (٦)﴾: أمرهم أن يسألوه الهدى والاستقامة، وهما: الصواب في كل قول وعمل. ﴿الصراط﴾: السبيل المنهاج الواضح، وأنشد الشاعر:

أمير المؤمنين على صراط ... إذا اعوج الموارد مستقيم

وقال آخر:

يصد عن نهج الصراط القاصد

و﴿الصراط المستقيم (٦)﴾: يستقيم بأهله إلى النجاة، والهدى والجنة.

ثم قال عز وجل ليبين لعباده أي صراط يسألوه الهداية إليه، فقال: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ بالإيمان بك، من النبيين والرسل، والشهداء والصالحين.

﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين (٧)﴾: و" لا " حرف من حروف الزوائد لتتميم الكلام، وهذا ما تعرفه العرب في لغتها و أشعارها؛ فهي لا تحتاج إلى تفسير، كما قال الشاعر:

فما اللوم البيض إلا سحر ... الماء أين الشمط القنفدرا [١]

وقال آخر من العرب:

ويلحينـني في الدهر ألا أحبه ... وللهو داع دائب غير غافل [٢]

---

(١) - هكذا في النسخة المطبوعة المنقول منها، وقال محققها في الحاشية: لم يظهر لفظ البيت ولا معناه. اهـ

والذي في تفسير الطبري (١/ ١٩١/ ط: دار هجر): وَأَنَّ لَا بِمَعْنَى الْإِلْغَاءِ وَالصِّلَةِ. وَيَعْتَلُّ أَيْضًا لِذَلِكَ بِقَوْلِ أَبِي النَّجْمِ: [البحر الرجز]

فَمَا أَلُومُ الْبِيضَ أَنْ لَا تَسْخَرَا ... لَمَّا رَأَيْنَ الشَّمَطَ الْقَفَنْدَرَا

وَهُوَ يُرِيدُ: فَمَا أَلُومُ الْبِيضَ أَنْ تَسْخَرَ... اهـ وهو في الصحاح واللسان والجمهرة والتاج والمحكم كذلك، قالوا جميعا: القَفَنْدَرُ: الْقَبِيحُ الْمَنْظَر، ثم استشهدوا بهذا البيت. وقال في تاج العروس: الشَّمَطُ، مُحَرَّكَةً: بَيَاض شَعرِ الرَّأْسِ يُخَالِطُ سَوادَه، كَذَا فِي الصّحاح، وَفِي الْمُحْكَمِ: الشَّمَطُ فِي الشَّعرِ: اخْتِلافُه بِلَوْنَيْنِ من سَوادٍ وبَيَاضٍ.اهـ

(٢) - هكذا في النسخة المطبوعة المنقول منها، وفي الطبري (١/ ١٩١/ ط: دار هجر): وَبِقَوْلِ الْأَحْوَصِ [البحر الطويل]:

وَيَلْحَيْنَنِي فِي اللَّهْوِ أَنْ لَا أُحِبَّهُ ... وَلِلَّهْوِ دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلِ

يُرِيدُ: وَيَلْحَيْنَنِي فِي اللَّهْوِ أَنْ أُحِبَّهُ.اهـ ومعنى يَلْحَيْنَنِي: يَلُمْنَنِي عَلى اللَّهْوِ أَنْ أُحِبَّهُ. وفي الكامل للمبرد (١/ ٧٠/ ط: دار الفكر العربي): وقال الأحوص:

أَلَا يَا لقومي قد أشطت عواذلي ... ويزعمن أن أودى بحقي باطلي

=

قال الإمام الشهيد أبو الحسين زيد بن علي عليه وعلى آبائه الصلاة والسلام: وقد قال بعض أهلنا: المغضوب عليهم اليهود، والضالين: النصارى. والغضب من الله: عذاب ونقمة، وهو لا يغضب إلا على من مقت، ولا يمقت إلا من أسرف وتعدى عن الحق؛ فنعوذ بالله من الغضب والضلالة.

وفي كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام قال:

تفسير سورة الفاتحة للإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

﴿الحمد لله﴾، تأويل ﴿الحمد لله﴾ فهو: الشكر لله على نعمه وإحسانه، والتحميد لله والثناء عليه؛ ومن الحمد قيل: محمود وحميد، كما يقال من الجود: جواد ومجيد.

والله - لا شريك له - فهو: الذي تأله إليه القلوب، ويستغيث به في كل كرباته المكروب، واليه يجأر الخلق كلهم جميعا ويألهون، وإياه سبحانه يعبد البررة الأزكياء ويتألهون، دون كل إله ورب ومعبود، وإياه يحمدون في كل نعمة قبل كل محمود.

وتأويل ﴿رب العالمين﴾ فهو: السيد المليك الذي ليس معه فيما ملك مالك ولا شريك.

وتأويل قوله سبحانه:﴿العالمين﴾ فيراد: الخلق أجمعون، الباقون منهم والفانون، والأولون منهم و الآخرون.

وتأويل ﴿الرحمن﴾ فهو: ذو الغفران، والمن والإحسان.

وتأويل ﴿الرحيم﴾ فهو: العفو عن الذنب العظيم، والناهي عن الظلم والفساد؛ لما في ذلك من رحمته للعباد، ضعيفهم وقويهم، وفاجرهم وبرهم.

ويلحينني في اللهو ألا أحبه ... وللهو داعٍ دائبٌ غير غافل اهـ

وتأويل ﴿ملك يوم الدين﴾ فهو: مالك أمر يوم الدين، الذي لا ينفذ أمر في ذلك اليوم غير أمره، ولا يمضي فيه حكم غير حكمه. والملك: من الملك، والمالك: من الملك، وهما يقرآن جميعا، وكلاهما معا فلله، [ويوم الدين (١)] فهو: يوم الجزاء والثواب والعقاب، وإنما سمي الدين: لما يدان، أي يجازى.

قال: معنى يوم الدين فهو يوم يدان العاملون أعمالهم، ويجزون يومئذ بهداهم وضلالهم.

﴿إياك نعبد﴾ فهو: نوحد ونفرد؛ أنت يا معبودنا لا غيرك.

﴿وإياك نستعين﴾: نسأل العون على أمرنا، وتوفيقنا لما يرضيك عنا.

﴿اهدنا﴾: وفقنا وأرشدنا.

﴿الصراط المستقيم﴾، والصراط: هو السبيل الذي ليس فيه زيغ ولا ميل؛ قال جرير:

أمير المؤمنين على صراط ... إذا اعوج الموارد مستقيم

و﴿المستقيم﴾ فهو: الطريق الواضح الذي افترضه الله إلى الطاعة، المعتدل الذي ليس فيه عوج ولا ميل، فهو لا يجور بأهله عن قصده، ومنه: قوله تعالى:﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون﴾[الأعراف: ٨٦].

﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾، تأويل ذلك: غير المغضوب عليهم منك.

﴿ولا الضالين﴾ يقول: ولا صراط الضالين بالهوى والعمى عنك؛ لأنه قد ينعم جل ثناؤه في هذه الدنيا على من يضل عنه، ومن لا يقبل ما جاء من الهدى والأمر والنهي، ولمن يغضب جل ثناؤه عليه من الكافرين؛ يقول: اهدنا صراطا غير صراط الذين غضبت عليهم، والمغضوب عليهم في هذا الموضع فهم:

(١)- زيادة مني لاستقامة الكلام.

اليهود، ﴿ولا الضالين﴾ يقول: ولا صراط الضالين، والضالون: فهم في هذا الموضع النصارى.

وفي كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى محمد بن الهادي عليهما السلام: سؤال عن تفسير سورة الحمد، ولفظه:

وسألت: أرشد الله أمرك، ووفق لقصد الحق طريقك، عن تفسير سورة الحمد؟

وكنت سألت عنه أبي الهادي إلى الحق صلوات الله عليه، وسأله بعض أصحابك أيضا، فقال: معنى قوله: ﴿بسم الله﴾: فهو: بسم الله يبدأ كل شيء.

﴿الرحمن﴾ فهو: ذو الرحمة والإحسان.

﴿الرحيم﴾ فهو: ذو التعطف بالرحمة والامتنان.

﴿الحمد﴾ فهو: الشكر لله على نعمه وإحسانه، والتمجيد لله والثناء عليه.

﴿رب العالمين﴾ فمعنى رب: سيد العالمين. والعالمون: فهم الخلق أجمعون من إنسي وجني.

﴿الرحمن الرحيم﴾: فقد تقدم تفسيرهما.

﴿ملك يوم الدين﴾، معنى ملك فهو: مالك أمر يوم الدين، لا ينفذ أمر في ذلك اليوم غير أمره، ولا يمضي فيه حكم غير حكمه، ويوم الدين فهو: يوم الجزاء والحساب، والثواب والعقاب، وإنما سمي الدين: لما يدان العالمون فيه، ومعنى يدان فهو: يجازى.

﴿إياك نعبد﴾ معناها: أنت معبودنا لا غيرك، ومعنى نعبد فهو: نطيع، ونتعبد.

﴿وإياك نستعين﴾ معناها: إياك نسأل العون على أمرنا، والتوفيق لما يرضيك

عنا.

﴿اهدنا الصراط﴾ فمعنى اهدنا فهو: وفقنا وأرشدنا للصراط المستقيم. و ﴿الصراط المستقيم﴾ فهو: الطريق إلى الطاعة، المستقيم فهو: الحق الذي افترضه.

﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾، يقول: طريق من أنعمت عليه، من عبادك الصالحين الذين وفقتهم وهديتهم لرشدهم.

﴿غير المغضوب عليهم﴾، يقول: اهدنا صراطا غير صراط الذي غضبت عليهم؛ والمغضوب عليهم في هذا الموضع فهم: اليهود.

﴿ولا الضالين﴾، يقول: لا صراط الضالين، أي: اهدنا صراطا غير صراط الضالين؛ والضالون فهم في هذا الموضع: النصارى.

وفي كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام الحسين بن القاسم العياني عليهما السلام، قال:

تفسير سورة الحمد

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

معنى ﴿بسم الله﴾ فهو: بذكر الله نبدأ. ومعنى ﴿الله﴾ هو: الذي تفزع إليه القلوب، وتله ولها إليه، وهو: الشوق عند المهمات، والنوازل والمصائب والملمات؛ قال الكميت بن زيد يمدح آل رسول الله صلى الله عليه وآله:

ولهت نفسي الطروب إليهم ... ولها حال دون طعم الطعام

يعني بالوله: الشوق.

ومعنى ﴿الرحمن﴾ هو :ذو الرحمة والإحسان، ومعنى ﴿الرحيم﴾ مثل تأويل الرحمن، وهو :تأكيد لذكر الرحمة، وزيادة في البيان، وإنما أراد سبحانه: أن يخبر

العباد برحمته؛ ليرجوه، ويطيعوه فيما أمرهم، ولا يعصوه.

ومعنى ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ فهو: الشكر لله رب العالمين. والرب فهو: السيد المالك ليوم الدين، والدين في هذا الموضع فهو: الجزاء على الأعمال، والمكافأة على الهدى والضلال.

﴿إياك نعبد﴾ هو: نطيع ونوحد.

﴿وإياك نستعين﴾ من: العون، والهداية، والتوفيق للطاعة والدين.

﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ هو: أرشدنا يارب إلى الصراط المستقيم؛ لأن الصراط في لغة العرب هو: الطريق.

وإنما جعل الله عز وجل هذه السورة للدعاء إليه؛ رحمة منه للعباد، ووسيلة إليه في طلب الرشاد، فهي أشرف ما دعا به الداعون، وتضرع إلى الله به الطالبون.

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢)﴾[البقرة: ١ – ٢]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن قوله عز وجل: ﴿الم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾، فقلت: ما معنى قوله: ﴿ذلك الكتاب﴾؛ كأنه يشير إلى كتاب غائب لما قال ذلك الكتاب؟

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: إنما عنى تبارك وتعالى هذا الكتاب، ولم يشر إلى كتاب غائب، وذلك مثله موجود في لغة العرب؛ ألم تسمع إلى قول الشاعر:

أقول له والرمح يأطر متنه ... تأمل خفافا إنني أنا ذلكا

فقال: "إنني"، فأشار إلى نفسه، ثم قال: "ذلك"، يعني: نفسه أيضا، فجاز ذلك؛ إذ كان القول لا عيب فيه عند العرب المخاطبين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧)﴾[البقرة: ٦ – ٧]

قال في كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن قوله: ﴿أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ [البقرة:٦-٧]؟

فقال: الختم من الله على قلوبهم وعلى سمعهم وما جعل على أبصارهم من الغشاوة: كالران الذي قال الله: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[المطففين:١٤]؛ والختم فهو: الإقفال، وهو الطبع، فمعنى هذا كله واحد فيهم، وهو بما وجب من لعنة الله عليهم.

وقال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام ما لفظه:

وكثيرا ما تسأل المجبرة عن قول الله سبحانه :﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾، ويعتقدون أن ختم الله على ذلك: منعها من فعل ما أمرها بفعله.

والختم أرشدك الله في كلام العرب ينصرف على وجوه؛ فمنها: ختم الكتاب، وختم الكيس إذا جعل الرجل خاتمه على الطين أو الشمع يكون عليه.

ومنها: أن العرب تقول: ختم هذا الأمر بالسفه، وبما لا يحسن.

ومنها: التصديق والمتابعة على ما يقول القائل في ذلك، مثل أن يقول قولا فيصدقه الآخر؛ فيقول: "أنت تختم على ما يقول، ولا تنكر منه شيئا".

ومنها: الشهادة والإقرار على الإنسان بما قد عرف منه، وذلك مثل: أن يعظه الواعظ، ويأمره برشد ويعاتبه؛ فيراه غير قابل النصيحة ولا عتابه؛ فيقول له: "ختمت عليك أنك لا تفلح ولا تنجح"، أي: شهدت عليك بذلك.

وأواخر الأمور: خواتمها، ومن ذلك قيل: لنبئينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبئين، وهذا يكثر تخريجه من اللغة فكان يجب على المجبرة: أن تنسب الله سبحانه إلى ما يليق مما جاءت به اللغة العربية، ولا تنسبه الى الجور وما يشبهه، وما لم يعرف في اللغة؛ فإنه لا يعرف في اللغة: أن الختم المنع من الشيء.

وقد عرف الله سبحانه أنه لم يمنع عباده مما أمرهم به؛ وذلك فبقوله :﴿فما لهم

لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾؛ فلو كان هو المانع لهم لقالوا: لأنك منعتنا من ذلك بختمك على قلوبنا وسمعنا، وجعلت على أبصارنا غشاوة، وكذلك قوله :﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى﴾، وكذلك قوله لإبليس: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين﴾، فلم يقل: لأنك منعتني من ذلك؛ ولكن قال: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾.

فمعنى الختم وما كان مثله: الشهادة من الله عليهم؛ لما علم منهم ومن قلوبهم أنها لا تبصر، ومن آذانهم أنها لا تسمع أبدا، ويدل على تحقيق ذلك: أول الآية وآخرها؛ فإنه سبحانه قال:﴿إن الذين كفروا سواء عليهم﴾، إلى قوله:﴿ولهم عذاب عظيم﴾، فشهد بهذا القول على قلوبهم أنها لا تؤمن أبدا، وعلى أبصارهم أنها لا تبصر أبدا، وعلى أسماعهم مثل ذلك؛ لما عرفه - جل ذكره - من سوء نياتهم واستكبارهم ، وذلك ما شهد به مما علمه من قوم نوح؛ فقال: ﴿إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾، ولم يقل: إني أنا الذي منعتهم من الإيمان ، وفيما بينت كفاية إن شاء الله.

ووجه آخر: وهو أنه لما علم سبحانه أنهم لا يؤمنون مخلدين أبدا، جعل خاتمة أعمالهم قلوبهم، وحكم عليها بأنها لا تفلح ولا تصلح، وجعل لهم العذاب الأليم؛ ﴿كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ و﴿بما كانوا يكذبون﴾، وإنما أخبر سبحانه وشهد عليهم بما عرف من أعمالهم واصرارهم على معاصيه كما خبر عن علمه بقوله : ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾، الى قوله :﴿وإنهم لكاذبون﴾، فبأعمالهم الردية ختم على قلوبهم وعلى سمعهم أنها لا تؤمن أبدا.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)﴾ [البقرة: ٨ – ١٠]

قال في كتاب مجموع رسائل الإمام الهادي ؈، ما لفظه:

فأما قوله سبحانه: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ فهم: المنافقون الذين كانوا يحتجرون من الرسول ومن المؤمنين بانتحال الإيمان، وتلاوة ما أنزل الله من القرآن، وقلوبهم لذلك منكرة، وفي دين الله فاجرة، وبه سبحانه كافرة، فهم يراءون بألسنتهم الرسول مخافة القتل والتنكيل، وهم عن الله بضمائرهم حائدون، وللحق بينهم وفي سرائرهم معاندون. ألا تسمع كيف يقول سبحانه فيهم، ويدل بصفاتهم عليهم، حين يقول: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن﴾ [البقرة: ١٤]؟!، وقال سبحانه يخبر عنهم بما هم فيه، وما يجتمعون في خلواتهم من المشاقة عليه: ﴿وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون﴾ [البقرة: ٧٦].

ومن ذلك ما قال سبحانه في الأعراب: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم﴾ [الحجرات: ١٤]، ومن قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ما يقول الله سبحانه: ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ [الفتح: ١١]، فأخبر الله عنهم بما كان من كذبهم فيما ذكروا أنه

شغلهم، وأخبر بنفاقهم وتوهيمهم ما أوهموا نبيه صلى الله عليه وآله من إحقاقهم فيما طلبوا منه، من الاستغفار لهم، والصفح في ذلك عنهم؛ فأمره الله سبحانه أن يخبرهم أن استغفاره لهم غير دافع عقوبة الله عنهم إذا أراد الله الانتقام في ذلك منهم؛ فقال سبحانه: ﴿قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا﴾ [الفتح: ١١]، ثم أخبر نبيه صلى الله عليه وآله من أمورهم: بما كانوا يتوهمون أنه قد غبي عليه علمه، مما كانوا ظنوه وأجنوه في صدورهم؛ فقال ذو المعارج والجلال: ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا﴾ [الفتح: ١٢]، فأخبرهم سبحانه بما ظنوا من الظن القبيح في الرسول والمؤمنين وتوهموا، وما زين في قلوبهم الشيطان من ذلك وأملى، وأنهم كانوا في ذلك قوما بورا.

وأما قوله جل جلاله، وتقدس عن أن يحويه قول ويشبهه شيء أو يناله: ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ -فقد يخرج على معنيين، وكلاهما -إن شاء الله- للحق مضاف.

فأما أحدهما: فأن يكون المرض الذي في قلوبهم هو: الشك الذي هم فيه يلعبون، من جحدانهم لما يرون من آيات ربهم، فقلوبهم لذلك مريضة، فلا يؤدون لله سبحانه من فرائضه فريضة، فهم في شكهم ولعبهم يترددون، وفي خطيئاتهم وطخياء[1] حيرتهم يعمهون، كما قال سبحانه: ﴿بل هم في شك يلعبون﴾ [الدخان ٩].

فقد تكون زيادة الله لهم من المرض الذي ذكر أنه في قلوبهم؛ لشكهم

(١) – قال في القاموس المحيط: والطخياء: الليلة المظلمة، ومن الكلام: ما لا يفهم. وظلام طاخ: شديد. اهـ وهنا: مجاز.

وضلالهم – هو: بما يزيد نبيه صلى الله عليه وآله من الوحي والبرهان، وتنزيل ما نزل من القرآن، الذي به مرضت قلوبهم، ومنه دويت صدورهم؛ فكلما زاد الله منه نبيه تبيانا وعلما، وخيرا وفضلا وحكما – ازداد لذلك مرض قلوبهم تراكما، وزادهم الله بتنزيل الحق غيظا وغما.

وقد يكون ذلك المرض حل في قلوبهم؛ لشدة الحسد منهم لنبيهم صلى الله عليه، على ما جعل الله من البركات واليمن في كل الحالات لديه، ولما خصه الله به دونهم، وآثره به سبحانه عليهم، من هبوط الملائكة نحوه، وما عظم به الله له خطره وقدره، فجعله الله صفيا يوحى إليه، وينزل إليه وحيه بفرائضه عليه، وما خصه به من أن جعل طاعته – له طاعة، ومعصيته – له معصية؛ فقال: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[النساء: ٨]، وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ [النساء: ٥٩، ومحمد: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ [الفتح: ١٧].

فلما أن رأت قريش هذه الكرامات البينات النيرات، التي لا يقدرون على دفعها، ولا يأتون أبدا بمثلها –اشتد لذلك حسدها لرسول رب العالمين، وعهدوا عليه وعلى من تبعه من المؤمنين، فمنعه الله منهم، ورد حسدهم وبغيهم في نحورهم، فنصبوا له المحاربة، وطالبوه أشد المطالبة، فردهم الله بغيظهم، كما قال سبحانه: ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وذلك حين تحزبت قريش والعرب، وطلبوا رسول الله صلى الله عليه وآله غاية الطلب، فكفاه الله في ذلك اليوم والمسلمين القتال بأخيه ووصيه، علي بن أبي طالب، أفضل المستشهدين، فقتل عمرو بن عبد ود اللعين، وكان عماد المشركين وفارس المتحزبين، فانهزم بقتله جميع الكافرين، وفل الله حد المبطلين، وأظهر دعوة المحقين، ونصر رسوله

خاتم النبيين، وكبت أعداءه المحادين؛ قال سبحانه: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين﴾ [المجادلة: ٥]؛ فلما أن أذلهم وهزمهم، وكبتهم كما كبت الذين من قبلهم، تدارك الكبت في قلوبهم، وترادفت الحسرات في صدورهم، ومرضت لذلك وبه منهم القلوب، وأحاطت بهم منهم الذنوب، فهم في كل يوم يرون من نصر الله لنبيه ويسمعون عنه ما يزيدهم حسدا، ويحدث لهم به في قلوبهم مرضا، حتى صدق الله رسوله الرؤيا بالحق التي كانت في غزوة الحديبية، أراه وأكمل له من دخول مكة آمنا لا يخاف إرصادا، فنزل بالمشركين من ذلك ما كانوا يخافون، وحقق الله لرسوله ما كانوا يحذرون، ﴿ومن بغي عليه لينصرنه الله إن الله لقوي عزيز﴾.

وقال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام:

مسألة في معنى ﴿فزادهم الله مرضا﴾ الآية:

وكذلك ظن المجبرة السوء، التي ظنت بربها في قوله: ﴿فزادهم الله مرضا﴾، فتأويل ذلك: أن الله جل ذكره أخبر عن المنافقين أن في قلوبهم كفرا وكبرا، وأنهم في شك مريب فكانوا كلما أنزل الله على نبيئه صلى الله عليه وآله وسلم سورة فيها أمره ونهيه ووعده ووعيده وقصصه وأمثاله -كذبوا بها وازدادوا بذلك كفرا الى متقدم كفرهم، ومرض قلوب الى مرض قلوبهم؛ فجاز في كلام العرب أن يقال: زادهم الله فيما أنزل على نبيه عليه السلام مرضا الى مرضهم. ونسب الله ذلك الى نفسه؛ لأنه الذي أنزل السورة التي ازدادت قلوبهم بها مرضا.

ونظير ذلك: أن يقول الإنسان: "قد وعظت فلانا، فما زاده وعظي إياه إلا بعدا من الخير "، ويقول: "قد زدت فلانا غضبا بما أخبرته عن فلان"، و"زاده بما تلى عليه من القرآن كفرا الى كفره"؛ قال سبحانه عن نوح عليه السلام :﴿قال ربي إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا﴾، إلى قوله :﴿وأصروا

واستكبروا استكبارا﴾؛ فهم الذين فعلوا من الخلاف بما دعاهم اليه نوح؛ فجاز أن يقول نوح إن دعاءه إياهم الذي زادهم فرارا وكفرا وانكارا.

ويحقق ذلك: قوله سبحانه في آخر الآية :﴿ولهم عذاب أليم بما كانوا يكسبون﴾.

هذا تأويل هذه الآية وكل ما في القرآن يشبهها، والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِم﴾ [البقرة: ١٥]

قال في البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام:

مسألة في معنى: ﴿الله يستهزئ بهم﴾ الآية:

وكذلك ما تضل به المجبرة من قول الله سبحانه : ﴿الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون (١٥)﴾، فيرون أن ذلك كاستهزاء العباد بعضهم ببعض، وإنما ذلك الاستهزاء من الله بهم: أنه ممهل لهم، وغير معاجل لأخذهم، وأنه عالم بما سينالهم من عقابه، وأليم عذابه على سوء أفعالهم، وذلك فمثل ما يعرفه العرب من تصرف معاني الكلام فيما بينهم؛ فلو أن رجلا استهزأ برجل وسخر منه، واحتمل الآخر منه، ووكله الى عقاب الله، وأخذه له منه بظلمه إياه - لجاز أن يقول قائل للمستهزئ: " لا تظن أنك تستهزئ بفلان؛ فإنه هو المستهزئ والساخر منك؛ لاحتماله وتغافله عليك، وأخذه له بحقه منك، بما أعده الله للمستهزئين الظالمين، من العقوبة والنكال وسوء العاقبة". وكذلك لو كان لرجل عبد يستهزئ ويخالف أمره، فينهاه مولاه عن ذلك، فلا ينتهي - لجاز أن يقول له مولاه: "أمهلتك لأعاقبك على فعلك بما تستحقه، وإنما حلمي عنك؛ لأني لا أخاف أن تفوتني بجرمك"؛ فعلى هذا المعنى الاستهزاء من الله سبحانه في جميع ما ذكره من كتابه.

وكذلك المخادعة والمكر والكيد، وكل ما أشبه ذلك في كتاب الله، والحمد لله رب العالمين كما هو أهله.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]

قال في كتاب مجموع رسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وأما ما سأل عنه من قول الله في المنافقين، وما ضرب لهم من المثل في قوله: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون * صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾، فقال:

ضرب مثلهم؛ ثم جهل فقال: خلقهم وكفرهم، فرجع عن الحق الذي نطق به في أول كلامه حين يقول: ضرب مثلا، ثم قال: هل يستطيعون سماع الهدى، وقد وصفهم الله جل ثناؤه بالصمم والعمى؟

فقولنا في ذلك: إن الله -جل وعلا- لم يخلقهم كذلك، ولم يجعلهم عميا، ولا عن سماع الخير والتقى صما، وأن الله تبارك وتعالى ضرب لهم هذا مثلا؛ فقال سبحانه: إن هؤلاء الذين آتاهم الهدى، وكشف لهم عن الحق الغطاء؛ فأنار لديهم، وثبت في صدورهم، وأيقنوا أنه من عند خالقهم، فكفروا بربهم، وخالفوا أمر نبيهم، وآثروا ظلمتهم على ما أضاء من الحق لهم، فتركهم الله وخذلهم، ومثلهم - إذ تركوا حظهم، وما أنار من الحق عندهم - بمن استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم، فكان الذي شبهه بضوء النار هو: الهدى الذي أخرجه الله لهم، وامتن به عليهم، فتركوه ولم يتبعوه، ولم يستضيئوا بنوره، وناصبوه وعاندوه؛ لا ما يقول الحسن بن محمد: إن الله سبحانه فعل ذلك بهم، وجعلهم عن استماع الحق صما وعميا، وعن قبول الصدق حاجزا، فجهل الفرق بين المثل والفعل؛ وكيف يجعلهم الله كذلك، ويخلقهم على ذلك، ثم يرسل إليهم نبيه يدعوهم إلى الهدى، ويخرجهم من الحيرة والعمى، وهم عن

الخروج ممنوعون، وعن الدخول في الحق مصروفون؟! فالله سبحانه إذا أرسله يدعوهم إلى الخروج عما فيه أدخلهم، وعليه - جل وعز عن ذلك - جبلهم، فنسبوا في ذلك إلى الله الاستهزاء، واللعب والاعماء، والجهالة والخطأ، والظلم لعباده، والفساد في بلاده.

كذب القائلون على الله بذلك، وضلوا ضلالا بعيدا.

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن قول الله عز وجل: ﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكفرين﴾؟

فقال: الصيب :المطر الذي فيه الظلمات والرعد والبرق، والذين يجعلون أصابعهم منه في آذانهم خوفا من الهلكة على أنفسهم.

وفي كتاب تفسير لبعض الأئمة من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام مثل كلام الإمام القاسم عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣]

قال في كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن قول الله عز وجل:﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله سبحانه: ﴿وإن كنتم في ريب﴾ فإنما أراد بذلك: مخاطبة المشركين من قريش، وغيرها. ومعنى ﴿إن كنتم في ريب﴾ هو:

إن كنتم في شك، والشك فهو: قلة اليقين، وإذا قل اليقين وقع الارتياب والتكذيب.

فقال سبحانه وجل عن كل شأن شأنه لهم عند ارتيابهم: فأتوا بسورة من مثله، فإن لم تأتوا بها فأعلموا أنه من الله؛ لعجزكم عنه، ولو كان من الآدميين لجئتم بمثله.

ومعنى:﴿ادعوا شهداءكم﴾. فهو: كبرائكم الذين تقدمونهم وتصدقونهم في أقوالهم، وتستشهدونهم في أموركم، وتشهدون لهم بالتقدمة عليكم؛ فأمرهم الله تبارك وتعالى أن يأتوا بأولئك المعظمين عندهم، المقبولة شهادتهم لديهم؛ فإن أتى هؤلاء الشاكون وكبراؤهم بسورة مثل هذا القرآن فهم صادقون في قولهم: إنه ليس من الله، وذلك قوله عز وجل:﴿إن كنتم صادقين﴾، وعند عجزهم عن الإتيان بمثله يكونون من الكاذبين وللحق من الرادين، وعند الله من المقبوحين، ولديه من المعذبين.

ومعنى المثل فهو: الشبه للشيء حتى يكون مثله، ويكون شبيها به، وإذا كان شبها له فهو شكله، وهو في منزلته، والشبه فهو: المساوي. والعرب تسمي المثل: شبيها في الفعل، والخلق؛ وفي ذلك ما يقول الشاعر:

لم تك من شكلي ففارقتني ... والناس أشكال لأشكال

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]

قال في كتاب فيه تفسير لبعض الأئمة:

قال الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وقودها الناس والحجارة﴾، والناس هم: أهل المعاصي من الآدميين، والحجارة فقد قيل: إنها حجارة الكبريت، وقد

يمكن أن تكون: هي وغيرها من الحجارة والصخور، وليس في ذلك على الحجارة ألم ولا وجع؛ فتكون بالألم والوجع مظلومة، وإنما هي شيء جعلها الله لذلك، لا تألم ولا تشكع[1]، وليس حال الصخور والإيقاد بها في الآخرة إلا كحال الحطب والإيقاد به في الدنيا، فإن كان ذلك ظلما للحجارة فهو ظلم للحطب والخشب في الدنيا، وإنما يقال: "ما ذنب الشيء فيما يفعل به؟" إذا كان يدري ويعلم ما يعمل به، ويتألم ويشكع مما يصنع فيه.

فأما ما لا يشكع ولا يعلم، ولا يألم ولا يفهم، فلا يجوز ذلك القول في مثله، ولا يجوز بأن يقاس بغيره.

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا﴾ [البقرة: ٢٥]

قال في كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن قول الله سبحانه :﴿كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله عز وجل: ﴿كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾، فقد قال في ذلك بعض يتعاطى العلم: إن معنى قولهم: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا، وشبهوه بالثمر الأول.

وليس عندي كذلك؛ لأنه إذا كان ثمر الجنة كثمر الدينار فلا فضل إذا لنعيم الآخرة على نعيم الدنيا؛ لأنه إذا كان النبات كنبات الدنيا، والمأكل كمأكل الدنيا - فلا فضل لما في الآخرة على ما نحن نرى، وهذا مخالف للكتاب، محال عند ذوي الألباب؛ نحن نرى فواكه الدنيا ومعايشها تتفاضل في الدنيا، فكيف ما جعل الله سبحانه في الآخرة.

---

(١) - قال في القاموس المحيط: شَكِعَ، كفرِحَ: كثُرَ أنينُه.

والمعنى في ذلك عندي، والله الموفق للصواب: أن معنى قول أهل الجنة: ﴿هذا الذي رزقنا من قبل﴾ يريدون بذلك: أنه لا يصل بهم من الله عز وجل رزق إلا أعجبهم، ووقع بموافقتهم، ثم تصل بهم أرزاق من بعد ذلك تكون في الجودة والسرارة والموافقة كالأول سواء؛ لأن أرزاق الدنيا منها موافق، ومنها مخالف، ومنها طيب، ومنها ردي، ومنها مكروه، ومنها محبوب، وأرزاق الجنة كلها مؤتلفة، مصيبة للشهوة؛ وقد فسر الله ذلك في آخر الآية، فقال سبحانه: ﴿وأتوا به متشابها﴾، فقد قال بعض الناس: متشابها في الألوان. وذلك خطأ من المقال، وإنما - رحمك الله – معنى: ﴿وأتوا به متشابها﴾: في الإرادة والشهوة والمحبة؛ لأن الأرزاق في الدنيا لا تشتبه عند صاحبها، ولا بد أن يرى فيها ما يغمه، وما يكرهه ولا يشتهيه، وأرزاق الآخرة ليس فيها تعكظ، ولا أمر لغير شهوة، ولا تكسر إرادة؛ فلذلك قال الله سبحانه:﴿متشابها﴾، يريد: متشابها في الموافقة والإرادة والإعجاب، وكلما رزقوا رزقا كان لهم معجبا، ولقلوبهم ماليا، وإذا رزقوا رزقا آخر من بعد الأول كان لقلوبهم ماليا، ولنفوسهم معجبا، كالإعجاب الأول، لا يختلف لهم فيه محبة، ولا يتضاد لديهم له شهوة؛ بل يكون ذلك في قلوبهم كمحل الآخر سواء، ولو كان في الجنة شيء من الأرزاق يرزقه العبد، يوافقه ويفرح به، ثم يرزق من بعده رزقا دونه - لكان الفرح يختلف، ولو اختلف لوقع الخوف والانكسار، ولفسد قوله عز وجل: ﴿ولا هم يحزنون﴾، وتلك دار السرور، ومحل الحبور، حيث لا خوف على أهلها ولا هم يحزنون؛ ولكن اشتبه فرحهم بكل ما رزقهم الله، فراح عنهم الغم والاكتئاب، وصاروا بعون الله إلى أكرم محل ومآب، فلا هم ينزل بهم، ولا شر في أرزاقهم يتعكظ عليهم؛ قد أمنوا النيران، وصاروا إلى الرضى والرضوان، تجري من تحتهم الأنهار، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك، عطاء غير مجذوذ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦)﴾[البقرة: ٢٦]

قال في كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها﴾ ؟

فقال: الاستحياء من الله – عز وجل– ليس على طريق الخجل، وإنما المعنى – والله أعلم – في قوله: ﴿إن الله لا يستحيي﴾: أن الله تبارك وتعالى لا يرى أن في التمثيل للحق والصدق بما هو صحيح صادق من الأمثال – عيبا ولا خطأ، ولا مقالا – بتخطئة لشيء من قول الله سبحانه – لأحد من أهل الصلاة.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه:﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها﴾، فقلت: ما معنى قوله ﴿إن الله لا يستحيي﴾ ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الاستحياء من الله عز وجل ليس من طريق الخجل ولا الحصر، ولا يتوهم ذلك من له دين أو معرفة بالله أو يقين، وإنما المعنى في ذلك: أنه –عز وجل– لا يرى في التمثيل للحق والصواب والصدق بما صح من الأمثال – عيبا ولا خطأ، ولا مقالا لأحد من أهل الكفر والضلال؛ بل ذلك عند الله تبارك وتعالى صواب وصدق وحسن.

وفي كتاب مجموع رسائل الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام القسم الثاني، قال:

المسألة الحادية والأربعون: عن قوله تعالى: ﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها﴾، والمعنى في ذلك: أن الكفار ومن ينكر الحكيم ينفي عنه سبحانه خلق المنفرات، كالثنوية ومن يقول بقولهم، فبين سبحانه أن ذلك خلقه، وأنه لا يستحي من التمثيل بالبعوضة؛ لأن فيها من أنواع الخلقة، والتوصيل والتفصيل – [ما] لا يقدر عليه إلا القادر لذاته ومن تجب عبادته.

وقال عليه السلام في موضع آخر:

﴿يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا﴾ معناه: يعذب به كثيرا، ويثيب به كثيرا، وكذلك يكون الحال في الآخرة؛ وإنما يعذبهم بذنوبهم، كما قال تعالى: ﴿فكلا أخذنا بذنبه﴾[العنكبوت:٤٠]، ويثيبهم على أفعالهم، كما قال تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾[الرحمن:٦٠].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات﴾، فقلت: كيف ذكر سماء واحدة، ثم ذكرهن جماعة؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿استوى﴾ هو: رجوع حكمته سبحانه، وإرادته لخلق السماء من بعد ما كان من إنفاذ أمره في الأرض؛ والسماء فمعناها هو: ما سما وارتفع؛ لأن العرب تسمى كل شيء استقل سماء، فلما أن سما الدخان وعلا في الهوى -كان مختلطا عاليا، فخلق الله منه السماوات؛ فأولا: كان دخانا ساميا، فقيل: سما؛ لعلوه. وأخرا: مخلوقا منه السماوات بإرادة الله سبحانه وتقديره، وما أبان فيه من أثر صنعه وتيسيره؛ فتبارك الله أحسن الخالقين، الذي لا يمتنع عليه شيء أراده، المكون لما شاء، عز وتعالى علوا كبيرا.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾، فقلت: هل شاورهم وأخبرهم فضل علمه على علمهم؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: لم يرد الله -عز وجل- ما ذكرت من ذلك؛ ولكن أراد: إعلامهم بما يفعل عز وجل، تكرمة لهم بذلك.

فقلت: ما معنى جواب الملائكة حين يقولون:﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾؛ آلخبر جاءهم من عند الله أم من عند أنفسهم؟

فهذا يخبر -يرحمك الله- خبر غيب، لا تعرفه الملائكة ولا تقع عليه إلا بإخبار الله لهم؛ ولكن الله عز وجل قد أطلعهم عليه وأخبرهم بما يكون من بني آدم من سفك الدماء، والإفساد في الأرض، وما يكون منهم من عناد؛ فكان هذا منهم استفهاما، لا معارضة، ولا شكا في أمر الله تبارك وتعالى، وأعلمهم سبحانه: أنه يعلم ما لا يعلمون، مما سيكون من المؤمنين والأنبياء المبعوثين إليهم، والكتب التي أنزلت عليهم، والأمر والنهي الذي بثه فيهم، وما في ذلك لهم من الصلاح.

فكانت معصية الخلق من أنفسهم، اختيارا بلا جبر من الله لهم، ولا إدخال في معصية، ولا إخراج من طاعة؛ بل بصرهم هداهم، وآتاهم سبحانه تقواهم، وحذرهم الهلكة، وبين لهم الطريق والمحجة؛ فكانت معصيتهم وهلاكهم من قبلهم، لا من فعل الله بهم؛ بل خلقهم للطاعة، فقال عز وجل:﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، فلم يكن فعل هؤلاء المختارين للمعصية، من بعد أن مكنهم سبحانه من الاستطاعة، وبين لهم ما فيه النجاة - بموجب ترك

خلقهم، ورفض إظهار الحكمة فيهم، وما أراد الله سبحانه من الصنعة، وإيجاد البرية، وإظهار القدرة؛ لاختيارهم الردى، وميلهم عن طريق الهدى؛ فأهلكوا أنفسهم، واتبعوا أهواء قلوبهم، ومالوا عن قصد سبيل خالقهم؛ اختيارا منهم للمعصية، وكفرا للنعم، وتعرضا لما أعد الله لمن خالفه من النقم. ونجا المؤمنون، الذين صدقوا الله ورسله، وعملوا بطاعته، واتبعوا أمره؛ فوصلوا بذلك إلى الجنان، وأتوا إلى الرضى والرضوان؛ بمصيرهم إلى ما خلقوا له من عبادة الرحمن، ومجانبة الشيطان.

فقد علم الله عز وجل ما يكون من فعل النبيين، وطاعتهم واجتهادهم له، وما يكون من المؤمنين من الطاعة والعبادة، والتسليم لحكمة، والمجاهدة للظالمين حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويرجعوا إلى طاعته؛ فكل هذا خير كبير، وفضل جليل، علمه الله أنه سيكون من ولد آدم، ولم تعلمه الملائكة، حتى أعلمها الله بها وفهمها ذلك.

ففيما ذكرنا لك، وشرحنا في جوابك كفاء وتبيان بما ألتبس عما سواه؛ فاعتمد عليه، وخذ به - يفسر لك ما غمض، ويوضح ما اشتبه؛ بحول الله وعونه.

قوله تعالى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢]

قال في كتاب مجموع رسائل الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام القسم الثاني، في سياق جواب عن مسألة في العلم ما لفظه:

وأما ما حكى من قصة الملائكة عليهم السلام في قولهم: ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ -فإن المراد بذلك: الغيوب، وأصول العلم التي لا تصح إلا من جهته سبحانه؛ لأن العلوم كلها لو كانت من قبله تعالى؛ فمنها: القبيح الذي لا يجوز أن يفعله الحكيم تعالى كالسحر، والشعبذة، وترتيب أنواع الملاهي، وكيفية إيراد الشبهة لهدم قواعد الإسلام- حرسه الله تعالى-، إلى غير ذلك، والحسن الذي

يثاب عليه العبد؛ فلا يجوز إضافة القبيح إلى الله تعالى لتعاليه عنه ، ولا إضافة الحسن منها إليه؛ لإثابته عليه، وهو لا يثيبنا على فعله كما لا يثيبنا على ألواننا وأجسامنا؛ لما كانت فعله، فتفهم ما ذكرت لك موفقا إن شاء الله.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾[البقرة: ٣٤]

في كتاب مجموع فيه تفسير لبعض الأئمة، ذكر فيه كلاما عن هذه الآية للإمام الهادي عليه السلام ، فقال ما لفظه:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾. فإبليس -لعنه الله- أمر بالسجود كما أمرت الملائكة، فأطاعت وسجدت، وكفر واستكبر على آدم صلى الله عليه، والسجود فإنما كان لله عز وجل، لا لآدم، وإنما قال: ﴿اسجدوا لآدم﴾ أي: من أجل آدم، وما أظهرت فيه من عجائب الصنع والتدبير، وعظيم الفعل والتقدير.

قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]

قال في كتاب مجموع رسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته: عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾، ما الكلمات التي تلقاها آدم من ربه؟

قال: قد اختلف فيها، والصحيح عندنا أن الكلمات: هو ما كان الله تبارك وتعالى قد أعلمه، بخلق من سيخلقه من ذرية آدم ونسله، وأنه سيكون منهم مطيع ومنهم عاص باختيارهم، وأنه سبحانه يقبل التوبة من تائبهم، إذا تاب وأصلح، وأخلص التوبة وراجع. فلما كان منه ما كان من أكل الشجرة- ذكر ما كان الله قد أعلمه من القبول للتوبة؛ فقالا: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾[الأعراف: ٢٣]؛ فهذه الكلمات التي تلقاها آدم

من ربه صلوات الله عليه.

وقال في كتاب البساط:

مسألة: في معنى ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ الآية:

ومما ضلوا فيه ونسبوا -مولاهم العدل- به إلى الجور، ولم يعرفوا معناه: قوله سبحانه :﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾، فيقولون : إذا كان الله قد أعطى آدم كلمات تلقاهن، فتاب بها عليه، ولم يعط إبليس مثل ذلك، ولم يتب عليه؛ فجائز أن يخص بعض عباده بالتوبة عليهم والمغفرة، ويمنع ذلك بعضا.

وجوابنا في ذلك : أنا لا ننكر أن الله يختص الأنبياء والمؤمنين، فيفضلهم بأمور كثيرة، من ثوابه ورحمته وهدايته، على ما قد ذكرناه في باب الهداية.

وأما ما تلقاه آدم من ربه: فإن الله أعلم جميع عباده أنه يغفر لمن تاب، فقال:﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾، فتلقى آدم ذلك عن ربه، فتاب واستغفر وأناب ، ويقال: إن استغفاره كان قوله: ((سبحان الله، وأستغفر الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر))، ويقال: إنه قال: ((رب إني عملت سوءا، وظلمت نفسي، فاغفر لي؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)). ويقال: إن قوله: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾؛ وكل ذلك فحسن، والله أعلم بحقيقة قوله، وقد كان الله أعطى إبليس ما أعطى آدم لو تلقاه عنه، وفتح له باب التوبة ولجميع الخاطئين.

ويدل على حقيقة ذلك قوله: ﴿قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾؛ فهداه هاهنا: ما دلهم عليه من التوبة والرجوع الى طاعته، وهو الذي تلقاه آدم من ربه، ولم يتلقه إبليس، وأصر على ذنبه واستكبر، وامتنع مما أمره الله به وأنكره.

﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكى ونحشره يوم القيامة

أعمى﴾؛ لأنه لما أعرض عن ذكر ربه، وضل في الحياة الدنيا، وعمي عن أمر ربه وعن التقوى - حشر يوم القيامة على ضلاله، الذي هو أعمى عن الهدى، ثم بين ذلك -جل ذكره- فقال:﴿رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾، معنى ذلك: قد كنت أعطيتك بصرا تبصر به، وعقلا تعقل به أمري، وتعرف به آياتي وأمري، فنسيت آياتي وأمري؛ معنى نسيت: تركت ذلك فعاقبتك بأن تركتك من لطفي ورحمتي، وحشرتك على ضلالك، وكفرك لنعمتي ، ثم قال جل ذكره زيادة في البيان، واثبات الحجة على ذوي الطغيان :﴿وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾؛ فالحمد لله على هدايته وتوفيقه، وأعوذ بالله من تركه وخذلانه.

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٣٨]

قال في كتاب مجموع رسائل الإمام الهادي عليه السلام في سياق كلام ما لفظه:

قلت: فقوله: ﴿اهبطوا منها جميعا﴾!

قال: ذلك جائز في لغة العرب، ألا ترى أنك تقول: هبطنا نجران، وهبطنا اليمن، ونريد أن نهبط الحجاز. فلما كان ذلك معروفا في اللغة؛ جاز أن يقول: ﴿اهبطوا منها﴾.

قوله تعالىٰ: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١)﴾[البقرة: ٤٠ – ٤١]

قال في كتاب البساط:

أي اعملوا بما عهدت إليكم أوف بما ضمنت لكم، من الجزاء علىٰ طاعتكم. ﴿وإياي فارهبون﴾، أي: خافوا وعيدي، وآمنوا بما أنزلت، مصدقا لما معكم من التوراة والكتب الأولىٰ؛ يقول: آمنوا بالقرآن، ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾ أي: ولا تكونوا أول من يجحد القرآن ويستره، وقد تقدم إليكم ذكره في كتبكم الأولىٰ. ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا﴾ أي: ولا تبيعوا ما قد تبين لكم من الحق في القرآن بالثمن القليل، من اتباع الهوىٰ وتقليد الرؤساء. ﴿واياي فاتقون﴾ أي: فاحذرون، وتوقوا عقابي وسخطي عند عصيانكم إياي.

قوله تعالىٰ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥)﴾[البقرة: ٤٥]

قال في كتاب الهجرة والوصية من مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام ما لفظه:

وكبرها يا بني الذي ذكر الله هاهنا فهو: ثقلها علىٰ أهل القسوة واللهو الغافلين، فلا تدعوا يا بني الأخذ بحضكم منها، والاستكثار من نوافلها، وقلة الغفلة عنها؛ فإن فيها الروح والفرج من الغموم؛ وكيف لا تكون كذلك وإنما أقيمت وتفرغ فيها لذكر الله الكريم، وأي شغل من الأشغال أو عمل من

الأعمال أشرف شرفا وأجل قدرا من عمل يشتغل العبد فيه من الدنيا ودنسها، ويقبل في صلاته على الخضوع لله، صامدا لخالقه، وربه ذاكرا.

(إلى آخر كلامه عليه السلام في الحث على الصلاة.)

وفي كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه:﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا أمر من الله تبارك وتعالى للمؤمنين بالاستعانة بالصبر والصلاة، وتعريف لهم، ودلالة له على ما فيه صلاحهم، والاستعانة قد تكون على أمر الدنيا، وأمر الآخرة، فمن ذلك ما في العاجلة من الأمر والنهي، وما وعد الله به أهل طاعته من العون لهم عند الإقبال إليه، والتمسك بحبله، والاعتصام بأمره، وفي ذلك ما يقول جل ثناؤه:﴿إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾؛ فكذلك المواظبة على طاعة الله سبحانه زاجرة عن معصيته، ذائدة عن مخالفته، وفي الآخرة لهم من الثواب والعطاء، والمجازاة لمن آمن واهتدى، وكان ذلك لهم معينا على آخرتهم، مؤديا إلى دار ثوابهم؛ فكانت الصلاة عونا على الأمر في الآخرة، وطريقا إلى الجنة ونجاة من الهلكة، وطاعة للرحمن، بما أمر به في واضح الفرقان، والصبر فهو: باب ينال به الثواب، ولم يلحق عمل إلا به؛ ومن لم يصبر على طاعة الله فقد خرج بلا شك من رضى الله، وفي ذلك ما يقول سبحانه:﴿والعصر وإن الإنسان لفي خسر﴾؛ فأجملهم جميعا في الخسر، ثم استثنى عز وجل، فقال:﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾؛ فأخرجهم من الخسران، ثم قال سبحانه :﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾؛ فأمرهم سبحانه عند التواصي بالحق والقيام به: أن يتواصوا بالصبر على المحن والشدائد التي تنزل بهم عند قيامهم بالحق، من الأذية فيه والشتيمة، والقتل والقتال، وما يحل بهم من أهل الفسق والآثام؛ لأن من لم يكن له صبر في ذلك انفكت نيته،

وضعفت عزيمته، وخرج بقلة صبره مما دخل فيه من طاعة ربه. ومن الصبر أيضا: المواظبة على طاعة الله عز وجل، والتأدية لفرائضه، كما قال سبحانه:﴿وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها﴾، يريد تبارك وتعالى بذلك: أن يداوم عليها ويواظب فيها؛ والصبر عماد الآخرة، وقد ذكر الله أصحابه وأثنى عليهم، فقال:﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس﴾، وفي الصبر من الله سبحانه أمور تكثر، وأجر يعظم، فاستجزينا بقليله عن شرح كثيره.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾[البقرة: ٤٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

﴿الذين يظنون﴾، أي: يوقنون أنهم مبعوثون بعد الموت للثواب والعقاب.

وفي مقدمة كتاب المصابيح الساطعة الأنوار، مسائل الشاك:

﴿يظنون أنهم ملاقوا ربهم﴾، يقول: يوقنون أنهم مبعوثون؛ والظن منهم يقين.

قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧)﴾[البقرة:٤٧]

في كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه :﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾، فقلت: ما معنى هذه الآية؟ وتفسيرها؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا تنبيه من الله عز وجل لبني إسرائيل، وتذكرة لنعمه عليهم، وإحسانه إليهم، وما من به فيهم، من البعثة إليهم موسى -

صلوات الله عليه- نبيا مبشرا ومنقذا من الهلكة، بما جاء به من الأحكام، والدين والإيمان، وما أنقذهم به تبارك وتعالى - بإرسال موسى- من الكفر والنيران، وعبادة الأوثان، مع تفضل الله عليهم، وتخليصه لهم من الذل والهوان، والقلة والصغار، من فرعون اللعين، من بعد أن كان يقتل أبناءهم، ويستحيي نسائهم، ويسترق رجالهم، ثم أنقذهم تبارك وتعالى منه عند تبعه لهم، وحنقه عليهم، وطلبه إياهم، وعزمه على إهلاكهم، ففلق الله لهم البحر، فمروا فيه وهم آمنون، ومن كيد فرعون عدو الله وعدوهم مطمئنون، وأنقذهم مما يحاذرون، وأغرق سبحانه آل فرعون ، وهم ينظرون.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾[البقرة: ٥٠]

في كتاب مجموع المرتضى عليه السلام ما لفظه:

وقلت: ما معنى قوله عز وجل: ﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾؟

ومعناها: فرقنا لكم البحر، وفرقه فهو: ما كان من انفراق الطرق فيه، وتفرق الماء عن الطرق، التي أمضاها الله، ففرق الله لجة البحر بالطرق التي جعلها لهم، فكان في ذلك من عجيب صنع الله تبارك وتعالى، ولطفه وتدبيره: ما حارت فيه العقول، وجل فيه الأمر، وعظمت فيه النعمة عند من عقل وعرف الحق، مع ما أعطى بني إسرائيل في عصرهم، وخصهم به في زمانهم، من الرسل والتأديب والتعليم، وهم في ذلك لا ينتهون ولا يعرفون فضل ما أنعم الله به عليهم، إلا القليل منهم؛ فكان قد فضلهم عز وجل بهذه الأشياء على أهل دهرهم، ولم يعط ذلك أحدا في زمانهم، وكانت تلك حججا لله ثابتة في رقابهم، ونعما من الله سبحانه مؤكدة عليهم، كما قال الله سبحانه:﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾.

وقلت: ما معنى قول الله:﴿وأنتم ينظرون﴾؟

ومعنى ذلك: أن بني إسرائيل شاهدوا غرق فرعون وأصحابه، وأهلكهم الله في البحر، وهم ينظرون؛ وذلك: أن أصحاب فرعون لما اتبعوا أصحاب موسى في الطريق التي فرقها الله في البحر - فعند خلوص أصحاب موسى -صلى الله عليه- من البحر انطبق على أصحاب فرعون، وأصحاب موسى حضور يشهدون؛ لنصر الله لهم، وانتقامه من عدوه وعدوهم؛ فكانت هذه نعمة من الله عظمت عليهم، ومنة تأكدت في رقابهم، من ذي الطول الإحسان، والفضل والامتنان.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٥١)﴾ [البقرة: ٥١]

في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام ما لفظه:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه آية محكمة، بين شرحها، مستغنى عن تفسيرها؛ لأن الله عز وجل وعد موسى -صلى الله عليه- عند إرساله إياه إلى فرعون: أربعين ليلة، إلى الموضع الذي أمره منه، فلما أن خرج موسى -عليه السلام- للميعاد الذي وعده الله تبارك وتعالى، اتخذ القوم العجل من بعده، وكانوا بذلك من الظالمين، كما قال الله سبحانه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣)﴾ [البقرة: ٥٣]

قال في مجموع المرتضى عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون (٥٣)﴾، فقلت: ما الكتاب، وما الفرقان؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الكتاب فهو: التوراة التي أنزلها الله سبحانه على موسى عليه السلام، وما كان فيها من الحلال والحرام، والتعبد للأنام، والفرقان فهو: ما جاء به موسى عليه السلام، من الآيات التي فرقت بين الحق والباطل، فلم يبق لأحد شبهة، ولا كلام يلحقه قول متعنت ولا ظن جاهل؛ بل فرقت الآيات بين الحق والباطل، وشهدت له بالصدق واليقين، الواضح المستبين؛ فكلهم قد أيقن أن ذلك من فعل الله عز وجل، وأن موسى لم يأت بذلك من نفسه، ولا يطيقه أحد من المخلوقين، إلا بتكوين الله له فيه وإعانته عليه؛ فتبارك الله القادر على ما أراد، والفاعل لما يشاء، وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون؛ فكلما فرق بين الكذب والصدق، والباطل والحق كان فرقانا، ومبينا للحق، ومفهما للخلق، ومذهبا للشك، وموجبا للطاعة؛ ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾.

قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧)﴾[البقرة: ٥٧]

في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٥٧)﴾[البقرة: ٥٧]، فقلت: ما معنى الغمام، وما المن والسلوى؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الغمام فهو: السحاب، كان يظلهم من الشمس، والمن فهو: شيء كان يقع على الشجر، يضرب إلى الخضرة، حلوا كانوا يأكلونه؛ والسلوى فهو: طير أصغر من الحمام، كانوا أيضا يأكلونه، في أيام تيههم؛ وذلك: أن الله لما أمرهم أن يدخلوا القرية، فكان من كلامهم ما قد سمعت، مما قصه الله

في كتابه، فحرم الله عليهم مصر أربعين سنة؛ فكانوا يتيهون في مواضع حذائها؛ هو الآن معروف، فلا يهتدون لها، فأنزل الله سبحانه المن والسلوى، وجعله لهم رزقا يعيشون به؛ إذ الأجساد لا تقوم إلا بالغذاء. ومعنى قوله ﴿وما ظلمونا﴾: فكذلك لن يظلم الله سبحانه أحد؛ لأنه لا يضره معصيتهم، ولا تنفعه سبحانه طاعتهم، وهو القادر إذا شاء على إهلاكهم، وإنما يظلم من يضطهد، ويغلب، ويقهر، ويغصب، أو من يضر بسبب من الأسباب، والله عز وجل بريء عن ذلك، وإنما ظلموا أنفسهم، وتعدوا عليها؛ لمخالفتهم لسيدهم؛ فاستوجبوا العقاب، والخزي وسوء المآب، فقد ظلموا أنفسهم إذ أهلكوها، وفي المتالف أوقعوها؛ فهم الظالمون لأنفسهم؛ بإهلاكها، ولم يضروا الله شيئا سبحانه وتعالى.

قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة: ٥٨]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله عز وجل: ﴿وادخلوا الباب سجدا﴾ ، وقلت: كيف يجوز أن يكون الساجد داخلا، وكيف يدخل وهو ساجد؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: السجود هاهنا هو: الطاعة والخضوع، وذلك معروف في لغة العرب؛ يقول الرجل إذا رأى رجلا يطيع ملكا أو غيره: "فلان اليوم يسجد لفلان"، أي: يطيعه، وإن لم يسجد له بوجهه، قال الشاعر:

بجيش تظل البلق في حجراته ... ترى الأكم فيه سجدا للحوافر

يقول: إن أكام الأرض مطيعة لحوافر الخيل.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ [البقرة: ٦٠]

في مجموع المرتضى عليه السلام ما لفظه:

والحجر الذي سألت عنه فهو: حجر كان مع موسى صلى الله عليه، يحمله بين يديه على حماره، وذلك: أنه لما استسقى الله سبحانه لقومه إذ عطشوا- أمره أن يضرب الحجر بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا.

فقلت: هل كان حجرا كبيرا راسيا، أم لم يكن بكبير راسي؟

قال محمد بن يحيى – رضي الله عنه -: لم يكن إلا حجرا صغيرا، وكانت الآية في الصغير المحمول المتحرك المنقول - عظيمة جليلة، أعظم أمرا من الحجر الرأسي؛ لأنه لو كان رأسيا - لقال فيه القائل: إن الماء ينبع من الأرض في الحجر، فلما أن كان حجرا صغيرا يحمل -كانت آيته جليلة عظيمة باهرة، من آيات الله الجليلة؛ أن يكون حجر معلق على ظهر حمار، يضرب فينتج منه اثنتا عشرة عينا، يسقي من الناس خلقا عظيما. وهذا لا يستنكر من فعل الله سبحانه؛ لأنه ذو العظمة والسلطان، القادر على ما أراد، لا راد لحكمه، وليس انبثاق الماء من الحجر بأعظم من خلق الماء من لا شيء، ولا بأعظم من خلق السماء من الدخان، والأرض من الحراقة، وخلق الخلق من طين، عز وجل ربنا الواحد الكريم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١)﴾ [البقرة: ٦١]

في مجموع المرتضى عليه السلام ما لفظه:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وفومها وعدسها وبصلها﴾؟

قال محمد بن يحيى – رضي الله عنه –: قد قيل: إن الفوم هو: هذا البقول، وهو الباقلاء، والعدس فهو: هذا المعروف الذي يسمى البلسن، ويسمى العدس، وقد يروى أن بعض العرب: كانوا يسمون الفوم البر، ومن ذلك ما يقول أبو طالب:

قد كنت أحسبني ذا غنى واحد ... سكن المدينة عن زراعة فوم

فيقال: إنه البر، ولا أدري ما صحة ذلك.

وقوله: ﴿اهبطوا مصر﴾، فهي: مصر المعروفة باسمها، وقد تسمى المدن أمصارا، وقد قيل: إن هذا المصر الذي ذكر مصر من أمصار الشام؛ إذ قيل: مصرا.

وقال في موضع آخر:

وسألت: عن قول الله سبحانه:﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله﴾، فقلت: ما معنى الذلة والمسكنة؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى الذلة فهو: قلة الانتصار، والضعف والوهن والاحتقار، من بعد الارتفاع والقدر والإكرام. والمسكنة فهي: الفقر والقلة؛ وذلك بما كسبت أيديهم، واجتلبوه من المعاقبة والخذلان لأنفسهم، وما ربك بظلام للعبيد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٢]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين﴾، فقلت: ما معنى هذا؟

قال محمد بن يحيى – رضي الله عنه -: الذين آمنوا هم: الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله، والإيمان يخرج على وجهين في اللغة:

فوجه هو: الإقرار بالله والإيمان به.

ووجه آخر: وهو التصديق بالخبر، من ذلك قول إخوة يوسف: ﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾، يقولون: ما أنت بمصدق لنا. والمؤمن: الذي أمن نفسه من عذاب الله سبحانه، بما كان من طاعته له. والذين هادوا فهم: اليهود، وهو اسم لهم؛ ألا تسمع كيف يخبر الله عز وجل عن قولهم: ﴿إنا هدنا إليك﴾. والنصارى فهم: النصارى الذين تعرف، وإنما سموا النصارى؛ لأنهم ادعوا النصرة، فسموا النصارى. والصابئين فهم: فرقة أخرى من النصارى، يدعون بالصابئين، وإنما اشتق اسم الصابئ من الصبو، يقال: صبا فلان، وفي ذلك ما يقول الشاعر:

صبوت إلى اللهو بعد المشيب ... وقد كنت للهو قدما تروكا

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣]

في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام ما لفظه:

وسألت: عن قول الله سبحانه:﴿ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة﴾، فقلت: ما معنى رفع الطور؟ ولأي علة رفعه الله عز وجل؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الطور فهو: الجبل المعروف، وذلك: أن بني إسرائيل لما عتوا عن أمر الله سبحانه، وخالفوا نبيه عليه السلام، وأبانوا الكفر، وقلة الشكر – نتق الله الطور، فرفعه فوقهم، والنتق فهو: القلع له من موضعه، فرأوا أمرا عظيما جليلا، هالهم وأرعب قلوبهم، وأكل ألسنتهم، لما رأوا من إظلال الجبل لهم؛ فأيقنوا بالهلكة، واستيقظوا من الغفلة، فلما أن قبلوا من موسى –عليه السلام– ما

جاء به، وتابوا - رده الله إلى موضعه. ومعنى: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ فهو: خذوا ما جاءكم من الوحي والأمر والنهي بقوة، يقول: خذوه بحزم وعزم، وجد ونية؛ وكلما أخذ بذلك سمي قوة.

وقلت: هل كان جبرا من الله؟

وليس يقال فيما تعبد الله عز وجل به: إنه جبر عليه أحدا؛ لأنه لو جبرهم عليه، ما حمدهم فيه، ولا أثابهم، ولكن كان ارتفاع الجبل عليهم حجة وتأكيدا، وإثباتا لما جاء به موسى -صلى الله عليه-، وتصديقا وتذكرة وتنبيها.

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٦٦)﴾[البقرة: ٦٦]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه:﴿فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين (٦٦)﴾، فقلت: ما معنى ذلك؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هي القرية التي كانت حاضرة البحر، إذ يعدون في السبت، فقال سبحانه: ﴿فجعلناها﴾، وإنما أراد: أهلها، فأقامها مقام أهلها، فمسخهم الله عند أخذهم للحيتان قردة وخنازير، وجعلهم نكالا لما بين أيديهم وما خلفهم؛ والذين خلفهم فهم: الذين خلفوهم من أهل عصرهم، والذين بين أيديهم فهم: من سيكون من الأمم بعدهم، يجعلونهم عبرة، ويزدجرون بهم عن المعصية؛ ومعنى ﴿موعظة﴾ فهي: عبرة للمتقين؛ إذ هي آية عظيمة يتعظ بها المؤمنون، ويتفكر فيها الصالحون؛ لما نزل بأهل القرية من المسخ والنكال، والذل والهوان؛ والدليل على ما قلنا به: قول الله سبحانه إذ يخبر عن الملائكة حين يقول: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له بين أيدينا وما خلفنا﴾؛ فجعلوا ما بين

أيديهم في هذه الآية خاصة: ما سيكون من القيامة، والحساب والعقاب، والفوز والثواب؛ وما خلفهم: فما خلفوه وراء ظهورهم، عند قبض أرواحهم، وفناء مدتهم.

قوله تعالى: ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]

في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك﴾، فقلت: ما الفارض، وما العوان؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الفارض التي قد انفرض فمها، وانفراضه فهو: سقوط أسنانها، والبكر فهي: التي لم تلقح قط، فأخبر عز وجل أنها ليست ببكر؛ فدل ذلك على أنها قد نتجت، وليست بكبيرة، فأزاح عنها بقوله: ﴿لا فارض ولا بكر﴾ صفة الكبيرة، وصفة الصغيرة البكر.

ثم قال سبحانه: ﴿عوان﴾، والعوان فهي: متوسطة، لا كبيرة ولا صغيرة؛ وهذه فهي: البقرة التي أمر الله سبحانه أن يضرب القتيل ببعضها ؛ وذلك: أنه قتل قتيل في بني إسرائيل، فأدارؤوا فيه، وأتهم بعضهم بعضا بقتله، وعظم بينهم الأمر فيه، فأمرهم الله عز وجل أن يضربوه ببعضها ، ففعلوا ذلك؛ فعاش القتيل، وأخبرهم بقاتله، فكانت هذه آية عظيمة جليلة، في إحياء الله سبحانه له؛ وقد كان قادرا أن يحييه بضربة عود، لو أمرهم به لقام مقام البقرة؛ ولكن الله يفعل ما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا يقال لما فعل: لم، ولأي شيء؟

وقد يروى في البقرة: أنها كانت لغلام، بر بوالدته، مطيع لله فيها، فلما أن ماتت لم تكن تركت له إلا البقرة؛ فيقال: إن الله عز وجل أنعم على الغلام؛ لبره، ولطاعته لله سبحانه في الوالدة له، فجعل سبحانه امتحانهم بها، وإحياء قتيلهم ببعضها؛ رحمة منه بصاحبها، فطلبوا الصفة التي أمرهم الله بها في البقرة، فلم

يجدوا تلك الصفة إلا في بقرة الغلام، فطلبوا عند ذلك ابتياعها منه، فأمره موسى - صلى الله عليه- ألا ينفذ لهم بيعها، إلا بما اشترط من ملء جلدها تبرا، فلم يزالوا حتى اشتروها منه بما طلب، فكان ذلك فضلا من الله على الغلام وإحسانا إليه، وآية عظيمة في المقتول، وحجة قيمة على ذوي الفهم والعقول، وخبرة لهم في جميع الأمور؛ فهذا ما يذكر فيها ويروى، والله أعلم ذو العزة والكبرياء.

قوله تعالى: ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ [البقرة: ٦٩]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله عز وجل: ﴿فاقع لونها﴾، فقلت: ما الفاقع في الكلام؟

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: الفاقع في لغة العرب: الشديد الصفرة؛ تقول العرب: "أصفر فاقع، وأبيض يقق، ولهق أيضا، وأخضر ناضر ونضر، وأحمر قان وناضر، وأسود حالك وحابك"، معروف كل ذلك في اللغة غير مستنكر؛ قال الله عز وجل: ﴿إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين﴾ .

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)﴾ [البقرة: ٧٤]

قال في مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام، قال ما لفظه:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي

كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾؟

الجواب في ذلك: أن الله تبارك وتعالى أخبر عن قسوة قلوبهم، وقلة رجوعها إلى الحق، حتى أنها في ذلك أشد قسوة من الحجارة، لو كان من الحجارة من الفهم والتمييز ما في قلوبهم، ثم أخبر أن من الحجارة ما يشقق فيخرج منه الماء، وليس في قلوب هؤلاء المشركين قلب يلين إلى شيء من الحق؛ فالحجارة يعمل فيها الماء حتى يشققها ويفلقها، ويخرج الماء منها، وقلوبهم لا تعمل فيها الفكرة، ولا العظة ولا التذكرة، ولا التخويف ولا الترغيب؛ فهي على ما يعمل فيها من التذكير والوعظ والتخويف - أقسى وأشد من الحجارة على ما يعمل فيها الماء الخارج منها، المشقق لها.

﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾، يقول: لو كان فيها من العقول والتمييز والفهم لما يراد منها - ما فيكم: هبطت من خشيته، وهبوطها فهو: تهدمها وتقلعها وسقوطها، وأنتم فيكم من ذلك ما قد جعل، وليس يصدكم عن معاصي الله، ولا يردكم إلى طاعة الله.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه فيما يحكي عن اليهود إذ يقولون: ﴿لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾، فقلت: ما معنى هذه الأيام المعدودة؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه الأيام المعدودة التي ذكرت اليهود فزعموا أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، وأن الله يعذبهم بكل ألف يوما، ثم يخرجون إلى الرضى والرضوان، ويصيرون إلى محل الكرامة والأبرار، فكان هذا كذبا من قولهم، وافتراء وجراءة على خالقهم.

وقلت: هل قال هذا الكلام اليهود الذين في زمان محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ أم اليهود الذين كانوا قبلهم؟ وقلت: إن كان القول من اليهود الذين كانوا في سالف الدهر، كيف نسب فعل أولئك إلى من بعدهم؟

والذي قال هذا الكلام - يرحمك الله - فهم اليهود الأولون والآخرون، مقالتهم واحدة، متفقون على الباطل والمحال، ويصيرون بكفرهم إلى شر حال، ولو لم يقل هذه المقالة الآخرون، وهم على منهاج الأولين - لانتظمهم من الذم ما انتظم الأولين، ويكونون جميعا عند الله من المذمومين؛ لأنهم إذا رضوا بفعلهم، وكانوا قدوة لهم، فهم داخلون في دينهم، منتسبون إلى ما ينتسب إليه أولئك من فعلهم؛ ألا تسمع كيف يقول الله سبحانه لهم:﴿قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم﴾ -كما تقولون - ﴿مؤمنين﴾، وهم لم يقتلوا أنبياء الله عز وجل؛ ولكن رضوا بقتل آبائهم لأنبياء الله، وصوبوا فعلهم، فكانوا برضائهم من القاتلين، وبتصويبهم لفعل من مضى من المشاركين؛ ألا تسمع كيف قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ((إنه سيدخل في حربنا هذه من في أصلاب الرجال، وأرحام النساء))، وإنما أراد بذلك رحمة الله عليه: الرضا والسخط، وما يكون ممن بعدهم، من التصويب لفعلهم، والتخطئة لهم؛ فيكونوا بالتصويب والرضا من المؤمنين الأولياء، وبالتخطئة لهم من أهل العداوة والبغضاء.

قوله تعالى:﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: ٨١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام، في سياق كلام ما لفظه:

فقال عليه السلام: الذي أحاطت به خطيئته: الذي يموت، وليست له توبة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤)﴾ [البقرة: ٨٤]

قال في كتاب فيه تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام، قال:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾... إلى آخر الآيات؟

فقال: نزلت في اليهود؛ وذلك: أن بني القينقاع كانوا حلفاء مع الخزرج، وكان بنو النظير وقريضة حلفاء للأوس، وكان كل يقاتل مع حلفائه، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدت اليهود ما في أيدي الأنصار من أسارى، وكان في التوراة واجب فرض عليهم أن يفتدوا أساراهم حيث كانوا، وأن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرجه من دياره؛ فقبلوا بعض الفرض من الافتداء، وسفكوا الدماء، وأخرجوا من الديار؛ فأنزل الله سبحانه: ﴿أفتأمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾.

قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (٨٨)﴾ [البقرة: ٨٨]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الإمام الهادي عليه السلام، ما لفظه:

وسألت: عن قول الله عز وجل: ﴿فقليلا ما يؤمنون﴾، وقلت: كيف مخرج هذا القول حيث قال: ﴿فقليلا ما يؤمنون﴾، وهم لا إيمان لهم من الأصل، وقد صيره قليلا؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: يجوز ذلك على نحو قولك للرجل الذي تخاطبه، وهو لا خير عنده البتة: " ما أقل خيرك"، جائز في اللغة، وكقولك: "ما أقل

راحة أهل النار"، تريد: لا راحة لهم البتة، وكقولك: "ما أقل الناس في بلد كذا وكذا"، وهي بلد ليس بها إنسان واحد. وقال عمرو بن معدي كرب في نحو ذلك:

وكم من غائط من دون سلمى ... قليل الإنس ليس به كتيع

فقال: قليل الإنس، فنسبه إلى القلة، ثم قال: ليس به كتيع، يعني: ليس به إنسان واحد.

ومن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث بن مسعود ليلة وفد الجن: ((لو أطاعونا لدخلوا الجنة أجمعين أكتعين)). وقالوا: يعني بأكتعين: أنه لا يتغادر منهم صغير ولا كبير، ذكر ولا أنثى.

قوله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة:٩١]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام، وقد ذكر هذه الآية، فقال:

فأمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول لهم: ﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل﴾؛ فلم يقتلوا الأنبياء، وإنما رضوا بفعل آبائهم، وصاروا بذلك شركاء لهم في عذابهم، داخلين في قبيح نياتهم وأفعالهم، مستوجبين لدار أسلافهم، ﴿جهنم يصلونها وبئس المصير﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٩٧]

قال في ينابيع النصيحة:

﴿بإذن الله﴾، أي: بأمره.

قوله تعالى:﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)﴾

[البقرة:١٠٢]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾، فقلت: ما معنى ذلك؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه حكاية من الله سبحانه عن أهل الشرك من اليهود وأمثالهم؛ كانوا يزعمون: أن ملك سليمان - صلى الله عليه - وما نال إنما هو بسبب السحر، وأنه كان يسحر؛ حتى نال كل ما نال من الملك، فعليهم لعنة الله؛ فقد قالوا زورا وبهتانا، واجترأوا في قولهم، وكفروا بخالقهم، فأبرأ الله سبحانه سليمان من ذلك، فقال:﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾، فكان ذلك فعلا من شياطين الإنس والجن، وافتراءا على سليمان، فبرأه الله من قولهم، ونزهه من كلامهم، وبين كذبهم وقبح مقالتهم.

وقلت: ما معنى قوله سبحانه: ﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾، هل يقرأ بكسر الزاي أم بفتحها؟

وهي تقرأ بكسر الزاي وفتح اللام؛ وإنما كان أهل الزيغ والكفر ينسبون السحر الذي كان ببابل هاروت وماروت إلى ملكين من الملائكة؛ فقال الله عز وجل نفيا عنهما:﴿وما أنزل على الملكين﴾، أراد سبحانه: شيئا مما يقولون؛ لأن الملائكة أطهر وأعرف بالله وبدينه من أن تعصي الله، أو تدخل فيما لا يرضيه، فنفى الله ذلك عنهما، فقال :﴿وما أنزل﴾ مما يقولون عليهما شيء، ولا فعلاه، وإنما كان - يرحمك الله- اللذان يسحران ببابل هاروت وماروت: رجلين كانا جابيا القريتين، آمرين فيهما ناهيين. وهاروت وماروت فهما: قريتان، وهما بلغة النبطية: القرية؛ فكانا يعلمان السحر، كما ذكر الله عنهما، ثم يروى: أنهما تابا؛ فكان من قصتهما ما قد تناهى إليكم.

وقد قالت في ذلك الحشوية: بقول عظيم عند الله- سبحانه- جليل، في أمر الملكين والمرأة وما كان منهما؛ وهذا أمر لا يقول به مؤمن بالله عز وجل.

فأما ما ذكرت في مسألتك هذه، وما تخرج عليه القراءة وتقع، وما بينته فيه وأخرجته من طريق النحو- فليس يطرد على ذلك؛ وكيف يجوز لأحد أن يدخله شك فيما هو أبين من الشمس؛ لأن من شك في هذا، ونسبه إلى الملائكة -فقد أكذب الله سبحانه وتعالى، وكفر به، وسواء عليه نسبه إلى الملائكة، أو جحد محمدا صلى الله عليه وآله وسلم، أو جحد الكتاب؛ لأن الكتاب إنما هو من عند الله عز وجل، وكذلك النفي عن الملكين من الله، وفي ذلك ما يقول الله عز وجل في الملائكة: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾؛ فشهد لهم بالطاعة، ثم قال :﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾، فشهد لهم تبارك وتعالى بالعبادة، واختارهم لوحيه، وإنفاذ أمره ونهيه، وائتمنهم على ما تعبد به خلقه، وقد ذكر الله عز وجل الملائكة عليهم السلام حين قال المشركون:﴿لولا أنزل عليه ملك﴾، فقال سبحانه: ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا﴾، فأخبر سبحانه: أنهم لا يطمئنون في الأرض، ولا يمشون معهم، ولا يبدون لهم،

وقد قال سبحانه في موضع آخر: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون﴾، فأخبر سبحانه في الآية الأولى: بأنهم لا يطمئنون في الأرض مع الآدميين، ولا يبدون لهم ولا يؤانسونهم، وفي هذه الآية الآخرة: أخبر سبحانه أنه لو أنزل ملكا لقضي الأمر، يقول: لو أنزل ملكا حتى ينظر ويخاطب لقضي الأمر وقامت القيامة؛ لأن ظهور الملائكة للآدميين لا يكون إلا في القيامة، أو عند الموت؛ فهذا أيضا تصديق لما قلنا به ؛ لأنه لو تناقض قول الله سبحانه لتضادت أحكامه، ولوقع الخلل فيما شرح الله وقص في كتابه، ولكان في ذلك من الفساد مالا يقع معه أبدا سداد، والله سبحانه بريء من ذلك، لا يختلف قوله ولا يتناقض حكمه، الصادق في وعده ووعيده، البريء من ظلم عبيده، وقال الله سبحانه في طاعة الملائكة، وإبعاد ما يقول به الظالمون فيهم: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا﴾، يريد أهل الكفر عليهم لعنة الله بذلك الملائكة، فقال سبحانه: ﴿بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾، يريد عز وجل: أنهم لا يقولون إلا ما أمرهم به، ولا يمضون إلا ما أمرهم بإمضائه، ثم قال في آخر الآية: ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾، فكيف يحل لمسلم أن يقول في من كانت هذه حاله، وهذا خبر الله عنه: أن منهم من قد عصا الله، ونزل مع الخلق، وعلمهم السحر؛ هذا قول فاحش عظيم، لا يقول به مؤمن، ولا عبد عند الله مكرم، إلا أن ينقض أمر الله سبحانه، ويكذب قوله، فيكون من الهالكين، وعند الله سبحانه من الملعونين؛ لأن في الملائكة خبرين من الله، أحدهما: أنهم لا يطمئنون في الأرض مع الخلق يحدثونهم، ولا يبدون لهم إلى يوم القيامة، وأنهم لو بدوا في هذه الدنيا لقامت القيامة، ولم يذكر عز وجل أنهم يظهرون في هذه الدنيا إلا لمن ذكر من أنبيائه أو لمن حضرته الوفاة.

والخبر الثاني: أنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ولا يسبقونه بالقول، فأثنى عليهم، ومدحهم بالطاعة والعبادة.

وفي أقل مما احتججنا به هدى وشفاء لما في الصدور، وبرهان واضح في جميع الأمور، لا شبهة ولا ارتياب، والله نسأله حسن التوفيق للصواب، والعون على واضح الجواب.

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ولقد علموا لمن اشراه ماله في الآخرة من خلاق﴾، فقلت: ما معنى الخلاق؟

والخلاق فهو: الثواب والجزاء، يقول: إنه لا جزاء له، ولا عمل يعطى عليه.

وقال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت - يرحمك الله -: عن: ﴿يعلمون الناس السحر﴾، وعن السحر؟

والسحر أمر لا يكون، ولا يؤاتي أهله إلا بعظيم من الكفر، والأئمة فيه والمعلمون له فهم الشياطين، الكفرة الظالمون؛ ولذلك يقول منهم من علمه [لـــ]ـــمن يريد أن يتعلمه: "لا تكفر"؛ ليكفر إذا كفر بإقدام وتصميم، بعد النهي بالتوقيف، والإبانة للكفر والسحر والتعريف، فكفر أهله بعد المعرفة بالتصميم ككفر إبليس فيما صمم من الكفر بالسحر.

وقوله: ﴿وما أنزل على الملكين ببابل﴾: فقد يكون نفيا، لا أن يكون السحر أنزل عليهما، وإكذابا لمن نسب السحر من اليهود إليهما.

﴿وما أنزل على الملكين﴾: فقد يكون في النفي للسحر عنهما في النفيان[1]، كقوله سبحانه في النفي: ﴿وما كفر سليمان﴾.

و﴿هاروت وماروت﴾: فقد يقال: اسمان نبطيان، معروف ذلك فيما يستنبط من اللسان؛ لأن ماروت القرية في لسان النبط هو: القرية وواليها، وهاروت القرية فيما نرى هو: مستخرجها وجابيها.

---

(١) - حرص عليه السلام بهذه اللفظة على السجع.

ولو كان من يعلم السحر - لكان من الملائكة إذا من قد كفر، ولما صح قوله سبحانه فيهم: ﴿بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٨]، وقوله سبحانه: ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون﴾ [النساء: ١٧٢]، وقربتهم هي: منزلتهم عند الله في الزلفى والمكان، وبراءتهم كلهم عند الله من العصيان، ولو كان منهم صلى الله عليهم من عصى بكفر أو غيره - لذكره الله بعصيانه، كما ذكر إبليس في تنزيله؛ أما تراه كيف نحاه لمعصيته عنهم، ولم يجعله - إذ عصى - منهم، فقال فيهم: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر به أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾ [الكهف: ٥٠]، وذريته فإنما هم: أمثاله وقبيله، وفي إبليس وقبيله ما يقول الله سبحانه في تنزيله: ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾[الأعراف:٢٧].

وفي كتاب مجموع رسائل الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام، القسم الثاني، قال:

مسألة: في قوله تعالى: ﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت...﴾، إلى آخر القصة، ما الصحيح عند أهل البيت عليهم السلام في ذلك؟

الكلام في ذلك: أن الصحيح عندنا إنما جرت نفي لما حكى الناس في قصة الملكين ببابل، وكذلك ما بعده إلى نهاية الآيتين، وكذلك ما حكى من تعلمهم منهما إنما حكاية عنهم ما رووه عن العوام؛ ليقبلوا منهم إفكهم الذي أفكوه، وكذلك أرباب الضلالة يسندون ضلالتهم إلى الأنبياء عليهم السلام وإلى الصالحين، ولولا ذلك لما قبلها الأغمار والجهال؛ لأن الله تعالى قد أخبرنا بعصمة الملائكة عموما، ولم يستثن أحدا، وقوله الحق، وخبره الصدق.

ومن ضلالتهم: أنهم حكوا أن الفرق لا يكون بين الزوجين إلا بإذن الله،

وهذا ظاهر؛ فكيف يرضاه الله عز وجل، أو يأذن فيه، فهذا الذي علمناه من سلفنا عليهم السلام، وإن كانت الألفاظ تختلف، ولكنه يعود إلى ما قلنا؛ فهذا ما عندنا في ذلك، وجعلناه إشارة تدل على ما جانسه.

وقال في مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام ما لفظه:

وكذلك قال سبحانه في هاروت وماروت ومن يتعلم منهما: ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾، يريد سبحانه: بتخلية الله لهم؛ لإثبات الحجة عليهم؛ إذ قد مكنهم من العمل والفعل، ثم أمرهم بتقواهم، وبصرهم غيهم وهداهم، وعن تعليم السحر وتعلمه نهاهم، فإن ائتمروا، وتعليم السحر وتعلمه تركوا -أنيلوا الثواب، وإن أبوا، وما نهوا عنه تخيروا -وجب عليهم بفعلهم العقاب، وحرموا بذلك من الله الثواب.

وقال في كتاب البساط:

فمعنى: ﴿وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾: إلا بعلم الله وتخليته لهم، فهذا معنى جهلته المجبرة، ويتعالى الله عن الأمر بما نهى عنه علوا كبيرا؛ قال سبحانه منكرا على من نسبه إلى مثل ذلك: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾، إلى قوله: ﴿وادعوه مخلصين له الدين﴾... الآية؛ فمعنى ﴿فادعوه﴾: فاعبدوه. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله محمد النبي وآله أجمعين.

قوله تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة:١٠٤]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿يا أيها الذين أمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا

انظرنا واسمعوا﴾، فقلت: ما معنى راعنا، وانظرنا؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: راعنا فهي: كلمة كانت تقولها العرب لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، فعابها الله من قولهم؛ لأنها كلمة فضة جافية، اشتقوها من طريق الرعنة، يريدون بذلك: راعنا، واصغ إلى قولنا، واسمع منا؛ فكره الله سبحانه ذلك من قولهم، فأمرهم أن يقولوا: انظرنا، أي: انظر إلينا، والنظر فهو: من طريق التعطف والرحمة، وقوله: ﴿واسمعوا﴾، أي: اسمعوا لما يعظكم الله به ورسوله، واقبلوه.

وقال في مجموع الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في سياق كلام ما لفظه:

وكذلك قول المسلمين لرسول الله – صلى الله عليه وآله–: ﴿راعنا﴾، أي: امهلنا لنتعرف ما تملي علينا من العلم، هو في الأصل قربة، لما كان طلبا لسبب فهم العلم، فصار معصية لما كان ذريعة لليهود إلى سب رسول الله – صلى الله عليه وآله – ؛ وذلك أن لفظ:" راعنا " كانت كلمة سب عند اليهود، فكانوا يسبونه بها جهارا، فنهاهم الله عن ذلك، فأمرهم أن يقولوا بما يؤدي معناه، وهو قوله تعالى: ﴿وقولوا انظرنا﴾.

وقال في كتاب حقائق المعرفة:

وتأويل قوله: ﴿لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا﴾ روي عن ابن عباس: أن " راعنا " عند اليهود كلمة ذم، وهي عند العرب بمعنى: انظرنا، ويقول القائل منهم: أرعني سمعك، والمعنى: اسمع مني. فكانت اليهود يأتون إلى النبيء صلى الله عليه وآله وسلم، فيقولون: راعنا، وأرعنا سمعك. وغرضهم السب له بلسانهم، فإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: قد كنا نسب محمدا سرا، فقد صرنا نسبه علنا؛ فأنزل الله هذ الآية، وخاطب بها المؤمنين؛ لئلا يتشبه بهم اليهود إذا قالوا: راعنا.

قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦)﴾ [البقرة:١٠٦]

قال في كتاب الناسخ والمنسوخ، من مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، بعدما ذكر هذه الآية فقال ما لفظه:

فتبديل الآيات ونسخها وإنشاؤها فهو: تفهيم من الله للسامعين وتذكير، عن غير نقض ولا تبديل سخط بحكم من أحكامه في التنزيل؛ لأنه لا معقب - كما قال - لحكمه وفصله، ولا مبدل لشيء من كلماته وقوله...(إلى آخر كلامه عليه السلام في هذا المعنى).

وقال في كتاب حقائق المعرفة ما لفظه:

ومن الدليل على أن في الكتاب ناسخا ومنسوخا قول الله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾، وفي هذه الآية تقديم وتأخير؛ أراد: ما ننسخ من آية نأت بخير منها، أو مثلها، أو ننسها فلا ننسخها، ونقرها على حالها.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة:١١١]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه فيما يحكي عن قول اليهود والنصارى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾، فقلت: ما معنى الهود؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: الهود فهم: اليهود، كانت تقول: ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾، تقول: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا؛ وذلك خديعة منهم لنفوسهم، وقول باطل لن يبلغوه ولن ينالوه؛

لكفرهم وقبح فعلهم، ورداوة فهمهم، وبعدهم من طاعة خالقهم؛ ولكن يخدعون أنفسهم ويمنونها مالا يبلغونه، من مراتب المؤمنين، ومنازل الصالحين، وإنما قيل: ﴿هودا أو نصارى﴾ من طريق الترخيم، وإنما هم اليهود والنصارى، وذلك جائز في ترخيم الشيء.

قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّه﴾[البقرة:١١٢]

في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قال الله عز وجل: ﴿بلى من أسلم وجهه لله﴾، أي: من أخلص دينه لله؛ فجعل للدين وجها... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣)﴾[البقرة: ١١٣]

في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليه السلام ما لفظه:

عن عبيد الله بن العلاء، قال: سمعت زيدا عليه السلام يقول في قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾: يعنون: على دين؛ لأنه ينكر بعضهم ما يدين به بعض، ثم قال: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة التي يجمعون على تصديقها.

ثم قال الإمام زيد بن علي – عليهما الصلاة والسلام–: افهموا عن الله تعالى هذه الحجة النيرة؛ إنه أعجبنا من اليهود والنصارى يختلفون وعندهم الكتاب، الذي فيه فصل اختلافهم، وبيان أمرهم، ولو كان الكتاب الذي في أيديهم لا

يبين لهم الذي اختلفوا فيه ما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وهم يتلون الكتاب﴾؛ فأوجز الحجة، ووعظ أمة محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- بهم، وأخبرهم أن الكتاب دليل لهم إن اختلفوا بعد نبيهم، وفيه البيان والبرهان، وهو فصل الخطاب، والنور المبين، والصراط المستقيم، وقال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: ((ما بلغكم عني فاعرضوه على كتاب الله تعالى، فما وافقه فهو مني))؛ فأخبرهم - صلى الله عليه وآله وسلم - أن الكتاب يفصل الحق من الباطل.

و﴿قال الذين لا يعلمون﴾، يعني: مشركي العرب، ونفى عنهم العلم؛ لأنهم أهل جاهلية، ولا علم لهم بما في كتب الله تعالى، التي فيها حججه على خلقه، وأنبأهم أنهم فيما ينتحلون ويدينون به جهال لا يعلمون له حجة ولا برهانا، وسوى بينهم وبين العلماء من اليهود والنصارى؛ إذ لم يصيروا بعلمهم وكتابهم إلى اجتماع على تأويل كتابهم الذي هم به مؤمنون، وإلى اجتماع فيما يدعون من العبادة التي هي في الكتاب، الذي هم به مقرون.

﴿فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾: من الدين والقول على الله بلا برهان ولا حجة، ثم يدعون أن لهم عليه الثواب عند الله تبارك وتعالى.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤)﴾ [البقرة:١١٤]

في كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليه السلام في سياق كلام ما لفظه:

والمساجد هي: المواضع التي يعبد فيها الله تعالى؛ وكل متعبد ومصلى فهو مسجد، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((جعلت لي كل أرض طيبة مسجدا وطهورا

))... (إلى آخر كلامه عليه السلام)

وقال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هم المشركون من قريش وغيرهم، حين منعوا الحرم والبيت والمسجد الحرام أن يدخل، وما كان من كفرهم وإساءتهم التي ذكرها الله، فقال عز وجل: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله﴾، فذكر منعهم للمساجد، وهم في حكم الله الممنوعون، الذين لم يكن لهم أن يدخلوها إلا خائفين، فلما أن أعز الله دينه، وأظهر نبيه - أنزل: ﴿إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾، فحرم على من لم يكن أسلم من أهل الكتاب وغيرهم أن يدخلوها، أو يقربوها.

وأما سعيهم في خرابها: فإنهم لما أن سعوا في هلكة المؤمنين، ومنعوهم من إقامة أحكام الله فيها -سعوا بذلك في خرابها، وأرادوا أن يمحوا ما يتلى من كتاب الله فيها، فلما أن كانوا كذلك كانوا ساعين في خرابها، طالبين لزوالها؛ لأن ببقاء المسلمين ودوامهم تعمر المساجد وتبنى، وبزوالهم تخرب وتفنى، والله مظهر دينه ولو كره المشركون.

قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]

قال في مجموع السيد حميدان عليه السلام:

قوله سبحانه: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ [البقرة:١١٥]، أي: فثم الله، بمعنى: أنه لا يخفى عليه شيء من أمرهم؛ فذاته سبحانه هي: هو، وكذلك نفسه ووجهه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩)﴾ [البقرة:١١٩]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

ومعنى لا تسأل عنهم، أراد عز وجل: أنك لا تسأل عنهم بتقصير كان منك في إبلاغهم؛ بل قد أبلغتهم وأقمت الحجة عليهم، وهذه شهادة من الله سبحانه لمحمد عليه السلام بالإبلاغ والاجتهاد، في طاعة ربه ذي العزة والأياد.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١)﴾ [البقرة: ١٢١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليه السلام:

وقال عليه السلام - يعني الإمام زيد -: يتبعونه حق اتباعه، ليس ذلك بالهذ والدراسة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)﴾ [البقرة:١٢٤]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه:﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قول الله عز وجل ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات﴾ فهو: ما أمره به من ذبح ابنه، وما حكم عليه فيه؛ فهي: الكلمات التي امتحن الله عز وجل بها إبراهيم عليه السلام بقوله: ((اذبح ابنك)).

﴿فأتمهن﴾، أي: أمضاهن وأنفذهن في ابنه، حتى كان من تفضل الله عليه،

وفديته إياه ما قد علمت.

ومعنى ﴿إني جاعلك للناس إماما﴾ فهو: ما كان الله عز وجل خصه به من النبوة والإمامة، واتباع الخلق له، والاقتداء به، والأخذ بسيرته، وبما أوجب الله عز وجل من طاعته، ثم سأل ربه أن يجعل الإمامة باقية في عقبه، فأخبره الله عز وجل: أنه لن ينال ذلك الظالمون منهم، ولم يجعل الإمامة لمن كان كذلك، من ولد إبراهيم عليه السلام، وجعلها في الصالحين من عقبه، وأكرمه بذلك، حتى أفضت النبوة والكرامة إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فجعله خاتم النبيين، ورسولا إلى جميع المخلوقين، ثم جعل الإمامة في الصالحين من عقبه، إلى يوم الدين، وحشر العالمين.

وقال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام:

مسألة في معنى ﴿وإذ ابتلى ابراهيم ربه﴾... الآية:

ومما جهلت المجبرة تأويله بلكنتها على خلاف ما أنزله الله قوله سبحانه: ﴿وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾، إلى قوله: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾، فمعنى ابتلائه إياه: امتحانه إياه لطاعته وأمره. وإتمام ذلك: إتمامه الدين، والنور الذي أعطاه له، وحسن تعليمه إياه ،وتبيينه له؛ فلما قبل أمر ربه وأدبه -اختاره للنبوة، ورضيه واصطفاه، فكان الله الذي جعله إماما.

ونظير ذلك من كلام العرب: أن الرجل إذا علم انسانا وأدبه، وأمره بما فيه رشده، فقبل عنه وتعلم منه، جاز أن يقول له: قد خلفتك فقيها، وجعلتك أديبا، وجعلتك معلما لسواك؛ فهذا تأويل ما غلطوا فيه، والحمد لله راضيا.

وقال في مجموع رسائل الإمام الهادي عليه السلام في سياق كلام ما لفظه:

وفي نفي الحكم منه بشيء من ذلك لأعدائه، ما يقول لنبيه إبراهيم صلى الله عليه: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾، والعهد فهو: العقد بالإمامة، والحكم لهم بالطاعة. ومعنى: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾؛ فهو: لا يبلغهم، ولا يجيزهم.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام : معنى اتخذوا، أي: جعلوا من مقام إبراهيم مصلى، ومقامه فهو: في الصخرة بمكة عند البيت، تعني: أهل الجاهلية ومن كان بعد إبراهيم - عليه من الله الصلاة والترحيم- من ذريته، وغيرهم ممن كان يعظمه ويجله، فقال عز وجل: كيف اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى؛ لجلالته عندهم، وتزكيته لديهم، وعظمه في قلوبهم، ويتركون ما يدعون إليه من دينه وملته، ويعبدون الأصنام من بعد معرفتهم بملته وما جاء به، وقد أيقنوا غاية الإيقان: بأن إبراهيم لم يعبد صنما قط؛ بل كان ينكرها على قومه، بكسرها، وهو بريء من عبادتها؟ فلم خالفوه وهم له بنون وتابعون، إن كانوا كما قالوا يتباركون بمقامه ويأتمون؟ وإن كانوا جاهلين بذلك: فلم لا يطلبون دينه؟ فكل هذا من الله لهم إخزاء وتوقيف، ولإبراهيم عليه السلام إعظام وتشريف.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]

قال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام:

مسألة في معنى ﴿واجعلنا مسلمين لك﴾... الآية:

وكذلك قد غلطت المجبرة في قول الله سبحانه :﴿واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾، فقولنا في ذلك: إنه لا يكون أحد مسلما حتى يجعله الله سبحانه كذلك بما يعلمه إياه، فيقبله عنه، والله جل جلاله فلا يجبر أحدا على طاعته، ولا على معصيته، ولا يضطر عباده الى الإسلام؛ يدل على ذلك قوله : ﴿لا إكراه في

الدين قد تبين الرشد من الغي﴾، وقوله : ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾، وقوله :﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾؛ ولكن لقول الله جل ذكره تأويل غير إجبار ولا اضطرار لعباده إلى طاعته، واكراه لهم على ما يحبه، وهو: أن احدا لا يعمل شيئا من الإيمان إلا بأمر الله وترغيبه، ولا يزدجر عن معاصيه وما نهى عنه إلا بترهيبه، بعد تقويته على ما أمر به، وعلى ترك ما نهي عنه، ومحمود خواطر يتلطف بها لمن أطاعه، فمن رغب وقبل عن الله وأسلم فقد جعله الله مسلما مؤمنا، ثم يزداد إيمانا وخيرا، فيكون الله هو الجاعل له كذلك، وأراد: إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بقولهما: ﴿واجعلنا مسلمين لك﴾، أي: فيما بقي من أعمارنا، واجعل ﴿من ذريتنا أمة مسلمة لك﴾، عند البلوغ بالأمر والنهي والتعليم لهم.

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢)﴾ [البقرة: ١٤٢]

في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام ما لفظه:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: السفهاء الذين ذكرهم الله سبحانه فهم: السفهاء في نفوسهم، الذين لا عقول لهم، ولا تمييز ولا دين، سفهاء الرأي والأحلام، من أهل الكتاب وغيرهم؛ وذلك أن النبي عليه السلام كان يصلي إلى بيت المقدس، وكان يجب الصلاة إلى قبلة إبراهيم عليهما السلام، وهو قول الله عز وجل في كتابه:﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك

شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾، فأمره الله عز وجل أن يولي وجهه ومن كان معه من المؤمنين إلى الكعبة، وهي: قبلة إبراهيم عليه السلام، ثم قال: ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب﴾، فأمره سبحانه أن يقول لهم عند ما يكون من كلامهم وجهلهم، وطعنهم عليه في تحوله عن القبلة الأولى: ﴿لله المشرق والمغرب﴾، يريد: أن لله سبحانه الشرق والغرب، وأن ما أنتم عليه من القبلة وغيرها من الأديان تعبد من الله سبحانه تعبدكم به، وهو يفعل- عز وجل- ما يشاء، ويتعبد بها أراد، وما تعبد به فهو: طاعة له، وكان قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم: ﴿لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾: قطعا لحججهم، وفلا لكلامهم، ولا يجدون معه قالا ولا قيلا، والله سبحانه يفعل ما يشاء، ويحكم لا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب.

وأما ما ذكرت: أنه قيل في هذه الآية وتكلم به - فليس بصواب عندنا، والقول فيه ما قد شرحنا، والله ولي التوفيق.

وقد قيل: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى إلى بيت المقدس سبعة عشر شهرا.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣)﴾ [البقرة: ١٤٣]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

والوسط فهو: العدل في الأمور، والقصد في التكليف؛ كذلك من تعلق

بالحق، ولزم الصدق، وترك عنه الغلو والإفراط في ما لم يوجبه الله سبحانه من حكمه، ولم يتبع المتشابه، ولم يخرج بنفسه إلى الزلل والخطل، ويتبع الحق والهدى، والطريق المثلى - فهو وسط، مستوجب للاسم الذي سماه الله به، ((يتبعه - كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[١]- التالي))، والتالي فهو: الذي يكون بعده يقتدي به في فعله، ((ويرجع إليهم الغالي))، يقول: يقتدي بهم ويرجع إلى قولهم، ومن خالف القصد في أمره، واستفزته الأهواء، ومالت به الآراء - ضل في قصده، وتحير في دينه، وفي ذلك ما يروى عن محمد بن علي بن الحسين - رحمة الله عليه-: أن رجلا سأله، فقال: يا بن رسول الله، دلني على أمر إذا عملت به نجوت به عند الله، وإذا سئلت غدا قلت: أنت هديتنيه، فقال له: " اعمل بما اجتمع عليه المختلفون "؛ فهذا دليل على أمره له بالقصد، وترك الغلو والتحيز، وقد بين ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في أول حديثه، حيث يقول: ((يهلك في رجلان: محب مفرط، أو مبغض مفتري، وخير أصحابي النمط الأوسط)).

وفي كتاب حقائق المعرفة بعد ذكره للآية قال:

ومعنى قوله: ﴿وسطا﴾ أي خيارا، قال الشاعر:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم ... إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

وقال في كتاب ينابيع النصيحة في سياق كلام ما لفظه:

وكذلك قوله: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾، معناه: ليتميز المتبع من المنقلب؛ لأنه إذا اتبع هذا وانقلب هذا علمه الله كآئنا، وإن كان قبل ذلك عالما بما سيكون من ذلك، لا أنه لا يعلم كون هذا متبعا، وهذا منقلبا، إلا بعد وجود الاتباع والانقلاب منهما.

---

(١)- هو قوله: ((خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي)).

قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]

قال في كتاب المنتخب للإمام الهادي إلى الحق ﵁ في سياق كلام ذكر فيه قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ ما لفظه:

يريد: جانبا منه؛ حيث وليتم من الجوانب، وكان تجاهكم من نواحي الكعبة أي ناحية كانت أجزت...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨)﴾ [البقرة:١٤٨]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الوجهة فهي: الملة والشريعة، ثم قال عز وجل: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ فيما يتعبدون به، واستباقهم فهو: العمل به، والمواظبة عليه، ومن الخيرات أيضا: ما أعد الله في الجنة من العطاء الجزيل، والثواب الكريم، الذي أعده سبحانه للمؤمنين، وخص به أولياءه المتقين.

وقوله :﴿يأت بكم الله جميعا﴾ فهو: في حشره لهم عز وجل، وجمعه إياهم من حيث كانوا إلى موقفهم، وموضع مجازاتهم، وقد قيل: إن الوجهة هي: القبلة، والقول الذي قلنا به فيها فهو الصواب عندنا.

وقلت: هل يقرأ: " هو مولاها"؟

وليس يقرأ بذلك، وإنما يقرأه: ﴿هو موليها﴾.

قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠]

في كتاب مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى: ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾: فليس لأحد في حكم الله ولا أمره حجة، ولا فيما تعبد به قول ولا معارضة، ومعنى قوله عز وجل: ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ فهو: ولا الذين ظلموا منهم، ولم يرد بقوله هاهنا: استثناء، وإنما أراد به: النسق، فليس لهم أيضا حجة؛ لأن الله يتعبد خلقه، ويأمرهم بما كان له فيه طاعة، فقال: ﴿إلا الذين ظلموا﴾، فخرج ظاهر اللفظ: يثبت لهم حجة، والعرب تطلق هذا في كلامها، وهو في كتاب الله عز وجل فموجود، كما قال سبحانه: ﴿لا أقسم﴾، وإنما أراد: ألا أقسم، فطرح الألف وهو يريدها، والعرب تثبتها في الشيء، وهي لا تريدها، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين﴾، وإنما أراد: وعلى الذين لا يطيقونه، فطرح "لا"، وهو يريدها، وإنما أراد سبحانه: لئلا يكون للناس عليكم حجة، ولا الذين ظلموا، فأثبت الألف، وهو لا يريدها.

وقوله عز وجل :﴿فلا تخشوهم واخشوني﴾ فالخشية: قد تكون من الأذية والكلام، والبطش والقتال؛ فأمرهم الله ألا يخشوا الخلق، ولا يهابوهم، ولا يدارون الظلمة، ولا في الله سبحانه يتاقونهم، وأن تكون خشيتهم لله سبحانه، وقصدهم إياه، والطلب منهم لرضاه.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)﴾ [البقرة:١٥٥]

قال في كتاب مجموع رسائل الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام في سياق كلام، ما لفظه:

قال تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾، الجوع: من أنواع الجدب، والخوف على وجهين: خوف من الله تعالى، وخوف من أعدائه، وهما جميعا في الحكم من جهته؛ لأنه لولا تعبدنا بعداوة أعدائه لم نخفهم، ولولا تعبدنا بطاعته لم نخف مخالفة أمره.

﴿ونقص من الأموال والأنفس﴾، أنواع المال معروفة، ونقصها ظاهر بالموت من حيوانها، وبتلف من جمادها، ونقص الأنفس: الموت والأمراض على أنواعها، والثمرات نقصانها بما يحدث من الآفات فيها، وكل هذا بغير حاجة منه سبحانه إليه، وإنما أراد بلوانا بالصبر لنفع يعود علينا، كما ابتلانا بالشكر لأمن يرجع إلينا؛ فتدبر ذلك تصب رشدك، موفقا إن شاء الله تعالى .

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩)﴾ [البقرة: ١٥٩]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام ما لفظه:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: اللعنة من الله لهم فهو: عذابه إياهم، وإخزاؤه لهم، واللاعنون لهم فهم :الملائكة والنبيون، وكل من أطاع الله من جميع عباده المؤمنين، فهم لهم لاعنون؛ بمخالفتهم وكثرة مضادتهم لدين خالقهم، فلعنه الله وغضبه عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة:١٦٥]

في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام قال:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الأنداد فهم: الأنداد في الطاعة، يطيعونهم ويوجبون طاعتهم على نفوسهم، كما تجب طاعة الله عز وجل على المؤمنين، ومعنى يحيبونهم فهو: يودونهم ويعظمونهم، ومعنى[1] ﴿كحب الله﴾.

فهذه الآية إنما خاطب الله بها محمدا صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبره والمؤمنين بفعل الظالمين، فقال في المشركين: إنهم يحبون الأنداد كما تحبون أنتم الله، أو أشد حبا؛ أراد بقوله "أشد": أنهم في الاستبلاغ على غاية المحبة، والمؤمنون شديدة محبتهم، حسنة طريقتهم، خالصة مودتهم، قاصدون لله سبحانه بعملهم، وإنما أخبرهم الله بكفر الكافرين، وما هم عليه من الشرارة والعتو والمرادة؛ ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾، فأمرهم الله عز وجل ألا يسبوا أصنامهم، ولا ما اتخذوه؛ جهلا وعما لعبادتهم، فيسبوا الله سبحانه عدوا وجراءة وجهلا؛ إذ هم عندهم في التعظيم كرب العالمين في صدور المؤمنين ومن عظمه من المتقين، ولله المثل الأعلى سبحانه وتعالى.

(١) - هكذا في الأصل المنقول منه، وهو المجموع المطبوع، ولعل كلمة: [ومعنى] زائدة؛ فليتأمل. (جامعه).

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [البقرة:١٧١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام، ما لفظه:

وإن سأل عن قول الله سبحانه: ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعا ونداء﴾، فكيف يشبه الذين كفروا بالناعق، ثم قال: ﴿بما لا يسمع﴾، والناعق سميع بصير؛ فإن كان مثلهم بالبهائم -فكان مجاز الكلام أن يقول: كمثل الذي ينعق به؟

قيل له: يا جاهل، ذا الارتياب، ويا حائر عن الصواب؛ إن الله تبارك وتعالى شبه الذين كفروا بالبهائم التي تنعق؛ بقلة مراعاتهم وقبولهم، وقلة معرفتهم بما جاءهم من ربهم؛ فشبههم في قلة استماعهم - بالبهائم التي لا تمييز لها.

فأما قوله: ﴿مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع﴾ فهو مثل ضربه الله لهم، فمثلهم بغنم راع يطلب، وتتابعت، فذهبت، فأراعها صاحبها، فلم يجدها، فعلا شرقا في الأرض لها، وأقبل ينعق بها، ويناجيها وهي لا تسمعه، وهو في دعاء ونداء، وهي سائمه ترعى، ولا تجيب له صوتا، ولا تألوه فوتا؛ كذلك الذين كفروا حالهم في ترك الإجابة إلى الحق كحال هذه الغنم المستجمعة من الخلق.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣)﴾ [البقرة: ١٧٣]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وليست المغفرة هاهنا من ذنب، ولا عن حرام مرتكب؛ ولكنها مغفرة

تخفيف ورحمة فيما وضع من التكليف.

قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [من آية (١٧٥)].

في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام قال:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿فما أصبرهم على النار﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا تبكيت من الله عز وجل لكفرة عباده وتقريع لقلة صبرهم على النار، فقال: ﴿ما أصبرهم على النار﴾ وهم لا يصبرون عليها، وكذلك تقول العرب للرجل في الشيء إذا لم يقو عليه، وأيقنت بعجزه عنه: "ما أقواك على كذا وكذا"، من طريق التقريع له بضعفه وقلة احتماله. وقد قيل: إن معنى ﴿ما أصبرهم على النار﴾: أي: ما أصبرهم على عمل النار الذي يهلكون به، ويستوجبون العذاب بفعله؛ فأقام النار مقام عملها.

وقال في كتاب حقائق المعرفة في معنى قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥)﴾:

فهذا اللفظ لفظ التعجب، والله تعالى يجل من أن يتعجب؛ لأنه لا يتعجب من شيء إلا من يجهل وقوعه، أو كان عاجزا عن فعل مثله؛ فهذا معناه: فما اضطرهم على النار، وليس بتعجب، قال الشاعر:

قلت لها: أصبر هذا بنا   أمثال بسطام بن قيس قليل[1].

(١) - قال في حاشية المطبوع منه: قوله: " أصبر": أفعل، كأكرم، ومعناه: اضطر هذا الشخص بنا، والتجأ إلينا؛ لعدم وجود أمثال بسطام هذا.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾ [البقرة: ١٧٧]

في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قال الله سبحانه : ليس كل البر تولية المشرق والمغرب من القبل التي أنتم تمارون فيها؛ ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون (١٧٧)﴾، فأخبر سبحانه بفنون البر، وما يصح لهم به الإيمان، ويكمل لهم به اسم البر والإحسان.

وفي كتاب مجموع رسائل الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام قال:

المسألة الثالثة والثلاثون: عن قوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم...﴾الآية؟

الجواب عن ذلك: أن اليهود ومن تابعهم لما حول الله تعالى قبلة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من بيت المقدس حرسه الله، إلى البيت الحرام حماه الله وزاده جلالة وعزا – عظم ذلك عليهم، واستهزؤا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه؛ فرد الله تعالى عليهم ذلك

بما بين: أن البر التقوى، وطاعة الملك الأعلى، واتباع أمره، وليس هو في جهة مخصوصة جزءا من مشرق أو مغرب.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨)﴾ [البقرة: ١٧٨]

قال في كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن آية القصاص هل يقتل فيها الحر بالعبد، وهل تجب الدية في شيء من العبد؟

وقد فصل الله فيما سألت عنه في ذلك من أمره، بقوله وعند ذكره: ﴿الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾، فجعلهم في القصاص أصنافا مختلفة شتى، وعلى ما ذكر الله من اختلافهم وشتاتهم، اختلفوا باجتماع في دياتهم، فدية العبد على قدر قيمته، والمرأة مخالفة للرجل في ديته، وهذا كله مجتمع عليه، لا أعلم أحدا يقول بخلاف فيه.

واختلافهم - رحمك الله - في الديات دليل على اختلافهم في القود والجراحات، وما اختلف من ذلك فيه فليس بواحد، والخلاف فبين بين الحر والعبد، ولا يحكم في المختلف بالاستواء، [إلا] من لا علم له بالحكم في الأشياء؛ ولا قود ولا قصاص بين حر وعبد، وليس أمرهما في كثير من الدين بواحد، حد العبد في الزنا وغيره ليس بحده، والسيد في كثير أموره فليس كعبده، وكذلك المرأة في كثير أمورها فليست كالرجل، ولو كانت كهو لما كان له عليها من الفضل ما ذكر الله سبحانه في قوله: ﴿وللرجال عليهن درجة﴾[البقرة:

٢٢٨]، وكفى بهذا في اختلافهما بيانا وحجة.

فإن قتل القاتل عبدا أو امرأة عمدا، وكان بقتله إياهما في أرض الله مفسدا، قتل إذا صح فساده عند الإمام صاغرا، ولم يحرز قاتله من القتل أن يكون حرا؛ لقول الله سبحانه: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ [المائدة: ٣٢]، وفي الناس الحر والعبد جميعا معا؛ فأحل الله من قتل الأنفس بالفساد في أرضه ما أحل من قتلها بترك التوحيد ورفضه.

فأما من قتل عبدا أو امرأة مغاضبا أو فلتة أو حصره، فليس كمن قتلهما مفسدا، وكان بفساده في أرض الله متمردا.

وأما ما سألت عنه من: قول الله سبحانه: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾؟

فهو: العفو من الطالب عن الدم إلى الدية، إذا كانت نفس الطالب والمطلوب بذلك راضية، وهذا إذا تراضيا به فما لا يقول أبو حنيفة وأصحابه بغيره؛ فجعل الله لرأفته ورحمته بخلقه العفو: عفوين عن الدية والدم جميعا، وعفوا عن الدم إلى الدية؛ رأفة منه وتوسيعا، وأمر الله تبارك وتعالى الطالب بحسن الطلب فيها والمتابعة، وأمر المطلوب بحسن الأداء لها؛ زيادة من الله في الرحمة وتوسعة.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)﴾ [البقرة: ١٧٩]

قال في كتاب الأحكام:

ثم قال عز وجل: ﴿ولكم في القصاص حيوة يا أولي الالباب لعلكم تتقون﴾، والحياة التي ذكرت في القصاص فهي: ما يداخل الظالمين من الخوف

من القصاص في قتل المظلومين، فيرتدعوا عن ذلك إذا علموا أنهم بمن يقتلون مقتولون، فتطول حياتهم إذا ارتدعوا عن فسادهم، وينكلون عن قتل من به يقتلون، وبإبادته بحكم الله يبادون... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في كتاب الأساس للإمام القاسم بن محمد عليه السلام في سياق كلام عن الآجال:

لنا: قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾، وهو نص صريح يفيد القطع بأن القتل خرم؛ إذ لو ترك المقتول خشية القصاص لعاش قطعا، ولو ترك المقتص منه؛ لتركه القتل الموجب للقصاص -لعاش قطعا، كما أخبر الله تعالى في قصة قتل الخضر عليه السلام الغلام؛ لأنه لو لم يقتله لعاش قطعا، حتى يرهق أبويه طغيانا وكفرا كما أخبر الله تعالى...(إلى آخره)

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾ [البقرة: ١٨٣]

قال في كتاب الأحكام:

قول الله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾، يقول سبحانه: لعلكم تتقون مخالفتي، وتتبعون أمري وطاعتي، فتتبعون حكمي، ولا تبدلون فرضي، كما بدله من كان قبلكم من بني إسرائيل، الذين أنزلت عليهم وفيهم ما أنزلت من الانجيل؛ وذلك أن الله كتب في الانجيل على بني اسرائيل: أن يصوموا شهر رمضان، وأن لا ينكحوا فيه ما أحل لهم نكاحه في غيره من النسوان، فبدلوا ذلك وغيره، وخالفوا ما أمروا به فيه ورفضوه؛ جزعا من دورانه عليهم في اشتداد حرهم، وسبرات بردهم، فنقلوا الصيام إلى غير رمضان من الأيام، وزادوا فيها عشرين

يوما كفارة بزعمهم لما غيروا؛ فلعنهم الله وأخزاهم، وأهلكهم بذلك وأرادهم؛ وذلك قوله سبحانه: ﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾، يعني: النصارى.

وفي ينابيع النصيحة:

معنى قوله تعالى: ﴿كتب عليكم الصيام﴾ يعني: فرض عليكم.

قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)﴾ [البقرة:١٨٤]

قال في كتاب الأحكام في سياق كلام عن الصيام:

ثم قال سبحانه: ﴿أياما معدودات﴾، ﴿فمن شهد منكم الشهر﴾، يعني: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن؛ فجعل الله عدد شهر رمضان ثلاثين يوما، وتسعة وعشرين يوما، يكون ثلاثين يوما إذا وفي، وتسعة وعشرين يوما إذا نقص، فإن كانت في السماء علة من سحاب أو غبار أو ضباب أو غير ذلك من سبب من الاسباب -أوفيت أيام الصيام ثلاثين يوما، وكذلك يروى عن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه قال: ((صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين يوما))؛ يريد -صلى الله عليه وآله-: من يوم رأيتموه، وصح عندكم أنه قد أهل فيه، وقد روي عن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه قال: ((الشهر هكذا، وهكذا، وهكذا))، ثم قال -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ((وهكذا قد يكون، وهكذا، وهكذا))، ونقص من أصابعه واحدة، وأشار في الأولى بكفيه جميعا ثلاث مرات، وأشار بكفيه في الثانية ثلاث مرات، ونقص في الثالثة إصبعا؛ فدل ذلك منه - صلى الله عليه وآله - على أن الشهر قد يكون مرة ثلاثين يوما سواء، ومرة تسعة وعشرين يوما

سواء... (إلى آخر كلامه عليه السلام)

وقال في موضع آخر عند ذكره قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)﴾:

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه:

معنى قوله سبحانه: ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ هو: وعلى الذين لا يطيقونه؛ فطرح "لا"، وهو يريدها، والقرآن فهو عربي مبين، وهذا فموجود في لغة العرب، وفي آي كثير من الكتاب موجود، والعرب تأتي بـ"لا" في كلامها وهي لا تريدها، وتطرحها وهي تريدها؛ استخفافا لها، فأما مجيؤها بالكلام الذي تريدها فيه، وقد طرحتها منه - فهو مثل ما ذكرها في الآيتين المتقدمتين، وفي مثل ذلك ما يقول الشاعر:

نزلتم منزل الأضياف منا ... فعجلنا القرى أن تشتمونا [(١)]

فقال: فعجلنا القرى أن تشتمونا، وإنما أراد: فعجلنا القرى أن لا تشتمونا، فطرحها وهو يريدها، وأما ما كان من كلامها مما تثبت "لا" فيه وهي لا تريدها، مثل قول الشاعر:

بيوم جدود لا فضحتم أباكم ... وسالمتمو والخيل تدمى شكيمها [(٢)]

---

(١) - من معلقة عمرو ابن كلثوم. شرح المعلقات السبع للزوزني (١/ ٢٢٢).

(٢) - قال في العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (٦/ ٥٧): يوم جدود: غزا الحوفزان، وهو الحارث بن شريك، فأغار على من بالقاعة من بني سعد ابن زيد مناة، فأخذ نعما كثيرا، وسبى فيهنّ الزرقاء من بني ربيع بن الحارث، فأعجب بها وأعجبت به، وكانت خرقاء، فلم يتمالك أن وقع بها، فلما انتهى إلى جدود، منعتهم بنو يربوع بن حنظلة أن يردوا الماء، ورئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب، فقاتلوهم، فلم يكن لبني بكر بهم يَدٌ، فصالحوهم على أن يعطوا بني يربوع بعض غنائهم، على أن يخلّوهم [أن] يردوا الماء، فقبلوا ذلك وأجازوهم، فبلغ ذلك بني سعد، =

فقال: لا فضحتم أباكم، وإنما أراد: بيوم جدود فضحتم أباكم، فأدخل "لا" لغير سبب ولا معنى؛ صلة للكلام، والشاهد لذلك في كتاب الله تعالى: قول الله سبحانه: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾، فقال: لئلا يعلم أهل الكتاب، وإنما أراد تبارك وتعالى: ليعلم أهل الكتاب، ومن ذلك قول موسى - صلى الله عليه -: ﴿ياهارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا (٩٢) ألا تتبعن أفعصيت أمري (٩٣)﴾[طه]، فقال: ألا تتبعني، وإنما أراد: أن تتبعني، وهذا عند العرب فأعرب إعرابها، وأفصح ما تأتي به من خطابها...

(ثم ساق عليه السلام الكلام في هذا الموضع، موردا شواهد أخرى، إلى أن قال:)

فعلى ذلك يخرج معنى قول الله سبحانه: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين﴾، يريد: وعلى الذين لا يطيقون الصيام ممن كان ذا ضعف وهلاك من الانام - ﴿فدية طعام مساكين﴾، يقول: يطعم ثلاثين مسكينا عن الشهر كله، عن كل يوم مسكينا، غداه وعشاه.

ثم قال: ﴿فمن تطوع خيرا فهو خير له﴾، يريد سبحانه: من زاد فأطعم عن كل يوم مسكينين، وحمل على نفسه، وإن أضر ذلك به في بعض حاله - فهو خير له... (إلى آخره).

فقال قيس بن عاصم في ذلك:
جزى الله يربوعا بأسوأ سعيها ... إذا ذكرت في النائبات أمورها
وَيْوَمَ جَدُودٍ قَدْ فَضحتم أباكم ... وسالمتم والخيل تدمى نحورها.
... إلخ. وانظر شرح أدب الكاتب للجواليقي (١/ ١٢٥)، والأغاني (١٤/ ٨٠).
قال في تاج العروس: (و) جَدُود: (علم) بعَيْنه من أَرض تَميم، قَريب من حَزْن بني يَربوع بن حَنظَلَة، على سَمْتِ اليَمامة، فِيهِ ماءٌ يُسمَّى الكُلاَب، وكانتْ فِيهِ وَقْعَةٌ مرّتين يُقَال للكُلاَب الأَوّلِ: يومُ جَدُود، وَهي لتَغلِبَ على بَكْرِ بن وائِل، قَالَ الشاعِر:
أَرَى إِبِلي عَافَتْ جَدُودَ فَلَم تَذُقْ ... بهَا قَطْرَةً إلاّ تَحِلّةَ مُقْسِم

وفي كتاب تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي فسرها الإمام الهادي عليه السلام كلام حول الآية مثل كلامه عليه السلام في كتاب الأحكام.

قوله تعالى:﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(١٨٥)﴾[البقرة:١٨٥]

قال في كتاب الأحكام عند ذكره لهذه الآية:

ثم قال – جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله– في المريض والمسافر: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾، فأطلق للمريض والمسافر: الإفطار، وحكم عليهم بقضاء ما أفطروا من الايام، ثم قال سبحانه: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾، فأخبر بتيسيره على عباده، وتخفيفه عنهم بما أجاز لهم من الإفطار، وترك الصيام الذي لم يجز تركه لأحد مقيم من الأنام، ثم قال سبحانه في إيجاب القضاء لما أفطر المسافرون من أيامهم التي أجاز لهم إفطارها في أسفارهم: ﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾.

قال في كتاب مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن قوله: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا﴾؟

فهو: من حضر الشهر، فلم يغب عنه –فليصم في حضوره له ما ألزمه الله فيه منه، والمشاهدة له فهو: أن يحضره كله، ومن شهد بعضه – فلم يحضر كله؛ والشهر – كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم –: ((ثلاثون، وتسعة وعشرون))،

وليس الهلال والرؤية بشهر تام، ولو لزم من حضر الرؤية الصيام - لكان ذلك لأهله إضرارا، وعاد تيسير الله فيه إعسارا.

وقد سافر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بدر وغير بدر، فصام في سفره وأفطر، ولو لزم من رآه وأهله في أهله المقام -لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((عمرة كحجة: العمرة في رمضان))، ولما جاز لأحد من الناس فيه اعتمار.

وقال في مجموع الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام ما لفظه:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾، فقلت: هل جمع الله القرآن كله من أوله إلى آخره في شهر رمضان، أم أنزل أوله؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: اعلم - هداك الله وأعانك-: أن معنى قوله عز وجل: ﴿شهر رمضان الذين أنزل فيه القرآن﴾: الله أنزل فيه القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكان أول ما أنزل عليه في رمضان، ثم كان ينزل عليه خمسا وخمسا[1].

وقد قيل: إن سورا من القرآن أنزلت عليه جملة. ولست أقف على صحة ذلك، فلم يرووه عن من نثق به؛ ألا تسمع كيف يقول الله سبحانه: ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾، قال: فرقناه، أي: أنزلناه شيئا شيئا، والمكث فهو: المدة؛ لأن التوراة أنزلت على موسى عليه السلام مرة واحدة، مكتوبة في الألواح، وكان موسى عليه السلام يقرأها ويستخرجها، كذلك الإنجيل أنزل مرة واحدة على عيسى صلى الله عليه، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم كان أميا، ليس يقرأ إلا على ظهر قلبه، فلو أنزل القرآن مرة واحدة في الألواح كما أنزلت التوراة والإنجيل، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم فلم يكن يقرأ الكتب السالفة، ولا يخط بيده، وعند كونه كذلك فلو نزل عليه مجملا في الألواح -لاحتاج إلى من يقرأه عليه ويبينه،

(١) - ستأتي روايته للإمام الهادي عليه السلام في سورة القيامة، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك (ر: ٤٢١٦)، والنسائي في الكبرى (ر: ٧٩٩١)، والطبراني في الكبير (ر: ١٢٣٨١)، وغيرهم.

ولو كان كذلك لوقع الشك والارتياب؛ إذ المعبر له غيره، والمبين سواه؛ ولو كان صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ ويكتب لكان الأجر[١] كما ذكر الله -عز وجل- في كتابه من شك المبطلين، حين يقول: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾، فكان إتيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم [عليه[٢]] بالقرآن المعجز للخلق، وهو لا يكتب ولا يقرأ - دلالة عظيمة، وآية في نبوته باهرة؛ فأنزل الله عليه القران شيئا شيئا؛ لما أراد الله عز وجل من تدبيره، وحكمته، وتثبيته في قلبه؛ فجعله للخلق شفاء ونورا، وهدى وجلاءا للصدور، ومبينا لما التبس من جميع الأمور، فلن يضل من تعلق به، ولا يتحير أبدا من استضاء بنوره؛ نسأل الله أن يجعله لنا ولكم نورا، وهدى شافيا، ومعينا برحمته.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)﴾[البقرة:١٨٦]

قال في مجموع الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون (١٨٦)﴾، فقلت: كيف يعرف العبد إجابة الدعوة إذا دعاه، وطلب منه فلم يرى قضاء حاجته؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إن الله عز وجل كما ذكر من قضاء حوائج خلقه وإجابة دعائهم إذا دعوه، وطلابهم عند مسألتهم، وأوان فاقتهم؛ ألا تسمع

---

(١) - هكذا في النسخة المنقول منها، وهي المجموع المطبوع، وصواب العبارة: " لكان الأمر..."؛ فليتأمل. (جامعه)

(٢) - القياس حذف كلمة:" عليه ".

كيف يقول: ﴿فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان﴾؟ ثم أخبرهم -عز وجل- من الذين إذا دعوه أجابهم، فقال: ﴿فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾، فأخبرهم تبارك وتعالى: أنهم إذا استجابوا له وآمنوا به أجاب دعاهم وسمع طلبتهم، فإذا لم يكونوا كذلك فليس هم ممن يجاب له دعوة، ولا تقضى له حاجة، وكلما نالهم من نعمة فهو: إملاء. والاستجابة لله سبحانه فهي: طاعته، والعمل بما أمر به، والانقياد إلى ما افترضه، والتصديق بأمره ونهيه، والمعرفة بتوحيده وعدله؛ بذلك يصح للعبد الإيمان به، ويتوجب الإجابة لدعوته، فإذا كان العبد كذلك عرف إجابة الدعوة فيما سأل. وقد يسأل العبد الله أمرا و يطلبه منه، ويكون الخيرة له في غيره؛ فيكون بتجنيبه إياه نعمة عليه، وإحسانا إليه، فإذا تعقب العبد الأمر فيما دعا الله فيه، وأنصف نفسه بتبيين الله له الخيرة والرشد، حتى تتضح له الخيرة في الإجابة فيما طلب؛ لأن الله سبحانه يقول: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾؛ فإنما يطلب العبد من الله عز وجل الطلبة التي يرجو فيها لنفسه صلاحا أو فرجا، ويعلم الله عز وجل أن له في ذلك الشر والغم، ولا يعرفه هو؛ فيكون قد استجيب له في صلاح نفسه، وما تقر به عينه، وصرف عنه ما لو أعطيه لكان له في الحزن والغم، والأذى والهم. ومن الصالحين من يسأل في السبب الذي يعلم الله عز وجل أن له فيه صلاحا، فيجاب فيه كبيرا؛ رأينا ذلك غير قليل.

وقلت: قد وعد الله سبحانه الداعي، فقال: ﴿أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾، فأخبرهم أنه يجيبهم إذا استجابوا له، وآمنوا به؟

ولقد أولاهم سبحانه، وأعطاهم أفضل حوائجهم، وأكثر مرادهم، وما يقل فيه ومعه جميع مطالبهم، من صحة الجوارح، وعافية الأبدان؛ فهذه أكبر النعم

عليهم، وأجزل العطايا لهم، ولو أن عبدا دعا الله سبحانه أن يرزقه واديا من تبر، فرزقه إياه، ثم ابتلاه بضربان عينه، أو عرق من عروقه - لسأل الله أن يعافيه من ذلك، ويفتدي الألم بذلك الوادي ومثله أضعافا لو كان له؛ فأي نعمة أو إجابة أعظم أمرا من العافية والصحة؟ وأي عطاء أجزل من عطاء لا يتمنى به غيره؟ فأما ما كان يطلب به غيره فهو سهل عند صاحبه، قريب عند مالكه، وكثير من الخلق يسأل الله السبب، ويستخيره فيه، فإذا دفعه عنه بخيرة له في دفعه - اغتم لذلك وغضب؛ لقلة معرفته، وقد ترون في بعض مسائل موسى عليه السلام التي سأل ربه عز وجل أنه قال: يا رب أي عبادك أشر عندك؟ قال: ((يا موسى الذي يتهمني)) قال: يا رب، ومن يتهمك؟ قال: ((الذي يستخيرني، فإذا خرت له غضب)).

فكثير - رحمك الله- من رأيناه: يدعو إلى الله سبحانه بالسلامة في دنيه ودنياه، والخلق كلهم على ذلك يسألون الله السلامة والعافية، ثم يسألونه من بعد ذلك الحوائج، فتكون فيما يسألون مما لا يعرفون أشياء هي لهم عند نفوسهم موافقة، وقد علم الله عز وجل فيها لهم البلاء والغم والأحزان لو وقعوا فيها، فيدفعها عنهم؛ لمسألتهم الأولى السلامة والعافية، ولإجابته إياهم في ذلك، فيعدون ذلك نقمة، وإنما هي نعمة وخيرة، ولو كشف لهم عن قبيح ما ينزل بهم فيما سألوا- لأكثروا الدعاء إلى الله سبحانه في الصرف عنهم. وليس ينبغي لأحد أن يتهم الله عز وجل في الدعوة، وأن ينتظر عند دعائه ومسألته، إذ لم ير ما دعا فيه، فيرجع إلى نفسه، فإن كان لله مطيعا، فليوقن بأنها خيرة أو سلامة لدينه ودنياه، علم الله منها ما لم يعلم، فصرفها عنه؛ لضرها له، وإن كان عاصيا، فليعلم أنه ليس له عند الله منزلة، فيستجاب له دعوة؛ لأن قول الله سبحانه الحق، وما وعد فهو الصدق، عز وتعالى علوا كبيرا.

قوله تعالى:﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُم﴾[البقرة ١٨٧]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

والابتغاء: فإنما هو في القبل، لا في الدبر، وتأويل ﴿ما كتب الله لكم﴾ هو: ما علم الله أنه سيكون من نسلكم.

وفي كتاب حقائق المعرفة:

معنى قوله: ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾، يريد: ابتغوا الولد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)﴾ [البقرة:١٨٨].

قال في مجموع الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا أمر من الله عز وجل لجميع من عرفه، وقبل أمره ونهيه: ألا يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، ولا ينفقونها في ما لا يرضي الله، ولا يستعينون بها على معصيته، وأن يفعلوا فيها ما أمرهم به من طرق الصلاح، مثل: الزكاة، والصدقة، والإنفاق في سبيل الله، وصلة الرحم، وما كان من سبيل الطاعة – لله فيه رضاء، ولديه لمن فعله جزاء.

وقوله سبحانه:﴿وتدلوا بها إلى الحكام﴾ فهو: ما يفعله الناس الآن، وما هم عليه من رشوة الحاكم والعطاء له، حتى يحيف معهم على المحكوم عليه، فيسلم إليهم عند ذلك ما لم يملكوه، ولا بحق أخذوه ، وقد رأينا أشرارا من الناس على

القضاء، فيتحاكم إلى الحاكم منهم رجلان، فيكون مع أحدهما سعة وجدة، فيرشي الحاكم، فيحكم له على الآخر الفقير، ويظلمه ويتعدى عليه، فيأخذ مالا يملك بحكم ظالم مسترشي، حكم له بما لا يملكه؛ فقد أدلى بماله إلى هذا الحاكم الظالم، وأكل به أموال الناس جورا وظلما، وتعديا وغشما؛ فهذا معنى الآية.

وقال في مجموع الإمام القاسم بن محمد رضي الله عنه في معنى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾:

لا تأخذوها، وتذهبوا بها، وتفوتوها على أهلها.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩)﴾ [البقرة:١٨٩]

قال في الأحكام عند ذكره قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ ما لفظه:

يقول جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله: مواقيت لأحكامهم، وما جعل الله عليهم من فرائضهم، من صومهم وزكاتهم وحجهم، وغير ذلك من أسبابهم.

وقال في مجموع الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها﴾...الآية؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا أمر من الله سبحانه للمؤمنين في آتيان البيوت من أبوابها، وتأديب لهم؛ وذلك لما أمرهم الله عز وجل بالاستئذان على أهل البيوت قبل دخولها، وقبل فتح أبوابها - كانوا يرون أن إتيانها من ظهورها أقرب لهم إلى الله، فطلبوا بذلك الفضل، فنهاهم الله عن ذلك، وأمرهم بإتيانها من

أبوابها من بعد أن يستأنسوا ويسلموا على أهلها.

وقال في مجموع الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام:

المسألة الرابعة والثلاثون: عن قوله تعالى: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها...﴾ الآية؟

الجواب عن ذلك: أن قريشا ومن تابعها كانت قد أحدثت في الحج أمورا غير شرع إبراهيم عليه السلام، منها: أنهم لا يقفون في عرفة، ولا يطوفون إلا في باب الحرم، ولا يدخلون البيوت في وقت الإحرام من أبوابها؛ بل يتسورون من ظهورها، ويسمون نفوسهم الحمس، والحمس: الشدة، وربما خطب الرجل إليهم، فيقولون: لا نزوجك إلا أن يكون ولدك من أنبت حمسيا؛ فيعقدون على ذلك، فلما جاء الإسلام - شرفه الله سبحانه- أبطل ذلك، فكان رجل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأنصار، أمه قرشية في الحج، فقال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((أدخل تريد بيتا)). فقال: يا رسول الله، إني حميس. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((وأنا حمسي))، يريد: قرشيا، ثم دخل من يديه، فتبعه الرجل، ونزل القرآن الكريم بإبطال ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣)﴾ [البقرة:١٩٣]

قال في مجموع الإمام الهادي عليه السلام عند ذكره الآية:

والعدوان هاهنا فهو: الجهاد، والعدو على من ظهر منه الإجتراء على الله والاعتداء.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الإمام الهادي عليه السلام ما لفظه:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿فلا عدوان إلا على الظالمين﴾، يقول: لا

سبيل إلا على الظالمين، وقلت: ما العدوان؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: العدوان على وجهين في القرآن:

فالوجه الأول: قوله سبحانه: ﴿لا عدوان إلا على الظالمين﴾، يقول: لا سبيل إلا على الظالمين.

والوجه الآخر: كقول موسى صلوات الله عليه في سورة القصص: ﴿أيما الآجلين قضيت فلا عدوان علي﴾، يقول: فلا حجة علي.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)﴾[البقرة: ١٩٤]

قال في مجموع الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه :﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾....الآية؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا أمر من الله عز وجل للمؤمنين بترك الظلم والاعتداء، والأخذ بالحق في جميع الأشياء، وأن يفعلوا ما أطلق لهم سبحانه فعله، ولا يتعدوا إلى غيره؛ مثل ذلك: ظالم تعدى، فقطع يد رجل، فقد جار عليه وظلمه، وله أن يفعل به مثل ما فعل سواء، وليس له أن يقطع يديه، ولا أن يقتله كما يفعل سفهاء من الناس، فقد رأيناهم ربما جرح أحدهم جرحا؛ فيقتل فيه من جرحه. ومن التعدي أيضا: أن يجرج إنسان إنسانا، فيستوفي من غيره؛ من ابن عمه أو ابنه أو قرابته، كما يفعل البادية والأعراب؛ وهذا من الظلم البين، ولذلك قال سبحانه :﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾، فأراد عز وجل: أن يؤخذ من الظالم القصاص، ويكافأ بعينه، ولا يؤخذ بجرمه غيره؛ وفي ذلك ما يقول الله سبحانه: ﴿ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه

سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا﴾، فأراد عز وجل بقوله: ﴿فقد جعلنا لوليه سلطانا﴾: الأذن والحكم منه لولي المقتول أن يقتل قاتل قريبه، ومعنى ﴿فلا يسرف في القتل﴾ فهو: أن لا يقتل نفسين بنفس، ولا يقتل من لم يقتله ولم يتعدى عليه؛ فقد أسرف في القتل، وصار ظالما بتعديه، محكوما بالقتل عليه، ومن قتل من أولياء المقتول قاتل قريبه فهو مصيب، وعند الله غير مذموم؛ وذلك قوله سبحانه : ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾، يريد عز وجل: ألا يتعدوا بفعل لم يفعل بكم مثله، وهذه الآية التي استشهدناها فإنها نزلت في أمر حمزة رحمة الله عليه، وذلك أنه لما مثلت به قريش قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لئن أمكنني الله من قريش لأمثلن بسبعين رجلا منهم))، فأنزل الله سبحانه: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾، فقال -عليه وآله السلام-: ((بل أصبر، بل أصبر))، فصفح وطلب ما عند الله من الأجر والثواب.

قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)﴾[البقرة:١٩٦]

قال في كتاب الأحكام في سياق كلام ما لفظه:

وقال سبحانه: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾، يقول تبارك وتعالى: قوموا بما افترض عليكم منه، وأدوا ما دخلتم فيه منهما،...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في موضع آخر عند ذكره قوله تعالى:﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾:

والصيام فهو: صيام ثلاثة أيام، والصدقة فهي: إطعام ستة مساكين، والنسك: فأقله شاة، ومن عظم فهو خير له عند ربه،...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى:﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾[البقرة:١٩٧]

قال في كتاب الأحكام عند ذكره قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ ما لفظه:

فكانت أشهر الحج: شوالا، وذا القعدة، والعشر من أول ذي الحجة ...(إلى أن قال:)

ومعنا قوله "فرض": هو أوجب بالإحرام ودخل.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[البقرة:٢٠٣]

قال في مجموع الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألتم: عن قول الله سبحانه: ﴿فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه﴾[البقرة:٢٠٣]، وما معنى ذكر الإثم في ما قد أباح؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إن الله عز وجل لما أطلق للحاج النفر في اليومين الذي ذكر حين يقول: ﴿فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه﴾ -كان هذا وقتا قد أباح الله عز وجل فيه النفر وأجازه، ثم قال: ﴿ومن تأخر فلا إثم عليه﴾، يريد: من تأخر عن النفر الأول الذي قد أطلق له فيه النفر، والتأخر فهو: النفر الثاني، فصار هاهنا: نفران، قد أطلق فيهما النفر، فلما أن كانا وقتين قد أباح الله عز وجل النفر فيهما -قال: فمن تعجل في هذين اليومين قد أبحت ذلك له، وهو مصيب، فلما أن أجاز النفر في هذين اليومين، وهو النفر الأول كان أمرا منه لهم بذلك

وإطلاقا، ولو لم يكن ذكر النفر المتأخر لجعل النفر الأول الواجب الذي لا يجوز التخلف عنه، ولو ذكر النفر الآخر ولم يذكر الأول لم يجز لأحد أن ينفر دونه، فلما أن كان له سبحانه في النفر حكمان، أول وآخر - قال: ﴿فمن تعجل في يومين﴾ من قبل النفر الآخر فهو جائز له وغير مأثوم، ومن تأخر عن هذا الأمر الأول، ونفر في النفر الآخر فهو مباح في ذلك، غير محظور عليه؛ فلما أمر عز وجل بالنفرين -جعلهما نفرين، أول وثاني، فلو ذكر الثاني ولم يذكر الأول لحرم على الناس النفر في الأول، ولو ذكر الأول وأغفل الثاني لوجب النفر في الأول، فلما أن ذكرهما عز وجل، وأمر بهما -صار حدا للنفر، وأبيحوا فيهما المضي، فقال سبحانه: ﴿فمن تعجل في يومين﴾ فقد أبحت ذلك له، ﴿ومن تأخر﴾ من بعد ما أطلقت من النفر الأول فغير محظور عليه، فصار الأمر فيهما مباحا لا محظورا؛ إذ جعلهما وقتا، ولم يحظر في أحدهما أمرا دون الآخر، ولو كان حظر لوجب النفر فيه بحظر الله له؛ فهذا معنى ما سألتم عنه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليه السلام، في سياق كلام عند ذكره لهذه الآية ما لفظه:

وإنما الفساد في الأرض: العمل بمعصية الله؛ قالت الملائكة: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾[البقرة: ٣٠]، وإنما هلاك الحرث: هلاك الدين، قال الله عز وجل: ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه﴾[الشورى: ٢٠]. وحرث الآخرة: العمل الذي يدين الله به عباده من الخير؛ وإنما هلاك النسل: أمر نسل الناس أن يحملوا غير دين الحق. قال الله جل ثناؤه: ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة

من ماء مهين﴾[السجدة: ٧، ٨]...(إلى آخر كلامه عليه السلام)

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧)﴾[البقرة:٢٠٧]

قال في كتاب ينابيع النصيحة بعد ذكره هذه الآية:

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في علي عليه السلام، حين بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال في موضع آخر في سياق كلام ما لفظه:

ومنها: ما رواه بإسناده عن أبي سعيد الخدري، أنه قال: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الغار، وبات علي عليه السلام على فراشه يقيه بنفسه -أهبط الله جبريل على رأسه، وميكائيل على جسده، يقولان: "بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، يباهي الله بك الملائكة"، فأنزل الله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله...الآية﴾.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨)﴾[البقرة:٢٠٨]

في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

قال الإمام زيد بن علي – عليهما الصلاة والسلام -: قد اختلف فيها أهلنا، فقال بعضهم: أمرهم أن يدخلوا في الإسلام في سرهم وعلانيتهم.

وقال آخرون: إنها نزلت في قوم من اليهود، وكانوا يبقون السبت ولحوم الإبل، فقال الله جل ثناؤه: وادخلوا في كل الإسلام إذا أسلمتم.

وقال آخرون: عنى به المؤمنين، يقول: كونوا فيها تستقبلون في الإسلام، لا تتبدلوا به، ولا تخرجوا منه، وهو كقوله تبارك وتعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله﴾[النساء: ١٣٦]، هذا محكم، وقوله : ﴿ادخلوا﴾ كقوله: ﴿ءامنوا﴾.

[وقوله:] ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾، أي: تعديه لأمر الله جل اسمه، ومخالفته لكم.

﴿إنه لكم عدو مبين﴾، أي: عداوته لكم بينة؛ لأنه إنما يدعوكم إلى الإثم.

وفي مجموع الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام قال:

وسألت: عن خطوات الشيطان المنهي عنها؟

فهي أفاعيله الردية، وأعماله المخالفة؛ فنهاهم الله عز وجل عن اتباعها، والميل إليها؛ لما فيها من الهلكة والبعد من الله سبحانه في الآخرة؛ نسأل الله الثبات على طاعته، والنجاة من عذابه بمنه ورأفته.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٢١٠)﴾[البقرة:٢١٠]

قال في كتاب ينابيع النصيحة وقد ذكر هذه الآية في سياق كلام رد فيه على من أجاز المجيء والإتيان على الله تعالى؛ فقال ما لفظه:

والجواب: أن الظاهر لا تعلق لهم فيه؛ لأنه ليس بإيجاب، إنما قال : ﴿هل ينظرون﴾، أي: هل ينتظرون شيئا سوى ذلك، ثم لو اقتضى ظاهرها ما قالوه للزمهم أن يكون تعالى أصغر من الظل؛ فيكون محدودا، وأن يكون هو والملائكة في الظل، وهم لا يقولون بذلك، ومتى تأولوه فقد سوغوا للخصوم مثله.

وبعد: فإن القول بذلك يوجب كونه تعالى جسما وجوهرا، يجيء ويذهب، ويقرب ويبعد، ويظهر ويخفى؛ وهذه صفة المحدثات، وقد ثبت أنه تعالى ليس

بجسم، ولا بجوهر، فلا يجوز عليه شيء من خصائصهما، على نحو ما تقدم، ولا يجوز عليه تعالى الزيادة والنقصان، ولا شيء من الأعضاء والآلات؛ لأنها من قبيل الأجسام والمتحيزات، وهو تعالى ليس بجسم ولا جوهر، على ما تقدم تحقيقه، وقد أكد الشرع ذلك؛ فقال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾، وذلك معلوم من سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضرورة،...

(ثم استطرد في بيان معنى هذه الآية وغيرها من الآيات التي تعلق بها المخالف، إلى أن قال في معنى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾):

أي: عذابه.

(إلى أن قال:)

وقد فسر عبد الله بن العباس رحمه الله قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله ...﴾ الآية، قال: أراد إتيانه إليهم بوعده ووعيده؛ فإن الله يكشف لهم من أمره ما كان مستورا عنهم...(إلى آخر كلامه).

قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢١١)﴾ [البقرة:٢١١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليه السلام ما لفظه:

الآية: الحجة البينة، وقد قال بعض المفسرين: إنه عنى ما آتى موسى عليه السلام من الآيات، يقول: فكانوا مع ما آتاهم من الآيات أصحاب خلاف ومعصية لله تبارك وتعالى، ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فلذلك قال: ﴿ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته﴾، يقول: يبدل حجج الله وبراهينه من بعد ما جاءته.

وقال آخرون من مفسرينا: ﴿سل بني إسرائيل﴾، يريد: علمائهم، ﴿كم آتيناهم من آية بينة﴾، أي: من حجة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: يتبينون بها أنك

صادق، وأن الذي جئت به حق، ﴿ومن يبدل نعمة الله﴾التي أنعم الله بها عليه فيما أودعه من علم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وحججه؛ فكتم الحق وجحده، ﴿من بعد ما جاءته﴾ البينات التي تحقق ما في كتابه، وهو كقوله تعالى: ﴿قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب﴾، ﴿ومصدقا لما بين يديه من التوراة﴾.

﴿فإن الله شديد العقاب﴾، أي: لمن جحد آياته وحججه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وكتمها.

قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾[البقرة:٢١٧]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الإمام الهادي عليه السلام في سياق كلام عن معاني الفتنة:

وقال سبحانه في البقرة: ﴿والفتنة أكبر من القتل﴾، يعني: الشرك بالله أعظم جرما عند الله من القتل في الشهر الحرام،...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩)﴾[البقرة:٢١٩]

قال في كتاب الأحكام في سياق كلام عن الأشربة ما لفظه:

وأما قول الله عز وجل: ﴿فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾، فإن المنافع هو: ما كان ينتفعون به في الجاهلية قبل الاسلام من: بيعها، والانتفاع بثمنها، والربح فيها؛ فحرمها الله تبارك وتعالى عليهم، وأعلمهم أن اثمها أكبر من الانتفاع بثمنها وربحها...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

وفي مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم العياني عليه السلام، قال:

وسألت: عن معنى قول الله سبحانه: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾

والجواب: أن هذا أمر من الله سبحانه لرسوله عليه السلام لمن سأله عما ينفق - بالعفو؛ لما علم الله سبحانه فيه من الفضيلة على النفقة، وأنه يصلح من الأحوال ما لا يصلحه بالأموال، والدليل على ذلك: قول الله سبحانه : ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾، والأجر فهو: النفقات والعطاء والمودة، والمودة فهي: المحبة؛ فعرفنا الله سبحانه هاهنا: أن المودة أعود صلاحا من العطية، والعفو فقد يوجب المودة للعافي التي لا يجلب مثلها في النفقة؛ فاعلم ذلك.

وقال في كتاب حقائق المعرفة:

وأما قول الله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾، فإن قول الله تعالى: ﴿قل فيهما إثم كبير﴾: [وهذا[1]] تحريم عام، وتشديد، وتغليظ، والله لا ينقض ما أكد، ولا يحل ما حرم.

وقوله: ﴿ومنافع للناس﴾ ليس المراد به: منافع للناس فيهما، ولا [في] ثمن الخمر، وإنما المراد بالمنافع هاهنا: أن الجلد الذي يكون على فاعلهما هو المنافع للناس؛ لأن شارب الخمر إذا جلد ازدجر هو وغيره، فكان جلده نافعا للناس كما قال الله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾[البقرة:١٧٩]، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم))...(إلى آخر كلامه عليه السلام)

(١) - لعل الكلام بغير: "وهذا".(جامعه).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٠]

قال في كتاب حقائق المعرفة في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾:

يقول: لو شاء لضيق عليكم.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾[البقرة:٢٢٢]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت -يرحمك الله- عن: ﴿ويسألونك عن المحيض﴾؟

فهو: المحيض الخالص من دم الحيض، فليس لأحد أن يصيب منه وفيه ما ينجسه ويؤذيه، فأما دم الاستحاضة فدم ليس بمحيض كدم الحيضة، فدم المحيض: دم خالص ليس فيه كدرة، ودم المستحاضة: دم فيه كدرة وصفرة، وبينهما عند من تقعدهما من النساء فرق، لا يجهله منهن إلا الحمق، فإذا طهرت المرأة من الحيض، وهو ما قلنا به من الحيض - لزمها وحل منها ما يلزم ويحل من المرأة النقية المتطهرة من حيضها.

وقال في كتاب الأحكام للإمام الهادي رضي الله عنه، في معنى قوله تعالى: ﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ ما لفظه:

ومعنى ﴿يطهرن﴾ فهو: أن يغتسلن ويتطهرن، لا ما ينقطع عنهن من دمائهن؛ ألا ترى أن الطهر لا يقع اسمه على شيء حتى يطهر، وأنه لا يكون طاهرا حتى يطهر، وتطهيره هو: غسله وانقاؤه بالماء؛ فلذلك قلنا: إن معنى قول الله عز وجل: ﴿حتى يطهرن﴾ فهو: يغتسلن ويتطهرن من أدرانهن، وينقين بالماء

أوساخهن، وما كن فيه من دمائهن...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾، ما لفظه:

تأويل ذلك: ايتوهن من حيث أمركم الله في القبل، لا في الدبر؛ لأن الدبر ليس بمكان محترث، ولا يصلح فيه شيء من الحرث، وفي ما ذكرنا من القبل: مبتغى الولد والنسل، وفي ذلك من نعم الله وإحسانه، وموهبة الله للولد وإنشائه ما يقول سبحانه لمن صام في ليالي الصوم، وما حرم الله في ذلك عليهم في نهار كل يوم: ﴿فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ [البقرة:١٨٧]، والابتغاء: فإنما هو في القبل لا في الدبر، وتأويل ﴿ما كتب الله لكم﴾ هو: ما علم الله أنه سيكون من نسلكم.

وفي مجموع الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام قال:

وسألت: عن قول الله سبحانه :﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا أمر من الله عز وجل للمؤمنين، ودلالة على ما هو أرشد لهم وأزكى عنده.

ومعنى قوله: ﴿لا تقربوهن حتى يطهرن﴾ فهو: لا تدنوا منهن، والدنو فهو: الجماع، ﴿حتى يطهرن﴾، ومعنى ﴿يطهرن﴾ فهو: يتطهرن بالماء من دنس الحيض، وأوساخه.

وقلت: هل أراد بالتطهر انقطاع الدم أم الغسل؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: والذي أراد به عز وجل انقطاع الدم والغسل؛ لأنه لا تقع طهارة إلا من بعد الغسل لما كان من الدرن، والإنقاء بالماء لما كان غير طاهر...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم ﵇ في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾، ما لفظه:

يعني: المتطهرين من الذنوب، فمن أحبه الله لم يعذبه، وكان من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون، وكان من أهل الجنة لاشك فيه.

وفي مجموع ولده الإمام محمد بن القاسم ﵇ عند ذكره قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾ مثل كلام والده.

قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُم﴾[البقرة:٢٢٣]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم ﵇:

وأما قوله: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾، الحرث هو: المزدرع الذي جعله الله في النساء والنماء، و﴿أنى شئتم﴾ هو: متى أردتم؛ لأن العرب كانت تزعم أن إتيان النساء وهن حوامل أو مرضعات حرام؛ خوفا للفساد.

وقال في كتاب الأحكام للإمام الهادي ﵇ ما لفظه:

وقال سبحانه: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾، والحرث فلا يكون إلا في موضع الزرع، وموضع الزرع فهو: القبل، لا الدبر؛ لأن الولد لا يطلب إلا في الفرج. وأما قوله: ﴿أنى شئتم﴾ فإنما معناه: متى شئتم، وفي ذلك ما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: ((إتيان النساء في أعجازهن كفر))، قال: وبلغنا عنه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه كان يقول: ((لا يستحي الله من الحق: لا تأتوا النساء في حشوشهن؛ فإن إتيان النساء في حشوشهن كفر))، قال: وبلغنا عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: ((لا ينظر الله إلى من أتى امرأة في دبرها)).

قال يحيى بن الحسين عليه السلام: بلغني عن رجل من العلماء: أن رجلا أتاه، فسأله عن ذلك؛ فأفف به، وقال: تريد أن تعمل عمل قوم لوط؟!!

قال يحيى بن الحسين: أصاب؛ أصاب الله به!

وقال في كتاب ينابيع النصيحة عند ذكره لهذه الآية ما لفظه:

وروي عن جابر: أن اليهود كانت تقول: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها جاء ولده أحول، ثم فسر النبي صلى الله عليه وآله وسلم: كيف يجوز للزوج أن يجامع زوجته؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((أما من قبلها في قبلها فنعم، وأما من دبرها في قبلها فنعم، وأما في دبرها فلا؛ إن الله لا يستحيي من الحق: لا تأتوا لنساء في أدبارهن))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((ومن نكح امرأة في دبرها أو رجلا أو غلاما حشره الله يوم القيامة أنتن من الجيفة، يتأذى منه أهل الجمع، حتى يدخل جهنم، ولا يقبل منه صرف ولا عدل، وحبط كل عمل عمله في الدنيا، وإذا دخل جهنم أمر به، فأدخل في تابوت من نار، ولو وضع ألم عرق من عروقه على سبعمائة أمة لماتوا جميعا، وهو من أشد أهل النار عذابا))... (إلى آخر كلامه)

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤)﴾ [البقرة:٢٢٤]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام عند ذكره هذه الآية ما لفظه:

يقول سبحانه: ولا تجعلوا أيمانكم علة تعرض وتقطع بينكم وبين طاعة الله في صلة أرحامكم، والإصلاح بين إخوانكم؛ بل بروا واتقوا، وتحروا الخير وأصلحوا، وعن إيمانكم كفروا.

وقد يدخل في تفسير هذه الآية: أن يكون الله سبحانه نهى عباده عن القسم به

في كل حق وباطل، وأن يجعله عرضة ليمينه في النازل وغير النازل؛ قال الله سبحانه: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته إطعام عشرة مساكين﴾... الآية، ... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في مجموع الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم (٢٢٤)﴾؟.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل عن هذه المسألة جدي القاسم بن إبراهيم رحمه الله، فقال: ﴿لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾: لا تكثروا الحلف بالله في كل حال، وعند كل مقام، ووقروا الله وأجلوه عن أن تجعلوه عرضة لأيمانكم، وإن أصلحتم بين الناس، وإن أردتم بأيمانكم الإصلاح.

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[البقرة:٢٢٥]

قال في كتاب الأحكام عند ذكره هذه الآية ما لفظه:

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: الأيمان ثلاث: فمنهن اللغو، وكسب القلب، وما عقدت عليه الأيمان.

فأما اللغو: فاليمين يحلف بها الحالف، وهو يظن أنه صادق فيها، ولا يكون الذي حلف عليه كما حلف، فهاتيك لغو، وليس عليه فيها كفارة، ولا ينبغي له أن يعود لمثل ذلك، وينبغي له أن يتحرز من اليمين بالله إلا في اليقين، فهو غير آثم فيها.

وكسب القلوب هو: ما حلف عليه كاذبا، وهو يعلم أنه كاذب، يتعمد ذلك تعمدا، في بيع أو شراء أو غير ذلك من المحاورة في الاشياء؛ فليس في ذلك

كفارة، وفيها التوبة إلى الله، والانابة والرجعة عن الخطية إلى الله عز وجل والاستقالة.

وأما المعقدة من الأيمان فهو: ما حلف الرجل أن لا يفعله، أو أقسم فيه أن يفعله، وهو عازم على التمام على يمينه والوفاء، ثم يرى غير ذلك خيرا منه فيفعله، فعليه في ذلك كفارة اليمين... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧)﴾ [البقرة:٢٢٦-٢٢٧]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

المؤلي: الحالف بالله، أو ببعض الأيمان: ألا يقرب أهله، فأنظره الله أربعة أشهر وأجله، فإن فاء – والفيء: أن يرجع إلى مداناة أهله – كان ذلك له، وكان الله غفورا رحيما فيما أخطأ به على نفسه من اليمين، وإن مضى لحاجته، لم يكن له إضرار بزوجته، فإن عزم على فراقها فإن الله سبحانه كما قال: ﴿سميع عليم﴾، ولم يذكر الله في الإيلاء كفارة؛ ولكنه قال: ﴿فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة:٢٢٨]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته: عن قول الله سبحانه: ﴿ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في

أرحامهن﴾؟

فهو: ما جعل الله في الأرحام من طمثهن وحملهن؛ لأن ينقطع به ما بين الأزواج وبينهن إذا كان من أزواجهن، فينقطع بينهم الميراث والرجعة؛ وربما كرهت المرأة من زوجها المراجعة التي للزوج عليها ملك، ما لم تستكمل العدة، ويكون رأي زوجها - لو علم له منها بحمل- أن يرتجعها، ويكون ذلك له عليها ما لم تضع حملها، فتكتم- لكراهتها لزوجها- ما خلق الله من الولد في رحمها، حتى تضع وتلد، فلا يكون له عليها ملك ولا رد، فتكون بذلك لزوجها مضآرة، وبه مضرة، وبأمر الله فيما أمرها به من ذلك غير مؤتمرة، وكذلك إن كتمت ما خلق الله في رحمها من طمثها وحيضها، الذي تنقضي به عدتها، وتزول نفقتها وموارثتها - كانت في ذلك كله لله عاصية، وعن أمره ونهيه عاتية.

وقال في كتاب فيه تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام، ما لفظه:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وبعولتهن أحق بردهن في ذلك﴾، فقلت: ما ذلك الذي بعولتهن أحق بردهن فيه؟

وهذه الآية نزلت في رجل من الأنصار، طلق زوجته، ثم أراد مراجعتها، فأبى عليه أولياؤها؛ فأنزل الله هذه الآية، يخبر أنه أحق بها من غيره، وأما قوله: ﴿في ذلك﴾: فقد يحتمل أن يكون يريد: العدة وأيامها، وما دامت في أقرائها، ويحتمل أن يكون معنى قوله ﴿في ذلك﴾: أي بذلك؛ يريد: الأمر الذي يمت به زوجها إليها، من: النكاح، والحرمة، والمصاحبة، والخلة، والولد، والرغبة؛ فيقول: وبعولتهن أحق بردهن؛ لذلك الأمر الذي كان أولا، والسبب الذي كان بينهما، من: المداناة، والإفضاء، فليس لكم أن تمنعوهما من المراجعة إن أرادا الإصلاح والإتفاق، والائتلاف والاهتداء.

قوله تعالى:﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة:٢٢٩]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام في معنى هذه الآية:

فإن سرح فهو للثلاث التطليقات تمام، وإن أمسك فالثالثة الباقية من الطلاق كان الإمساك والمقام.

وقال في كتاب الأحكام ما لفظه:

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: الطلاق ثلاث تطليقات كما قال الله تبارك وتعالى، والثلاث التطليقات لا تكون إلا واحدة بعد واحدة، وثالثة بعد ثانية؛ وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾، يريد عز وجل بقوله ﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾: الثالثة، يقول: إذا طلقها تطليقين، ثم ارتجعها فليس إلا الامساك بمعروف أبدا، أو التسريح بإحسان، لا تحل له من بعد، حتى تنكح زوجا غيره.

قوله تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِك﴾ [البقرة:٢٣٣]

قال في كتاب الأحكام في معنى هذه الآية ما لفظه:

قال يحيى بن الحسين عليه السلام: معنى ذلك أنه لا يضار الزوج الام إذا كان قد فارقها، فيمنعها من رضاع ابنها، ويحرمها جعل مثلها؛ بل الواجب عليه أن يتركها وإياه ترضعه، ويكون لها جعل مثلها في رضاعه، وكذلك لا يجوز لها هي أن تضار أباه فيه، فترمي به إليه ساعة تلده، ولا تلبيه، ولا تسقيه، إلى أن توجد له مرضعة، وكذلك على الوارث: أن لا يضار أم الولد فيه، وعليه من مؤونة الصبي ونفقة

مرضعته مثل ما على أبيه لو كان حيا، واجبا ذلك عليه، محكوما به فيه.

حدثني أبي عن أبيه في قول الله تبارك وتعالى: ﴿لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك﴾، قال: على وارث الصبي الذي يرثه إذا مات أبوه ما على أبيه من نفقته على مرضعته، والمضارة في الولد من الوالدة: ألا ترضعه، وهي قوية على إرضاعه؛ مضارة لأبيه في ذلك، وعلى الاب أيضا: ألا يضار الوالدة إذا أرادت أن ترضع ولدها، فيسترضعه من غيرها، وعلى الوارث مثل ذلك، من: ترك المضارة في الولد مثل الذي على الوالدين في ذلك، وغيره من النفقة.

وقال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن: ﴿لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك﴾؟

وقد قال بعض الناس في ذلك: وعلى الوارث في ذلك ألا يضار؛ وليس قول من قال بذلك حجة فيما قال ببينة ولا إسفار. وقال واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وغيرهما: على وارث اليتيم إذا لم يكن له مال الاسترضاع له، والكسوة والإنفاق، والوارث الذي أمر بالنفقة فهو: من يرث اليتيم إن مات بالقرابة، وليس هو بالزوج ولا الزوجة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]

قال في مجموع الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام في معنى هذه الآية ما لفظه:

قال محمد بن يحي عليه السلام: هذه الأشهر - يرحمك الله - والعشر هي: أيام العدة

التي جعلها الله سبحانه على المرأة عند موت زوجها، لا تنكح فيها، ولا تختضب، ولا تتزين؛ لإظهار الحزن على زوجها، مع استبراء رحمها، فكل ذلك واجب عليها - ففي هذه العدة التي جعلها الله عند موت زوجها.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة:٢٣٥]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الإمام الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ولكن لا توعدوهن سرا﴾؟

قال أحمد بن يحيى عليه السلام: السر في لغة العرب هو: النكاح، معروف عندهم غير منكر؛ قال أعشى قيس:

فلا تدنون من حرة إن سرها ... عليك حرام فأنكحن أو تأبدا

والتأبيد: ترك النكاح، مشتق من التوحش.

والدليل على ذلك قول لبيد بن ربيعة الكلابي، حيث يقول:

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبد غولها فرجامها

والتأبد عنهم معروف غير منكر، وجماعة الوحش: الأوابد.

وقال امرؤ القيس الكندي:

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني ... كبرت وأن لا يحسن السر أمثالي

قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦)﴾ [البقرة:٢٣٦]

قال في كتاب فيه تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وإن سأل: عن قول الله ذي الجلال: ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة﴾، فقال: معنى قوله: لا جناح على من طلق قبل أن يمس، وقد تعلمون ونعلم أيضا: أنه لم يجعل جناحا على من طلق بعد المس؟

قيل له: إن للآية مخرجا بينا عند من عقل، سوى ما ذهبت إليه وتقحمت بسوء نظرك فيه؛ وإنما المعنى في ذلك: أنه تبارك وتعالى يقول: ﴿لا جناح عليكم﴾: لا إثم ولا حرج في الطلاق؛ وإنما أراد بالجناح هاهنا: المهر، ومطالبة المرأة له بما تطالب به المطلقة المفروض لها التي لم يمسها، ولم يدخل عليها زوجها؛ فأخبر تبارك وتعالى أنه إذا طلقها، ولم يكن فرض لها صداقا، ولا سمى لها مهرا - أنه لا سبيل لها عليه في مطالبة بمهر؛ لأنه لم يفرض لها شيئا تطالبه بنصفه كما تطالب التي قد فرض لها، ثم طلقها من قبل أن يمسها بنصف ما سمى لها؛ فهذا هو معنى الجناح هاهنا.

وقال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾؛ فقال:

وسألت: عن تمتيع المطلقات، هل وجوبه كوجوب الفرائض الواجبات؟

فذلك واجب على من لم يسم مهرا، موسرا كان أو معسرا، وفي ذلك ما يقول سبحانه: ﴿على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾، والموسع فهو: الموسر، والمقتر

فهو: المفتقر؛ فكل يعطي على قدره، في يسره للمتمتعة وعسره، وليس في ذلك عدد معدود، ولا حد في الأشياء محدود؛ هذا فرض واجب، وحد في المتعة لازم، كما قال الله سبحانه: ﴿حقا على المتقين (٢٤١) كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون (٢٤٢)﴾ [البقرة: ٢٤١- ٢٤٢]، ومن سمى من الأزواج لامرأة مهرا فلها مهرها، مؤسرا كان الزوج أو معسرا.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة:٢٣٧]

قال في كتاب فيه تفسير بعض الأئمة ما لفظه:

ومن مسائل أبي يعقوب التي سأل عنها الهادي إلى الحق – صلوات الله عليه –:

وسألته: عن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾.

قال: هو الزوج، وليس كما يقول الجهال من هذه العوام: أنه الأب.

قلت: فإن قال لنا قائل: ما الدليل على أن الزوج هو الذي بيده عقدة النكاح، دون الأب، والإخوة، وبني العم؟

قال: لأن العقدة لا تكون إلا في يد من يحلها: إذا أراد أن يطلق طلق، وإن أحب أن يمسك أمسك؛ ألا ترى: أن الأب لو كره شيئا من الزوج، فأراد أن يحل عقدة نكاحه لم يجز له ذلك، ولم يقدر عليه، ولم يمكنه إلا برضاء الزوج، ولو كره الزوج شيئا من خلائق المرأة، ثم أراد أن يطلق – جاز له ذلك دون الأب وغيره.

قلت: بلى.

قال: فبذلك ثبت ما قلنا، وبطل قول غيرنا.

قلت: فأين قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله: ((أنت ومالك لأبيك))، قال: هذا معنى جعله الله ورسوله تعظيما وتوقيرا، وإجلالا وتفضيلا للأب على ولده، أزال به عند إقامة الحد؛ ألا ترى: أن رجلا لو سرق شيئا من مال ابنه، مما يجب في مثله القطع على أخذه - لم يجب عليه فيه قطع بإجماع الأمة كلها؛ فعلى هذا المعنى يخرج قول النبي صلى الله عليه وعلى آله: ((أنت ومالك لأبيك)).

قلت: فإن قال قائل: فقد رأينا الأب يجوز له أن يعقد نكاح ابنته إذا كانت صغيره في حجره، ويدخل بها زوجها

قال: العقد للنكاح خلاف عقدة النكاح، وبينهما فرق في القول والمعنى؛ ألا ترى أن الأب لو باع شيئا من مال ولد له صغار أو كبار، ثم أراد أحدهم أن يرجع فيه عند بلوغه، أليس ذلك له؟

قلت: لا أدري.

قال: بلى، له، والاختيار عند بلوغه فكذلك لا يجوز له، ولا يمكنه العفو عن شيء لا يملكه، والعفو فهو إلى الزوج: إما أن يعفو، فيدفع الفريضة التي فرض على نفسه لها، وإما أن تعفو هي عن النصف الذي أوجب الله لها؛ فهذا معنى العفو الذي ذكر الله، وفي ما ذكرنا كفاية... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى:﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة:٢٣٨]

في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليه السلام:

أن رجلا سأل زيدا عليه السلام عن قوله عز وجل: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾؛ فقال: الصلوات قد أمر الله عز وجل بحفظها: أن تؤدى لميقاتها، وعدد ركوعها وسجودها، وتمامها على ما فرض الله عز وجل.

وقد قال بعض المفسرين: هي العصر. وقال آخرون: هي الظهر. وقالوا : الصبح. وهي عندنا: المغرب.

وقال في المنتخب للإمام الهادي ﵁، عند ذكره قوله تعالى:﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾، فقال ما لفظه:

والمحافظة على الصلوات: ألا يعمل فيها عمل ليس منها، وأن لا يشتغل بشغل غير شغلها... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣)﴾[البقرة:٢٤٣]

في مجموع الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام قال:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هؤلاء قوم من بني إسرائيل، هربوا أيام وقع فيهم الطاعون؛ بما كان من فعلهم ومخالفتهم لخالقهم، ففروا عند ذلك من الموت، فظنوا أن الأمر إنما نزل بهم في ذلك البلد، وأنه لا يلحقهم إلى غيره، فلما أمعنوا في الذهاب، وظنوا أنهم قد نجوا - أماتهم الله عز وجل مرة واحدة، ثم ذكرهم ما أراهم من قدرته، وأنه لا مفر منه، ولا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، ثم أحياهم - تبارك وتعالى - من بعد ذلك.

وقلت: هل يجوز للرجل أن يفر من البلد الذي يقع فيها الطاعون والأمراض؟

وقد روي في الطاعون رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((لا تدخلوا عليه، ولا تفروا منه))، وأما الأمراض فينبغي للرجل إذا دخل بلدا وبيا ذات دم: أن يتجنبه ويخرج منه، ولا يغرر بنفسه؛ فإن الله عز وجل قد جعل لعباده عقولا يميزون بها ما فيه لهم من الصلاح والسلامة؛ فلا ينبغي لعاقل أن يتلف نفسه بركوب المهالك.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا...﴾ [البقرة:٢٤٧]

قال في مجموع الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا﴾، فقلت: أكان داود أم غيره؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: ليس هو بداود؛ ولكنه نبي من أنبياء بني إسرائيل، وإنما داود عليه السلام كان من بعد قيام طالوت، وداود فهو الذي قتل جالوت، وكان من خبر داود وطالوت - ما قد بلغكم من عجائب أخبارهما، وطرائف حديثهما، وما كان من جراءة طالوت على داود، ونكباته فيما كان جرى بينه وبينه.

وفي البساط للإمام الناصر الأطروش، عند ذكره قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ...الآية﴾؛ قال:

إن الاصطفاء: الاختيار من الله...(إلى آخره).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: من آية (٢٥٣)]

قال في ينابيع النصيحة عند ذكره هذه الآية ونحوها من الآيات التي فيها ذكر المشيئة؛ فقال ما لفظه:

قالوا [– أي المخالفين –]: فأعلمنا أنه لو شاء أن لا تكون هذه المعاصي لما كانت، فدل على أنه قد شاء كونها وفعلها.

والجواب: أنه لا تعلق لهم بالظاهر؛ لأنه ليس فيه أكثر من أنه تعالى لو شاء أن لا يفعلوا ذلك لما فعلوه، وهذا مما لا خلاف فيه؛ ولكن من أين يدل على أنه قد شاء ما فعلوه، وليس في الآية منه ذكر، وهو موضع الخلاف؟!! وإنما الآية تفيد نفي العجز عن الله تعالى، وأنه لو شاء لقهر العباد، فلم يفعلوا ما يكره؛ لكن لو منعهم من ذلك لبطل التكليف؛ لأن من شرائط حسن التكليف زوال الإلجاء والمنع، على ما يأتي بيانه، وهذا المعنى ثابت في اللغة؛ فإن قائل أهل اللغة لو قال لغيره: "لو شئت لمنعتك مما فعلت، ولو أردت لم تفعل كذا وكذا"؛ فهذه الألفاظ لا تفيد إرادة القائل لما يفعله ذلك الغير، ولا تستعمل في ذلك حقيقة ولا مجازا؛ وإنما تفيد نفي العجز عن قائله في منعه منه، وهذا ظاهر.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)﴾ [البقرة:٢٥٤]

قال في مجموع الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿يا أيها الذين أمنوا أنفقوا مما رزقناكم ...﴾ الآية

؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه دلالة من الله عز وجل للمؤمنين على ما فيه الصلاح لهم، والنجاة في آخرتهم، وإخبار لهم بما في الآخرة من الهول والشدة، فأمرهم أن ينفقوا مما رزقهم الله في سبيل الخير، وما يثابون عليه ويكافؤون فيه، من: الإنفاق في سبيل الله، والمعونة على أمر الله؛ وذلك قوله سبحانه: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾، ومن: النفقة أيضا على المساكين، وأبناء السبيل، وفك الرقبة المسلمة، وصلة الرحم، والرأفة بالأيتام، والصلة لأهل الضعف من الأنام؛ فكل هذا مما تزكو فيه النفقة، ويعظم فيه من الله العطية؛ وأمرهم سبحانه بالإنفاق في هذه الأبواب، من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة، وهو: حضور القيامة، حيث ينقطع البيع والشراء، واللهو والعبث، والخلة والشفاعة؛ لأن أهل هذه الدنيا يتخالون فيها، ويتحزبون، ويتعارفون، ويشفع بعضهم لبعض إذا نزلت بهم نازلة، والآخرة فلا تحزب فيها، ولا تعاون على ظلم، ولا شفاعة لمبطل؛ لأن ذلك يوم يوضع فيه موازين القسط، ويحكم فيه الجبار، وتتضح فيه الأسرار، ﴿يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه﴾، وكل مشتغل بنفسه، مأخوذ بذنبه؛ ﴿ووجدوا ما عملوا حاضرا﴾، ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾، ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾.

وقد يكون أيضا من البيع: ما ذكر الله عز وجل حين يقول: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾، فيبتاعون بأفعال البر ما جعل الله من العطاء والنعيم؛ وذلك قوله: ﴿إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم﴾، فإذا فرط في هذا المفرطون في الدنيا لم يجدوا في الآخرة سبيلا؛ لأن الآخرة دار الجزاء، وليس فيها لأحد عمل عليه يعطى.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)﴾

[البقرة:٢٥٥]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، وقد ذكر قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾؛ فقال:

والحي القيوم فهو: الذي يبقى سرمدا ويدوم، وليس شيء من الأشياء يبقى فلا يفنى، ولا يصح له أبدا هذا الذكر والمعنى، إلا الله في البقاء والدوام، كما قال سبحانه: ﴿كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]. و﴿كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾.

وفي كتاب حقائق المعرفة، قال:

ومعنى قوله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾، يريد: من معلومه، ولو كان علمه هو هو - لكان منقسما، فبعضه يحاط به، وبعضه لا يحاط به؛ لأنه استثنى شيئا منه، فقال: ﴿إلا بما شاء﴾، فصح أن علم الله ليس هو الله.

وأما قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: فقال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وتأويل: ﴿كرسيه﴾ إنما هو: وسع ملكه السماوات والأرض، ووسعه لهما: إحاطته بهما، وقدرته عليهما، وعلى كل ما فيهما.

وقال في مجموع الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾، والكرسي: ما يستقر عليه، ويكون محلا لما يحل فيه؛ فجعل الله السموات والأرض مستقرة في حيز ملكه، ليس يجوز أن يكون حيث هما سماء ولا أرض معهما؛ بل لو أراد أن يخلق جهاتها خلقا بعد خلق فعل؛ والجهات الست: فوق وتحت، وأمام ووراء، ويمنة ويسرة؛ فصار قوله: ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ معناه: وسع ملكه السماوات والأرض، لا يمسك السماء من فوقها علاقة، ولا من تحتها عماد، ولا يمسك الأرض من فوقها ولا تحتها شيء؛ بل الله ممسك للجميع....(إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في مجموع الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام في سياق جواب عن سؤال في معنى قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾:

اعلم أن من يذهب إلى أن معنى الكرسي: العلم - يحمل قوله تعالى: ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ على أن المراد به: إحاطة علمه تفصيلا وجملة بما في السماوات والأرض، حتى لا يغادر منهما، ولا مما فيهما ذبابا ولا نملة؛ فعلمه بما فوق السماوات والأرض كعلمه بما تحتهما، وبما في جوفيهما، وعلمه بما جن عليه الليل كعلمه بما أشرق عليه النهار؛ فأتبع سبحانه التمدح بإحاطته بهما: أنهما لا يؤوده حفظهما حفظا؛ لأن التمدح لا يقع بحفظ ما لم يعلم، فلما أخبر أنه عالم بهما أخبر أنه حافظ لهما. ومن قوله تعالى: ﴿وسع كرسيه﴾، أي: علمه - قولهم: "علم فلان واسع" إذا كان مستدركا للغوامض، عارفا بالدقائق.

فلما كان علمه ليس من علم المخلوقين بسبيل، وكيف وهو لا يفتقر إلى برهان ولا دليل، وطرد الآفات عليه تبارك وتقدس مستحيل -ساغ أن يقول : ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾، أي: أحاط علما بالسماوات والأرض.

وقوله سبحانه في العلم: ﴿وسع﴾ - وإن كان مجازا من حيث أن حقيقته في الأجسام- شائع؛ لأنه سبحانه خاطب العرب بلغتهم، وهم يخاطبون بالحقيقة والمجاز، وذلك يقتضي بأن خطابه على طريقهم، ولأن المجاز قد ورد في خطابه

على طريقتهم، ولأن المجاز قد ورد في خطابه تعالى، في قوله: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير﴾[يوسف:٨٢]، والمراد: أهل القرية، وأهل العير؛ لأن العير: الإبل، وهي بهائم لا تفهم ولا تجيب، والقرية: منازل وأبنية جماد، والجواب منها أبعد، وسؤالها لا يتوهم؛ فثبت أن المراد: واسأل أهل القرية، وأهل العير. والمجاز: ما أفيد به ما لم يوضع له، وإنما استعير له، ولم يسبقه إلى الأفهام بنفسه،...

(ثم ساق الكلام إلى أن قال:)

وأما قوله سبحانه: ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ على قول من يقول: إن الكرسي جسم، على ما قدمنا، فإنه يحمل قوله تعالى: ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ على حقيقته؛ لأن السماوات والأرض عنده في جنب الكرسي، كما ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((كحلقة ملقاة في فلاة))، ولا شك في كون الفلاة واسعة للحلقة وأمثالها، وذلك تشبيه منه صلى الله عليه وآله وسلم لصغر السماوات والأرض في جنب الكرسي، كالحلقة في جنب الفلاة، ولا يقتضي ذلك كون الكرسي قرار الأرض، كما أن قوله تعالى: ﴿كأنهن بيض مكنون﴾[الصافات:٤٩] على شكل البيض والاستدارة، وإنما شبههن بالبيض في الوضاءة والصقالة؛ لأن التشبيه عند العرب يقع لوجه، والخطاب بلغتهم من الله ومن رسوله؛ فمن هناك تشبيه الرسول له بالفلاة في السعة والإحاطة.

وهو عند من ذهب إلى أنه جسم فوق السماوات والأرض، حاف من أعلاهما، وقوله سبحانه لا يفيد كونه مكانا لهما؛ لأن المكان: ما يستقر عليه الكائن، ولم يدل دليل على أنه كذلك.

ولفظ "وسع" قد يستعمل فيما يحيط من الجهات العلا؛ ألا ترى أنه يقال: "وسع المغفر رأس الرجل"، وإن كان فوقه، وأمثال ذلك كثيرة؛ فعلى هذا: ذكره تعالى للكرسي ووسعه للسماوات والأرض - إبانة لقدرته، وإيضاح لعظمته، بحيث أن

الكرسي في هذا الحد من العظم، والعرش فوقه في ذلك، ولم يشغله حفظهما عن حفظ السماوات والأرض، بخلاف ملوك البشر: فإنه إذا اتسعت مملكته، وقلت أعوانه - شغلته جهة عن جهة؛ فأخبر تعالى أنه لا يلهيه شأن عن شأن، ولا يشغله مكان عن مكان، ولا يفتقر إلى أعوان تعالى عن ذلك علوا كبيرا

وأما قوله تعالى:﴿ولا يئوده حفظهما﴾؛ فقال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وتأويل يئوده: هو يثقله؛ فهو لا يثقله حفظ ما هو من السماوات والأرض مالك له.

قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾[البقرة:٢٥٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام ما لفظه:

سألت: يا أخي أرشدك الله عن معنى قول الله سبحانه: ﴿لا إكراه في الدين﴾، وقلت: هو يقول لمحمد عليه السلام: يضرب رؤوسهم حتى يؤمنوا؛ ما معنى ذلك ؟

الجواب: اعلم أنه قد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أحصر بالحديبية، ومنعته قريش من وصول مكة، وكتبوا بينه وبينهم كتاب الهدنة، وأثبتوا ما بينهم من الشروط فيه، كان من الشرط عليهم للنبي صوات الله عليه وآله وسلم تسليما: أنه إن خرج من أصحابه الذين في المدينة إليهم خارج ردوه، وإن خرج من أصحابهم الذين بمكة إليه خارج رده؛ فأوفى كل عهده إلى انقضاء المدة، فلما بلغوا الأجل أنزل الله تبارك وتعالى على نبيه عليه السلام: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين

الرشد من الغي﴾؛ فمنع عليه السلام قريشا بعد نزول هذه الآية: إكراه أحد ممن اختار الإيمان منهم؛ فهذا ما روي في هذه الآية، لا ما توهمت – وفقك الله –.

وقد يكون من معنى هذه الآية وتأويلها: أن يكون الله تبارك وتعالى عرف العباد أنه غير مكره لهم على طاعته إكراه جبر، والذي يدل على ذلك قوله: ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾، وليس الإكراه من الله سبحانه كالإكراه من نبيه صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن الإكراه من النبي عليه السلام يقتضي قرر اللسان، وفي الضمير من الاعتقاد غير ذلك، والإكراه من الله تبارك وتعالى يقتضي الإقرار باللسان، وإخلاص النية في الضمير،؛ فجاء معنى هذا القول من الله سبحانه بمعنى قوله: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾؛ فجاء ظاهر هذا الخطاب كالإباحة؛ وإنما هو تخيير من الله سبحانه لعباده بعد أن عرفهم ما في الحالين من العقاب والثواب؛ كذلك عرف عباده: أنه غير مكره لأحد منهم على طاعة ولا معصية، بعد أن بين لهم الرشد من الغي؛ فهذا أيضا وجه حسن التأويل؛ فأي المعنيين تأولت فقد أصبت إن شاء الله تعالى.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة عليهم السلام:

قال علي بن محمد بن عبيد الله العلوي رحمة الله عليه:

سألت الهادي إلى الحق صلوات الله عليه: عن قول الله سبحانه: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾.

فقال: هذا أمر من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه بأن يقول لحضرة قريش وجاهليتها، فيما كانوا يفعلون بمن أسلم منهم وآمن، واتبع محمدا صلى الله عليه؛ وذلك أنهم عاقدوا رسول الله عليه السلام يوم هدنة الحديبية على أنه يرد إليهم من أتاه من أصحابهم، وعاقدهم على ذلك، وأوجبه صلى الله عليه على نفسه بأمر الله لهم، وكان يرد إليهم من أتاه راغبا في الإسلام منهم، فيكرهونه على ترك الإسلام،

وعلى الدخول في دينهم والرجوع، فلما أن انتقض العهد الذي كان بين رسول الله وبينهم -أمره الله: ألا يرد إليهم أحدا ممن يهاجر إليه، وأعلمه: أن الحق قد بلغ منتهاه، وقامت شرائع الدين، وظهرت أمور الله، وأنه لا سبيل للكفرة إلى إكراه أحد ممن اختار دين محمد صلى الله عليه، ولا رده إلى دينهم، ومنعهم - لهذا القول - مما كانوا يفعلون بمن هاجر، ومنع الرسول به من رد أحد ممن يهاجر إليه إلى قريش، وأعلمه: أن الرشد قد تبين من الغي؛ والرشد هاهنا فهو: الحق والهدى، وقيام الحجة على الكفرة الأعداء، والغي فهو: الباطل الذي كانوا فيه من كفرهم وغيهم، ثم أذن لرسوله صلى الله عليه في أن يضع عليهم السيف حتى يسلموا، أو يبيدهم بالسيف، ومنعه من كل هدنة ومرافقة، وأمره بقتلهم إن لم يدخلوا كافة في الإسلام، ولم يرض في العرب إلا: بالقتل والإسلام، لا غير ذلك، ولم يجز: له أن يقبل منهم جزية، كما قبل من الإسرائيليين من أهل الكتابين؛ فهذا تفسير: ﴿لا إكراه في الدين﴾ ... (إلى آخر كلامه عليه السلام)

وأما قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾:

فقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الإمام الهادي عليه السلام:

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: تفسير الطاغوت على ثلاثة أوجه في القرآن:

الوجه الأول من الطاغوت: يعني به الشيطان، فذلك قوله في سورة البقرة: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله﴾، يعني به: الشيطان، فنظيرها في سورة النساء حيث يقول: ﴿والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾، يعني: في طاعة الشيطان؛ فهذا: مذكر.

والوجه الثاني من الطاغوت: يعني به الأوثان، فذلك قوله في سورة الزمر، يقول: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾، يعني: والذين اجتنبوا عبادة الأوثان؛ فجماعة الأصنام: مؤنثه.

والوجه الثالث من الطاغوت: فقد جاء في الرواية أنه يعني به كعب بن الأشرف اليهودي، الذي قتله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فذلك قوله في سورة البقرة: ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾؛ فهذا: جماعة؛ فافهم ذلك إن شاء الله.

قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة:٢٥٧]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾، فقلت: يجوز أن يخرجوهم من النور، وهم لم يكونوا فيه قط؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: هذا كثير في كلام العرب، موجود في لغاتهم، يقول القائل منهم: "أخرج فلان ابنه من ميراثه"، والرجل حي لم يمت، ولم يورث بعد، ولم يكن قد دخل فيه كالدخول الذي يعرف، ونحو قول العرب: "اللهم أدخلنا الجنة، وأخرجنا من النار"، وهم لم يدخلوها قط، وقوله: ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾، يعني: ثم صاروا إلى الله، وكقولهم: ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾، وهو لم يكن فيه قط، حتى بلغ وقته من الكبر والمشيخ؛ قال الشاعر:

حتى يعود بسواد القار كاللبن ...

ولم يكن القار أبيض قط، فقال: عاده؛ لجوازه في اللغة.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)﴾[البقرة:٢٥٨]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، وقد أورد هذه الآية ما لفظه:

فقال الملك: ﴿أنا أحيي وأميت﴾، يريد الملك بقوله: أميت وأحيي: أني أقتل من أردت، وأحيي وأخلي، فلما حاج إبراهيم الملك بحجته في ربه، ودعاه بدليل الحياة والموت إلى ما دعاه الله إليه من المعرفة به، فلم يقر الملك بما عرف، وأنكر وكابر وعسف - احتج إبراهيم صلى الله عليه من الحجة بما لا دعوى له فيه، من إتيان الله بالشمس من مشرقها، فقطعه إبراهيم بحجة الله ووحيها، ثم زاد الحجة عليه تأكيدا، وقول إبراهيم بحجة الله تثبيتا وتسديدا.

قوله: ﴿فأت بها من المغرب﴾، فلما حآجه من الحجة بما يغلب كل مغالب، كما قال سبحانه: ﴿فبهت الذي كفر﴾، وقطعت عليه بحجة الله حجته فيما أنكر، ولم يجد عندها مقالا، وكذلك يفعل الله بمن كان عن الهدى ضالا، كما قال في أمثاله رب العالمين: ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾، ولقد كان في قول إبراهيم صلى الله عليه وآله: ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾، وتيقن الملك أنه سيموت - ما أغنى كثيرا وكفى، لو كان الملك بما يعرف مقرا معترفا؛ لأن الحياة والموت فعلان موجودان، وصنعان لا شك في أنهما من الصانع معدودان، لا ينكر ما قلنا به فيهما من ذلك سامع، ولا يدعي صنعهما - إلا بمكابرة من مدعيهما - صانع، وإذا صحا وثبتا صنعا وفعلا، وكان الملك وغيره عليهما مجبورا محتبلا، ليس

لأحد فيهما صنع، ولا يمتنع منهما ممتنع - فلا بد باضطرار من صانعهما وفاعلهما، ومتولي صنعهما واحتبالهما، إذا ثبتا صنعا وفعلا، وكان كل واحد منهما بدعا محتبلا ... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في مجموع الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه : ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك فهو: النمرود، ومحاجته له فهي: محادثته إياه، وإنكاره ما جاء به من الحق، ودعا إليه من الصدق، حتى كان محاورة إبراهيم صلى الله عليه للطاغية ما قد سمعت، حيث قال إبراهيم: ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾، فقال له الكافر: أنا أحيي وأميت. فيروى أنه جاء برجلين، فقتل أحدهما وأبقى الآخر، فقال: قد قتلت واحدا، وأحييت واحدا. فقال له إبراهيم صلى الله عليه: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب؛ فبهت الذي كفر عند ذلك، وانقطع كلامه. ومعنى ﴿أن آتاه الله الملك﴾ هو: إعطاء الله وإيتاؤه الملك إبراهيم. ومعنى إيتائه فهو: حكمه له به، فلما أن بعثه الله عز وجل إلى الخلق داعيا، وإلى الحق هاديا، كان صلوات الله عليه متبوعا لا تابعا، وآمرا لا مأمورا، ملكه أمر الخلق ونهيهم، إن أطاعوه أصابوا حظهم، ورشدوا في أمرهم، فكان الأمر والنهي لإبراهيم بحكم الله، والملك له خالصا، فكان حاله في مخالفتهم له، وبعدهم عنه كحال من أعطي شيئا وولي عليه، فاغتصبه غيره، فانتزعه من يديه، والمالك له - المغصوب - بتمليك مالكه له، والغاصب ظالم لا ملك له؛ قال الله سبحانه في مثل ما قلنا: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾، فقال: الذين إن مكناهم في الأرض، فذكر تمكينه لهم في الأرض جميعا، وقد رأينا أنبياء الله وأولياءه لا

يملكون من الأرض إلا يسيرا، وإنما أراد عز وجل: الذين حكمنا لهم بها، ومكناهم من ولايتها، وأمرناهم بالقيام فيها، وإذا حكم تبارك وتعالى لعبد من عبيده بذلك، فقد مكنه منها، وأمره فيها، وليس اغتصاب الظالم، وظلمه لهذا المحق - بمزيل ما جعل الله له من التمكين، لا حجة على جمعهم لله سبحانه، يأخذهم بمخالفته، ويعاقبهم على مناواته، وترك نصرته، والقيام معه، فلما أن عاقبهم بمخالفتهم له، كان الممكن في أمرهم، والمحكوم له بطاعتهم، والمفوض إليه أمرهم - صار المحكوم له بالأرض، الواجبة طاعته، المفروض إتباعه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]

قال في كتاب المجموعة الفاخرة للإمام الهادي عليه السلام:

إنما أراد بذلك صلى الله عليه: أرني آية أزداد بها علما وبصيرة، وأعرف سرعة الإجابة لي منك، حتى يثبت ذلك عندي، ويقر في قلبي معرفة من ذلك، فأمره الله سبحانه: أن يأخذ أربعة من الطير، وأن يجعل على كل جبل منهن جزءا، ثم أمره أن يدعوهن؛ ليريه من عجيب قدرته، وشواهد حكمته ما يزداد به معرفة في دينه، ويثبت عنده علم ما سأل عنه من آيات ربه، فأراه الله ذلك، فازداد بصيرة وإيقانا، ومعرفة وبيانا.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة:٢٦٤]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسئل: عن قوله سبحانه: ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾؟

فقال: هذا نهي من الله سبحانه للمؤمنين، بأن يكونوا بالمن والأذى لمن تصدقوا عليه صدقاتهم مبطلين؛ [بأذى] منهم لمن أحسنوا إليه، وكثرة الامتنان بذلك الإحسان إليه.

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥)﴾ [البقرة: ٢٦٥]

قال في مجموع الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام ما لفظه:

وقال سبحانه: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم﴾، والتثبيت والله أعلم: الإنفاق بالنية في القربة إلى الله، ﴿كمثل جنة بربوة أصابها وابل﴾، والوابل فهو: المطر الغزير الشديد، ﴿فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل﴾، والطل: الندى بالليل؛ فهو يقوم في زكاء الثمار مقام الوابل من الأمطار، ﴿والله بما تعملون بصير (٢٦٥)﴾.

قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦)﴾ [البقرة:٢٦٦]

في مجموع الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا مثل ضربه الله عز وجل لعباده، وبين به لخلقه؛ ألا تسمع كيف يقول: ﴿وأصابه الكبر﴾، وله هذه الجنة المغنية الكافية على

كبره، ثم يصيبها من بعد ذلك إعصار فيه نار، فتحرق من بعد كمالها مع كبر سنه، وضعفه، وقلة استفادته من بعد ذهابها، ﴿وله ذرية ضعفاء﴾، يقول: أطفال صغار، لا ينفعونه، ولا على شيء مما نزل به يعينونه، فيكون بهلاكها هلاكه وهلاكهم؛ فبين الله لهم بذلك، وضرب لهم الأمثال به؛ لما فيه من الهلكة من بعد الغنى، كذلك من ترك حظه من الله ومما أعد لأوليائه، من بعد المقدرة على الوصول - فقد أهلك نفسه من بعد أن قد استمكن طريق النعم، وأخذ الصراط المستقيم، وصار إلى الآخرة بأشر حال، لا مستعتب له ولا نعيم، ولا خير ولا سرور؛ فبعدا لمن ظلم وتعدى، وترك الحق عنادا؛ فهذا معنى المثل، وما أراد الله به عز وجل.

وقال في كتاب حقائق المعرفة، بعد أن أورد هذه الآية ما لفظه:

فمثل الله تعالى من يكون له عمل صالح يستحق به الجنة، فيبطله، بمن يكون له في الدنيا جنة من نخيل على ما وصف، فتصيبها ريح فيها نار، فتحرقها فاحترقت. وقوله تعالى: ﴿وأصابه الكبر﴾ يريد: أنه يكون يوم القيامة كمن أصابه الكبر في الدنيا، لا يمكنه أن يستعيض جنة أخرى. وقوله: ﴿وله ذرية ضعفاء﴾ يقول: إنه محتاج إليها كما يحتاج الشيخ الكبير الذي له ذرية ضعفاء إلى من يقوم به وبذريته.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧)﴾ [البقرة:٢٦٧]

في مجموع الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام، وقد ذكره الآية، فقال:

يقول تعالى: ﴿أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾، يعني: من خير أموالكم وأزكاها وأحلها، ولا تنفقوا مما تبغضون من حرامها وخبيثها، ولو أعطيتم ذلك لم تأخذوه من غيركم، ﴿إلا أن تغمضوا فيه﴾: إلا أن تتكارهوا عليه؛ فافهموا ثم افهموا رحمكم الله.

ثم أخبر سبحانه: أن الذي يمنعهم إن امتنعوا من مواساة إخوانهم، وترك القليل الذي لا يجدون فقده ولا مسه من أموالهم: أن الشيطان يخوفهم، ويعدهم الفقر، ويأمرهم بالفحشاء والسوء من البخل، والله هو سبحانه يعدهم إذا أنفقوا مغفرة منه وفضلا، والله واسع عليم.

(إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: من آية (٢٧٢)]

قال في مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي فسرها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾؟

والمعنى في هذه الآية والأولى[١] واحد، وإن اختلف التفسير؛ ومعناها: أنه يخبر سبحانه أنه لم يفترض عليه قسر قلوبهم على الهدى وجبرها، حتى تكون مخلصة في أعمالها، كما افترض عليه قسر ألسنتهم على التكلم بالإيمان والنطق به،

(١) - يعني بقوله: "والأولى" الآية التي سئل عنها قبل هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾.

وكما افترض عليه قسر جوارحهم على ظاهر أعمالهم في أداء فرائضهم كلها؛ فأخبر الله نبيه أن الذي افترض عليه فيهم، من: أمره بدعائهم وجهادهم هو: الظاهر مما يناله، ويقدر عليه منهم، مثل: التكلم بالإسلام، والإقرار به، واستعمال الجوارح في الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، وما أشبه ذلك من ظاهر الأفعال، التي يحقنون بها دمائهم عن القتل، وحرمهم عن السبي، وأموالهم عن الأخذ، وأنه لم يفترض عليه، ولم يكلفه صلاح قلوبهم وإيمانها، ولا علم باطنها وضميرها، واستخراج مكنون غيبهم؛ يكونون بذلك من فعل نبيه مهتدين حقا، وينتضمهم اسم الإيمان صدقا؛ فأخبر جل جلاله بما ذكر من ذلك وفيه: أن عليه - صلى الله عليه وآله وسلم - إصلاح ظاهرهم، والمعاملة منه على ذلك لهم، وأن الله سبحانه معاملهم على باطن ضمائر القلوب، وأن الله سبحانه العالم بما تنطوي عليه قلوبهم من الغيوب، ﴿ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة:٢٧٤]

روى في كتاب ينابيع النصيحة عن عبد الله بن العباس رضي الله عنه:

أنه قال: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، لم يملك من المال إلا أربعة دراهم، تصدق بدرهم ليلا، وبدرهم نهارا، وبدرهم سرا، وبدرهم علانية؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما حملك على هذا ؟)). فقال: حملني عليه أن أستوجب على الله ما وعدني. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ألا إن ذلك لك))؛ فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عمن ﴿يتخبطه الشيطان من المس﴾[البقرة:٢٧٥]، وما المس ؟

فالمس هو: اللمم، واللمم فهو: الجنون.

وأما ما سألت عنه من التخبط، فما يعرف من: خبط المتخبط، وهو: الغشيان من خارج لا من داخل...

(إلى أن قال:)

وإنما مثل الله أكلة الربا؛ إذ مثلوا رباهم، وما حرم الله عليهم من الربا ونهاهم - بالبيع الذي فيه إرباء[١]، وإنما هو: أخذ بالتراضي وإعطاء، فقالوا: ﴿إنما البيع مثل الربا﴾[البقرة: ٢٧٥]، شبهوا ما لم يجعل الله متشابها؛ فشبهوا الحرام بالحلال، والهدى فيه بالضلال، فمثلهم الله في ذلك؛ لما هم عليه من الجهل - بمن يعرفون أنه عندهم أنقص أهل النقص، من أهل الجنون والخبل.

وفي مجموع الإمام المرتضى بن الهادي عليهما السلام عند ذكره هذه الآية - ذكر جواب جده القاسم بن إبراهيم عليه السلام، المتقدم ذكره.

وفي كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام الحسين بن القاسم العياني عليه السلام، وقد ذكر هذه الآية ما لفظه:

هذا مثل ضربه الله لمن يعمل بالربا - بالموسوس وخبله؛ إذ لم ينتفع ولم يزدجر عن الحرام بما ركب الله من عقله، والمس فهو: الجنون، وإنما خاطبهم الله

(١) - قوله: " بالبيع الذي فيه إرباء" لعله: بالبيع الذي ليس فيه إرباء. (جامعه)

بما يعرفون؛ لأنهم إذا رأوا مجنونا سموه مخبوطا منقوصا، وكان بذلك الاسم عندهم مخصوصا.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨)﴾[البقرة:٢٧٨]

قال في مجموع الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربى إن كنتم مؤمنين﴾؟، فقلت: ما هذا الربا الذي يترك، وما بقيته؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الربا فهو: الذي نهى الله عنه وحرمه، مما أنت به عارف من هذه المعاملات والزيادات، في الأسلاف والديون والمشارءات، فلما أن حرم الله عز وجل ذلك وحظره، كانت بقايا للمسلمين من تلك الأسلاف والمبايعات، قد بقيت من ديونهم، وتخلفت على غرمائهم، فكانوا يظنون أنه ليس عليهم إثم في اقتضاء ما بقي منها، وأجروا آخرها كمجرى أولها، فنهاهم الله عن ذلك، وغفر لهم ما قد سلف، من قبل التحريم، وخطر عليهم ما بقي لهم، فأمرهم بتركه، ومنعهم من أخذه واقتضائه، وهو بقيه ديون الربا، ثم قال سبحانه: ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾، يقول: إن لم تتركوا بقية الربا الحرام فأذنوا بحرب من الله ورسوله، يريد: القتل والقتال، حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويرجعوا إلى حكمه، وحكم عليهم بالقتل بعد إذ سماهم مؤمنين، إن لم يفعلوا[1] عن أخذ الربا، والميل إلى الهوى، وأوجب عليهم في ذلك أعظم بلاء؛ فهذا معناها ومجراها.

---

(١) – إن لم يقلعوا. (ظناً) (جامعه).

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]

قال في المجموعة الفاخرة في سياق كلام:

وقال: ﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾، يقول: اعلموا أنكم إن لم تقلعوا عن الربا صرتم حربا لله ولرسوله.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢)﴾ [البقرة:٢٨٢]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن قوله: ﴿إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾: هل ذلك فرض عليهم، لا يسعهم أن يتركوه ؟

فنعم هو فرض عليهم فيمن لم يأمنوا، وليس بفرض عليهم فيمن أمنوا، فاجرا كان المؤتمن أو برا، أو موسرا كان الغريم أو معسرا.

وفي كتاب الأحكام:

وأما قوله سبحانه: ﴿وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه﴾ فإنما معناها: فليتكلم الذي عليه الحق بما عليه لصاحبه؛ حتى يشهد الشهود على ما يسمعون من إقراره على نفسه.

وأما قوله عز وجل: ﴿ولا يبخس منه شيئا﴾ فهو: لا ينقص مما عليه لغريمه شقصا، ولينطق بما عليه من ذلك طرا.

وأما قوله: ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل﴾، فإن السفيه هاهنا هو: سفه العقل وقلته: إما بصغر السن، وإما بضعف العقل.

وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿ضعيفا﴾ فإن الضعف: قد يكون ضعف العقل، أو ضعف المرض، أو ضعف العمل عن الكلام للعلة النازلة، وكذلك قوله عز وجل: ﴿أو لا يستطيع أن يمل هو﴾ فقد يكون: لعيه عن حجته، أو لصغر سن أيضا، أو لعلة تمنعه من ذلك، فإذا كان ذلك كذلك وجب على الولي أن يمل ما يجب على صاحبه، وأن يبينه ويشرحه بحضرة من صاحب الدين، وإقرار منه به عند الشاهدين.

وأما قوله عز وجل: ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾ فإنما يريد: أهل دينكم، وأهل الثقة من أهل ملتكم ممن ترضون عدالته.

وأما قوله: ﴿فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء﴾ فإن الله سبحانه أقام المرأتين مقام شاهد ثان؛ لضعفهما، وقلة معرفتهما بالواجب عليهما؛ ألا تسمع كيف يقول: ﴿أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾،

يريد بالضلال: النسيان أو غير ذلك من الشأن، ممن لا يؤمن على ضعفه النسوان، فأراد أن تذكرها الأخرى وتخوفها بربها فيه، إن أرادت تعمد الجحدان لشهادتها، ثم قال سبحانه: ﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا﴾، قال: لا يأبوا أن يشهدوا بما قد علموا، مما له دعوى حين استشهدوا، فأوجب عليهم الشهادة عند الامام بما يعلمون؛ لكي يستخرج بشهادتهم حقوق من له يشهدون.

وأما قوله عز وجل: ﴿ولا تسأموا أن تكتبوه﴾، فإنه يقول: لا تملوا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ومدى تأخيره.

وأما قوله عز وجل: ﴿ذلك أدنى ألا ترتابوا﴾ فمعناه: أن لا تشكوا فيه، ولا في عدده، ولا في وزنه، ولا في أجله، إذا كان مكتوبا بخطوط الشهود ذلك أدنى أن يعلم الشهود ويعرفوا إذا رأوا خطوطهم، فيذكروا ويقفوا على ذلك، ويعلموا جميع ما عليه شهدوا.

وأما قوله عز وجل: ﴿ألا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها﴾، والحاضرة هاهنا فهي: حاضرة معكم في بلدكم، حاضر نقدها عندكم، فليس عليكم جناح إذا كانت كذا: ألا تكتبوها، ولا تشهدوا فيها وعليها، ثم قال عز وجل: ﴿وأشهدوا أذا تبايعتم﴾، يريد سبحانه: وأشهدوا على الرضى من البائع والمبتاع؛ لكيلا يكون في ذلك رجوع من أحدهما ولا نزاع.

وأما قوله سبحانه: ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ فهو: نهي من الله عز وجل للكتاب أن يمتنعوا من الكتاب كما علمهم الله، وللشهود أن يمتنعوا من أداء الشهادة على الحق إذا دعوا كما أمرهم الله، ثم أخبرهم أنه من فعل ذلك فإنه آثم قلبه.

وأما قوله سبحانه: ﴿وأقوم للشهادة﴾ فإنه أعدل وأثبت إذا كان في الكتاب، وكانت على الغريم الشهود به والبينة، فحينئذ لا يستطيع الغريم أن يدفع غريمه، ولا أن ينتقص حقه.

وأما قوله عز وجل: ﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة﴾ فإنه يقول: إن كنتم على سفر، ولم تجدوا كاتبا، أو ما يكون به الكتاب من الدواة والقرطاس - فليكن رهان مقبوضة؛ بدلا من الشهود والكتاب، والرهان المقبوضة فهو: الرهن المسلم إلى صاحب السلعة.

وأما قوله عز وجل: ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ فهو: نهي منه للشهود أن يكتموا ما يعلمون من شهادتهم، والكتمان فقد يكون بمعان وأسباب، فمنها: الجحدان للشهادة، ومنها: التعلل من الشاهد على المستشهد له بعلة ليست له عند الله بعلة، أو بالتشاغل عن إقامة شهادته بأمر لا يكون له فيه عند خالقه حجة.

وأما قوله عز وجل: ﴿فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه﴾ فهذه: آية منسوخة، نسخها قول الله سبحانه: ﴿يا أيا الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾.

قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: وليس نسخها تحريما لما ذكر فيها، كغيرها من المنسوخات اللواتي نسخ ما أمر به فيهن بما أثبت من الحكم، وبدل في غيرهن؛ لأن الائتمان من بعض المسلمين لبعض على ما لهم وعليهم إنظار وإحسان؛ والإحسان فغير مسخوط عند الواحد الرحمن؛ ولكنه سبحانه نسخ ذلك بالدلالة لهم على الأفضل والأحوط بينهم ولهم، والأبعد من كل فساد، فدلهم على المكاتبة والإشهاد؛ نظرا منه سبحانه لجميع العباد، ومن أنظر وأتبع المعروف كان عند الله إن شاء الله مأجورا، غير معاقب ولا مأزور.

قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: ينبغي لمن أراد التجارة أن يتفقه في الدين، وينظر في الحلال والحرام من كتاب الله رب العالمين؛ حتى يأمن على نفسه الزلل والخطأ، في المضاربة والبيع والشراء؛ وفي ذلك ما بلغنا عن أمير المؤمنين علي بن

أبي طالب رحمة الله عليه: أن رجلا أتاه، فقال: يا أمير المؤمنين إني أريد التجارة؛ فادع الله لي. فقال له أمير المؤمنين: ((أو فقهت في دين الله؟)). قال: أو يكون بعض ذلك؟ فقال: ((ويحك، الفقه ثم المتجر؛ إن من باع واشترى، ثم لم يسأل عن حلال ولا حرام ارتطم في الربا، ثم ارتطم، ثم ارتطم)). قال: وبلغنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((إن الله سبحانه يحب العبد يكون: سهل البيع، سهل الشراء، سهل القضاء، سهل الاقتضاء))، وبلغنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((إني لعنت الامام يتجر في رعيته)).

وقال في مجموع الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾؟

والكاتب هو: الذي يكتب الحق عليه، وقد يمكن أن يكون: الكاتب الذي يكتب، والشهيد فهو: الذي يشهد على الشهادة، ثم يضار فيها، ويكتمها، فلا يحل له ذلك ولا يسعه؛ بل عليه أن يؤدي شهادته، ويحفظ في ذلك أمانته، والشاهد أيضا إذا دعي إلى الشهادة فيأبى، فنهاه الله عن ذلك، إذا كانت شهادته حقا، ولاح مستحق.

وقلت: هل يحل إذا دعي رجل إلى الشهادة ليشهد عليها أن يمتنع؟

وما يجب له إذا دعاه المسلم ليشهد له على شهادة حق: أن يأبى؛ لأن هذا من المعونة على التقوى، وإن كان المستشهد له مبطلا غير محق - فما أحب أن يشهد له على شيء، ولا يدخل معه في سبب من الأسباب، ولا يعينه في باب من الأبواب؛ لأن البعد من الفاسق فريضة، والمجانبة له قربة.

وقلت: هل يأثم الرجل إذا نسي بعض شهادته، فلم يذكرها، والتبس عليه الأمر، فلم يدر كيف هو؟

فالقول في ذلك عندي: أنه إذا نسي الشهادة، ولم يدر ما كان شهد عليه – أن الوقوف عما ألتبس أفضل وأصلح، إلا أن يكون معه شهود عدول، قد شهدوا على الشهادة التي شهد عليها، فيذكرونه ويوقفونه على الأمر حتى يفهمه، فإذا كان ذلك جاز له أن يشهد.

وقوله تعالى: ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل﴾، وهذا في الرجل إذا كان مريضا وجب على وليه أن يسأله عما عليه، ويكتبه؛ وقد يدخل في قوله: ﴿لا يستطيع أن يمل هو﴾: أن يكون ضعيف الفهم، يغلب عليه العي والعجز؛ فيكون وليه يقوم لفظه، ويثبت ما ألقى إليه من كلامه.

وقد قيل: إن معنى: ﴿فليملل وليه﴾ أي: ولي الحق والمطالب به يملي حقه، ويذكر ما له على غريمه، وذلك وجه حسن جائز.

وقد ذكر أن الناس على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كان الكاتب فيهم قليل؛ فنهاهم الله أن يتضاروا؛ فكل هذه معاني مؤتلفة، يشهد بعضها لبعض، حسنة ليس فيها عن الحق مخرج، ولا عن الصواب معزل.

قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]

قال في كتاب الأحكام:

وقال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ يريد تبارك وتعالى بقوله ﴿وسعها﴾: طاقتها، وما تستطيعه من أمورها.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]

قال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام:

مسألة في معنى ﴿ولا تحمل علينا إصرا﴾ الآية:

والمجبرة تسأل عن قول الله تبارك وتعالى : ﴿ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾: أنه سبحانه إذا أطاعه عبده خفف عليه المحنة، وسهل عليه العمل بطاعته؛ بلطف منه وتأييده له؛ جزاء منه لمن أطاعه، والعبادة عليه خفة، وازداد نشاطا في العمل لله، وهانت عليه الدنيا وشدائدها؛ لأنه وعد الشاكرين الزيادة، فقال: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾، ووصف عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه :﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾، إلى قوله: ﴿ويجعل لكم أنهارا﴾؛ ويكثر مثل هذا في القرآن.

وإذا عصاه عاقبه فخلاه، وتركه من توفيقه في بلواه، فاشتد عليه اليسير من المحنة، وعظم عليه قليل المصائب، وثقل عليه فوات الضيف[١] من أمر الدنيا، وصار ما خف على المؤمنين بحسن اليقين عليه ثقيلا، من الطاعة والعمل لرب العالمين؛ فكلما ازدادوا معصية لله ازدادوا لطاعة الله بغضا، ومن أوامره بعدا، ولها رفضا؛ وذلك فعقوبة من الله لهم بكفرهم، وتماديهم في غيهم، وقد بين الله جل ذكره ذلك في كتابه بقوله: ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا﴾، إلى قوله: ﴿وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما﴾.

---

(١) - هكذا في الأصل المنقول منه، وهو النسخة المطبوعة، ولعل العبارة: " وثقل عليه فوات اللطيف من أمر الدنيا ". (جامعه)

وقد يمتحن الله المؤمن في بعض الأحوال بالشدائد، والزلازل وعظيم البلاء؛ ليمحصهم من صغائر ذنوبهم، وليختبر طاعتهم وصبرهم؛ نظرا منه جل ذكره؛ ﴿ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾، فإذا صبروا ورضوا بامتحان الله إياهم، وسلواه لهم - زادهم ثوابا وكرامة، وضاعف لهم الحسنات، وأوجب لهم رفيع الدرجات.

وقد يمد الله أهل معصيته في بعض الأحوال بالأموال والبنين والنعم، ويدافع عنهم المصائب، ويمهلهم، ويصحح أجسادهم؛ ليستدعي بذلك طاعتهم، ويستشكرهم على نعمه عليهم، وليعلمهم أن معاصيهم إياه لا تضره؛ فإن آمنوا وتابوا قبلهم وتاب عليهم ، وإن أصروا ولجوا في طغيانهم لم يخف فواتهم، وأخذهم بذنوبهم، وبسوء اكتسابهم، فخلدهم في النار، ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾.

فعلى هذا سأل المؤمنون ربهم، فقالوا: ربنا ولا تحمل علينا ثقلا من المحنة، فلعلنا نعجز عن حمل ذلك، يميل[١] منا إلى الدنيا، ورغبوا إليه جل ذكره أن يسهل عليهم المحن، ويخفف عليهم الثقل من البلوى؛ وهذا في كلام العرب معروف، يقول الرجل للرجل: "لست أطيق كلامك، ولا أحتمل حكمك"، ليس يريد: أنه لا يقوى على ذلك، ويعجز عنه؛ لمرض به، أو ضعف بدن وجوارح، وعدم استطاعة؛ ولكن يريد: أنه يكرهه ولا يحبه.

فعلى هذا تأويل الآية، وما شاكلها من القول، والله معبود محمود.

---

(١) - لعله: بميل. ظناً (جامعه)

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)﴾[آل عمران:٧]

قال في كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليه السلام بعد ذكره لهذه الآية، ما لفظه:

فالمتشابهات: هن المنسوخات، والمحكمات: هن الناسخات.

وقال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن قوله: ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾؟

فالمحكمات كما قال الله: فهن أم الكتاب، والمحكم منه: فما صحت حجته في الألباب، والأم من علم كل شيء فهو: البين من علمه غير الخفي، وأم أمهات العلوم كلها فأنور ما يكون من العلم عند أهلها، وكذلك الكتاب فمحكماته من غير شك أمهاته، التي لا يشتبه على عالمهن منهن علم، ولا يدخله في الإحاطة بهن شك ولا وهم، ولا يحتاج في البيان عنهن إلى إكثار ولا تطويل؛ بل تنزيل الله فيهن كاف من التأويل، كقوله سبحانه: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[الشورى:١١]، و﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقوله: ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن

الناس أنفسهم يظلمون﴾[يونس:٤٤]؛ فهذا وأشباهه من كتاب الله فهو المحكم، الذي ليس فيه - بمن الله - شبهة ولا وهم.

وأما متشابه الآيات من الكتاب، فلا يكون أبدا إلا متشابها، كما جعله رب الأرباب، فليس يحيط غيره بعلمه، ولم يكلف أحدا العلم به، وإنما كلف العلم بأنه من عند ربه، كما قال سبحانه: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾[آل عمران:٧]، فجعل الإيمان به، والعلم بأنه من عنده فريضة عليهم في متشابه الكتاب، ولو كان عند غيره بالاستخراج معلوما -لما كان متشابها في نفسه ولا مكتوما، وأزال عنه اسم الإخفاء والتشابه، كما يوجد له من المخارج في العلم والتوجه، ولما قال الله :﴿متشابها﴾ جملة وإرسالا؛ حتى يقال: ﴿متشابها﴾ عند من كان به جاهلا. وفي تشابه كتاب الله وإخفائه، وما أراد بذلك سبحانه من امتحان كل محجوج وابتلائه - أعلم العلم، وأحكم الحكم عند أهل العلم والحكمة، وأدل الدلائل على الله في الأشياء كلها من القدرة والعظمة.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾؟

والمحكمات - رحمك الله - فهن: الآيات اللواتي ظواهرهن كباطنهن، وتأويلهن كتنزيلهن، لا يحتملن معنين، ولا يقال فيهن بقولين؛ مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾،

ومثل قوله: ﴿قل هو الله أحد(١) الله الصمد(٢) لم يلد ولم يولد(٣)ولم يكن له كفوا أحد(٤)﴾، ومثل قوله: ﴿الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له

شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا﴾، ومثل سورة الحمد، ومثل قوله: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾... الآية كلها، وغير ذلك مما كان من الآيات المحكمات، اللواتي لا يدخلهن التأويلات، ولا يختلف فيهن القالات.

والأمهات فهن: اللواتي يرد إليهن المتشابهات، وأم كل شيء: فأصله، وأصله: فمحكمه الذي ترد إليه الفروع والاختلاف، ويقع بالرجوع إليه بعد التشاجر الائتلاف.

والمتشابهات: فهن ما حجب الله عن الخلق علمه، من الآيات اللواتي لا يعلم تأويلهن غير رب السموات، كما قال الله: ﴿لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾؛ فأخبر أنه لا يعلم تأويله غيره، وأن الراسخين في العلم - إليه يردونه؛ إذ لم يعلموه، وإذ حجب عنهم تأويله فلم يفهموه؛ مثل: ﴿يس﴾، و ﴿حم﴾، و ﴿المر﴾، و ﴿طسم﴾، و ﴿كهيعص﴾، و ﴿الم﴾، و ﴿الر﴾، و ﴿المص﴾، و ﴿ص﴾، و ما كان من المتشابه مما يحتاج الخلق إلى فهمه: فقد أطلع الله العلماء الذين أمر بسؤالهم على علمه، وهو: ما كان تأويله مخالفا لتنزيله، مثل قوله سبحانه: ﴿وجوه يومئذ ناضرة(٢٢) إلى ربها ناظرة﴾، ومثل قوله: ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾، ومثل قوله:﴿تبارك اسم ربك﴾، ومثل ما ذكر الله من: الضلال، والإملاء، وغير ذلك مما ذكر تبارك وتعالى، مما يتعلق تنزيله[١]، وينسب فيه إلى الله شبه خلقه الجاهلون؛ فأبطلوا بذلك ما ذكر الله من الأمهات المحكمات، اللواتي جعلهن بالحق شاهدات، وعن ظاهر المتشابه ناطقات.

وقال في كتاب حقائق المعرفة:

---

(١) - لعله: "بتنزيله". ظناً. (جامعه)

فالمحكم هو: الجلي البين الذي يكون تأويله موافقا لتنزيله، وهو الأكثر والمعمول عليه والأحسن، وهو أصل الكتاب الذي يرجع إليه، والذي وقع الإجماع عليه.

والمتشابه هو: ما كان غامضا، وكان تأويله بخلاف ظاهره، وكان مشكلا على من لا علم له، والمتشابه هو: ما كان يحتمل الوجوه، ولا يعرف المراد بظاهره. والمحكم: ما لا يحتمل إلا وجها واحدا، ويعرف المراد بظاهره.

والعلة في المتشابه: البلية والامتحان لأهل العقول السنية، وهو مردود إلى المحكم، قال الله تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾[آل عمران:٧]، فبين الله تعالى: أن الكتاب منه المحكم والمتشابه، وأخبر أن المحكم هو الأصل المعمول عليه؛ لأن أم الشيء: أصله، ولذلك سميت والدة الإنسان [له] أما، وقد قال الله تعالى: ﴿لتنذر أم القرى ومن حولها﴾[الأنعام:٩٢]، يعني: مكة؛ لأنها أصل القرى؛ لأن جميع القرى تفرعت منها؛ ويؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا﴾[آل عمران:٩٦]، فصح أن المحكم أصل الكتاب، وأنه المعمول عليه. ثم ذم من يتبع المتشابه فقال: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة﴾[آل عمران:٧]، يريد بالفتنة: المجادلة للحق ولأهله... (إلى آخر كلامه عليه السلام)

قال في مجموع الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام، في القسم الثاني، في سياق مسألة عن المتشابه:

اعلم - أرشدك الله-: أنا لا نستغني عن مقدمة نذكر فيها المتشابه بحقيقته، والمحكم بحقيقته؛ لأن بجهل معنى المتشابه والمحكم - هلك كثير من الناس،

فادعى في المحكم أنه متشابه، وفي المتشابه أنه محكم، كما فعل السائل - أرشده الله - ، ونذكر أنه لا يجوز من الحكيم تعالى: أن يخاطبنا بخطاب لا نتمكن من معرفة معناه، فإذا تقررت هذه المقدمة تكلمنا على ألفاظ المسألة إن شاء الله بما يشفي علة الطالب، ويطفئ أوار[١] الراغب، وبه نستعين.

اعلم: أن المتشابه قد رجع به إلى المماثلة، كما يقول أهل اللغة: "هذا شبه هذا"، أي: يماثله في بعض أوصافه أو كلها، كما حكى الله سبحانه نعيم الجنة: ﴿وأتوا به متشابها﴾[البقرة:٢٥]، يحتمل: في الصور، ويحتمل: في جلالة القدر.

وقد يرجع إلى الالتباس الذي هو الاشتباه، كما حكى سبحانه عن بني إسرائيل في فزعهم إليه في كشف اللبس؛ لقوله: ﴿إن البقر تشابه علينا﴾[البقرة:٧٠]، أي: يلتبس بعضها ببعض، ونقول: " هذا أمر مشتبه"، أي: ملتبس، كما قال أحد أهل العلم باللغة:

فلا يخدعنك لموع السراب .... ولا تأت أمرا إذا ما اشتبه

فعلى المعنى الأول: يحمل قوله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها﴾[الزمر:٢٣]، فوصف القرآن كله بالتشابه، والمراد بذلك عند أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم: أن بعضه يشبه بعضا في باب الحكمة، وجزالة الألفاظ، وصحة المباني.

وعلى المعنى الآخر: يحمل قوله تعالى: ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون﴾؛ المتشابه بهذا المعنى: كل لفظ إذا أطلق سبق إلى فهم السامع منه معنيان، أو ثلاثة، أو أكثر، بعضها

---

(١) – في حاشية الأصل: الأوار: حرارة النار والشمس، والعطشُ. تمت نهاية ابن الأثير.

صحيح وبعضها فاسد؛ فيبقى متردد الفهم في تلك المعاني، فيقع الاشتباه عليه، حتى يميز بعضها من بعض بالبرهان العقلي والسمعي، فتكون تلك المعاني في أهل الدعاوي، ويكون المعنى العقلي والشرعي كالشاهدين العدلين، يقعان لأحد أهل الدعاوي، فيستحق المدعي، ويبطل كلام الآخرين، بعد أن يكونوا قبل الشاهدين على سواء.

وأما المحكم فعلى وجهين أيضا : أحدهما: ما صح المراد به في باب الحكمة، وأحكمت ألفاظه، ورصفه من الخلل والغلط؛ لأن الحكم في الأصل هو: المنع، ومنه: أخذت "حكمة الدابة"؛ لأن يمنعها من العدو، فكذلك الحاكم، والحكمة تمنع صاحبها من التعدي، والمحكم: كالمانع، والممنوع من الإضلال في وجه من الوجوه أو في كل وجه؛ فعلى هذا الوجه يحمل القرآن كله على أنه محكم؛ لأن ألفاظه صحيحة، ورصفه بريء من الخلل والغلط، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت﴾[هود:١]، فوصف القرآن كله على هذا المعنى بأنه محكم.

والوجه الثاني من معنى المحكم: أنه كل لفظ إذا أطلق سبق إلى فهم السامع معنى، أو معنيان، أو أكثر، تشهد بصحته دلالة العقل، وصريح السمع، يحكيه قوله تعالى: ﴿آيات محكمات هن أم الكتاب﴾، فلم يصف بالإحكام على الوجه الأخير إلا البعض؛ لأنه قال تعالى: ﴿منه آيات محكمات﴾، أي: أصله الذي يرجع إليه، ﴿وأخر متشابهات﴾؛ فنوعه نوعين، فلولا حملنا له على هذه المعاني الصحيحة لكان - عز قائله وشرف- متناقضا؛ لأن الشيء لا يكون بصفتين متباينتين في حالة واحدة، ولا يسوغ ذلك عقل سليم.

قلنا: "ولا يحسن أن يخاطبنا سبحانه بخطاب لا يفهم معناه"، والدليل على ذلك: أنه تعالى حكيم، والحكيم لا يفعل القبيح؛ أما أنه حكيم: فلأنه عالم غني، ولا يقع القبيح والعبث إلا من الجاهل المحتاج، وقد صح علمه بوجود الأفعال

من قبله محكمة، وغناه باستحالة الحاجة عليه؛ فإذا خاطبنا بخطاب لا يفهم - كان كمخاطبتنا للعربي بالزنجية، ولا ترجمان، فإن ذلك يكون عبثا؛ لأنه لا يخلو إما أن يريد منه معرفة ما تكلم به أو لا يريد، فإن لم يرد كان الخطاب عبثا، وإن أردنا كان الخطاب قبيحا؛ لأنا نكلفه علم ما لا سبيل له إلى علمه، وتكليف ما لا يعلم قبيح، يعلم قبحه كل عاقل، فإذا تقررت هذه الأصول - ثبت أنه لا يجوز أن يكون في كتاب الله سبحانه ما لا يفهم معناه، فإذا كلفنا معرفة معناه فلا بد من طريق إلى ذلك، وإلا قبح.

قلنا: "والطريق إلى معرفة معناه: العقل، والنقل، واللغة"، فاللغة العربية هي: لساننا وميداننا، والنقل هو: ما جاءنا عن حبيبنا صلى الله عليه وآله وسلم، وعن سلفنا الصالح من ذريته سلام الله عليهم، والعقل هو: الذي يلزم به التكليف من قبله تعالى، وتقوم به الحجة على العبد، وهو: علوم من اجتمعت فيه فهو عاقل، ومن عدمها أو بعضها فهو ناقص العقل وذاهبه، وموضع تفصيلها: كتب علم الكلام ، (وما به[1]) آية من كتاب الله عز وجل، إلا ونحن نعلم معناها ولفظها، ووجه حكمة الله سبحانه في الخطاب بها، ومراد الله سبحانه منا فيها، وعينها وحقيقتها، ونحن الراسخون في العلم بما علمنا، وولاة الأمر بما حكم لنا، وورثة الكتاب عن أبينا وجدنا، فإذا قال لنا تعالى: ﴿يداه مبسوطتان﴾[المائدة:٦٤] علمنا بدلالة العقل: أن اليد التي هي الجارحة مستحيلة عليه؛ لأنه ليس بجسم ؛لأن الأجسام محدثة، وهو تعالى قديم؛ لأنه لو كان محدثا لاحتاج إلى محدث، وذلك محال، وقد ثبت أن اليد في اللغة تحمل على: الجارحة المخصوصة، وتحمل على: القدرة، وتحمل على: النعمة، يقول قائل أهل اللغة: " لفلان على بني فلان يد "، أي: قدرة، و" ما له عليهم يد "، " ما له عليهم قدرة "، و" له عليهم يد "، أي: نعمة، وشواهد ذلك

---

(١) - " بِهْ " لهجَةٌ يمنية، اسمُ فعلٍ بمعنى: يُوجَدُ. أي: ما توجَدُ...إلخ.

ظاهرة؛ فلا وجه لذكرها، فيداه مبسوطتان، والحال: هذه نعمتاه في الدين والدنيا والآخرة، وفي الباطن والظاهر، وقدرته لنا قاهرة حكما وفعلا ووقوعا إن أراد سبحانه، فكيف يهمل ما في هذه الآية من الفوائد بالتعلق بقولها -راد؟!!، أو كيف يحملها على القول الفاسد، والعقل والشرع منه ذائد، والمعنى الصحيح شاهد؟!! هل هذا إلا عدوان وإلحاد في القرآن؛ فهذا من المتشابه، وقد عرفت كيف بين الراسخون في العلم معناه، ولا علم لنا إلا ما علمنا الله.

ومن المحكم بالمعنى الأخير: ﴿قل هو الله أحد﴾[الصمد:١]، الواحد الذي لا يتجزأ، كما يقال: جوهر واحد، والواحد: المختص بصفات الكمال أو بعضها، كما يقال: واحد زمانه، ووحيد عصره ، ونسيج وحده، يريد: بذلك الانفراد، وكل معنى من هذه المعاني ثابت في الباري تعالى على أبلغ الوجوه، لا يجوز عليه التجزؤ والانقسام؛ لأن ذلك من صفات الأجسام، وهو تعالى ليس بجسم؛ لأن الأجسام محدثة، وهو تعالى قديم، وهو يختص من صفات الكمال بما لا يختص به سواه؛ لأن كل صفة في سواه جائزة، وصفة الكمال له واجبة سبحانه وتعالى، وكل كمال ينتقص إلا كماله، وكل جلال يتضع إلا جلاله، وهذه قضية دلالة العقل؛ ومحكم القرآن: قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾[الشورى:١١]، ولو لم يختص بالوحدانية من كل وجه لكان مثله أشياء كثيرة... (إلى آخر كلامه عليه السلام)

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه فيما حكى عن المؤمنين، من عبيده القائلين: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾، فقلت: كيف يزيغ قلب من هداه الله، وكيف جاز لهم أن يظنوه بالله سبحانه؟

فهذا دعاء منهم بالتثبيت لهم: بالمعونة والتوفيق، والتسديد والإرشاد؛ يقولون: ربنا زدنا هدى إلى هدانا، ومعونة إلى قوتنا، ولا تتركنا من رحمتك، فنهلك وتزيغ قلوبنا بعدما نحن عليه من اجتهادنا في طاعتك، وإتباعنا لمرضاتك؛ لا أنهم يتوهمون على ربهم، أو يظنون بخالقهم ظلما لهم، أو إزاغة عن رشدهم، أو إدخالا لهم في تقصير إن كان منهم.

قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [آل عمران: من آية (١١)]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿كدأب آل فرعون﴾ [آل عمران:١١، الأنفال: ٥٢، ٥٤] ؟

فقال: كمثل آل فرعون: كحالهم.

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: من آية (١٣)]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة﴾، فقلت: ما الفئتان؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هما الفئتان اللتان التقتا يوم بدر، كان المشركون فيما يقارب الألف، إلا أمرا يسيرا، وكان المسلمون في ثلاثمائة وثلاثة عشر، فنصرهم الله على المشركين، وأظهرهم عليهم، ومنحهم أكتافهم؛ وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه في هذه الجماعة اليسيرة يطمع بالعير التي فيها أبو سفيان، وبلغ ذلك قريشا، فخرجوا في لقاء العير، فالتقوا حيث ذكر الله عز وجل، حين يقول:

﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى﴾، فكان نصر الله لنبيه وللمؤمنين على جمائع الكافرين يومئذ - من أكبر الدلالات والآيات في النصر والعون لمحمد صلى الله عليه، وكان ذلك مما يشهد له بالنبوة، واللطف من الله، والكفاية لنبيه ض.

قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل جدي القاسم صلوات الله عليه عن هذه المسألة، فقال: الشاهد هو: الله أنه لا إله إلا هو، وسؤال الملحدين فيها: هل شهد الاسم أم المسمى؟، فقال: الشاهد هو: الله المسمى، والاسم: فاسم الله، وما لله فليس هو بالله، وله الاسماء الحسنى، والأسماء فعدد كثير غير واحد، والله المسمى فواحد صمد، لم يلد ولم يولد.

قوله تعالى: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وعن قول الله سبحانه فيما يحكي عمن قال: ﴿لن تمسنا النار إلا أياما معدودات﴾؟

فقال: نزلت في اليهود؛ كانوا يقولون: إن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، وأن

الله يعذب أهل النار بدل كل ألف سنة يوما واحدا، فذلك سبعة أيام، ثم ينقضي عذاب جهنم؛ فأنزل الله إكذابهم في ذلك، وزور قولهم عنهم.

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)﴾[آل عمران: ٢٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قوله سبحانه: ﴿تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء﴾.

والملك هاهنا الذي يؤتيه من يشاء فهو: جبايات الدنيا وأموالها، والذين يشاء أن يؤتيه إياهم فهم: الأنبياء ثم الأئمة من بعدهم، والذين يشاء أن ينزعه منهم فهم: أعداؤه من جبابرة أرضه.

ومعنى ﴿تؤتي الملك﴾ فهو: الحكم بالملك لهم صلوات الله عليهم، فمن حكم له بالنبوة أو بالإمامة حكما، وأوجب له الطاعة على الأمة باستحقاقه لذلك الموضع إيجابا - فقد آتاه الملك؛ لأن الملك هو: الأمر والنهي، والجبايات والأموال التي تقبض، التي بها قوام العساكر، واتخاذ الخيل والرجال والسلاح، وجميع أداة الملك؛ فمن أجاز الله له قبض جبايات الأرض، وإقامة أحكامها، وحدودها، وأوجب له الطاعة على أهلها - فقد آتاه الملك حقا؛ أولئك السابقون بالخيرات صلوات الله عليهم، ومن لم يحكم له بشيء من ذلك، ولم يجزه له، ويطلق يده فيه، ولم يوجب له الطاعة على أحد من خلقه - فقد نزع ملك أرضه منه، وأبعده عنه؛ أولئك أعداؤه، وجبابرة أرضه، الحاكمون بغير

حكمه، المغتصبون ما جعل الله سبحانه لأوليائه، المعتدون لما حكم به في خلقه وبلاده؛ أولئك يأكلون في بطونهم نارا، وسيصلون سعيرا؛ فسبحان من لم يقض بشيء من ذلك لأعدائه، ولم يؤته غير أولياءه.

وفي نفي الحكم منه بشيء من ذلك لأعدائه: ما يقول لإبراهيم صلى الله عليه: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾، والعهد فهو: العقد بالأمانة، والحكم لهم بالطاعة، ومعنى: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ فهو: لا يبلغهم ولا يجيزهم.

وقال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام، بعد أن ذكر هذه الآية أيضا؛ فقال:

فإن مراد الله سبحانه بهذا: أنه يعطي النبوة من اصطفاه، ومعنى اصطفاه: اختاره على علم منه بقيامه بأمره، وطهارته، وإخلاصه له في الدين ؛ فحكم سبحانه لأنبيائه بالملك، وجعله لهم، وقد حكم أيضا بالملك لغير الأنبياء، من: الأئمة الملوك، الذين أخذوا الملك من جهة الطاعة له، مثل: طالوت، وذي القرنين، فمن دونهما؛ فإنهما لم يكونا نبيئين، وكانا بقيامهما بأمر الله وطاعتهما إياه مستحقين للملك؛ فأما من تغلب بالكفر والمعاصي لله على الناس، فلم يعطهم الله ذلك الملك الذي تغلبوا عليه.

وقوله: ﴿تنزع الملك ممن تشاء﴾ فذلك: تسليطه الأنبياء والمرسلين على من تغلب بالناس فملكوهم؛ حتى انتزعوا الملك منهم: بأمر الله وحكمه؛ وذلك في مثل كسرى وغيره، أو بموتهم، فإنه إذا أماتهم، فقد انتزع منهم ملكهم في كل شيء.

﴿وتعز من تشاء﴾ فذلك العز: إعزاز الأنبياء بالأمن من سخطه، وبطاعتهم إياه، وبما معهم من الحجج والبراهين، وبولايته إياهم، وكذلك جميع المؤمنين، وبمحبته لهم ، وبما أعد لهم من كراماته في الجنة ودار البقاء من حسن الجزاء، وبما قتلوا وطردوا في هذه الدنيا.

﴿وتذل من تشاء﴾: فإنه قد أذل من كفر به وعصاه: بلعنه له، وعداوته إياه، وضعف حججه، وتسليطه أولياءه عليه، وأمرهم بقتله، وتصييره بعد ذلك إلى النار الدائم عذابها، فلا يكون أذل من أعداء الله وإن عاشوا في الدنيا قليلا، وتمتعوا منها يسيرا، والحمد لله على جميع بيانه، ولطيف إحسانه وامتنانه.

وقال في كتاب حقائق المعرفة، بعد أن ذكر هذه الآية؛ فقال:

وتأويل الآية: أن الله تعالى يؤتي الملك من يستحقه، وهو: النبوءة والرسالة والإمامة، كما قال تعالى: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[الأنعام:١٢٤]، وينزعه ممن لا يستحقه، ويعز أولياءه، ويذل أعداءه.

وقال في مجموع الإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام في القسم الثاني:

مسألة: قوله تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير...﴾الآية:

الكلام في ذلك، ومن الله نستمد التوفيق: أن الله تعالى مالك الملك على الحقيقة؛ إذ هو الغني الذي لا يفتقر، والعادل الذي لا يجوز عليه العجز، ولا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب؛ وهذا هو الملك على الحقيقة، فهو مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء بالحكم والأمر إن كان محقا، وبالتخلية والتمكين وتهيئة الأسباب إن كان مبطلا؛ لتكمل عليه الحجة، ويطالبه بموجب شكر النعمة، فإن عمل بالملك بما أمره أعطاه خير الدنيا وثواب الآخرة، وإن خالف ذلك أنزل به عقوبة الكافرين في الدنيا والآخرة، أو في الآخرة، ولا يمتنع ذلك في الحكمة، ولا تلحقه بالجور؛ إذ الباري سبحانه قد أعطى الكفار ابتداء ما يمثل لك الدنيا جميعا لو خيره أهل العقول، من: العاقبة، والجوارح السليمة، والعقل الذي به كمال النعمة؛ فإذا جاز فعل ذلك لمن لا يستحقه؛ لتكمل عليه الحجة، فإضافة ما هو دونه إليه: لا مانع منه في الحكمة؛ لمثل ذلك، ولأنا قد شاهدنا الملك منتظما لإنسان دون إنسان ممن طلبه، وربما أن المحروم أحرم وأكمل ممن ناله وأدركه؛

بمساعدة المقادير، وتهيئة الأسباب.

والكلام في قوله تعالى، ولا حول ولا قوة إلا بالله: ﴿تعز من تشاء وتذل من تشاء﴾ على نحو ذلك، ومعناه ظاهر، جعل بعض خلقه ملكا، وبعضهم سوقة، وبعضهم مالكا، وبعضهم مملوكا، وبعضهم ذكرا في موضع العزة والتصرف، وبعضهم أنثى في موضع الذلة والانقياد، وكل هذا لحكمة ومصلحة تعود على العباد؛ فأراد سبحانه من الغني والملك والعزيز: الشكر، وأراد من الرعية والفقير والضعيف: الصبر والشكر؛ تكليف وتعبد يعود نفعه على العبد؛ لأن التكليف نصفان، نصف: صبر، ونصف: شكر؛ والصبر أفضلهما؛ فهذا ما يتوجه عندنا في معنى هذه الآية، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَه﴾ [آل عمران: ٢٨و٣٠]

قال في مجموع الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وأما قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ فهو: ويحذركم إياه، لا غيره.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قوله عز وجل: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾، وقلت: إنما النفس تكون للمخلوقين؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: معنى ﴿ويحذركم الله نفسه﴾، يعني: إياه، وذلك موجود في لغة العرب؛ يقول الرجل: " نزلت في نفس الجبل "، أي: في الجبل، و" في نفس الوادي "، وليس للوادي نفس ولا للجبل، وتقول أيضا: " هذا نفس الخبر "، وليس للخبر نفس، ... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في مجموع الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام:

وقوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾؟

الجواب عن ذلك: أنه حذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه؛ معناه: ويحذركم الله عذاب نفسه.

وقال في كتاب ينابيع النصيحة، في سياق كلام عن نفي التشبيه لله ما لفظه:

ونقول: إن قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ ذكر عائد على المحذر، وهذا كقوله: ﴿فاتقوا الله﴾، وقوله: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾، واليوم لا يتقى، وإنما يتقى ما يقع فيه، وذات الله لا تتقى، وإنما يتقى فعل منه، والعرف قائم يدل على أن المراد به: العقاب الذي يفعله المحذر، وإن لم تكن العقوبة تسمى نفسا في اللغة؛ ومثل ذلك مروي عن ابن عباس، فإنه قال في قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾، قال: عقوبته. وعن الحسن قال: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ قال: عقابه ونقمته.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣)﴾ [آل عمران: ٣٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾، فقلت: ما معنى الاصطفاء؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الاصطفاء - يرحمك الله - فهو: الاختيار والتفضيل على غيرهم، بما اختصهم به من الرسالة والإبلاغ، والقيام بالحجة والاجتهاد، مع فضلهم وطاعتهم لله، وإيثارهم لأمره، وبعدهم عن معصيته - صلوات الله عليهم ورحمته وبركاته -.

وقال في كتاب حقائق المعرفة، بعد ذكره لهذه الآية؛ فقال:

فمخرج الآية: يدل على أن الله تعالى اصطفى آل إبراهيم وآل عمران على العموم والكمال، والمعنى: أنه خص بالاصطفاء من آل إبراهيم وآل عمران من يستحق الاصطفاء؛ لقوله تعالى: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾[البقرة:١٢٤].

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥)﴾[آل عمران: ٣٥]

قال في مجموع المرتضى عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه في ما يخبر عن امرأة عمران في قولها: ﴿رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قولها: ﴿إني نذرت لك ما بطني محررا﴾: إني أسلمت وخلصت ذلك لك، وفي عبادتك، لا أشغله بشيء من خدمتي، ولا أدخله في شيء من أعمالي؛ وذلك أن هذه الكلمة كان يقولها الصالحون وينذرونها: أن يسلموا أولادهم، ويفردوهم لطاعة ربهم، ولا يشغلوهم بشيء من خدمتهم؛ إذ الوالد لا يستغني عن خدمة ولده وقيامه، فأرادت بذلك: أني أسلمته، وأفردته لعبادتك، ولا أشغله بشيء من أمري؛ فهذا معنى قولها: ﴿إني نذرت لك ما في بطني محررا﴾.

وقال في مجموع الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام:

وسألت عن: معنى قول الله سبحانه: ﴿إذ قالت امرأت عمران...﴾ الآية؟

والجواب: اعلم أن هذا خبر من الله جل اسمه عن امرأة عمران، وما نذرت لله مما في بطنها، وكان مثل ذلك في ذلك الزمان يفعله الصالحون؛ فكان ربما نذر أحدهم أن الله إن رزقه ولدا ذكرا لم يشغله بشيء من شغل الدنيا، ولم يستعنه فيما يستعان الأولاد فيه، ولم يصرف ذلك الولد في شيء من الأشياء إلا في عبادة الله،

وتعليم ما يدعوا إلى طاعة الله؛ فلما ولدت امرأة عمران بنتا، قالت ما حكى الله عنها: ﴿رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (٣٦) فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا﴾، وقبل جل اسمه ابنتها كما كان يقبل البنين، وجعل فيها من البركة ما جعل في النبيين، وجعل ابنها نبيا من المرسلين، صلوات الله عليهم من أهل بيت أجمعين.

وقال في مجموع الإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام:

المسألة العشرون: عن قوله تعالى حاكيا عن أم مريم: ﴿رب إني نذرت لك ما في بطني محررا﴾: ما معنى هذا النذر؟ وعن قولها: ﴿رب إني وضعتها أنثى﴾؟

الجواب عن ذلك: أنها نذرت أن الله عز وجل إذا رزقها ولدا جعلته محررا في الرق، والتحرير هو: التكرير والترديد؛ فكأنها أكدت ذلك النذر، وكانت تنذر به لخدمة البيعة، فلما وضعتها حرجت بذلك؛ إذ المرأة لا تصلح لذلك، فقالت ما حكى الله عنها، وكان النذر بذلك جائزا في شرعهم؛ فاعلم ذلك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)﴾ [آل عمران: ٣٧]

قال في مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وإن سأل: عن قول الله: ﴿يرزق من يشاء بغير حساب﴾، فقال: أليس قد يحاسبهم في الآخرة، ويسألهم عما أنفقوا من أموالهم فيه، فما معنى قوله: ﴿بغير حساب﴾، وهو فقد يحاسبهم ويسألهم عما يؤتيهم؟

قيل له: إن المحاسبة فيه لهم ليست تكون على إنفاق نفس تلك الأموال التي رزقهم، وإنما يحاسبهم على ما اكتسبوا وفعلوا، وما كنزوه بها وبأسبابها، لا عليها

هي أنفسها؛ ألا ترى أنه إنما يحاسب من صرف رزق الله في الحرام دون الحلال، لا من صرف رزقه في الحلال دون الحرام، ولو كانت المحاسبة منه تقع على الأموال أنفسها - لكان الحساب يقع على المنفق لها في الطاعة، والمنفق لها في المعصية؛ فمن صرف رزق الله في ما رزقه إياه - كان له غير محاسب له عليه؛ ألا تسمع كيف يقول الله سبحانه لنبيه سليمان عليه السلام: ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾، يقول: غير مسؤول ولا محاسب.

وقد يخرج معنى قوله: ﴿بغير حساب﴾ على معنى آخر: رزقه من يرزق من عباده: ليس من شيء عنده مجموع، معد لذلك مصنوع، يخرج منه أجزاء محسوبة من أجزاء، و تبقى منه أجزاء؛ فأصله عن أجزاء؛ فأخبر أن رزقه من سعة لا تحصى، وأنه إذا شاء أن يعطي عباده أعطى؛ ولو كان يرزق من شيء مجموع - لكانت أرزاقه تنقص؛ إذ أصلها الذي يخرجها منه - تنقص بخروجها منه، فتبارك الله رب العالمين، وتقدس أكرم الأكرمين.

قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: من آية (٣٩)]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه في يحيى صلوات الله عليه، فقلت: ما معنى الحصور حين يقول: ﴿وسيدا وحصورا﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الحصور فهو: الذي حصر نفسه عن النساء، فكان صلى الله عليه هو الذي قد حصر نفسه عن ذلك، وقد يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((لا حصر بعد يحيى، ولا سياحة بعد عيسى، ومن رغب عن سنتي فليس مني؛ عليكم بالمساجد)).

قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [آل عمران: ٤١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول زكريا: ﴿رب اجعل لي آية﴾؟

يقول: عند الحمل بيحيى، والخلق له؛ فجعل الله عز وجل آية ذلك: سكوته، وانقطاع الكلام منه ثلاثة أيام إلا رمزا، والرمز فهو: الإشارة والإيماء إلى ما أراد، فلما قر يحيى صلوات الله عليه في بطن أمه امتنع الكلام من زكريا، فكانت هذه آية ودلالة عند خلقه وتكوينه ليحيى صلوات الله عليهما.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥)﴾ [آل عمران: ٤٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك﴾، وقال في موضع آخر: ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾، فقلت: ذكر في موضع ملائكة، وفي موضع ملكا واحدا؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: اعلم هداك الله أن قول الملائكة ﴿إن الله يبشرك﴾ هو والله أعلم: من بعد حملها به بشرتها الملائكة بفضله، وبنبوته، وما جعل الله فيه، وخصه به.

والروح الذي لقيها، وأعلمها بتكوين الله له، وما قضى من حملها به فهو: جبريل صلوات الله عليه، فكان معلما مبتدئا أولا بما حكم الله به، من خلق عيسى في بطنها، وما قدر الله من ذلك فيها ولها، وكانت الملائكة أخرا مهنئين

لها، معلمون بما جعل الله في ولدها من البركات، والآيات المعجزات.

والأكمه الذي سألت عنه فهو: الأعمى الذي لا يبصر شيئا، فكان صلى الله عليه يبرئه من عماه بقدرة الله وأمره.

وإتيان الملائكة إلى مريم فإنما هم: رسل من قبل الله سبحانه، أمروا بذلك غير متكلفين، ولا بقول مبتدئين، ولا عما أمر الله سبحانه زائغين؛ بل له مطيعين، ولأمره منفذين.

قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦)﴾ [آل عمران:٤٦]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿ويكلم الناس في المهد وكهلا﴾، فقلت: هل كان متكلما صغيرا؟

وقد كان صلوات الله عليه يتكلم في مهده، فكان من كلامه في مهده آيتان عجيبتان، إحداهما: إثبات لنبوته، ومعجزة ظهرت له؛ إذ الاطفال لا يتكلمون في المهد؛ فعلم الخلق جميعا: أن الكلام لم يكن من عيسى عليه السلام إلا بإنطاق الله له، وأن تلك حال لا ينالها أحد إلا بعون الله له فيها، واقداره عليها، والثانية: فبراءة لأمه الطاهرة المطهرة من قول اللبس، وما تكلم به فيها أهل البغي والرجس.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران:٥٢]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام في سياق كلام ما لفظه:

فلما أحس عيسى - صلى الله عليه - كفرهم، وتوجس بإصرارهم على الكفر

أمرهم، كما قال الله سبحانه: ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله﴾، يريد: من المهاجر معي إلى الله، والتابعون لي سياحة في سبيل الله؟؛ ولسياحته في الله، ونصيحته بها لله، سماه الله: مسيحا، وكان لله فيها نصيحا...(إلى آخر كلامه عليه السلام)

وقال في كتاب حقائق المعرفة:

﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر﴾، بمعنى: سمع منهم الكفر.

قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ(٥٤)﴾[آل عمران: ٥٤]

قال في مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته: عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾، فكيف المكر منهم، وكيف المكر من الله بالماكرين؟

فقال: أما مكر العباد فهو: ما يخفون ويضمرون، من إرادة المكر لمن به يمكرون، وستر ما يريدونه من الغوائل لمن يغتالونه؛ فهذا المكر من الآدميين.

وأما المكر من الله فهو: علمه بما يضمرون، والاطلاع على ما يخفون ويعلنون؛ فأخبر الله: أنه يعلم ذلك فيهم من قبل أن يفعلوه، ويطلع على خفي ما يخفونه في أنفسهم قبل أن يبدوه، فليس أحد يعلم علمه، ولا يطلع على شيء من إرادته، تعالى رب العالمين، الذي لا يحتاج إلى النية والضمير، في الصغير ولا في الكبير.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾، قلت: ما معنى ذلك؟

وقد سئل جدي القاسم صلوات الله عليه عن هذه المسألة، فقال: أما مكر الله واستهزاؤه فهو: استدراج الله وإملائه، ومكر من كفر بالله ربه فإنما هو: احتيال من الذين كذبوا وحيه، واستهزاء من كفر بالحق والمحقين، فيشبه كذبا في القول والفعال بالمحقين؛ فكل ما قيل أبدا للمبطلين: " خادعوا، ومكروا " فإنما يراد به فيهم: كذبوا وكفروا، وأظهروا خلاف ما أبطنوا وأسروا، ومتى ما قيل: " استهزأوا، وسخروا" فإنما يراد به: يلعبوا، وبطروا؛ وفي ذلك ما يقول سبحانه لنبيه عليه السلام: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم (٦١) وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين (٦٢) وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم (٦٣)﴾، يقول سبحانه: وإن يريدوا أن يخدعوك، فيمكروا بالكذب فيما أعطوك، معطوك المسالمة كذبا، ويكذبونك بالمخادعة تلعبا - فحسبك في ذلك تأييد الله ونصره، وبما ألف بين قلوب المؤمنين على دينه وأمره، وإذا كان استهزاؤهم ومكرهم إنما هو إخفاؤهم ما يخفون، وسترهم من أمرهم ما يسترون - فأمور الله أستر وأبطن، وأخفى عنهم وأكن؛ وذلك فقد يكون مكرا من الله بهم؛ استهزاء واختداعا من الله لهم صاغرين؛ فلذلك كان الله سبحانه خادعا لمن خدعه، لا مخادعا ولا مخدوعا، وكان قلب من خادعه سبحانه عن العلم بمكر الله مقفلا مطبوعا، ليس لله فيه[1] حذار، ولا لهم عن مكره ازدجار، حتى يدهاه من أخذ الله دواهيه، وهو لا يوقن بأن شيئا منها يأتيه، كما قال الله سبحانه: ﴿فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾.

---

(١) - "فيه" خبر، و" لله " متعلق بـ"حذار".

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه لسلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وإذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل عن هذه المسألة جدي القاسم صلوات الله عليه، فقال: معنى ﴿متوفيك﴾ فهو: متوفيك إلي صحيحا غير مكلوم، ﴿ورافعك إلي﴾ من الأرض التي هي مأوى كل أثيم ظلوم غشوم، فرفعه الله – لا شريك له – كما قال: إلى سمائه غير مقتول، ولا مجروح يجرح[1] في عضو من أعضائه، كما قال الله سبحانه: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه﴾، ثم قال: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ ممن يدرك عيسى، وقوله: ﴿قبل موته﴾ يقول: قبل موت عيسى ووفاته، وهو صلى الله عليه حي في السماء لم يمت بعد، وهذه خاصة له من الله، لم يدركها قبله ولا بعده أحد، ولا بد بعد طول بقائه من أن يعيش إلى ما وعد الله به غيره من فنائه، كما قال سبحانه: ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾.

---

(١) – بجرح. ظناً. (جامعه).

قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١)﴾ [آل عمران: ٦١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيىٰ عليه السلام: هذه نزلت في نصارىٰ نجران، أيام وفدوا إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما أن بين لهم الحق، وأوضح لهم الصدق، وكابروه وجاحدوه من بعد أن قام الحق عليهم، وثبتت الحجة في رقابهم، حتىٰ كان من قولهم: أن أجروا ذكر المباهلة؛ وذلك أن المباهلة كانت في سالف الدهر، وعند اختلاف أهل الباطل والحق، فكانوا إذا تباهل الحزبان أنزل الله العذاب علىٰ الكاذب منهما، فأنزل الله سبحانه علىٰ محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن قال لهم: ﴿تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله علىٰ الكاذبين﴾، فلما أن وعدهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المباهلة، وغدوا إليه لذلك، فيقال: إن الشيطان تشبه لهم، أو ناداهم بصوت أسمعهم، فقال: إن باهلكم محمد بأصحابه كافة فباهلوه، وإن باهلكم بنفسه وابن عمه وولده، فلا تباهلوه فتهلكوا. فلما أن خرج صلى الله عليه وآله وسلم لمباهلتهم - خرج معه علي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام، فلما رأوهم معه خصوصا منفردين من غيرهم جبنوا عن مباهلته، ورجعوا خائبين، وبالذلة والصغار معترفين؛ فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم الجزية، وهي: ما بلغكم من الأواق والحلل.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢)﴾ [آل عمران: ٧٢]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليهما السلام في معنى ﴿وجه النهار﴾ ما لفظه:

يعني: صدر النهار. وقال بعض أهل العلم: أول النهار.

وقال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا قول من أهل الكتاب، أهل الكفر والارتياب، يأمر بذلك بعضهم بعضا: أن آمنوا وجه النهار واكفروا آخره؛ استهزاء بالدين، وجراءة على المؤمنين؛ أراد بذلك: أن يراهم الناس والجهال، وأهل الكفر والضلال يؤمنون به حينا ويقبلونه، ويكفرون به وقتا ويجحدونه، ويوهمون بذلك أنما هم عليه باطل، وأنهم بعد أن دخلوا في الإيمان خرجوا منه؛ تمردا وعصيانا، وتنهيدا [1] لمن لا دين له ولا حقيقة معه على الكفر، قال بعض المفسرين: إنهم كانوا يؤمنون ضحى، ويكفرون عشيا.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

أن المرتضي عليه السلام سئل عن هذه الآية، وأن السائل قال:

---

(١) – أي: تنهيضا لهم على الكفر، قال في القاموس المحيط ما معناه: نهد الرجل: نهض، والمناهدة: المناهضة في الحرب، والمساهمة بالأصابع. اهـ

ما معنى ذلك، وما أراد بالقنطار؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد أجاب في هذه المسألة جدي القاسم صلوات الله عليه، فقال: تأويل ذلك: أن من أهل الكتاب من يستحل كل مال المسلم، يهودي أو نصراني، ويقول: إن الأرض وما فيها من الله طعمة، وتفسير القنطار فقد يقولون: إنه الجبل الكبير، لا يصله جبل، والقنطار أيضا: ما يتعارف الناس بينهم من الوزن.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)﴾ [آل عمران: ٧٧]

قال في كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليه السلام:

الخلاق: النصيب.

وفي مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام ما لفظه:

وقال الله جل ذكره، وهو يذكر أهل النار: ﴿أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾؛ تأويل ذلك: أنهم لا يرجون من الله جل ثناؤه ثوابا، ولا يفعل بهم خيرا، وأهل الجنة ينظر الله إليهم، وينظرون إلى الله جل ثناؤه، ومعنى ذلك: أنهم يرجون من الله خيرا، ويأتيهم منه خير، ويفعله بهم، وليس معنى ذلك: أنهم ينظرون إليه جهرة بالأبصار، عز ذو الجلال والإكرام، وكيف يرونه بالأبصار، وهو لا محدود ولا ذو أقطار، كذلك جل ثناؤه لا تدركه الأبصار، ومن أدركته الأبصار فقد أحاطت به الأقطار، ومن أحاطت به الأقطار كان محتاجا إلى الأماكن، وكانت محيطة به، والمحيط أكبر من المحاط به، وأقهر بالإحاطة،... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في مجموع الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قول الله سبحانه: ﴿أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾، ليس يريد بذلك: أنه يدركهم ولا يراهم، وإنما يخبرهم سبحانه عن هوانهم عليه، واطراحه لهم، وأنه لا ينظر إليهم بثواب ولا رحمة، وأنه يزيل عنهم ذلك اليوم كل رضا وكل نعمة... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في كتاب الأحكام بعد ذكره هذه الآية:

وقوله تبارك وتعالى: ﴿لا خلاق لهم في الآخرة﴾ فهو: لا نصيب لهم في ثواب الله في الآخرة.

وأما قوله: ﴿لا يكلمهم الله﴾ فمعناها: لا يبشرهم الله برحمته، ولا يخصهم بمغفرته، ولا ينظر إليهم بنعمته.

وأما قوله: ﴿ولا يزكيهم﴾ فهو: لا يحكم لهم بتزكية، ولا يختم لهم برحمة ولا بركة، ولا يجعلهم في حكمه من الزاكين، ولا عنده من الفائزين.

قال: وهذه الآية نزلت في رجل حلف لرجل عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يمينا فاجرة باطلة، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((من حلف على مال أخيه فاقتطعه ظالما لقي الله يوم القيامة وهو معرض عنه)).

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾، فقلت: ما معنى النظر في هذا الموضع؟

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: النظر على ثلاثة أوجه: نظر البصر، وذلك لا يجوز على الله تبارك وتعالى، ونظر العلم والذكر، ونظر العطف كقول الرجل للرجل: " أنظر إلي نظر الله إليك "، أي: أحسن إلي أحسن الله إليك، ونظر

العلم فهو: ما يكون من العلوم، مثل: نظر العين، والذكر: فيقول: " ذكرني فلان بخير"، أي أحسن بي النظر، و" أنظر إلي نظر الله إليك"، أي: بخير مثله، ويقول الرجل لصاحبه: " لا سمع الله لك "، والله عز وجل يسمع، وإنما يعني به الداعي: لا استجاب له دعاه، وكذلك قوله: "سمع الله لمن حمده"، والله عز وجل يسمع من حمده ومن لم يحمده، قال الشاعر:

دعوت الله حتى خفت أن لا ... يكون الله يسمع ما أقول

يعني: أن لا يستجيب لي دعائي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١)﴾ [آل عمران: ٨١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الرسول فهو: محمد صلى الله عليه وآله، والمخاطبون فهم: أهل الكتاب، ومعنى ﴿مصدق لما معكم﴾ فهو: مصدق لما كان في كتابكم، من ذكر محمد عليه السلام ونبوته، وإرسال الله له إلى الخلق كافة بوحيه، فكان معهم في كتبهم مذكورا موصوفا، فلما أن كان ذكره وصفته في كتبهم، ثم بعثه الله عز وجل على الصفة والحال التي أعلمهم بها، ووعدهم إياها - كان ذلك تصديقا من الله لما وعدهم به، ولما أخبرهم بعلمه.

وفي مجموع الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام، وقد سئل عن الإقرار والإصر المذكورين في هذه الآية، فقال:

الجواب: أن الله تعالى أخذ ميثاق الأول من الأنبياء للآخر، والإقرار: ظاهر، والإصر هو: الواصل بين الناس من رحم، أو حلف، أو دين.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣)﴾ [آل عمران:٨٣]

قال في المجموعة الفاخرة:

وإنما معنى قول الله سبحانه: ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها﴾ هو: المعرفة به، والإقرار بربوبيته، وأنه الخالق غير مخلوق، والرازق غير مرزوق، كما قال سبحانه: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ [العنكبوت: ٦١]، فهذا معنى ما أراد الله - والله أعلم - بقوله: ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها﴾؛ لأن الإسلام يخرج في اللغة على معنيين:

فأحدهما: الإقرار بفعل الفاعل، والتسليم له، وترك المكابرة له في فعله، والمعاندة له بالإنكار لما يحدث من صنعه.

والمعنى الثاني: فهو الاستسلام لأمر الآمر، والإنفاذ لما حكم به، والانقياد لجميع ما قيد إليه، وصرف من الأفعال فيه.

فعلى المعنى الأول ما يخرج به تفسير الآية، لا على المعنى الثاني الذي توهم الحسن بن محمد: أن عليه يخرج معناها، ولو كان ذلك كذلك، أو قارب شيئا من ذلك - لكان جميع الخلق لله مطيعين، وفي أمره سبحانه متصرفين، طائعين كانوا أو كارهين، ولو كان كما يقول هو ومن معه من الجاهلين، إذا لما وجد أنبياء الله لله في الأرض عاصين، ولكان الله تبارك وتعالى بإكراهه لهم على طاعته، وإدخالهم قسرا في مرضاته- مجتزيا مكتفيا عن نهيهم عن معصيته، ولما احتاج الخلق إلى المرسلين، ولما حذرهم الله من حذر، من مردة الجن والعالمين.

وأما قوله: ﴿طوعا وكرها﴾، فالمطيع منهم في ذلك هو: من أطاع الحجة

المركبة فيه، والشاهدة بالحق له وعليه، من اللب الذي ينال به التمييز بين كل شيئين، ويثبت له به الرضى والسخط في الحالين، فمن أنصف لبه، وقبل ما أدى إليه معقوله من معرفة ربه - كان منصفا طائعا، متحريا للحق خاضعا. والمكره فهو: من كفر وتعدى، وكابر لبه وأبى، وعند عن الحق وأساء، حتى [إذا] أدركه البلاء، واشتد عليه الشقاء، ونزلت به النوازل، واغتالته في ذلك الغوائل - رجع صاغرا إلى إنصاف لبه، ولجأ فيما ناله إلى ربه، واستسلم وأسلم له، كمن ذكر ذو الجلال، ممن تعدى في الغي والمقال، حين يقول ويخبر عنهم، ويقص ما كان من أخبارهم، حين يقول ويخبر عن فرعون، فقال: ﴿حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ [يونس: ٩٠]، ومثل قوله: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ [العنكبوت: ٦٥]، ومثل قوله: ﴿وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ [الروم: ٣٣].

وقال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه ترجعون﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى أسلم فهو: استسلم لأمره، وانقاد لما قضى به من حكمه، ومعنى: ﴿طوعا وكرها﴾ فقد يخرج على ثلاثة وجوه:

أحدها: أن يكونوا أطاعوا أمره مسرعين، كطاعة الملائكة المقربين، الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وكطاعة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد يكون معنى كرها: كمثل من كان لله عاصيا، ولطاعته مجانبا، فيرجع إلى

طاعته، بما حكم الله به عليه، وأمر به أوليائه فيه، من قتله وقتاله، حتى يفيء إلى حكم الله صاغرا، وينقاد إلى ما أمر به راغما.

وقد يمكن أن يكون معنى قوله: ﴿أسلم... طوعا وكرها﴾ يخرج على: ما أراد الله سبحانه من خلق الأشياء، وهو: الوجه الثالث؛ إذ كان لا يمتنع على الله شيء مما فطر من السماء والأرض وما بينهما، وما خلق وجعل فيهما، فإذا أراد الله سبحانه إيجاد شيء أوجده وكونه، وعلى أي صورة شاء جعله وركبه، لا يمتنع عليه من مفطوراتها ممتنع؛ فهو الموجد سبحانه للخلق من بعد العدم، الفاطر لهم، المكون الجاعل لأرواحهم، المركبة في أجسادهم، المقدر الخالق لألوانهم، الجابر لهم على ذلك سبحانه وتعالى؛ فعلى هذا المعنى يخرج ما سألت عنه؛ ألا تسمع كيف يقول سبحانه في كتابه: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾، والأرض فليس تكلم ولا السماء، وإنما أخبر الله عز وجل بكون ما أرد من إنفاذ أمره، وأنه لا يمتنع عليه شيء خلقه؛ لأن العرب تعرف في لغتها: أن كل ما لابد من إيتائه طوعا أو كرها: أنه شيء لا حيلة فيه، ولا مرد له، وهو حتم نافذ؛ فجاز أن يقول: ﴿طوعا أو كرها﴾؛ إذ هو جائز في اللغة، موجود في الكلام والمخاطبة؛ والمعنيان الأولان جواب مسألتك، إلا أنا نحب إذا وقع للمسألة وجوه تخرج عليها - أن نشرحها جميعا؛ ليكون ذلك إشفاء لقلب السائل، ولو اجتزينا بالوجه الذي يؤدي جواب المسألة لكان ذلك مغنيا، وحسبنا ذو القوة المتين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠)﴾ [آل عمران: ٩٠]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام، وقد سئل عن هذه الآية:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا إخبار من الله عز وجل بحال من عصاه، وصد عن أمره وعاداه: أنه لا يقبل منه التوبة على ما هو عليه من المعصية والمناواة؛ ألا تسمع كيف يقول عز وجل: ﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا﴾، فأخبر سبحانه: أنهم كفروا ثم ازدادوا، ولم يتوبوا بإخلاص ولا نية، ولم يرجعوا بإقلاع ولا حقيقة، ولم يخبر عز وجل لهم بتوبة وإخلاص، وإنما أخبر بتماديهم في ضلالهم، وتزايدهم في كفرهم وعنادهم، ولو كانت توبتهم بصحة ونية، وعزيمة وبصيرة - لقبل الله توبتهم، وغفر خطيئتهم؛ ألا تسمع كيف يقول تبارك وتعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾، وقد يمكن ويكون أيضا، وينتظم تفسير هذه الآية، ويدخل فيها: رجل مقر بأمر الله غير مشرك، وهو كافر لنعمه، مرتكب لمعاصيه، وهو يتوب بقوله، ويخالف بفعله؛ فهذا كافر نعمة، لن يقبل منه إلا إخلاص التوبة، والرفض لما هو عليه من الخطيئة، وليس ذلك كما قالت المرجئة: أن التوبة نافعة مع الإصرار على الخطيئة؛ إذ كان قولهم واعتقادهم: أن الإسلام قول بلا عمل؛ فضلوا في قولهم، وخسروا في مذهبهم، وهلكوا بذلك عند خالقهم.

وقد قيل في تفسير هذه الآية: أنهم جماعة رجعوا إلى مكة عن الإسلام، منهم: الحارث بن سويد، فلما بعثوا إلى النبي صلى الله عليه وآله، يطلبون منه الإقالة والمتوبة - لم يقبل ذلك منهم صلى الله عليه وآله، فلما نزل من الله سبحانه قبول التوبة بلغهم ذلك، فرجع الحارث بن سويد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقبل منه، وقال الآخرون: نحن نتربص بمكة بمحمد ريب المنون، فإن يظهر يقبل منا كما قبل من صاحبنا، وإلا كنا فيما نحن فيه من التمتع بما له رجعنا، وله قصدنا.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾[آل عمران: ٩٣]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد ذكر أن إسرائيل أصابته علة من عرق النساء، وقد قيل: إنها عروق خرجت به، فحرم على نفسه: ألا يأكل عرقا، ولا يأكل لحوم الإبل؛ فهذا الذي حرم إسرائيل، فكانوا إذا ذبحوا الذبيحة أخرجوا عروقها جميعا؛ فهذا تفسير الآية ومعناها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦)﴾[آل عمران:٩٦]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام ما لفظه:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه آية قائمة بنفسها، مستغنية عن التفسير لها؛ ألا تسمع كيف يقول عز وجل: ﴿إن أول بيت وضع للناس ببكة مباركا﴾، وهو: بيت آدم صلى الله عليه، الذي ابتناه عند خروجه من الجنة التي كان فيها وفي ظلالها، فاحتاج عند ذلك إلى الظل والكنان، فدله الله على بنيانه، فكان أول بيت بني في الدنيا، وكان فيه صلى الله عليه ساكنا، وحوله قاطنا، وهو البيت الذي أقسم الله به في قوله: ﴿والبيت المعمور﴾، وهو قبلة إبراهيم، وقبلة محمد صلى الله عليهما، وقبلة الخلق إلى منقطع الدنيا.

وذكرت: أن بيت آدم رفع إلى السماء؟

وليس من ذلك شيء؛ بل هو البيت الحرام، المتعبد به جميع الأنام، الذي يطاف به الآن، ويقصده جميع أهل الإيمان.

قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) ﴾[آل عمران: ٩٧]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه آية محكمة، لا تحتاج إلى تفسير في نفس الحج، وهو من الله فرض على جميع الخلق.

وأما السبيل فهو: وجود الراحلة، والزاد، و الأمن؛ فإذا كان ذلك وجب على كل مسلم الحج، فإن تركه تارك استخفافا وإطراحا، فقد ترك فريضة من فرائض الله، ولزمه اسم الكفر، وإن كان تأخره لعلة مانعة، أو فقر مجحف، أو خوف متلف - فهو عند الله معذور، فمتى استراح من علله وجب عليه أن يخرج إلى طاعة ربه، وينهض حاجا إلى بيته.

وقلت: إن كان رجل عازما على الحج، ثم نزلت به نازلة منعته عما أمل من قصده، فأوصى بثلث ماله يحج به عنه: هل يجوز أن يدفع إلى من يحج به عنه من المدينة أو الكوفة، إذا كان لا يكفيه للحج من بلده؟

ولم تشرح المعنى جيدا في هذه الوصية، فإن كانت النازلة التي نزلت به عند قصده للحج نازلة موت، فأوصى بثلث ماله يحج به عنه - فلا بأس: أن يدفع بالمدينة أو بالكوفة، ليحج منها عنه إذا كان لا يبلغ من يخرج من بلده، وإن كانت النازلة بالرجل من مرض فهو على نيته، وما أمل في أداء حجه، فإذا أزاح

الله ما به من علته خرج بنفسه، ولم يكل ذلك إلى غيره.

وقلت: إنا جعلنا الحج من الثلث إذا أوصى به الميت.

وكذلك فعلنا؛ لأن كل وصية عند الوفاة فإنما تخرج من الثلث، ولم يجعل الله للموصي عند الموت أن يوصي بأكثر من ثلثه، فأجزنا ما أجازه له خالقه، ومنعناه مما لم يجزه سبحانه له، والحج فإنما هو فرض على الرجل في رقبته، يؤديه لنفسه بحركاته وسفره، وحطه ورحله، وأما إذا حضرت الوفاة فليس له في المال إلا الثلث.

وقلت: هل يخرج من سائر المال للحج إذا لم يكفه الثلث؟

وليس ذلك يوجب على الورثة، ولا يلزمهم من حكم الله؛ فإن تبرعوا بشيء وأجازوه، فذلك بر منهم وإحسان، وليس بلازم لهم، ولا واجب عليهم.

وقال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام في سياق كلام ما لفظه:

وقال عز وجل في آل عمران: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾، معنى ذلك: من ترك ما فرضته عليه من الحج وعصاني، فإني غني عنه؛ فجعله بترك طاعته كافرا. وقد قال بعض من يروم إطفاء نور الله: معنى ﴿من كفر﴾: من جحدني وأشرك بي. وليس ذلك مشبها لمقتضى الآية؛ لأنه سبحانه أمر بفرض من فرائضه قوما يقرون ويؤمنون بوحدانيته، ويصدقون رسوله، ثم قال على إثر ذلك الفرض: ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ فمعنى ذلك: فمن ترك ما أمرت، فكفر بتركه إياه، فإني غني عنه... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]

قال في كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليه السلام:

وقال أبو الحسين زيد بن علي عليهما السلام في قوله عز وجل: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا﴾: هو القرآن، هو حبل الله الذي من اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم.

قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وقوله عز وجل: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾ يريد: كلهم، وقال لبيد بن ربيعة الكلابي:

تراك أمكنة إذا لم أرضها ... أو ترتبط بعض النفوس حمامها

فقال: " بعض النفوس "، وإنما أراد: النفوس كلها... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾، وقلت: هل هنالك إلا مسود الوجه أو مبيضه ؟

وهم - رحمك الله - وإن كانوا كذلك، وعلى ما ذكر الله سبحانه من ذلك، فهم فرق أصناف، بينهم في أحوالهم اختلاف، فمنهم: مؤمن وفاسق، ومشرك ومنافق، وقاتل وقاذف وسارق، وتنزيل الآية فيما سألت: خاص غير عام؛ لأنه ليس كل من يسود وجهه يقال له: كفرت بعد الإيمان؛ لأن في النار من فرق

الكفار من لم يكن مؤمنا قط في دنياه، ولم يزل على كفره فيها وعماه؛ فكيف يقول لأولئك: ﴿أكفرتم بعد إيمانكم﴾ [آل عمران: ١٠٦]؟! أليس هذا عندك من أزور الزور، وأبهت البهتان ؟!

وابيضاض الوجوه هنالك فإنما هو: سرورها وبهجتها، واسوداد الوجوه إنما هو: حزنها وحسرتها؛ والقول في هذا يومئذ من القائلين فإنما هو: لمن كفر بعد إيمانه برب العالمين.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (١٠٨)﴾ [آل عمران: ١٠٨]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الآيات فهي: ما أنزل الله سبحانه من كتابه، وما جعل الله فيه من آياته ودلائله، التي توجب الطاعة، وتذهب المعصية، ويتم بها من الله على عباده النعمة، آيات حق، ومثبتات لصدق، مع رسول أمين، مقرب عند ذي العرش مكين، مستودع من أخبار الأولين والآخرين، مع علم ما سيكون في يوم الدين، والآيات التي جاء بها محمد صلى الله عليه وآله تشهد على نبوته، وتفلج خصمه، وتقيم الحجة له؛ ألا تسمع كيف يقول سبحانه في أول العشر: ﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾، فكل هذه آيات وتبصرة، وهداية للحق وتذكرة.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَاعَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)﴾[آل عمران: ١١٨]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، وقد أورد هذه الآية في سياق كلام ما لفظه:

وتأويل ﴿من دونكم﴾ هو: من غيركم، يقول سبحانه: لا تتخذوا بطانة من غير أهل دينكم، والبطانة في المقارنة هم: القرناء، كما البطانة في المخادنة هم: الخدناء؛ فمن قارن أحدا في المحل فهو له بالمجاورة: بطانة وقرين، كما أن من خادن أحدا بمحل هو له بالمخادنة: بطانة وخدين، وإنما قيل للبطانة بطانة: لأنها مخآصة ومقارنة؛ فنهى الله سبحانه المؤمنين: أن يتخذوا الظالمين أخلاء أو خدناء، أو جيرة أو قرناء؛ لأن من لا يدين دينهم لا يألونهم خبالا، وإن لم يظهروا لهم حربا ولا قتالا؛ لأنهم يرجعون أبدا بهم وفيهم، عيونا ذاكية لعدو الله عليهم، يجادلونهم بالباطل؛ ليدحضوا به حقهم ودينهم، ويعارضونهم فيه بزخرف القول؛ ليوهنوا به علمهم ويقينهم؛ فبعلم من عليم، وتقدير من حكيم، ما نهاهم الله عن موالاتهم ومخآلتهم، ومنعهم من مجاورتهم ومحآلتهم.

وقال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون (١١٨)﴾، إلى قوله: ﴿إن الله بما يعملون محيط (١٢٠)﴾[آل عمران: ١٢٠]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا

بطانة من دونكم﴾: نهي منه عز وجل للمؤمنين: أن يتخذوا بطانة، والبطانة فهي: الخاصة الموثوق بهم، المحبون المكرمون؛ فنهاهم الله سبحانه: أن يتخذوا الكافرين بطانة وأولياء، ثم قال: لا يألونكم خبالا، فأخبرهم أن هؤلاء الذين اتخذوهم بطانة لا يألونهم خبالا، والخبال فهو: الإفساد والمكيدة والاحتيال، ثم قال عز وجل: ﴿ودوا ما عنتم﴾، فأخبر: أنهم يودون ما عنت به المؤمنون، والعنت فهو: الهلاك؛ فأخبرهم: أنهم يودون ذلك ويحبونه ويشتهونه، ثم قال: ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم﴾ بقبح اللفظ، والكلام والطعن على المؤمنين، والإفساد على الصالحين، والمساعدة لمن حاربهم من الكافرين، ثم أخبر عز وجل أن ما تخفي صدورهم أكبر مما هم مضمرون، وله معتقدون في المؤمنين من التحسر عليهم، والطلب لهلاكهم، والتغيظ عليهم في جميع أحوالهم؛ فقلوبهم على المؤمنين وغرة، وأنفسهم عليهم حنقة، يطلبون لهم الغوائل، ويؤلبون عليهم القبائل، ثم أخبرهم سبحانه تبيينا بذلك للمؤمنين، وإيقافا على مكائد الفاسقين، فقال: ﴿قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾، يقول: إن كنتم تفهمون، ثم قال عز وجل: ﴿هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم﴾ إعلاما منه سبحانه للمؤمنين: أنكم تعاملونهم بالصحة، وليس في محبتكم لهم غش ولا مكيدة، وهم يعاملونكم بالبغض والخيانة، ووغر الصدور، والانطواء على أقبح الأمور.

ثم قال سبحانه: ﴿وتؤمنون بالكتاب كله﴾، ولا تكذبون شيئا من حكمه، ﴿وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾، يقول عز وجل: إذا لقوا المؤمنين أعطوهم ظاهرا من القول، ومحالا من الكلام، وإذا خلوا عضوا - كما ذكر الله سبحانه - عليهم الأنامل من الغيظ، والأنامل فهي: الأصابع، وهذا يفعله كل من اشتد غيظه، وعظم حنقه؛ تأسفا وتحسرا، إذا قصرت يده عما لا يقدر أن يناله، فإذا كان ذلك عض أنامله، فقال الله عز وجل أمرا منه لنبيه وللمؤمنين: أن يقولوا للكافرين عند ما أخبرهم به سبحانه من

غيظ الظالمين عليهم: ﴿قل موتوا بغيظكم﴾، يريد: أنكم لن تبلغوا ما تأملون، ولا تقدرون عليه، ولا تلحقونه أو تفنون.

ومعنى: ﴿عليم بذات الصدور﴾ فهو: عليم بما استجن في الصدور، واستتر في القلوب؛ وعلمه بغامض السر والخفيات، كعلمه بما بان وظهر من الأفعال المعلنات، الواضحات البينات، لا يخفى عليه شيء، وهو السميع العليم.

ثم قال عز وجل: ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم﴾، فأخبر سبحانه: أنه إذا مس المؤمنين من الله حسنة، وأنعم عليهم نعمة، أو فتح عليهم فتحا – ساء هؤلاء الكفرة المذكورين وغمهم، ثم قال سبحانه: ﴿وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾، ومعنى ﴿يفرحوا﴾ فهو: يسروا ويستبشروا، ثم قال سبحانه: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط﴾، فأخبر سبحانه: أنه محيط بأعمالهم، مجازي لهم على جميع أفعالهم، حافظ للمؤمنين من كيدهم؛ إذ هو سبحانه ذو الفضل والإحسان، على جميع أهل الطاعة والإيمان؛ وهذا معنى الآيات، وما يخرج تفسيرهن عليه، والله ولي التوفيق.

قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[آل عمران:١٢٢]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: سئل عن هذه المسألة أبي الهادي إلى الحق صلوات الله عليه، فقال: هما بنوا سلمة، وبنوا حارثه، فكانت بنوا سلمة نحو سلع، وبنو حارثة نحو أحد، حين عبأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس، وذلك يوم الخندق.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته: عن قول الله سبحانه: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ ؟

والأيام: أيام الدول، فهي بين الناس كما قال الله: عقبون، وما فيها من إحسان أو إساءة: فأعمال لمن عملها من العمال، يثاب المحسن منها على حسنته، ويعاقب المسيء فيها بسيئته.

وقال في مجموع الإمام الهادي عليه السلام:

وأما ما سأل عنه من قول الله سبحانه: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾، فقال بزعمه، وتوهم بجهله: أن الله يديل أهل الكفر والعصيان، على أهل الطاعة والإيمان، وأنه أدال يوم أحد المشركين، على النبي ومن كان معه من المؤمنين - فليس ذلك كما ذهب إليه، وسنشرح ذلك إن شاء الله تعالى، ونرد بالحق قوله عليه، فنقول: إن الله جل جلاله يديل المؤمنين على الكافرين، ولا يديل الكافرين على المهتدين، كذلك قال في يوم حنين: ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ [الإسراء: ٦]، فكان برده الكرة للموحدين - هو المديل لهم على الكافرين، ولم يقل في شيء من كتابه وما نزله من آياته: إنه أدال أهل الشرك والنفاق، على أهل الدين والإحقاق.

فأما ما ذكر الله من المداولة بالأيام، بين جميع الأنام، فإن مداولته للأيام هو: إتيانه بالليل تارة، وتارة بالنهار، وما يأتي به ويداول بين عباده وأرضه فيهما من الأمطار، التي يحيى بها الأرضين، ويعيش بها جميع العالمين؛ قال سبحانه: ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد (٩) والنخل باسقات لها طلع نضيد (١٠) رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج (١١)﴾ [ق: ٩. ١١]؛ فسقى اليوم قوما هم إلى السقي محتاجون، وسقى غدا

آخرين، وما يحدث في الأيام من الأرزاق للعباد، وإحياء ما شاء من البلاد؛ ومن المداولة بالأيام بين الأنام: ما ينزل بهم من المصائب الهائلات، وما يمن به عليهم من الآلاء والنعم السابغات؛ من ذلك: ما يأخذ من الأقارب والآباء، والأخوة والأبناء، وجماعة القربى، وما يهب عز وجل لمن يشاء من الأولاد الذكور، وما يصرف ويدفع من الشرور؛ فهذه الأشياء كلها التي تكون في لياليه سبحانه وأيامه - مداولة منه - لا شك - بين عباده.

فأما ما يظن الجهال، وأهل التكمه في الضلال، من أن معنى هذه الآية هو: إدالة الفاسقين، على الحق والمحقين، وأنه يمكن في الأرض للفاجرين، ويمهد للفسقة العاصين، بما قد حرم عليهم، ولم يجعله بحمد الله لهم؛ بل شدده عليهم غاية التشديد، في ترك مشاقة أهل الحق والتسديد، وأمر في ذلك بالاتباع لهم، وترك الخلاف في جميع الأسباب عليهم- فهذا كذب منهم على رب العالمين، وكيف يجوز أن يديل ويمهد للعاصين؛ بل كيف يتوهم على الرحمن الكريم، الواحد ذي الجلال العظيم: أن يكون أدالهم، وأعطاهم ما عنه زجرهم ونهاهم؟!! فتبارك ذو السلطان المبين، عن مقالة أهل الضلال الجاهلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾؟

فصدق الله سبحانه، هو المكون لها، والمحدث لما كان من خلقها، وإنما أراد سبحانه بذلك: ما يداول منهم فيه، من: الغموم والهموم والأحزان، والفرح والسرور الذي تمر به على الإنسان، مما ينزل به السرور، بما يرزقون ويوهبون من الذكور، ويبسط لهم من الأرزاق، ويوسع عليهم من الإرفاق، ويبتلون من الثكل للأحياء، وما ينالهم من زوال السرور والرخاء؛ فمرة يستغني الفقير

المعسر، ومرة يفتقر الغني الموسر، وتارة يفرح هذا بما يولد له من الأولاد، وتارة يغتم ويهتم بما يخافه من الضعة والفساد؛ والأيام بين المخلوقين دول - كما ذكر رب العالمين- : بما يبسط لهم من الأرزاق، ويمن به عليهم من السعة والإرفاق؛ لا ما يتوهم الجاهلون، وينسب إلى الله الضالون، من إدالة الله للفاسقين، وتمكنته للفجرة العاصين، والإدالة فهي: نصر وتمكين، والله فلا يمكن إلا لعباده المؤمنين.

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾، فقلت: ما معنى ذلك؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد قيل في ذلك: أنها مداولة بينهم في الملك والغلبة، وقيل: إن الله عز وجل جعل بينهم الدولة، وهذا عندي فقول مدخول، ليس هو بصواب؛ ولكن أقول، والله الموفق: إن معنى قوله سبحانه: ﴿نداولها بين الناس﴾ فهو: إفناء قرون، وإحداث قرون، وأمور بعد أمور؛ ومداولتهم فيها فهو: ما جعل الله لهم من البقاء في مدتها؛ فقوم يموتون، وخلق يحدثون إلى انقطاع الأيام؛ وآخر الآية يشهد على ما قلنا به؛ ليجزي الله سبحانه كلا بفعله، ويعطيه على إحسانه، ويعاقبه على سيئته.

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢)﴾ [آل عمران:١٤٢]

قال في كتاب ينابيع النصيحة:

معناه: ولما تجاهدوا وتصبروا؛ لأنه لا فرق عند أهل اللغة العربية بين أن يقول: " ولما تجاهدوا وتصبروا "، وبين أن يقول: " ولما يعلم الله منكم الجهاد

والصبر "؛ بل هما سواء؛ لأن علم الله تعالى بالجهاد هاهنا عبارة عن: حدوث الجهاد، وعلم الله بالصبر عبارة عن: حدوث الصبر نفسه؛ فعنى حصول علمه بهما هو حصولهما؛ لأنهما لا يحصلان إذا حصلا إلا بعلم الله؛ فسواء قولك: " يكون كذا إن علم الله منك الجهاد والصبر "، وقولك: " إن جاهدت وصبرت ".

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣)﴾[آل عمران:١٤٣]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه نزلت في يوم أحد، فيما امتحن به المؤمنون، وناهم به المشركون، ومعنى قوله سبحانه: ﴿فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾، يقول: عاينتم من الشدة والهول، وحصول ما يقع به القتل والموت، وأنتم تنظرون؛ والعرب تسمي كل شيء أفظعها وهالها، وأيقنت فيه: بالهلكة والموت، تقول إذا وقعت في خطر أو أمر شديد: " رأينا الموت عيانا، ووقعنا في الموت "، وهذا جائز في لغتهم، حسن من كلامهم؛ وإنما خاطبهم الله بما يعرفون، وناجاهم بما لا ينكرون.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[آل عمران:١٤٥]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿بإذن الله﴾، أي: بعلمه، وكذلك فلا يموت أحد إلا بعلم الله، والكتاب المؤجل فهو: الوقت الذي قد علمه الله، وقدر فيه العمر والمدة.

وقلت: فإذا قتل الرجل: هل يكون ذلك بإذن الله وبأمره؟

فنقول- أكرم الله عن النار وجهك-: إن قتل الرجل بعلم الله، وليس علم الله الذي كان به قتله، وإنما علم الله ما كان من التعدي عليه، وأما بأمر الله وقضائه فمعاذ الله، ما أمر الله به، وكيف يأمر به، وهو يقول عز وجل: ﴿قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾، ويقول سبحانه: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾، ويقول: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم...﴾ الآية؛ فنهى عن قتل النفس، وذم فيها، وأوجب العقوبة على قاتلها؟!! وكيف يجوز أن ينسب إليه ما تبرأ منه، وأوجب العقاب عليه؟!! تعالى الله عن ذلك علوا كبير ا، وهل يمكن في عدل الحكيم أن يقضي بقتل عبد على عبد، وقضاؤه لا حيلة فيه ولا مخرج منه، ثم يعذب القاتل، ويأمر بقتله؟!! وهذا بعيد من العدل، والله برئ من ذلك؛ بل قد أمر خلقه بترك التعدي والظلم، فقال: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾، وقال: ﴿النفس بالنفس﴾، وقال: ﴿ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا﴾؛ فكيف ينسب إليه ما هو برئ منه سبحانه، ويأمر بخلافه، ويحكم بالتعيير على فاعله؟!!

وإن كنت أردت بقولك: " إن قتل المقتول بأمر الله ": من طريق ما حكم الله به على الظالمين، حيث يقول: ﴿فاقتلوهم حيث وجدتموهم﴾، وقوله عز وجل: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾، وما أطلق للأولياء من القتل للقاتل الظالم لهم، المتعدي عليهم؛ فهذا لعمري من فعل الله تبارك وتعالى، وأمره وحكمه على ظلمة خلقه؛ مكافأة لهم على فعلهم، ومجازاة على قبيح عملهم، من بعد إقامة الحجة عليهم، وتبيين الحق لهم؛ وفي هذا من الحجج كثير، لو شرحناه

واحتججنا به وفيه لكان متسعا كثيرا، والقليل المجزي الموافق في الديانة أنفع من الكثير عند من يخالف في المقالة؛ نسأل الله التوفيق لما يرضيه، ويقرب من الأمور إليه.

قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران:١٥١]

قال في مجموع الإمام الهادي عليه السلام، ما لفظه:

وأما ما سأل عنه من قول الله سبحانه: ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا﴾، فإنا نقول: إن الرعب إنما ألقاه الله جل ثناؤه في قلوبهم؛ نكالا وانتقاما منهم على كفرهم واشراكهم؛ ألا تسمع كيف فسر آخر الآية أولها، فقال: ﴿بما أشركوا بالله﴾، فكذلك الله سبحانه انتقم منهم بما أشركوا وكفروا، وخذلهم وتركهم من التسديد والتوفيق، فهلكوا وتلاشوا، وعندوا فضلوا، وهانوا فتفرقوا؛ إذ وكلهم إلى الضعف من أنفسهم، وإلى حولهم وقوتهم؛ فهانوا ورعبوا من القتال، ولقاء المؤمنين في تلك الحال، فكان تركه لهم بما قدموا من شركهم؛ رعبا داخلا في قلوبهم، مخامرا لصدورهم... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران:١٥٢]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قوله عز وجل: ﴿إذ تحسونهم بإذنه﴾، فقلت: ما الحس هاهنا، وما معناه؟

قال أحمد بن يحيى عليه السلام: إن الحس هو: الضرب والقتل، وهو الحس بفتحة

الحاء، والحس بخفظة الحاء؛ فذلك من طريق الحس مخفوظ، وهو الذي يحس الإنسان من الشيء الذي يؤنسه؛ تقول العرب: " أنست صوتا في مكان كذا وكذا "، يعني: أحسست، وتقول العرب: " أحسست كذا وكذا "، وكل ذلك شيء واحد، إلا الحس الذي عنى الله عز وجل فإنه بفتح الحاء، وهو: القتل والضرب الذي عنى الله عز وجل حين قال: ﴿إذ تحسونهم بإذنه﴾؛ قال الشاعر:

تحسهم بالبيض حسا كأنه ... حريق لظى في غابة يتضرم

والغابة: أجمة القصب... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ [آل عمران:١٥٣]

قال في مجموع الإمام الهادي عليه السلام:

وأما ما سأل عنه وقال، وتوهم من المحال، في قول الله تبارك وتعالى: ﴿فأثابكم غما بغم﴾، وأن ذلك الغم: هو غمهم يوم حنين حين أدال الله المشركين على النبي والمؤمنين.

فغلط وأخطأ في ذلك، ولم يكن - ولله الحمد - كذلك، ولم يدل الله الكافرين على المؤمنين؛ لأن الإدالة هي: معونة وتأييد، ونصر وتسديد، ولن يقول مؤمن بالله: إن الله نصر في ذلك اليوم أعداءه على أوليائه، ولا نصر جيش أبي سفيان، على جيش رسول الرحمن، صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولكن الله أراد بالمؤمنين: المحنة والبلاء، حتى يعلم الله أهل الصبر والاحتساب والتقى؛ ألا تسمع كيف قال الله: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ [محمد: ٣١]، فنصرهم في أول الأمر، وأراهم ما يحبون؛ فخالفوا نبيه وعصوه، في تنحيهم عن باب الشعب الذي أوقفهم عليه، وأمرهم أن يرموا من صار من المشركين إليه، فلما رأوا الهزيمة على المشركين قد أقبلت، وتيقنوا أنها بهم قد

حلت - طمعوا فيها يطمع فيه مثلهم من الغنائم، ورجوا أن يكون شدهم على الكفار مع أصحابهم أصلح، وفي الأمر الذين يراودون أنجح، فزلوا وعصوا الرسول فيما أمرهم به من الثبوت على باب الشعب، وكان ثباتهم عليه على المشركين أصعب، فلما أن تنحوا أمكن للكافرين ما أرادوا، فظفروا من المسلمين ببعض ما أحبوا، ثم لاقوا من بعد ذلك من نصر الله للحق ما كرهوا، فثبت الله من بعد ذلك المؤمنين، وغفر لأهل الخطيئة المذنبين، وأنزل عليهم السكينة، وغشاهم النعاس أمنة منه، كما قال الله سبحانه: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء﴾، قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿قل إن الأمر كله لله﴾، ثم قال سبحانه لنبيه: ﴿يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك﴾، ثم أخبر عما أخفوا، وما من المنكر أجنوا، فقال: ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا﴾؛ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله حين أتته قريش ونزلوا بأحد- شاور أصحابه، فأشاروا عليه أن يثبت في المدينة، فإن أقاموا أضر بهم المقام حتى ينصرفوا، وإن صاروا إلى المدينة فدخلوا - قاتلهم بها الصغير والكبير، والنساء من فوق البيوت؛ فأراد ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أشاروا عليه من بعد بالخروج إليهم، فنهض، فلبس لامته، ثم خرج عليهم، فقالوا: يا رسول الله قد رأينا رأيا، إنا لم نقاتل ببلدنا وبين دورنا أحدا إلا أظهرنا الله عليه، وبلغنا فيه ما نريد، فأقم بنا مكاننا على رأينا الأول، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((كان هذا أولا، إنه ليس لنبي إذا لبس لامته أن ينزعها حتى يقاتل عدوه))، فخرج وخرج معه ألف من الناس، فلما فصل من المدينة رجع عنه عبدالله بن أبي سلول ، رأس المنافقين، في ثلثمائة من الفاسقين، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لقي القوم، فكان من أمرهم ما ذكرنا، ومن حالهم ما شرحنا؛ فذلك قولهم: ﴿لو كان لنا من الأمر

شيء ما قتلنا هاهنا﴾ يقولون: لو أطاعنا، أو كان الرأي إلينا؛ لكنا قد ثبتنا في بلدنا حتى يدخلوا علينا فنقاتلهم، أو يرجعوا عنا فنتبعهم، فقال سبحانه: ﴿قل إن الأمر كله لله﴾، أي: الأمر أمر نبيه الذي افترض عليكم طاعته، فليس لأحد منكم سبيل إلى مخالفته، إلا بالكفر والعصيان، للواحد العزيز الرحمن، ثم أعلاهم من بعد تلك السقطة، وأنزل عليهم الأمنه، ورد إليهم النصر، وشد لهم ما ضعفوه من الأمر، وصرف عنهم أعداءهم، لم يدركوا كل ما طلبوا، وطمعوا به فيهم، من القوة والظهور عليهم.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله عز وجل: ﴿فأثابكم غما بغم﴾، فقلت: ما معنى هذا، وكيف يثيبهم غما بغم؟

قال أحمد بن يحيى عليه السلام: هذا القول يخرج على أن حروف الصفات يعقب بعضها بعضا؛ لأن الباء تقوم مقام " على "، يريد سبحانه: فأثابكم غما على غم، مثل قوله: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾، فقامت " في " مقام " على "، وذلك جائز في لغة العرب؛ قال الشاعر:

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة ... فلا عطست شيبان إلا بأجدعا

(إلى آخر كلامه عليه السلام)

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن قوله تعالى: ﴿لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾؟

والكتاب - رحمك الله - فقد يكون من الله: علم، ويكون إيجابا من الله؛ فـ" كتب " في هذه الآية عليهم إنما هو: علم منهم وفيهم، وليس معنى " كتب " يكون معنى: فرض ووجد فيما ذكر من هذه الآية ومثلها؛ ولكنه خبر عن إحاطة علمه بالأشياء كلها، وقد قال غيرنا بغير ما قلنا به في الآية من جوابك، فأما [ما] يقول به من ليس يعلم، فليس يسع مؤمنا به جواب ولا تكلم.

وقال في مجموع رسائل الإمام الهادي عليه السلام، في سياق جواب عن معنى هذه الآية ما لفظه:

فأما وجه الحق في ذلك، ومعنى قول الله سبحانه: ﴿كتب عليهم﴾، فهو: علم منهم، لا أنه أكرههم، ولا قضى عليهم؛ ولكن علم من يختار الخروج، ولقاء الأعداء، ومن يقتل عند التنازل واللقاء؛ فعلمه وقع على اختيارهم وخروجهم؛ فخروجهم فعلهم، لا فعله، وقتلهم فعل الكفار، لا قضاؤه، فهم على خروجهم وقتالهم واجتهادهم مأجورون، وعند الله مستشهدون. والفسقة المشركون على قتلهم معاقبون، وعند الله في الآخرة معذبون، فكل نال بفعله من الله ما أوجبه عليه من الثواب والعقاب، والحمد لله رب الأرباب، والمجازي للخلق يوم الحساب.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألني: عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾، فقال: ما معنى ﴿كتب﴾، وما الكتاب؟

فقلت: الكتاب يكون على ثلاثة معاني، وكلها - والحمد لله - بين مبين، عند من رزقه الله المعرفة بالكتاب والتفسير.

فمنها: العلم، وهو ما سألت عنه، وما كان في الكتاب مثل قول الله: ﴿ومن

يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له لكاتبون﴾، يريد بكاتبين: عالمين، ومثل قوله ﴿إن الله يعلم ما في السموات والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾، يريد سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه، يقول " في كتاب " أي: في علم معلوم، عند الله غير مكتوم.

والثاني: معنى الحكم من الرحمن، وفي ذلك ما يكون من واضح الفرقان: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾، إلى قوله: ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾، فقال: في كتاب، وإنما أراد: في حكم الله، وذلك في قوله في الطور: ﴿وكتاب مسطور﴾، يقول: في الحكم مثبتا مفروضا، ومن ذلك قوله: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾، وقال: ﴿كتبنا عليهم فيها﴾، يريد: وحكمنا عليهم فيها، فذكر أنه حكم على بني إسرائيل بما ذكر، من النفس بالنفس، ومعنى قوله: ﴿فيها﴾: في التوراة التي أنزلها على موسى صلى الله عليه، وما أشبه ذلك في القرآن مما أراد به الحكم على الإنسان.

والمعنى الثالث: فهو اسم الكتاب المنزل نفسه، مثل قوله: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾، فأراد بذلك: هذا الكتاب الكريم، الذي يحصى في الصحف والدفاتر، وتعيه وتطمئن عليه الصدور والضمائر، ومثل ذلك قوله، وما أقسم به من كتابه وتنزيله، حين يقول: ﴿والطور وكتاب مسطور﴾، وما كان في الكتاب مثل هذا وغيره، مما أراد به تفسير تنزيله ووحيه.

فعلى هذا الثلاثة معان يخرج معنى الكتاب، ولن يوجد معنى رابع بسبب من الأسباب.

وقال في كتاب حقائق المعرفة عند ذكره لهذه الآية:

المراد بالكتاب هاهنا: العلم، يقول: لبرز الذين علم الله أنهم يقتلون إلى مضاجعهم، وعلم الله سابق غير سائق.

قوله تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾ [آل عمران: ١٥٦]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى﴾، فقلت: لم قال: ﴿إذا ضربوا﴾، وهل يحتمل أن يطرح الألف من " إذا "؟

وهذا - يرحمك الله - كلام فصيح، جائز مستقيم، لو كان على غيره لدخله نقصان؛ لأن الله سبحانه إنما أخبر عن قول الظالمين، فقال: ﴿لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا﴾، فأخبر الله عز وجل أنهم إنما يقولون هذا الكلام لإخوانهم إذا أخرجوا بأمر نبيهم، وغزوا في طاعة ربهم، وليسوا إذا قعدوا يقولون لهم من ذلك شيئا، فلما أن كانوا يمسكون عن هذا الكلام في حال قعود إخوانهم، ويتكلمون به عند خروجهم في جهاد أعداء الله وعدوهم - كانت هذه حالان؛ فأخبر الله عز وجل بكلامهم في حال الغزو والضرب في الأرض، وبسكوتهم في حال التخلف والخفض؛ فلم يحسن ولم يجز في صحيح اللغة إلا أن يقول: " إذا "؛ لأن " إذا " إخبار عن كلام هؤلاء القوم لإخوانهم، في كل مرة غزوا أو ضربوا في الأرض قالوا لهم هذا الكلام، وخاطبوهم بهذه المخاطبة، لا يقطعونها عنهم أصلا، وإذا كان قولهم: " إذ ضربوا في الأرض " كانوا كأنهم إنما خاطبوهم في فعلة واحدة، وسفر منفرد وحده؛ فهذا الفرق بين بين " إذا " و" إذ ".

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٦]

قال في كتاب مجموع رسائل الإمام الهادي عليه السلام، في سياق كلام ما لفظه:

الإذن من الله على معنيين:

فأما أحدهما: فإذن أمر وإرادة، وحكم ومشيئة؛ وذلك قوله سبحانه: ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ [إبراهيم: ٧]، فهذا معناه معنى: حكم بالزيادة للشاكرين، وبالعذاب للكافرين، وكذلك قوله: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ [الحج: ٣٩].

وأما المعنى الآخر: فإذن تخلية وإمهال للعصاة، فيما يكون منهم من العصيان؛ فعلى ذلك يخرج معنى قول الله سبحانه: ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله﴾، يعني تعالى: بتخلية الله لهم... (إلى آخر كلامه عليه السلام)

قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾ [آل عمران:١٦٧]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن تأويل: ﴿قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا﴾، و قلت: ما معنى ﴿أو ادفعوا﴾؟

فتأويل ﴿قاتلوا﴾ يعني: كونوا بقتالكم لله مطيعين، ﴿أو ادفعوا﴾ فكونوا بقتالكم عن أنفسكم وحرمكم مدافعين، إن لم تكونوا لله مجيبين، وفي ثوابه على القتال لعدوه راغبين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٧٨)﴾ [آل عمران:١٧٨]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿لا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين﴾؟

وقد نهاهم - جل جلاله - عنه، فالإملاء منه: الإبقاء منه، وتأخير العذاب والنقم، فيما ارتكبوا من الجرم، وبهذا كله وعنه، وبما تولى الله منه - أتوا من الإثم والإساءة ما أتوا، وعصوا الله بما عصوا؛ فاعلم أن الإملاء: نعمة من الله وإحسان، وازدياد الإثم منهم: فإساءة وعصيان، فمن الله سبحانه: الإملاء، ومنهم: الاعتداء، وتأخيره سبحانه لإنزال العذاب بهم إنما هو: ليزدادوا إثما بكسبهم، ليس لما يحبون من سرورهم، ولا لما يريدون من أمورهم؛ ولكن ليزدادوا بالبقاء والإملاء إثما، ولأنفسهم بما تركوا من البر ظلما، وإن كان ما تركوا من الهدى - وإن لم يفعلوه - ممكنا -كان ما تركوا من الهدى في نفسه حسنا، ولهم لو صاروا إليه - ولن يصيروا - منجيا، وكان كلهم لو أتاه بإتيانه له مهتديا؛ فالإملاء والإبقاء هو: من فعل الله بهم، وازدياد الإثم فهو: من كسبهم هم وفعلهم، وما يمكن من الإملاء من الأمور، فسواء في المكنة من البر والفجور، فلما آثروا هواهم، على ما يمكنهم من هداهم، جاز أن يقال: أملوا ليزدادوا برا وهدى.

ومثل ﴿ليزدادوا إثما﴾ هو: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذريات: ٥٦]، وهم - وإن خلقهم الله ليعبدوه - فيحملون لغير العبادة إن أرادوه، والعبادة لله وخلافها إنما هو فعل منهم، إذا فعلوه [نسب] إليهم، ولم يزل عنهم، وكل ذلك ففعل لهم وصنع، والله هو

الصانع لهم المبتدع؛ ففعل الله بريء من فعلهم، فيما كان من الإملاء لهم؛ فعل الله: تأخير وإملاء، وفعلهم: ازدياد واعتداء، وبين ذلك فرق، لا يجهله إلا أحمق.

وفي مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام، وقد سئل عن الآية، فأجاب بما أجاب به الإمام القاسم عليه السلام بلفظه.

وقال في المجموعة الفاخرة:

وأما ما سأل عنه من قول الله جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله: ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين﴾، فقال: إن الله أملى لهم ليزدادوا في الكفر والإجتراء عليه؟

وليس ذلك كما قال، بل قوله أحول المحال، وسنشرح ذلك - والقوة بالله - ونفسره، ونذكر ما أراد الله - إن شاء الله - به، فنقول: إن معنى إملائه لهم هو: لأن لا يزدادوا إثما، وليتوبوا ويرجعوا، ومن وسن ضلالتهم ينتبهوا؛ لا ما يقول أهل الجهالة، ممن تحير وتكمه في الضلالة: إن الله أملى لهم كي يزدادوا إثما، وضلالة واجتراء؛ وكيف يملي لهم كذلك، وقد نهاهم عن يسير ذلك، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم﴾ [الحجرات: ١٢]، فنهاهم عن يسير الإثم وقليله؛ فكيف يملي لهم ليزدادوا من عظيمه وكثيره؟

فأما قوله: ﴿ليزدادوا إثما﴾؛ فإنما أراد سبحانه: لأن لا يزدادوا إثما؛ فطرح " لا " وهو يريدها، فخرج لفظ الكلام لفظ إخبار، ومعناه معنى نفي؛ والعرب تطرحها وهي تريدها، وتثبتها وهي لا تريدها؛ قال الله سبحانه: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [الحديد: ١٩]، فقال: " لئلا "؛ فأثبت " لا " وهو لا يريدها، فخرج لفظ الكلام لفظ إيجاب، ومعناه معنى نفي؛ أراد الله سبحانه: ليعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله؛ وهذا فموجود في أشعارهم، مثبت في أخبارهم؛ قال الشاعر:

نزلتم منزل الأضياف منا... فعجلنا القرى أن تشتمونا

فقال: " فعجلنا القرى أن تشتمونا "، وإنما معناه: فعجلنا القرى لأن لا تشتمونا، فطرح " لا " وهو يريدها، فخرج لفظ الكلام بخلاف معناه.

وقال آخر:

ما زال ذو الخيرات لا يقول... ويصدق القول ولا يحول

فقال: " لا يقول "، فأتى بـ" لا " وهو لا يريدها، وإنما معناها: ما زال ذو الخيرات يقول، فخرج اللفظ خلاف المعنى. تم جواب مسألته.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾؟

ومعنى ذلك عندنا، وما نتأوله في قولنا: أنه أراد: أنه لم يكن ليذر المؤمنين على ما عليه غيرهم من المنافقين؛ وذلك: أن المؤمنين كانوا إذا أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بشيء مما أمره الله أن يأمرهم به من شرائع الإسلام - أذعنوا لذلك، وسلموا وانقادوا له، وأجابوا بقولهم وألسنتهم؛ وكان المنافقون إذا أمروا ونهوا أجابوا بألسنتهم، وأظهروا في باطنهم خلاف ما أظهروا، وكانوا يحتذون قول المؤمنين، ويذكرون عن أنفسهم ما يذكر المسلمون، من الإجابة والرغبة والصدق، والسمع والطاعة والحق؛ فذكر الله عز وجل: أنه لا يذرهم على ذلك، حتى يميزهم بالأمر والنهي لهم، والافتراض لما افترض على خلقه

من الجهاد في سبيله، والانفاق في طاعته، والإتباع لرسوله فيما أمروا به من الجهاد، والصبر مع الرسول في البلاء، حتى يتبين للرسول الصادق في فعله وقوله، والكاذب فيما يظهر من نفسه للرسول؛ فلما افترض ذلك عليهم، وجعله حجة له باقية فيهم، لا يسعهم تركها، ولا يجوز لهم رفضها - لهج لذلك المؤمنون، وبسم له المتقون، وقولهم بفعلهم صدقوا، ونكل المنافقون، ورضوا بالتخلف عن رسول الله وعصوا؛ فبان بذلك المؤمنون من الفاسقين، والصادقون من المنافقين، ومازهم بذلك رب العالمين؛ فوقف الرسول ومن معه على ذلك من فعلهم، وعرفوهم بما كان من عملهم.

وقد يكون الميز من الله لهم: بما حكم به في الأخرة عليهم ولهم، من الثواب للمتقين، والعذاب للفاسقين.

وقال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾، فقلت: ما معنى هذا، وهل تقرأ: " يبين الخبيث من الطيب "؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه الآية نزلت في المؤمنين والمنافقين من قبل فرض الجهاد، فكان المؤمنون الصادق قولهم، الخالصة نياتهم، الصحيحة عزائمهم - يقولون: يا رسول الله، لو فرض الله الجهاد عليك، كما فرضه على من كان قبلك، أو امتحنا بما كان يمتحن به الأمم من قبلنا - لسلمنا ولقمنا، واجتهدنا وأبلينا في الله ونصحنا. وكان المنافقون يقولون مثل قول المؤمنين سواء، ويصفون عن أنفسهم ما يصفه المؤمنون من نياتهم، فاستووا في الظاهر، واختلفوا في الضمائر، فلم يفرق بينهم في الضمائر شيء من الأمور؛ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من

الطيب﴾؛ ففرض الله سبحانه على نبيه - صلى الله عليه - وعلى من معه الجهاد؛ فأماز أهل الشرك والارتياب، وبانوا لجميع أهل الدين في الألباب، فعرفوا بكذبهم، واستدل عليهم بغشهم، ونفذ المؤمنون لطاعة ربهم، مصممون في مرضاة خالقهم، لم يشكوا في دينهم، ولم يرتابوا في بصائرهم؛ بل زادهم ذلك إيمانا ويقينا، وهدى وعزما، فميز الله بما افترض من جهاد أعدائه؛ وقد كانوا عند الله من المميزين، وهو بهم عالم، وعلى سرائرهم مطلع؛ ولكن أبانهم لنبيه - صلى الله عليه -، وميزهم للمؤمنين ولجميع الصالحين؛ فكان من المنافقين ما قد بلغك في خروج النبي - صلى الله عليه - إلى بدر، ورجوعهم عنه، وما كان من عبدالله بن أبي سلول المنافق، من الرجوع بكثير من الناس عن رسول الله - عليه السلام -، فلم يضر بذلك إلا نفسه، وتولى الله النصر لنبيه صلى الله عليه، وأظهر كلمته، ولو كره المشركون، ﴿وسيعلم الذي ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١)﴾ [آل عمران: ١٨١]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا إخبار من الله عز وجل بقول الفاسقين، الظلمة المتمردين، وما يقولون به في رب العالمين؛ والقائل لذلك فهم: المشركون الجاحدون لله، المنكرون لنبيه صلى الله عليه، من أهل الكتاب اليهود، ومن

ساعدهم من الأشرار، وأهل الكفر والارتياب وأمثالهم، ثم قال: ﴿سنكتب ما قالوا﴾، والكتاب فهو: الحفظ من الله - تبارك وتعالى - لقولهم، وما كان من سيء لفظهم، ومعنى ﴿قتلهم الأنبياء بغير حق﴾ فهو: الرضى منهم بقتل آبائهم لمن سلف من النبيين؛ فلما أن رضوا بذلك كانوا من القاتلين، ولفعل من سلف من المصوبين، وفي ذلك - لا محالة - من الداخلين، ثم قال: ﴿ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾، يخبر عز وجل: بما يصيرون إليه، ويجازون به في الآخرة، من عذاب الحريق، والبلاء الشديد؛ جزاء على فعلهم، ومكافاة على أعمالهم.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا ...﴾ الآية [آل عمران: ١٨٣]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله عز وجل: ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا قول أهل الكتاب، كذبوا فيه على الله عز وجل، وقالوا زورا وبهتانا عظيما؛ فأكذبهم الله سبحانه في آخر الآية، فقال لنبيه عليه السلام: ﴿قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾ في قولكم: إن الله عهد إليكم فيما سألتم؛ فلم قتلتم من جاءكم بالبينات وبالقربان الذي طلبتم؟! فأوقفهم الله سبحانه على كذبهم، وقرعهم بما كان من فعلهم.

وقلت: ما القربان؟

فهو: شيء كان يقربه الأولون، من طريق البر والطاعة لله سبحانه، مثل: الكباش وغيرها من الأطعمات، فتخرج نار، فتأخذ قربان أزكاهم عملا، وأقربهم عند الله عز وجل محلا، وتدع ما ليس بزكي، ولا مقربة بمؤمن رضي،

كما فعل أبناء آدم في قربانهما، فتقبل الله من أحدهما، ولم يتقبل من الآخر.

وقد قيل: إن الكبش الذي فدى الله به إسماعيل عليه السلام هو: قربان ابن آدم؛ أنزله الله على إبراهيم صلى الله عليه.

والله أعلم كيف كان ذلك، فسبحانه العادل في حكمه، المنصف لخلقه، المتعطف عليهم، المنعم بالإحسان إليهم؛ ولكن الخلق في فعلهم كما ذكر عنهم حين يقول: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥)﴾[آل عمران: ١٨٥]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾، فقلت: هل في ذلك متعلق لمن يزعم: أن أهل النار يخرجون منها، ثم يدخلون الجنة؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: وأي تعلق - يرحمك الله - في ذلك لأحد، أو ما فيه من الدليل على خروجهم من النار إلى الجنة؟! وكيف يزحزح منها من كان من أهلها، فصار بحكم الله فيها، ووصل بقبيح فعله إليها، ووقع في أليم العذاب، وصار بذلك إلى شر مآب؟!!

وإنما المعنى في قوله: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة﴾ فهو: أبعد من النار، وأزيح عنها، وأزلف الجنة، وأدخل فيها، فأصبح من المؤمنين، وعند الله سبحانه من المقربين، ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾، بعد من الراحة والسرور، والنعمة والحبور - أهل الآثام والشرور، المتقحمون في المعصية، التاركون للطاعة، الكفرة الأشرار، المصيرون إلى شر دار، جهنم يصلونها فبئس

القرار؛ قال سبحانه: ﴿لابثين فيها أحقابا﴾، وقال: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾، وقال سبحانه: ﴿وما هم منها بمخرجين﴾، وقال: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾؛ فأين - يرحمك الله - ما ذكرت من خلاصهم، مع ما ذكر الله سبحانه وأخبر من دوام حسرتهم، وطول مقامهم في طبقات النيران، ماكثون في الخزي والهوان، ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور﴾، غير خارجين من أليم العذاب، ماكثون فيه طول الأبد، إلى غاية لا تبيد ولا تنفد.

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨)﴾ [آل عمران: ١٨٨]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿يفرحون بما أتوا﴾ فهو: فرحهم بما ارتكبوا وأتوا، من الجرأة على خاتم النبيين، والطعن على المؤمنين، مع قبيح فعلهم، ومستسمج سيرتهم؛ فكانوا يستحسنون ذلك من أنفسهم، ويرونه جائزا عندهم؛ لشرارتهم وشدة كفرهم، وبعدهم من الله وعنادهم، والفرح منهم فهو: أشر وازدهاء، وتبع للمعصية والهوى، كفرح قارون إذ يقول له قومه: ﴿لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾، وإنما كان فرحه جرأة وأشرا، ومعصية لله وتمردا. وهذه الآية فنزلت في اليهود؛ ذما لهم فيما كانوا يأتون، من الجرأة على الله سبحانه

وعلى أوليائه، ثم قال عز وجل: ﴿ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ فهو: ما كانوا يتوسمون، ويذكرونه عن أنفسهم من الفضل والطاعة لله، والمدح لأمر ربهم؛ فأكذبهم الله عز وجل في قولهم، وبين للمسلمين كفرهم، ﴿ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾؛ فأخبر أنهم غير فاعلين لما ذكروا، ولا صادقين فيما انتحلوا؛ بل هم كاذبون، وعند الله معذبون، ثم قال: ﴿فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾، والمفازة فهي: البعد؛ فذكر سبحانه: أنهم من العذاب قريب غير بعيد، فحكم عليهم بأليم العذاب، وأوجب لهم الخزي والعقاب، وصاروا بذلك إلى شر مآب، جهنم يصلونها وبئس المهاد.

سورة النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[النساء: ١]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾، فقلت: هل خلقت حواء من نفس آدم، من الطين الذي خلق منه آدم؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: اعلم - هداك الله وأعانك - أن الناس قد اختلفوا في هذه الآية، وتفسير خلق حواء من آدم، فقال فيها قوم: خلقها الله من ضلعه الأصغر، وهو الأسفل من الأضلاع. وقال آخرون: خلقت من بعض لحمه، وتكلموا في ذلك، ورووا روايات قد سمعتها إن كانت وصلت بك، ووقفت على شرحهم فيها ونظرته؛ وكل عندي لم يصب المعنى، ولم يقع فيه على باب حق ولا هدى، والقول فيها- والله أعلم، وهو الموفق للصواب -: أن الله سبحانه لما أن خلق آدم من الطين، أقام مطروحا من طين على هيئة إنسان في: الذراع، والعضد، والرأس، والأنف، والأصابع، فكان على ذلك تبصره الملائكة لا روح فيه، وخلق الله سبحانه حواء من تلك الطينة، من قبل أن ينفخ فيها الروح، ثم نفخ فيه الروح صلى الله عليه، فإذا هو يسمع ويبصر ويتحرك، وينطق ويقوم

ويقعد؛ فهذا معنى ﴿خلق منها زوجها﴾، وهو صواب إن شاء الله.

وقد قيل: إن معنى ﴿خلق منها زوجها﴾، أي: خلقها من جنسه، وأنشأها مما أنشأه منه. وليس ذلك عندي بقول، والقول الأول أحب إلينا، وهو إن شاء الله الصواب.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا (٣)﴾[النساء: ٣]

قال في كتاب الأحكام، بعد أن ذكر الآية ما لفظه:

فبين بذلك: ما أحل للرجال أن ينكحوا من النساء، وأخبر أنهن أربع نسوة سواء، لا يجوز لمسلم أن يجمع في ملكه أكثر من الأربع من الزوجات الحرائر المتزوجات، إلا أن يكون لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فإنه قد أطلق له ما أطلق من النكاح، ثم حظر عليه من بعد صلى الله عليه وعلى آله وسلم الزيادة على تسع زوجات، وحرم عليه أن يستبدل بهن غيرهن، أو يزيد معهن سواهن.

قوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[النساء: من آية (٤)]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته: عن قول الله سبحانه: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾؟

فقال: صدقاتهن: مهورهن، ومهورهن: فأجورهن، و﴿نحلة﴾ فإنما هي: هبة مسلمة لهن؛ فأمرهم الله أن يؤدوا ذلك إليهن، وجعله حقا عليهم لهن، لا يسعهم حبس شيء منه عنهن، إلا بطيب نفس منهن، أو هبة يهبنها للأزواج عن طيب من أنفسهن؛ فقال سبحانه: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه

هنيئا مريئا﴾ [النساء: ٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٥)﴾ [النساء: ٥]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا﴾؟

فمعنى ﴿تؤتوا﴾ هو: أن تعطوا السفهاء، وإن كانوا لكم أبناء وآباء، يجب عليكم رزقهم وكسوتهم فيها، وأمرهم أن ينفقوا عليهم ويكسوهم منها، ويقولوا لهم من القول معروفه وحسنه، وهو: السهل من القول ولينه، ونهاهم أن يعطوا سفهاءهم أموالهم، التي جعلها الله قياما لهم، والقيم هو: المعاش واللباس، الذي به يبقى ويقوم الناس، فتهبوها لهم أو تأمنوهم فيها، وتجعلوا لهم سبيلا إليها، فيفسدوا معاشهم منها عليهم، إن أعطوهم إياها وسلموها إليهم، وأمرهم ألا يؤتوا أموالهم التي جعلها الله لهم، إلا أن يأنسوا [منهم رشدا]، ومعنى ﴿يأنسوا﴾ فهو: أن يروا منهم رشدا، فيدفعوها إليهم، ويشهدوا بدفعها عليهم؛ فكيف يجوز أن يؤتي أحد ماله أحدا، إذا كان في أرض الله أو لنفسه مفسدا، وقد نهى الله عن ذلك؛ نظرا من الله للعباد، وحياطة منه برحمته لأرضه وخلقه من الفساد؟!

وقال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا أمر من الله سبحانه للمؤمنين: لا يؤتوا أموالهم

السفهاء، التي جعلها الله لهم قياما، والقيام فهي: تقيمهم وتحييهم، والسفهاء هاهنا فهم: الأبناء والإخوة الذين أوجب الله على الآباء النفقة عليهم إذا كانوا فقراء؛ فأمرهم الله عز وجل إذا علموا منهم الإفساد لها: ألا يدفعوا إليهم منها ما يفسدون، وبه على معصيته يستعينون، وأن يقوتوهم فيها؛ والسفهاء فهم: سفهاء الرأي، وسفهاء العقول الذين لا تمييز لهم ولا نظر في أمور نفوسهم؛ لقلة عقولهم، وبعد انتباههم، والعرب تسمي من كان كذلك سفيها: سفيه الرأي، وسفيه العقل.

وقال في مجموع الإمام القاسم بن محمد عليه السلام:

كلمة السفهاء في الآية: تناول العصاة؛ بدليل قوله تعالى: ﴿سيقول السفهاء من الناس...﴾ [البقرة:١٤٢].

ثم قال في موضع آخر من الكتاب، في سياق الاستدلال على تحريم تسليم الأموال للعصاة ما لفظه:

ومما يخص تحريم تسليم الأموال إليهم: قوله تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم...﴾الآية [النساء:٥]، ووجه الاستدلال بها: أن تفسيرها لا يخلو من أحد معنيين:

إما أن يكون المراد بالسفهاء: الذين ينفقون المال في المعاصي، أو الذين يضيعونه؛ فأيهما ثبت فلا يخلو من أحد وجهين أيضا، وذلك: إما أن تكون الآية عامة في كل السفهاء، أو خاصة بمن يجب إنفاقه أو يستحب، أو يباح.

إن كانت عامة، وكان المراد بالسفهاء: من ينفق المال في المعاصي فواضح؛ لأن الذين يسلمون المال إليهم، وينفقونه في المعاصي قد تناولتهم الآية بصريحها؛ لأنهم ينفقونه في المعاصي، من سفك الدماء، ونهب الأموال، واضطهاد المحقين، وظلم الأيتام والأرامل والمساكين، ويجب أن يكون قوله تعالى: ﴿وارزقوهم فيها واكسوهم﴾[النساء:٥] خاص بسد فاقة من لا يحل دمه، وستر عورته، ممن

يجب إنفاقه أو يستحب أو يباح من أهل المعاصي، دون الذين يبغون في الأرض بغير الحق، من سلاطين الجور وأعوانهم؛ لقوله تعالى: ﴿فقاتلوا التي تبغي...﴾الآية، وثمرة القتال: إتلافهم بأي ممكن، وسلبهم، وانتهاب ما يجلبون به على المسلمين، ويتقوون به، ومن أطعمهم أو كساهم فقد ناقض في ذلك حكم أحكم الحاكمين.

وإن كانت خاصة بمن عدا الباغين من الذين يجب إنفاقهم، أو يستحب، أو يباح، وكان المراد بالسفهاء: من ينفق المال في المعاصي أيضا، فهي تدل على تحريم تسليم الأموال إلى غيرهم من الظالمين بالفحوى؛ لأنه إذا حرم تسليم المال إلى من ينفقه في المعاصي من خواص الإنسان، أو إلى من يستحب له أن ينفقه أو يباح، فبالأولى: أن يحرم تسليمه إلى من ينفقه في المعاصي من غيرهم؛ لأنه لا أصل لجواز تسليم المال إليه، وهو على تلك الحال ألبتة.

وإن كان المراد بالسفهاء: من يضيع المال، فإنه يدل على تحريم تسليم المال إلى من ينفقه في المعاصي بالفحوى، سواء كانت الآية عامة أو خاصة بمن تقدم ذكره، [أما حيث كانت الآية عامة فواضح]، وأما حيث كانت خاصة بمن يجب إنفاقه أو يستحب أو يباح - فإنه إذا حرم تسليم الأموال إلى من يضيعها منهم، فإن تسليم الأموال إلى من ينفقها في المعاصي - أعظم، لا يخفى ذلك.

وجميع ذلك مبني على: أن المراد بالأموال: أموال المعطين - بكسر الطاء -، كما هو ظاهر الآية الكريمة، لا أموال السفهاء، كما ذهب إليه بعض المفسرين؛ فأما على مذهبه هذا إن صح: فاعلم أنه إذا كان حرام أن يسلم إلى الإنسان نفس ما يملكه؛ لأجل أن يضيعه، أو ينفقه في المعاصي - فتسليم ما لا يملك العاصي من المال إليه؛ لينفقه في المعاصي - أعظم، ودلالة الآية على تحريمه أقوى، وذلك بحمد الله واضح.

قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦)﴾ [النساء: ٦]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن: ﴿ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف﴾؟

فهو: ومن كان لليتيم وليا فليستعفف، معناها: فليعف عن أن يأكل من مال اليتيم شيئا، ﴿ومن كان فقيرا﴾، يعني: معسرا، ﴿فليأكل﴾ من مال اليتيم ﴿بالمعروف﴾، يقول: بأمر مقدر موظوف، ليس منه فيه إسراف، ولا بمال يتيمه إجحاف.

وقال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح﴾، إلى قوله: ﴿وكفى بالله حسيبا﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله عز وجل ﴿وابتلوا﴾ أي: اختبروا اليتامى، والاختبار هو: النظر إلى أفعالهم، والتمييز لأحوالهم، وما يكون من رشدهم. ومعنى ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾ فالنكاح هو: التزويج، والبلوغ هو: الاحتلام، وقال سبحانه: ﴿فإن آنستم منهم رشدا﴾ عند بلوغ النكاح، ﴿فادفعوا إليهم أموالهم﴾ التي في أيديهم التي على أيديكم، وقال: ﴿ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا﴾، والإسراف فهو: الإفراط في ما لا يجوز أكله، والبدار فهو: الاستعجال والمسابقة في إفنائها قبل بلوغ اليتامى، ثم قال

سبحانه: ﴿ومن كان غنيا فليستعفف﴾، والاستعفاف فهو: الاشتغال بمال نفسه، والاستجزاء به عن مال اليتيم الذي في يده، ثم قال سبحانه: ﴿ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف﴾، والمعروف فهو: الوسط من الأمور، وما يعرف بالكفاية والقوت، لا بالإفراط والسرف، ثم قال سبحانه: ﴿فإذا دفعتم إليهم أموالهم﴾، يعني: اليتامى، ﴿فأشهدوا عليهم﴾ بدفعها، ﴿وكفى بالله حسيبا﴾.

وقال في كتاب حقائق المعرفة، في سياق كلام عن الناسخ والمنسوخ:

وقال تعالى: ﴿ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف﴾، المراد به والله أعلم: أن من كان غنيا عن المخالطة لهم، والأكل معهم، فليستعفف عن المخالطة لهم، والأكل معهم، ﴿ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف﴾، أي: ومن كان فقيرا إلى ذلك فليخالطهم، وليأكل معهم، ولا يتعمد الظلم لهم، و[لا] النقص لهم في مالهم.

وقد اختلف في هذه الآية، فمن الناس من حملها على ظاهرها، وأجاز للوصي الأكل من مال اليتيم إذا كان الوصي فقيرا، وأن ينفق منه على نفسه ومن تلزمه نفقته. ومن الناس من قال: يتناول منه مثل ما يتناول المضارب من المضارب له على سبيل الأجرة.

وعندنا: أن ذلك لا يجوز؛ لقول الله تعالى: ﴿فليأكل بالمعروف﴾، ومن المعروف: أن يخرج الوصي لليتيم من ماله مثل ما يخرج لمثله من أولاده، ثم يخلطه في نفقة أولاده، ويواسيه بأولاده، ولا ينقصه في ماله ولا في نفقته، فهذا هو المعروف، ويؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾[البقرة:٢٢٠].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨)﴾ [النساء: ٨]

قال في مجموع الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام:

المسألة السادسة عشر: في قوله تعالى: ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى﴾: هل ذلك واجب أم لا؟

الجواب عن ذلك: أن هذا كان واجبا في بدء الإسلام، ثم نسخ، وصورته: أن المواريث كانت إذا قسمت على الحاضرين بشيء غير مقدر يزيد وينقص - رضخ المساكين، وصنع لهم الطعام، فنسخ وجوب ذلك، وبقي استحسانه، كما نقول في صيام يوم عاشوراء؛ فاعلم ذلك.

قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١)﴾ [النساء:١١]

في كتاب الأحكام:

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: في كتاب الله عز وجل سبع عشرة فريضة، منهن ثلاث عشرة فريضة: مسميات، وأربع: غير مسميات؛ أما الفرائض المسميات فمنها: فريضة الابنة: النصف، وذلك قوله الله سبحانه

وتعالى: ﴿وإن كانت واحدة فلها النصف﴾، وفريضة البنتين: الثلثان، وذلك قول الله سبحانه: ﴿فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك﴾، وفريضة الوالدين: السدسان، وذلك قوله تعالى: ﴿ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد﴾، وفريضة الأم: الثلث، وذلك قول الله سبحانه: ﴿وورثه أبواه فلأمه الثلث﴾، وفريضة الأخت: النصف، وذلك قوله تعالى: ﴿إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك﴾، وفريضة الأختين: الثلثان، وذلك قوله تعالى: ﴿فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك﴾، وفريضة الأخ أو الأخت من الأم: له السدس، وذلك قوله تعالى: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾، وفريضة الزوج مع الولد: الربع، وفريضته إذا لم يكن ولد: النصف، وذلك قوله تعالى: ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع﴾، وفريضة الزوجة: الربع إذا لم يكن ولد، والثمن مع الولد، وذلك قوله تعالى: ﴿ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن﴾؛ فهذه الفرائض المسميات في القرآن، وهي: ثلاث عشرة فريضة. وأما الأربع اللواتي هن غير مسميات، وهن في الكتاب – ففريضة الأولاد، وذلك قوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾، وفريضة الأب إذا لم يكن ولد، وذلك قوله تعالى: ﴿وورثة أبواه فلأمه الثلث﴾؛ فلم يسم في هذا الموضع ميراث الأب، وميراث الأخ من أخته، وذلك قوله: ﴿وهو يرثها إن لم يكن لها ولد﴾، وفريضة الإخوة والأخوات، وذلك قوله تعالى: ﴿وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨)﴾ [النساء:١٧-١٨]

قال في مجموع الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام في سياق كلام ما لفظه:

ثم قال جل ذكره تأكيدا للبيان في وعيد أهل الصلاة، من أهل الذنب والآثام، والمتعدين لحدود الله: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة...﴾ الآية؛ فأخبر أن من حكمه: أن لا يعفوا إلا من بعد توبة، ثم قال مؤكدا ومحذرا، وزاجرا ومنبها، وواعظا ومخوفا، وراحما وناظرا: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار...﴾ الآية، فأخبر تعالى وعز: أنه لا يقبل التوبة عند الموت من الكافرين، ولا من الفاسقين من أهل الصلاة، فأزاح الشك في أمرهم: أنه لا يجوز أن يغفر لهم بعد الموت بلا توبة تكون منهم؛ لأنه لو كان ذلك مما يجوز في وصفه وحكمه - لقبل منهم التوبة عند الموت، التي بقبولها يكون الغفران، فلما ردها عند المعاينة ولم يقبلها - قطع عذر عباده الفهمين عنه، وحذرهم بعقابه تحذيرا: أن لا يؤخروا التوبة إلى وقت لا ينفعهم قبولها فيه، كما لم ينفع ذلك غيرهم من الكافرين، ولولا ما أحب من إعلامه، مع قطع عذرهم، والرحمة لهم - ما قرن رد توبتهم برد توبة الكافرين، وإنما أراد بذلك تعالى وعز: إزاحة الشك عنهم؛ لأنه لو جاز الشك في ذلك، وقد قرنه برد توبة الكافر - لجاز الشك في وعد الكافرين، وإن كان لم يقبل توبتهم عند الموت، ثم أكد ذلك

بقوله تعالى: ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم (٦) ...﴾ [الزلزلة]، إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿من يعمل سوءا يجز به﴾ [النساء: ١٢٣]، وأكد للقاتل الخلد في النار، ثم أكد ذلك وبينه بقوله: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما (٦٨)﴾، إلى قوله: ﴿ومن تاب وعمل صالحا﴾ [الفرقان: ٧١]؛ فأخبر أنه لا يغفر للكافرين، ولا لغيرهم من الزناة والقاتلين، إلا بالتوبة والعمل الصالح، فإذا كان لا يجوز ذلك في حكمه -فأنى لهم بالغفران في القيامة؟! تعالى الله عما يدعيه أهل النقص والجهل والعمى، من إخلاف وعيده، علوا كبيرا. ثم أكد ذلك بسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله، فقال عليه السلام: ((إن التوبة مبسوطة دون أن يغرغر المرء بنفسه، ودون المعاينة)).

قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ [النساء:١٩]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن: ﴿ولا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾؟

ووراثتهم كرها هو: أن يمسكهن الأزواج رغبة في الميراث وشرها، لا رغبة فيهن، ولا محافظة عليهن، وجعل الله ذلك عليهن اعتداء، وبهن إضرارا؛ وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا﴾ [البقرة: ٢٣١].

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٢١)﴾ [النساء:٢١]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى

بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا تأديب من الله عز وجل لمن عرفه من المؤمنين، وسلم لحكمه من الصالحين: ألا يأخذوا مما آتوا النساء من مهورهن شيئا، وهذا فعل يفعله من لا معرفة له ولا تمييز، وهم الآن كثير إذا أبغض الرجل المرأة ضيق عليها، وأقبح في المعاشرة لها، وأضر بها واضطرها بسوء فعله، وشدة تعنته، إلى أن تفتدي منه بمهرها، فيأخذه ظلما وتعديا، ثم يتزوج به النساء، فيأكله حراما وسحتا؛ فنهى الله عز وجل من استبدل زوجة مكان زوجة: ألا يضر بالأولى، ويسيء إليها، ولا يتجرم بظلم عليها؛ حتى يأخذ ما أعطاها؛ ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾؟!، والإفضاء فهو: الدخول عليها، والكشف لمحاسنها، ولما استتر من غيره من بدنها مع الدنو منها، فقد أفضى منها إلى أشياء أوجبت عليه مهرها، وحظرت عليه بحكم الله أخذه منها؛ فنهاهم الله من بعد ذلك عن الظلم والاعتداء، والتحيل بالباطل لطلب الفداء منهن، أو الاخذ لمهورهن، وما أوجبه الله سبحانه بحكمه لهن، ولا يجوز ولا يحل في حكم الله ذي الطول والإحسان: أن يأخذ المسلم مهر امرأته، إلا أن تكون كما قال الله سبحانه: ﴿إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ﴾، فإذا كان منهما جميعا الظلم والتعدي، ولم يكونا متناصفين، ولا بما فرض الله عليهما في الصحبة بعاملين - جاز حينئذ الفداء والقبول.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (٢٢) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٣)﴾ [النساء: ٢٢-٢٣]

قال في كتاب الأحكام:

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: يحرم على المسلمين نكاح كل ذات رحم محرم؛ وذلك فقول الأعز الأكرم: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما (٢٣)﴾، فحرم الله تبارك وتعالى: الأمهات؛ فحرم بتحريمهن: كل من ولدهن من الجدات وإن علون فارتفعن، وتباينين في الولادة للأمهات فافترقن؛ لأنهن جدات، والجدات فهن: أمهات. وحرم الله تبارك وتعالى على المؤمنين: بناتهن، وما ولدن من الأولاد، وأولاد أولاد الأولاد، وإن سفلن في الولادة، فهن بحكم الله تعالى للأجداد بنات، لا يحل لهم نكاحهن بما حرم الله من نكاح أمهاتهن. وكذلك حرم - جل جلاله عن أن

يحويه قول أو يناله -: الأخوات؛ فحرم بتحريمهن: بناتهن على عموماتهن [١]، وما ولدن بناتهن من: البنات، وبنات البنات، وإن بعدت مواليدهن على إخوة جداتهن؛ لأنهم - وإن تباعدوا منهن - أعمامهن [٢]، والحكم فيهن - وإن سفلن - بالتحريم على أعمام[٣] جداتهن كحكم أخواتهم اللواتي نطق الكتاب بتحريمهن عليهم؛ لأنهن في المعنى كبناتهم؛ إذ هن بنات أخواتهم. وكذلك حرم الله: العمات، والخالات؛ لأنهن في عداد الآباء والأمهات. وحرم الله تبارك وتعالى: بنات الإخوة، وبنات الأخوات؛ لأنهن من العمومة كالبنات؛ تعظيما منه لقربة القرابات، وتأكيدا منه على عباده في صلة الولادات؛ فصار حكم بنت أخ المسلم كحكم بنته عليه، وكذلك حكم بنت أخته لديه. ثم حرم سبحانه: الأمهات المرضعات لمن أرضعن من البنين والبنات، على: البنين، وأبناء: البنات، والبنين - وإن سفل ميلادهم - ؛ لأنهن بإرضاع الآباء - وإن بعدن - أمهات الأبناء. وكذلك حرم: الأخوات من الرضاعة على إخوانهن، وحرم: الإخوة من الرضاعة على أخواتهم، فحرم بذلك نكاحهن على أبناء أخواتهن. وحرم: نكاح بنات الأخوات من الرضاعة على إخوة أمهاتهم؛ لأنهم أعمام لهن، ولا يحل نكاح الأعمام[٤] من الرضاعة، ولا العمات لبني الإخوة، ولا بني الأخوات، وما سفل من ذلك؛ فيحرم على: الأعلى المراضع للجد كذلك. ثم حرم سبحانه: أمهات النساء على أزواج بناتهن إذا كانوا قد دخلوا بالبنات، أو لم يدخلوا، فلا يحل لهم نكاح الأمهات؛ تعظيما منه لحرمة الأم على زوج بنتها، ونهيا منه عن أن ينكح الأم بعد ابنتها. ثم حرم ابنة المرأة على زوج أمها إذا دخل بها، وجعلها بحكمه ربيبة محرمة على زوجها، فأقامها منه في التحريم عليه بنكاح

---

(١) - هكذا في المطبوع، وصوابه: أخوالهن. (جامعه).
(٢) - هكذا في المطبوع، صوابه: أخوالهن. (جامعه).
(٣) - هكذا في المطبوع، ولعله: " إخوة أعمام جداتهن "، ظناً. (جامعه).
(٤) - هكذا في المطبوع، وصوابه: الأخوال. (جامعه).

أمها كمقام بنته، فحرمت الربائب على الرجال، بتحريم ذي القدرة والجلال، إذا دخل بأمهاتهن. وبنات الربائب على أزواج الجدات محرمات كتحريم البنات. وحرم - جل ثناؤه، وعز بكريم ولايته أولياءه - على الرجال نساء أبنائهم الذين من أصلابهم. وحرم على الأبناء نكاح ما نكح الآباء؛ استعظاما للآباء على نساء أبنائهم بالتحريم لهن عليهم، فجعلهن من آباء أزواجهن في التحريم عليهم كالمحرمات من: بناتهم، وأخواتهم، وربائبهم اللاتي في حجورهم. وجعل نساء الآباء محرمات على من ولدوا من الأبناء؛ تعظيما منه لحق الآباء على أبنائهم. وجعل أزواج آبائهم في التحريم عليهم كأمهاتهم، فقال في ذلك سبحانه: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف﴾، يقول: إلا ما قد مضى من فعل الجاهلية الجهلاء، وما كانوا يخطئون به على أنفسهم في نكاح أزواج الآباء من الأبناء. وكذلك حرم تبارك وتعالى: الجمع بين الأختين؛ نظرا منه للعباد، وإصلاحا منه تبارك وتعالى بذلك في البلاد، ومعونة منه لعباده على التبار والتقوى؛ لما في اجتماع الأختين عند الزوج من الشحناء، والتباغض بينهما والاعتداء، وما لا يطقن دفعه من قطيعة الأرحام، والمخالفة في ذلك لحكم الإسلام، ولشدة التغاير بينهما الذي قد يفعله ويأتيه غيرهما من الضرائر المتضارات، والأزواج المتغايرات، فوصل الله سبحانه بين الأختين؛ نظرا منه لهما بما حرم على جميع الرجال من الجمع بينهما. وحرم سبحانه: إنكاح المشركين حتى يؤمنوا، ونكاح المشركات حتى يؤمن، وقال في ذلك سبحانه: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾.

قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤)﴾ [النساء:٢٤]

قال الإمام الهادي عليه السلام في الأحكام:

فالاستمتاع هو: الدخول بهن على وجه النكاح الصحيح، وإيتاؤهن أجورهن فهو: إعطاؤهن مهورهن، إلا ما وهبن بطيب من أنفسهن، والتراضي فهو: التعاطي، ولا يجوز النكاح إلا بولي وشاهدين...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في مقدمة المصابيح الساطعة الأنوار:

قال الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام: " ومما نسخ: نكاح المتعة، وهو قول الله تعالى: ﴿فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة﴾[النساء:٢٤]، نسخها قول الله تعالى: ﴿ياأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة﴾[الطلاق:١] ".

قال عبد الله بن الحسين عليه السلام في كتاب الناسخ والمنسوخ بعد أن ذكر خلاف العامة في ذلك : " والقول عندنا: أنها منسوخة، نسخها الكتاب والسنة "، ثم شرح ذلك فيه، وبينه أحسن بيان، وأن الاستمتاع الذي ذكر ه الله تعالى إنما هو: تزويج، إلا أنه كان فيه شروط، ... إلى قوله: " وقد فسرت ذلك في آخر الباب، أما الكتاب: فنسخها بقوله سبحانه: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون (٥) إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين (٦)﴾، فنسخها تعالى بما أوجب من العدة للزوجة، والميراث، والصداق، والطلاق، وقوله للأولياء: " انكحوا "، و" لا تنكحوا ".

وأما السنة: فنهى صلى الله عليه وآله وسلم عن كل شرط في النكاح، وقد بلغني من غير جهة

أن المتعة إنما كانت ثلاثة أيام، وأنها كانت تزويجا إلا أنه كان فيها شروط، فنسخ الله تلك الشروط، ثم بين لنا الناسخ من الكتاب والسنة ..."، إلى قوله: " وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنه اعتمر، فشكا إليه الناس العزبة، فقال: ((استمتعوا من هذه النساء، واجعلوا الأجل بينكم ثلاثة أيام))، فلما أن كان اليوم الثالث أو الرابع من قوله - خرج صلى الله عليه وآله وسلم حتى وقف بين الركن والمقام، وأسند ظهره إلى الكعبة، ثم قال: ((يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء؛ ألا وأن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها، ولا تأخذوا مما أتيتموهن شيئا))"

وروى أنه قال في آخر كلامه: ((متعة النساء حرام))، قال ذلك ثلاث مرات، وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنه مر بعبد الله بن عباس، وهو يفتي بنكاح المتعة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((قد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها، وعن لحوم الحمر الأهلية))، والأمة مجمعة على تحريم المتعة إلا الإمامية فإنهم يرونها.

قوله تعالى: ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء : ٢٥]

قال في كتاب الأحكام:

يقول : تزوجوهن نكاحا صحيحا حلالا، ولا تسافحوهن سفاحا حراما.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩)﴾[النساء:٢٩]

قال في كتاب الأحكام:

يريد سبحانه: لا تأكلوها بالربا والسحت والظلم والارتشاء في الحق؛ ليعدل عنه إلى الباطل، وأما قوله: ﴿إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾، فالتراضي هو: الرضى من البائع لتأخير المشتري بثمن سلعته بلا ازدياد منه؛ لتأخير الثمن عليه في بيعه. ومن التراضي: أن يبيعه بطيبة من نفسه، لا يكرهه على البيع إكراها، ولا يضطره إليه اضطرارا.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (٣١)﴾[النساء:٣١]

قال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام:

فتكفيرها: بسترها وتمحيصها في الدنيا بالمصائب، فمصائب المؤمنين تمحيص لصغائر ذنوبهم، ومصائب الكافرين محق لهم؛ قال جل ذكره: ﴿ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾.

وقال في مجموع الإمام القاسم العياني عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾، وما معنى الكبائر؟

الجواب: اعلم أن كل ما نهى الله عنه كبيرة، فمن أتاها عمدا استحق عذاب الله جل اسمه، وليس من معاصي الله سبحانه صغيرة؛ فأما ما وعد الله سبحانه من

تكفير السيئات فليس من البشر إلا من قد أساء، أدناها الغفلة، وافتقاد النفس من الزلة، فإذا اجتنب العبد الكبائر غفر الله له، وكفر عنه سيئاته المتقدمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله عز وجل: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا أمر من الله عز وجل، أمرهم ألا يتمنوا ما فضل الله به بعضهم على بعض، وهذه في المواريث؛ جعل بعضهم أكثر من بعض، وإذا تمنوا خلاف ما حكم الله سبحانه به - كانوا بذلك غير مسلمين لحكمه، ولا راضين بقسمه، ومن فعل ذلك فهو من المخطئين، وعند الله عز وجل من المسيئين، وقد قيل: إنه يدخل في هذا أيضا ما فضل الله سبحانه النبيين.

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ [النساء : ٣٣]

قال في مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته: عن قول الله سبحانه: ﴿ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون﴾؟

فقال: إن الموالي هم: الولاة والقرابة المتوارثون، ولأنه قد يرث غير القريب، وإنما أراد الله بالموالي في هذه الآية: كل نسب؛ ألا ترون أن الزوج والزوجة قد يرثان، وإن لم يكن بينهما نسب؛ لأن لكل من كان [كذلك] حقا، وحرمة ونسبا.

وفي مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الموالي فهم: القرابة والعصبة؛ ألا تسمع كيف يخبر الله عز وجل عن زكريا عليه السلام، حين يقول: ﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾[مريم:٥]، يعني: العصبة.

وقوله: ﴿والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم﴾، فقلت: فما نصيبهم؟

وهذه الآية منسوخة؛ وذلك أن قريشا والعرب في جاهليتهم كان يتعاقد الرجلان منهم والقبيلتان، ويتحالفون على المؤازرة والمناصرة والمحاربة ما بقوا، وعلى أن من مات منهم ورثه الآخرون مع ورثته. وربما لا يكون له قريب لاصق، فيرثه حليفه دون عصبته، فكانوا يتعاملون بذلك، فلما أنزل الله عز وجل: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾[الأنفال:٧٥]، ثم أنزل الله سبحانه فرض المواريث وقسمها - فراح ما كان بينهم، ورد المال إلى أهله، وقسمت على ما حكم الله بها له وأمضاها فيه.

وقال في مجموع الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام ما لفظه:

المولى في أصل اللغة: ابن العم، والقريب، والناصر، والحليف، والأولى، والمالك للتصرف، والمعتق، والمعتق؛ والموالي فيما ترك الوالدان هم: بنو العم، ومما ترك الأقربون: الناصرون، والذين عاقدت أيمانكم: موالي أيضا بالحلف، وكانوا يتوارثون بالحلف بالجاهلية، وصدرا من الإسلام، ثم نسخ الله ذلك بآيات المواريث: للعصبات، وذوي السهام، وذوي الأرحام.

قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء﴾ [النساء: ٣٤]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

القيام عليهن فهو: الحفظ لهن، والحياطة والستر، والقيام بمصالحهن، والدفع

للمظالم عنهن، والإنكاح لهن بتوكيل الله لرجالهن عليهن؛ فإذا قد وكل الله سبحانه الرجال على النساء - فكيف يجوز لهن أن يقطعن أمرا بغير إذن وكيلهن؛ لو أن رجلا وكله أحدكم على شيء، ثم فعل فيه غيره فعلا لم يجز فعله - أولستم ترون أن الوصي الذي يوكله الميت على ولده وماله، فلا ينفذ شيء إلا بأمره، ولا يجوز فعله إلا بحكمه؟ فإذا كان هذا لا يجوز من أمر المخلوقين، فكيف أجازوه في حكم رب العالمين، والله يقول تبارك وتعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾؟! فحكم سبحانه لهم بذلك عليهم، وأقامهم في أمورهن، وجعل النكاح في أيدي رجالهن، لا في أيديهن. ومن حكم الله عز وجل: أن جعل إنكاحهن في أيدي الرجال؛ فلولا ذلك لهتكت الحرم، وظهرت الفواحش، وبطلت الأنساب، ولادعى كل دعوى في ذلك، ولجاز له في ذلك ما أحب من الأشياء، ولما عرف زان، ولا أقيم عليه في فعله هوان؛ وفي ذلك: ما لا اختلاف فيه عند جميع الخلق، وما لم يزل يعرف من سالف الدهر من حكم الله سبحانه للرجال بإنكاح النساء؛ وفي ذلك ما يقول عز وجل، ويخبر عن شعيب، حين يقول لموسى صلى الله عليه: ﴿إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج...﴾ الآية [القصص:٢٧]، فلو كان عقد النكاح إلى النساء - لقال: " إن إحدى ابنتي تريد أن تنكحك على أن تأجرني ثماني حجج "، فلما قال: ﴿إني أريد أن أنكحك﴾، كان عقد النكاح إليه، لا إليها.

ومن ذلك: ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((لا تردوا الأكفاء))، يأمر بذلك رجالهن، ولو كان الأمر إليهن لقال لا ترددن الأكفاء، وقد قال الله سبحانه: ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾[النساء:٢٥]، وما قد أجمعت عليه الأمة بأسرها: أنه لم تنكح في عهد رسول الله صلى الله عليه امرأة إلا بإذن وليها، ولا سمعنا أحدا يذكر في سالف الدهر والأمم، ولا في عصر الأنبياء عليهم السلام، ولا في حكم من أحكام الكتب المنزلة: أن امرأة أطلق لها أن تنكح نفسها دون

وليها؛ فإن الله سبحانه الحكم العدل الذي أتقن كل شيء، ليس في حكمه فساد، ولا في أمره تناقض ولا اعتناد، ولو جعل سبحانه النكاح في أيدي النساء لخرجن من أيدي الرجال، ولأفسدن في كل حال؛ وفي ذلك ما يروى عن أمير المؤمنين رحمة الله عليه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((لا نكاح إلا بولي وشاهدين)). وروي أيضا عنه عليه السلام: أنه قال: ((كل نكاح بلا ولي فهو زنا)). وفيه أيضا: ما روي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((أي امرئ نكح امرأة بغير إذن وليها فنكاحها باطل))، حتى قالها ثلاثا...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام:

عبادته: نهاية الذل والاستكانة له؛ لأن العبادة: التذلل، والتعبد: التذلل، " طريق معبد" أي: مذلل، ولا يشرك شيئا في عبادته: لا يعبد من دونه أحدا، ولا يعتقد النفع والضر إلا من قبله؛ فإن أضفنا أحدهما إلى غيره جعلنا له شريكا في ملكه، تعالى عن ذلك.

قوله: ﴿وبالوالدين إحسانا﴾، معناه: يوصيكم الله أن تحسنوا إلى الوالدين إحسانا تاما، والإحسان إليهما: أن لا تشبع ويجوعان، ولا تكتسي ويعريان، وإن كانا مشركين صاحبهما في الدنيا بحسن العشرة، دون المساعدة في المعصية.

قوله تعالى: ﴿وبذي القربى﴾، معناه: يوصيكم بذي القربى، أن تصلوا رحمه، وترعوا ذممه.

قوله تعالى: ﴿واليتامى﴾، وهم: الذين مات آباؤهم وإن حييت الأم، فإن

ماتت الأم فأعظم في باب اليتم؛ قوموا بحقهم، وأحسنوا مواساتهم، ﴿والمساكين﴾ هم: الطوافون للقمة والكف؛ أوصى الله سبحانه بهم .

قوله: ﴿والجار ذي القربى﴾، معناه: قريب الدار والنسب، وقوله تعالى: ﴿والجار الجنب﴾، يريد: قريب الدار، بعيد النسب؛ وقد حد الجوار: بأربعين دارا من الجهات، والأولى: أن لا يحدد إلا بما يجري به العرف في المعاشرة.

قوله تعالى: ﴿والصاحب بالجنب﴾، معناه: من يصطحبك في السفر فإن له حرمة، ولهذا يجب عليك شرعا القيام بحاله، وحفظ ماله إن جرى عليه تلف.

قوله تعالى: ﴿وابن السبيل﴾، وهو: المسافر يلزم القيام بحقه؛ لبعده عن أهله ورحله، ومساس الحاجة؛ والإسلام رحمة وصل الله سبحانه بها ما قطعت جفوة الكفر، وغلظة الشرك، وجعل الله تعالى قواعده: مكارم الأخلاق؛ فله الحمد كثيرا.

قوله تعالى: ﴿وما ملكت أيمانكم﴾، معناه: وأوصاكم بما ملكت أيمانكم، والإحسان إليهم، والرفق بهم، وأن لا تكلفهم ما لا يطيقون، وأن لا تمنعهم من عبادة الله سبحانه .

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْض وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]

قال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: ﴿يومئذ﴾ هو: يوم القيامة، يوم الدين وحشر العالمين، والموقف بين يدي أحكم الحاكمين، يود الكفرة يومئذ عند معاينة العذاب والإيقان بشر مآب: أن الأرض تسوى بهم، وتسويها فهو: انخسافها وذهابهم فيها من شدة ما يرون، ثم قال: ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾، فهم يوم القيامة لا يكتمون حديثا من أفعالهم، ولا شيئا مما سلف من زمان حياتهم،

وأيام لهوهم؛ ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾[يس:٦٥]، فأي حشمة أو فضيحة أو عظيمة أشد من كلام الجوارح، وشهادتها على العبد بما كان من فعله، وما ارتكب من معصيته في أيام مهلته وأوان غفلته؛ فنعوذ بالله من شر المنقلب، وموقف الجزاء، وقبح الهول والخزاء؛ إنه ولينا، وغاية قصدنا.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ [النساء: ٤٣]

قال في المجموعة الفاخرة:

وأما قوله سبحانه: ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾، يعني: سكر النوم؛ وذلك أن قوما من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كانوا يصلون مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاة المغرب، ثم يجلسون ينتظرون العتمة، فإذا جاءت العتمة قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بهم، فيقومون وراءه، وليس هم يدرون ما يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مما بهم من الغلبة والسكر والنوم؛ فنهاهم الله عن الصلاة وهم في ذلك، حتى يعلموا ما يقولون؛ لأن الله عز وجل لم يحل لأحد من خلقه خمرا قط.

وقال في كتاب تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا﴾؟

فالسكر الذي نهي عن الصلاة معه وفيه فهو: سكر النوم، وغلبته، وغشيانه لعقل من ينزل به؛ فنهى الله المؤمنين عن الصلاة، حتى يزول عنهم اسم النوم، ويصيروا إلى حد المتيقظين من الأنام، وترجع إليهم عقولهم، فيعرفون ما

يقولون، وما يقرأون في الصلاة فيفعلون.

وأما قوله: ﴿ولا جنبا إلا عابري سبيل﴾، فعابر السبيل: مجيز الطريق من أبناء السبيل الذين قد وقع عليهم اسم السفر، وجاز لهم عند الله عز وجل القصر.

وقال في مجموع المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾؟

وقد مضى تفسيرها إليكم.

وقلت في آخر كلامك: " دليل على أن الله عز وجل قد أجاز شرب الخمر "؟

ومعاذ الله، ما في هذا دليل على ترخيص في المسكر؛ وكيف يرخص في ذلك، وهو يقول تبارك وتعالى: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾[المائدة: ٩٠]، مع ما نزل فيه من الحد، وشدد فيه الرسول عليه السلام؟!! ولكن السكر الذي نهى الله عن الصلاة فيه: سكر النوم؛ وذلك أن المسلمين كانوا يأتون من أعمالهم، وهم تعبون، فيحضرون الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا صلوا المغرب وانتظروا العشاء مالت بهم أعينهم، فإذا نهض النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصلاة قاموا بسنح النوم ووسنه وشدته يصلون؛ فلا يسمعون قراءة، ويختلط عليهم كثير من حدود صلاتهم؛ لغلبة النوم؛ فنهاهم الله عز وجل عن ذلك. ولو كان هذا السكر: سكر الخمر، كما قلت - لكان مطلقا لهم ترك الصلاة؛ لأنه نهاهم ألا يقربوا الصلاة وهم سكارى، فقد أحل الخمر لهم، فإذا كان كذلك فقد جاز لهم ترك الصلاة أبدا حتى يصحوا؛ لأنه أمرهم: لا يقربوها وهم سكارى، فصار تركهم لها عند سكرهم فرضا من الله عز وجل عليهم، بأمره سبحانه لهم بذلك، وإطلاقه لهم، فهم غير معذبين، ولا مأثومين في تركها. والله بريء من ذلك، متعال عنه؛ بل

حظره عليهم، ومنعهم أشد المنع منه، وعذبهم على فعله؛ وإنما السكر الذي نهاهم الله عنه: سكر النوم، وأمرهم عند الصلاة بالتيقظ والانتباه، وإعادة الوضوء؛ فهذا تفسير الآية ومعناها.

قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء:٤٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾، فقلت: كيف يحرفون الكلم عن مواضعه، وما معنى تحريفهم له؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هل يكون - يرحمك الله - تحريف هو أشد من تحريفهم لما أنزل الله في التوراة، من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وما كان فيها من صفته، والأمر بطاعته، والدلالة عليه؛ فحرفوا كلام الله فيه وبدلوه، وغيروه وكتموه؛ فهذا أشد تحريف، وأوضح ما يعرف من الحيف.

ومن التحريف أيضا: الكذب على المؤمنين، وتغيير كلامهم، وإدخال الفساد في ذلك بالظلم لهم.

ومن التحريف: ألا يسمعوا شيئا من ذكر الله سبحانه، ولا من كلام نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلا حرفوه وخرجوه على غير معناه، وأوهموا الناس فيه غير ما أنزله؛ لأن اليهود أشرار الخلق، وأعداهم لله ولرسوله، وأقساهم قلوبا، وأشدهم كفرا وحقدا على المؤمنين؛ لا تخشع قلوبهم لذكر الله، إلا اليسير من الكثير؛ وذلك قول الله سبحانه: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾[المائدة:٨٢].

قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٤٧)﴾ [النساء:٤٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ياأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: معنى قوله: ﴿آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم﴾: أراد سبحانه من أهل الكتاب الإيمان به، وبكتابه ورسله، ومعنى ﴿مصدقا لما معكم﴾: لما في توراتكم من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وصفته، والأمر بطاعته؛ لأن الله عز وجل قد ذكره لهم في كتابه، وأخبرهم أنه سيرسله، وأمرهم بطاعته، وبين لهم صفته؛ فإذا لم يؤمنوا بما قد ذكر لهم في كتابهم - فلم يصدقوا بشيء مما في توراتهم، وكذلك لو لم يرسل محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم على ما أخبرهم ووعدهم لكان ذلك خلفا لوعده؛ فكان إرساله لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم تصديقا لما ذكر في التوراة من نبوته، وكذلك يلزمهم إذا كذبوا بما في التوراة من بعد إثباته وتبيينه - فقد كذبوا بكل ما في التوراة من وحي، وأمر ونهي، ووعد ووعيد، وإذا كذبوا بذلك فقد باينوا بالكفر، وجاهروا به؛ وسواء جحدوا شيئا واحدا مما أمروا به، أو جحدوا جميع ما أنزل إليهم، وما حكم الله به وأمر فيهم.

ومعنى: ﴿من قبل أن نطمس وجوها﴾ فهو: الخذلان لهم، والإذلال والهوان، وإنزال المصائب بهم، والمسخ لهم، والتغيير لخلقهم، ﴿أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت﴾، واللعنة من الله عز وجل فهي: العقوبة والعذاب، وأراد سبحانه: ينزل بهم كما أنزل بأصحاب السبت، من المسخ لهم، والتغيير لخلقهم.

وأصحاب السبت فهم: الذين خالفوا أمره في الحيتان، فمسخهم الله قردة وخنازير.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٤٨/ النساء: ١١٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

تأويل ذلك: أن الله قادر على ما شاء، من مغفرة أو تعذيب لمن خلق وأنشأ، وليس ذلك خبرا من الأخبار: أنه غير معذب لمن وعده بالنار؛ لأنه جل ثناؤه لو لم يعذب من وعده بالعذاب، من أهل الكبائر - لكان في ذلك خلف وإكذاب لما وعد به في ذلك من الميعاد؛ وفيما ذكر سبحانه من وفاء ميعاده ووعده بذلك: ما يقول سبحانه في كتابه: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد﴾ [الرعد: ٣١]. وليس بين قوله سبحانه: ﴿لا يغفر﴾، وبين ﴿يعذب﴾ فرق؛ لأن من لا يغفر له فقد عذبه، ومن عذبه فلم يغفر له.

وقد أورد الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام كلام جده القاسم بن إبراهيم عليه السلام في تفسير هذه الآية بلفظه.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام، بعد أن ذكر الآية ما لفظه:

وسأبين لمن ضل عن هذه الآية كيف تفسيرها: إن قول الله جل وعلا: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾، الذين يشاء لهم المغفرة: الذين أنزل فيهم: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾[النساء: ٣١].

فمن وعد الله من أهل القبلة النار بكبيرة أتاها؛ فإن الله تعالى قال: ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾[الرعد: ٣١]، وقال تعالى: ﴿إنه كان وعده مأتيا﴾[مريم:٦١]، وقال تعالى: ﴿ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد﴾[ق: ٢٩].

فسلهم عن أصحاب الموجبات: هل وعدهم الله تعالى النار عليها أم لا؟ فإن شهدوا أن الله تعالى قد وعدهم النار عليها، فقل: أتشهدون أن الله سبحانه وتعالى سينجز وعده، أم في شك أنتم، لا تدرون: هل ينجز الله وعده أم لا؟

وسلهم عمن شهد الله عليه والملائكة، فإن الله عز وجل قال: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا﴾[النساء: ١٦٦]؛ فارضوا بما شهد الله به، واشهدوا عليه ولا ترتابوا، فإن الله جل وعلا قال: ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾[النساء: ١٢٢].

فمن حدثكم حديثا بخلاف القرآن فلا تصدقوه واتهموه، وليكن قول الله عز وجل أشفى لقلوبكم من قولهم: إن أصحاب الموجبات في المشيئة؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذ بكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾[المائدة: ٨]؛ فمن يشاء أن يغفر له من هؤلاء -يترك اليهودية والنصرانية، وكذلك من شاء أن يغفر له من أهل القبلة -يترك الموجبات لا يعمل بها، فإن عمل بشيء منها ثم تاب إلى الله تعالى قبل أن يموت - فإن الله تعالى قال: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين﴾[إبراهيم: ٢٧]، فمن مات مؤمنا دخل قبره مؤمنا، وبعثه الله عز وجل يوم القيامة مؤمنا...(إلى آخر كلامه عليه السلام)

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤)﴾ [النساء: ٥٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هؤلاء المذكورون في الحسد هم: أهل الكتاب؛ حسدوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ما خصه الله به وأعطاه، وحسدوا المؤمنين، ومن تبعه من المسلمين؛ فقال الله سبحانه: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما﴾، فأخبر عز وجل بما آتى الأنبياء، وهذا دليل على أنهم أرادوا النبوة فيهم، وحسدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما خصه الله به من الملك، وأنزل عليه من الوحي؛ ألا تسمع كيف يقول: ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما (٥٤) فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه﴾[النساء:٥٤، ٥٥]، فلم ينتفعوا - إذ كان ذلك في داود وسليمان- حتى صدوا عنه وأبعدوه، وكرهوه ونابذوه، ثم ذكر ذرية إبراهيم، فقال: ﴿ومن ذريته داوود وسليمان﴾[الأنعام:٨٤]، وقد كان أعطى داود ملكا عظيما، فاختلفوا عليهما كاختلافهم على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وزعموا أن ملك سليمان كان بالسحر، فلم ينتفعوا بذلك.

وأما ما قلت: إنهم حسدوا محمدا النساء - فهذا شيء لم يكن؛ ولكن حسدوه في النبوة، وفي الملك الذي آتاه الله إياه.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء:٥٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

أولوا الأمر: أمراء السرايا، وعلماء القبائل، وحلماء العشائر، والحكماء الذين يأمرون بالمعروف والهدى، وينهون عن الردى، لما أمروا بها أمر به رب العالمين، وأبرار آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلماؤهم؛ وهم: فولاة الأمر منهم؛ لما فضلهم الله به على غيرهم، من قرابة رسول الله، ومشاركتهم لأهل البر فيه؛ فلهم من القرابة ما ليس لغيرهم، وهم شركاء الأبرار في برهم.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام، وقد ذكر الآية ما لفظه:

قال مجاهد وعطاء: الفقهاء والعلماء من آل محمد.

وقال في موضع آخر:

الرد إلى الله أي: إلى محكم كتابه، وما أقام الله من أدلته. وإلى الرسول أي: إلى سنته الجامعة إذا لم يكن من العترة من يرد إليه؛ لأن الكتاب والسنة والعترة الطاهرة –أما [1] في أهل الخشية، الذين يلجئون إليه عند كل شبهة وفتنة؛ بذلك جاء الخبر عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((إنها ستكون فتنة)) قلت: يا رسول الله، فما المخرج منها لمن فتن؟ قال: ((كتاب الله؛ فيه خبر ما قبلكم، وحكم ما يأتيكم؛ فمن ابتغى الهدى في غيره، أو سأل عنه غير أهله أضله الله، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن

---

(١) – هكذا في النسخة المطبوعة المنقول منها، ولعل صواب العبارَةِ:" أَمَانٌ في أهل الخشية "، أي: لأهل الخشية؛ تأمَّل. (جامعه).

اهتدى به هدي، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم))، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الحديث هدي محمد – صلى الله عليه وآله الطيبين –، وشر الأمور محدثاتها))، وقال ابن مسعود: " إن الله شرع لنبيه عليه السلام سنن الهدى "، وأهل الخشية لله لا يجاوز عملهم الكتاب والسنة، والأعلام القائمة الداعية إلى الله من العترة، الذين لا يتكلفون من العلم ما لم يكلفوا، ولا يتكلمون فيما كلفوا إلا في موضعه، ولا يضعونه إلا في أهله؛ لأنهم علماء بالعلم والسياسة للعلم، ويعملون لله بالعلم في السر والعلانية؛ فإذا كانوا كذلك أورثهم الله زهرة العلم، وهو العلم الباطن، الذي هو: فهم القلوب لكل معتبر به، وصاحب العبرة فيه، ومن استخراجهم له من البرهان، وحشاه من الدلالة عليه [1]؛ فيورثهم ذلك النطق بالحكمة، والعبادة عنها، والدعاء لمن حد عنها إليها؛ وذلك أن العلم علمان، كما روى الحسن عن النبي صلى الله عليه: ((العلم علمان: فعلم على اللسان؛ فذلك حجة الله على ابن آدم، وعلم في القلب؛ فذلك العلم النافع))... (إلى آخر كلامه عليه السلام)

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

قول الله سبحانه: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾، وأولوا الأمر الذين أمروا بالكينونة معهم فهم: الصادقون بادعاء الإمامة، وهم المستوجبون لها، والمستحقون لفرضها.

وهم: من كانت فيه الصفات التي تجب له بها الإمامة: من ولادة الرسول، والعلم، والدين، والزهد، والورع، والمجاهدة لأعداء الله، من كشف رأسه، وسل سيفه، ونشر رايته، ودعا إلى الحق وعمل به، وزاحف الصفوف بالصفوف، وأزلف الألوف إلى الألوف، وخاض في طاعة الله الحتوف، وضرب بالسيوف الأنوف،

---

(١) – هكذا في الأصل المنقول؛ فليُتَأَمَّل. (جامعه).

وأقام حدود الله على من استوجبها، وأخذ أموال الله من مواضعها، وصرفها في وجوهها، وكان رحيما بالمؤمنين، مجاهدا غليظا على الكافرين والمنافقين، معه علمه ودليله، والعلم والدليل: الكلام بالحكمة، وحسن التعبير، والجواب عند المسألة، والفهم لدقائق غامض الكتاب، ولدقائق غيره من كل الأسباب، التي يعجز عن استنباطها غيره، ويضعف عن تثبيتها سواه.

فمن كان في الصفة كما ذكرنا، وفي الأمر كما قلنا فهو: الإمام الذي عقد الله له الإمامة، وحكم له على الخلق بالطاعة؛ فمن اتبعه رشد واهتدى، وأطاع الله فيما أمر به واتقى، ومن خالفه فقد هلك وهوى، وأفحش النظر لنفسه وأساء، واستوجب على فعله من الله العذاب الأليم، والخلود في الهوان المقيم، ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾ [السجدة: ١٨ - ٢٠].

قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ [النساء: ٦٥]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

يقول سبحانه لنبيه صلى الله عليه وعلى آله، مخبرا له عن أصحابه، مقسما بنفسه: أن أصحابه لا يؤمنوا على حقيقة الإيمان، حتى يردوا إليه - عليه السلام - ما تشاجروا فيه، وهو: ما اختلفوا فيه، ثم يرضوا بحكمه في ذلك، ولا يجدوا في صدورهم شيئا فيه، ولا غضبا منه، ﴿ويسلموا تسليما﴾ أي: ينفذوا حكمه، ويسلموا له، ويرضوا به، ولا يردوه.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله: ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾: ولا يصح لهم الإيمان، ﴿حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾: من مناظرتهم، وما اختلفوا فيه من أمورهم، ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت﴾، والحرج فهو: الشك والارتياب وضيق الصدر، فإذا لم يجدوا ذلك في قلوبهم من حكمه، ولم يراجعوه في شيء من قوله، ويسلموا لذلك - فقد صح لهم الإيمان، وبعدت عنهم نزغات الشيطان؛ وهذا دليل على أنه قد كان مع رسول الله صلى الله عليه من إذا حكم عليه بحكم، أو أنفذ شيئا من أمور الله فيه - حرج صدره، وضاقت نفسه؛ فنبههم الله في ذلك، وبين لهم أنه شريطة الإيمان، ويتم عليهم فيه من الله النعمة والإحسان؛ فهذا معنى الآية وتفسيرها.

وقلت: هل كتب الله عليهم أن يقتلوا أنفسهم؟

أولا تسمع كيف يقول عز وجل: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم﴾[النساء:٦٦]، ولم يقل: كتبنا؛ فأخبر سبحانه: أنه لو امتحنهم وأمرهم بشديد من الأمر - ما قدروا على ذلك ولا أطاقوه؛ فهذا يوجب الشكر له عز وجل عليهم؛ إذ لم يمتحنهم بمحنة تصعب، ولا بفرض منه سبحانه يغلب، ولم يكلفهم شيئا من الأمور المعضلات، التي كلفها غيرهم من القرون الخالية، والأمم السالفة؛ فيجب عليهم بتركها: اسم المعصية، ويستوجبوا من الله فيها النقمة، أو يحمدوا على فعله، ويثابوا في الآخرة على عمله؛ بل خفف عليهم الامتحان، وأوجب لهم بفعلهم المغفرة والرضوان.

وقد ذكر عز وجل: أنه قد امتحن قوم موسى بقتل أنفسهم، وقيل: إنهم امتحنوا بقتال عدوهم، وحرم عليهم أن يزولوا من مصافهم، حتى يفنوا عن آخرهم؛ وكل ذلك فمحنة شديدة عظيمة؛ إذ لم يجعل لهم توبة دون فعل ما أمرهم به؛ وذلك قوله عز وجل في كتابه، يخبر عن موسى عليه السلام في قوله لهم:

﴿وإذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم﴾[البقرة:٥٤]، وقد امتحن الله عز وجل: الأمم من قبل أمة **محمد** صلى الله عليه بأمور شديدة، وأسباب جليلة، وتعبدهم بفرائض خففها؛ **خفف ذلك كله عن أمة محمد** صلى الله عليه؛ رحمة منه لهم، وإكمال حجة عليهم، وكرامة لنبيهم صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم.

قوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩)﴾[النساء: من آية (٦٩)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وحسن أولئك رفيقا﴾، فقلت: ما معنى الرفيق؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: ألا تسمع كيف يقول الله عز وجل في أول الآية: ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين...﴾، إلى آخر الآية، ومعنى قوله: ﴿رفيقا﴾ - فالرفيق هو: الصاحب، والمجالس، والمحادث، والمقارن؛ فهذا هو الرفيق.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢)﴾[النساء: ٧٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿ليبطئن﴾ هو: يتخلف ويتشاغل عن الغزو

والخروج، فإن أصاب المسلمين مصيبة، كما قال الله عز وجل- والمصيبة فهي: المحنة والنازلة - :﴿قال: قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا﴾، والشهيد فهو: الحاضر؛ فهؤلاء ومثلهم المتربصون برسول الله صلى الله عليه وبالمؤمنين - قد ذكرهم الله عز وجل، فقال: ﴿ويتربصوا بكم الدوائر عليهم دائرة السوء﴾. وإن ظفر المؤمنون بعدوهم، وأصابوا غنائما، وفضلا ونعمة من الله وخيرا - كان منهم ما قد ذكر الله سبحانه عنهم، وأخبر به من قولهم: ﴿ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما﴾[النساء:٧٣].

وهذا الإبطاء - الآن في الناس يفعلونه، ونراه منهم عيانا في الغزوات والجهاد؛ وإنما يكون ذلك ممن لا دين له ولا معرفة، يرى الجهاد مغرما، والسير فيه تعبا؛ لقلة العلم، ورداءة المعرفة.

وقد يمكن: أن يقولوا هذا في الآخرة، عندما يرون من ثواب المؤمنين وعطائهم، وإحسان الله إليهم على ما كان من جهادهم، وسرعة نهوضهم في ما افترض الله عليهم، ثم يرى أهل التخلف والتثبط ما يصنع الله للمؤمنين، فيندمون على ما كان منهم، ويأسفون على تخلفهم، ويقولون: ﴿يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما﴾، فيكون أسفهم على ما فاتهم من: غنائم المؤمنين التي نالوا؛ بجهاد الظالمين. فهذا وجه مما يصلح ويخرج في تفسيرها، والوجه الأول عندي هو مخرجها، إلا أني أستحب تخريج المسألة على وجهها، والشرح لما تخرج عليه من أبوابها.

قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧)﴾ [النساء: ٧٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة...﴾، إلى قوله: ﴿ولا تظلمون فتيلا﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هؤلاء قوم ممن كان مع رسول الله صلى الله عليه من المنافقين، ممن كان يظهر بلسانه ما ليس في قلبه، وكانوا يتنزعون إلى الفتنة والقتال، ويمدون أيديهم فيما لا يجوز من الأفعال؛ فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، وكان فعلهم هذا من قبل أن يفترض الله عز وجل على النبي صلى الله عليه الجهاد، فأمرهم سبحانه بالجهاد، وحكم به عليهم، وأطلق لنبيه ولهم، ثم نكلوا عما كانوا يقولون، ورجعوا عما كانوا من أنفسهم يظهرون، ثم أخبر أنهم يخشون الناس، ويفزعون من قتالهم، كخشية المؤمنين لله، الذي لا ينكلون عن أمره، ولا يرجعون عن حكمه؛ فذكر عز وجل هؤلاء المنافقين: أنهم يخشون الناس ويهابونهم كخشية الله، وليس لهم خشية لله، ولو كانت لهم خشية لله وهيبة ومعرفة ما نكلوا، ولا رجعوا، ولا ونوا، ولا قصروا؛ ولكن الله عز وجل أخبر نبيه والمؤمنين: أن هؤلاء المنافقين يخشون الناس كخشية الله التي في قلب نبيه وقلوب المؤمنين معه؛ فذم الله سبحانه أهل النفاق، والكفر والشقاق؛ بفعلهم، وما ربك بظلام للعبيد.

وقولهم: ﴿لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾، يقولون: إلى انقضاء المدة، وحضور الموت؛ فأخبرهم عز وجل أن متاع الدنيا قليل، وأنهم لو بلغوا في المدة غاية الأمل والإرادة لكان آخره انصرام وذهاب، وكل ما زال وذهب فليس بغبطة لمن كان له عقل ومعرفة.

والفتيل فقد قيل: إنه الذي يكون وسط النواة، وقد قيل: إنه الذي يكون في شقها، والفتيل عندي: ما قل وحقر وصغر.

وقد قيل: إن هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري، وقدامة بن مظعون الجمحي، وسعد بن أبي وقاص الزهري.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨)﴾ [النساء: ٧٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

ومما يحتجون به: قول الله سبحانه: ﴿قل كل من عند الله﴾، فصدق الله عز وجل في قوله، غير أنهم لم يفهموا التأويل؛ لأنه يقول سبحانه: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾ [آل عمران: ٧]، وليسوا من أولئك. وإنما أراد الله عز وجل أن ينقض على الكفار قولهم؛ لأنه إنما كان الكفار إذا أصابهم مما يحبون من جميع الخير، مثل: الخصب، وزكاء الزرع، وكثرة النسل؛ ابتداء لهم من الله بالإحسان والمن، وتوكيدا للحجة عليهم والإنعام -قالوا: " هذا من عند الله "، وإذا أخذهم الله بشيء من فعلهم، وخبث نياتهم، وعظيم جرمهم، وإكذابهم لمحمد صلى الله عليه وآله، ولما جاءهم به، وابتلاهم الله بنقص الخصب، وقلة المطر، والزرع، والنسل -قالوا: " شؤم محمد ومن معه "؛ فأخبر الله سبحانه: أن

هذه الزيادة والنقصان في جميع ما ذكرنا -من الله، فقال: ﴿كل من عند الله﴾، ثم شرح ذلك مبينا للخير: ﴿فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا (٧٨) ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء: ٧٨ . ٧٩]، يقول: ثواب من الله سبحانه لكم على ما كان من الطاعة، وخزي وعقاب منه سبحانه لكم على ما كان من أنفسكم من المعصية، والعمل القبيح، وترك الائتمار لأمره، فيقول: ما أصابكم من الزيادة فيه والصلاح، فمن نعم الله عليكم، وتفضله وإحسانه إليكم، وما أصابكم من نقصان ذلك وفساده فمن قبيح أعمالكم، وسوء نياتكم، وإصراركم على المعاصي، وإنما دخل عليكم من أنفسكم -لما فعلتم ما فعلتم، حتى وجب الشنآن عليكم بذلك الفعل من الله سبحانه؛ وهذا تفسير ما جهلوا من ذلك.

وقال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام:

قالت المجبرة القدرية : إن كل خير وشر من طاعات الله ومعاصيه، ويسر الدنيا وعسرها، وغير ذلك -فمن الله، وفعله وخلقه؛ ويتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، واحتجوا لذلك من قولهم: بقول الله سبحانه :﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾.

والخير والشر: خيران وشران في كتاب الله، فخير من الله: فذلك حسنة منه، وهو: ما ينعم الله به على عباده، من: الصحة، والخصب، واليسر، والغنى، والنصر، والغنائم، والرخاء، وغير ذلك من صنوف نعمه عليه؛ وشر وهو سيئة، وذلك فيما يبتلي الله به عباده، من: المرض، والمصائب، والقحط، والفقر، والعسر، والجراح، وغير ذلك، وقتل الأحباب وموتهم؛ ومن هذا الشر: ما يكون عقوبة على صغائر ذنوب المؤمنين؛ قال الله جل ذكره : ﴿ما أصابكم من

مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾، فهذه المصائب تكون في الدنيا تمحيصا للمؤمنين، ومحقا للكافرين، وقال تقدس ذكره : ﴿وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾، وقد سمى هذه السيئات في كتابه شرا، فقال:﴿إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا﴾، وقال: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾، وقال سبحانه: ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾، فكان أهل النفاق والشك إذا أصابهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسنة وخير، ونصر وغنيمة، وخصب ويسر -قالوا: " هذا من عند الله "، وإذا أصابهم سيئة ومصيبة، وجراح وشدة وقحط، وما أشبه ذلك -قالوا: " هذه من عند محمد وبشؤمه "، وتطيروا به، كما فعل فرعون بموسى عليه السلام، فأنزل الله جل ذكره فيهم:﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾، فقال الله جل ذكره لمن تطير بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم :﴿قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾؛ ولعمري إن المجبرة لم تفقه عن الله حديثه.

وحسنات أخر، وسيئات من خير وشر، وهي: أعمال العباد التي لم يفعلها الله، ولا يجوز أن يقولوا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم : " ما عملنا من المعاصي فمن عندك "، والتي بين الله جل ذكره حالها، وفرق بينها وبين الحسنات والسيئات - التي ذكرتها أولا- في محكم كتابه، ونسبها الى عباده العاملين لها دونه، فقال : ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾، وقال: ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها﴾، وقال: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ في أشباه لذلك؛ والحمد لله رب العالمين، على حكمته وبيانه، ولطفه وجميل إحسانه، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله

وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا(٧٨)ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾، فقلت: مرة ينسبه إلى نفسه، ومرة ينسبه إلى العبد؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا تفهيم من الله عز وجل، وتبيين لمن كان مع محمد صلى الله عليه؛ وذلك أنه كان بعضهم إذا أصابتهم حسنة وغنيمة ونصر - قالوا: هذا من الله عز وجل، وإذا أصابتهم محنة نسبوها إلى نبيهم صلى الله عليه، وهذا كلام من كلام بعضهم يوم أحد؛ وذلك أنهم لما اشتوروا في قتال المشركين أشار بعضهم بقتالهم في المدينة، وأشار بعضهم بالخروج إليهم، وقالوا: " يا رسول الله، نخشى أن يطمع العدو فينا إذا قاتلنا بين الأزقة وحول القرية، ويظنوا أنا قد دخلنا منهم، أو ضعفنا عن الخروج إليهم"، وأشاروا بالخروج؛ فلما لبس صلى الله عليه درعه، وتقلد سيفه وخرج وسار ساعة، قال له بعض من كان معه: " يا رسول الله، لو رجعت إلى المدينة، فقاتلنا بين أزقتها فهو أنصر لنا "، فقال صلى الله عليه وآله: ((قد أبيتم ذلك، وما كان لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى تنقضي الحرب))، فسار عليه السلام ومن كان معه من المؤمنين، حتى قاتل أهل الشرك والنفاق، فلما عبأ العسكر جعل الرماة على جبلين من ورائه، وأمرهم أن لا يبرحوا من الموضع؛ خوفا منه صلى الله عليه أن يقتحم العدو عليهم من خلفهم، ويأتوا من الطريق التي جعل فيها الرماة مقابلة لهم، فلما أن هزم عليه السلام المشركين، ووقع المسلمون في غنائمهم -خلا الرماة الموضع الذي كانوا فيه، واستغاروا في طلب الغنيمة، فاستدارت خيل المشركين ومن كان معهم، فدخلوا على النبي صلى الله عليه من ورائه، ومن حيث كانت الرماة، فقتل من المسلمين ما قد علمت، وامتحنوا بمحنة عظيمة، جنتها عليهم أنفسهم بما كان من مخالفتهم، فلما أن رجعوا إلى المدينة قال بعضهم: " هذا منك يا محمد، قد كنا أردناك على القتال في المدينة، فغلبت "، فأخبرهم سبحانه عز وجل أنه ما أصابهم من النعمة

والفتح في أول النهار فمن الله، وما أصابهم من سيئة فمن أنفسهم؛ إذ خلوا مواقفهم، وراحوا عن مواضعهم، وتركوا ما أمرهم به نبيهم صلى الله عليه، حتى وجد العدو مدخلا عليهم، من بعد أن أراهم الله ما يحبون.

وأما قوله سبحانه: ﴿قل كل من عند الله﴾ فإنما ذلك معنى سوى هذا؛ يخبر عز وجل عن الحسنة والنعمة منه عليهم، والسيئة التي تنزل بهم، فهو: ما يكافئهم الله به من فعلهم، وما أوجب عليهم من الحد والعقوبة، وما جعل في ذلك من الأحكام الشديدة.

وقد يخرج في هذا وجه آخر: بما يصيبهم من القتل والجراح، فإنما ذلك لفرض الله عليهم؛ إذ تعبدهم به، وأمرهم بالقيام فيه؛ فهذا وجه المسألة وتفسيرها، والله أعلم سبحانه وتعالى علوا كبيرا.

وقد قال بعض المفسرين: إن معنى ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك﴾، قالوا في ذلك: إنه ما كان من مطر وخصب فهو من عند الله، وما كان من قحط وجدب فهو منك، فقال الله عز وجل: ﴿قل كل من عند الله﴾.

وليس التفسير عندي كما فسروا، والقول الأول الذي قلنا به هو الصواب عندنا، والله الموفق لكل خير وسداد.

قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩)﴾ [النساء: ٧٩]

قال في كتاب ينابيع النصيحة للأمير الحسين بن بدر الدين # :

قوله: ﴿مآ أصابك من حسنة﴾: يعني نعم الدنيا والدين؛ فيدخل فيها الطاعات؛ وإنما أضافها إلى الله تعالى - وإن كانت فعلا للعبد على ما تقدم بيانه -

فلأنه أمر ببعضها، وندب إلى بعضها، وهدى إليها، ومكن منها، وزينها، وحببها، ووعد بالثواب على فعلها، وأوعد بالعقاب على ترك ما افترض منها؛ فمن هذا المعنى جاز أن تضاف إليه.

وقوله تعالى: ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾، يريد: ما أصابك بسبب معاصيك فمن نفسك؛ لأن المعاصي فعلك؛ فهي عقاب لك.

وروي أن هذه الآية لما نزلت قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يصيب رجلا خدش عود، ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق إلا بذنب؛ وما يعفو الله أكثر»؛ فجرى ذلك مجرى التفسير للآية؛ وكل ذلك يدل على صحة ما قلناه، والله الهادي.

ومما يدل على ذلك: قوله تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾[الروم:٤١]؛ فإن قيل: وما تلك العقوبة؟ قلنا: كالقحط، والغلاء، والأمراض، وما ينالهم من المحن والشدائد؛ ولأن المتعارف أن الظلم إذا كثر انقطعت البركات وأسبابها، ويخلي الله بين عباده. ومتى قيل: أيكون ذلك عقوبة، أو محنة؟ قلنا: كلاهما جائز؛ وقد قيل: بالعدل ينبت الله الزرع، ويدر الضرع، وبالظلم يكون القحط، وضيق الرزق، وإمساك المطر.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾ [النساء: ٨١- ٨٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير

الذي تقول﴾، فقلت: ما معنى التبييت؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا إخبار من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه بفعل أهل النفاق، والشك والارتياب؛ كانوا إذا دخلوا على النبي صلى الله عليه، وسمعوا الحكمة وما أنزل الله من الموعظة، ثم خرجوا من عنده -باتوا في ليلتهم، يبيتون تحريف كلامه، والكذب في قولهم عليه، مدبرون لصد الحكمة التي يسمعون، متبعون لغير ما به يوعظون.

وقد قيل: إن معنى ﴿بيت طائفة منهم غير الذي تقول﴾، أي: بيتوا غير ما أعطوك من أنفسهم.

وليس ذلك كذلك، ولا القول فيه إلا ما قلنا به أولا.

وقلت: ما معنى قوله سبحانه: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾، فقلت: قد نجد فيه ألفاظا مختلفة، حتى كأنه ينقض بعضها بعضا؟

واعلم - هداك الله - أن هذا شيء لا يطلق في الكتاب، ولا يتكلم به أهل المعرفة والألباب؛ قد بعد من الاختلاف والتناقض؛ بل هو المؤتلف الواضح، يشهد بعضه لبعض، ويؤكد بعضه بعضا، ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾، شفاء من الأدواء، ونور لمن اهتدى، منجي من الهلكة، قائد في كل ظلمة، لا يضل من تعلق به، ولا يهلك أبدا من تمسك بحبله، فيه شفاء الصدور، وموضح ما التبس من الأمور، ولو كان في نسقه، ورصين كلامه، ومحكم تأليفه، وعزيز مطرد وصفه: اختلاف وتناقض أو تفاوت -لما قال سبحانه: ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾[البقرة:٢٣].

فلما أن كان معناه واحدا، وتنزيله محكما - عز على الخلق أن يأتوا بمثله، أو يقدروا على سورة من شكله؛ فانقطع عند ذلك كلام المتكلمين، وانقطعت لديه

حجج المخالفين؛ فالج من خصمه، وقاهر من حاوره، وناضل من ناضله؛ إليه يرجع الصادون، ويتحاكم المتحاكمون، مزيح الشبهات، وكاشف الظلمات؛ فكل كلام سواه مختلف، وفي معانيه غير مؤتلف؛ فهو كما قال العلي الأعلى: ﴿ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾[يونس:٥٧].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣)﴾[النساء: من آية (٨٣)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

روى أبو القاسم البستي في كتاب (الباهر على مذهب الناصر): عن سعيد بن خثيم الهلالي، قال: سألت زيد بن علي عليهما السلام عن قوله تعالى: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم﴾، فأجاب عليه السلام: بأن الرد إلينا ومنا، ونحن والكتاب - الثقلان.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وقال تعالى: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾، فهم: الذين علموا علم الكتاب والسنة، وعرفوا مواقع حجج الله على خلقه، في سماواته وأرضه، وكلما اختلف فيه خلقه؛ فأورثهم العلم بذلك غائص الفهم، وكلما نزلت نازلة من خبر شبهة، وإحداث بدعة -رجعوا إلى كتاب الله، وسنة نبيه، والحجج القائمة؛ فغاصوا بالفهم، فوجدوا ذلك كذلك باستنباط غوصهم؛ وليس ذلك لغيرهم من أهل الجهل، الذين يضلون بغير علم ولا كتاب

مبين؛ فإذا كانوا كذلك، وقاموا في درجة الفهم عن الله -ثبت الله قلوبهم بتأييده، وأمدهم بمعونته، وعصمهم من الزيغ والشبهة بعصمته.

وقال عليه السلام في موضع آخر:

المستنبط للعلم هو: الكامل الذي إذا أوردت مسألة نظر فيها، وردها إلى أصولها، ثم أفتى بالحق المتعلق بها... (إلى آخر كلامه عليه السلام)

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام، في سياق كلام، بعد ذكره للآية ما لفظه:

أخبر سبحانه: أنهم لو ردوا ما يجهلون علمه، ولا ينالون فهمه إلى الله، بالتسليم له في حكمه، وإلى الرسول في معلوم علمه، وإلى الأئمة من عترته فيما التبس من ملتبسه، واشتبه على الأمة من متشابهه -لوجدوه عند الله في كتابه مثبتا، وفي سنة رسوله التي جاء بها عن الله مبينا، وعند الأئمة من عترته صلى الله عليه نيرا بينا.

ثم أخبر سبحانه: أنه لولا فضل الله على الخلق، بإظهار من أظهر لهم من خيرته، وتولية من ولى عليهم من صفوته -إذا لاتبعوا الشيطان في إغوائه، ولشاركوه في غيه وضلاله؛ فامتن عليهم سبحانه بأئمة هادين مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، صفوة الله من العالمين، وخيرته من المخلوقين، نور الأمة، وسراج الظلم المدلهمة، ورعاء البرية، وضياء الحكمة، ومعدن العصمة، وموضع الحكمة، وثبات الحجة، ومختلف الملائكة؛ اختارهم الله على علمه، وقدمهم على جميع خلقه؛ علما منه سبحانه بفضلهم، وتقديسا لهم على غيرهم...(إلى آخر كلامه عليه السلام)

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا (٨٥)﴾ [النساء: ٨٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ...﴾ الآية، فقلت: ما معنى الشفاعة؟

فمعنى ذلك: أنه من عمل عملا، أو شفع شفاعة، بقول رضي، وعند الله سبحانه مقبول زكي -كان له من ذلك نصيب، ومعنى النصيب: أي حظ وأجر وثواب، وعطاء على فعله، ومجازاة على المرضي من عمله؛ لأن الله لا يضيع أجر المحسنين.

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وكان الله على كل شيء مقيتا﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى مقيتا فهو: مقتدرا؛ وذلك في لغة العرب فموجود: أن المقيت هو المقتدر؛ ألا تسمع إلى كيف يقول الشاعر:

وذو حنق كففت النفس عنه ... وكنت على سوءاته مقيتا

يقول: مقتدرا.

وقد قال بعض المفسرين: إن معنى مقيتا هو: شهيدا. وليس عندي بصواب، والقول الأول أوضح للحق، وأبعد من الشك.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿وكان الله على كل شيء مقيتا﴾، فقلت: ما معنى مقيتا؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: المقيت في لغة العرب برفعة الميم: القادر على الشيء، والمقيت بفتح الميم فهو: البغيض؛ قال قيس بن الأسلت الأنصاري،

يذكر الاقتدار على الشيء ومعناه، فقال:

وذي ضغن كففت النفس عنه ... وكنت على إساءته مقيتا

يعني: قديرا.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء:٨٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله: ﴿فما لكم في المنافقين﴾ هو: ما لكم فيهم حزبين تتحاجون، وفي أمرهم تتحاورون، وهذا القول فكان من المؤمنين في أهل النفاق، والكفر والشقاق؛ فأخبر عز وجل: أنه أركسهم بما كسبوا، أي: خذلهم وتركهم من التوفيق؛ لشراراتهم وبعدهم من طاعة ربهم، فهلكوا بذلك، وصاروا من المعذبين، وعند الله من المقبوحين؛ وذلك أن هؤلاء القوم الذين ذكر الله اختلاف المؤمنين فيهم -رجعوا إلى مكة من بعد إيمانهم، فقال قوم: هم مؤمنون، وقال آخرون: هم منافقون، قد ارتدوا عن الإسلام؛ وذلك أنهم عند خروجهم إلى مكة كتبوا من طريقهم إلى رسول الله صلى الله عليه: إنا على عهدك، والتصديق بدينك، إلا أنا نزعنا إلى وطننا، فوهموا بذلك على المؤمنين، فبين الله نفاقهم، وما كان في ضميرهم، من الرجوع عن الدين، وأوضح أمرهم لجميع المؤمنين.

ومعنى ﴿حصرت صدورهم﴾[النساء: ٩٠]، فالحصر: هو الضيق والحرج.

وقلت: كيف تقرأ: ﴿حصرت صدورهم﴾؟

بتسكين التاء.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (٩٠)﴾ [النساء: ٩٠]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

نزلت هذه الآية في هلال بن عويمر، كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عهد، فلم يكن نقض هلال ما بينه وبين النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فكان مشركوا قريش يخرجون من مكة، فيأتون هلالا، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يريدون قتل من يأتي هلالا من المشركين، فمنعهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما ذكر من قوله: ﴿إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾، فلما أكمل الله سبحانه نعمته على المسلمين، وأعز بنصره خاتم النبيين -نسخ هاتين الآيتين، ونسخ كل عهد كان بينه وبين المشركين، فقال: ﴿واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾، فأمر المسلمين بقتل المشركين حيث وجدوهم، وأن يقعدوا لهم كل مرصد، وأن لا يستبقوا من المشركين أحدا، إلا من تاب من خطيئته، ورجع إلى الله عن سيئته.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢)﴾ [النساء: ٩٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته: عن: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ﴾؟

يقول سبحانه: أن يقتله إلا زلة وغلطا؛ فأما وهو يثبته مؤمنا، ويعرفه بالله موقنا، فليس له أن يقتله، وإن قتله أيضا مخطيا، وكان في إيمانه بالله ممتريا؛ إذ كان من قوم عدو للمؤمنين، ولم يكن عند من قتله من المعاهدين - كان عليه فيه تحرير رقبة مؤمنة، ولم يكن عليه ما كان عليه في الأول من الدية، وإن كان من قوم بينهم وبين المؤمنين ميثاق، والميثاق هو: الذمة والموادعة والهدنة -كان على قاتله فيه تحرير رقبة مؤمنة، وإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، وأي ذلك فعل فهو من الله عليه توبة، ومعنى توبة الله عليه: من الله عائدة ورحمة.

ولا يقتل - رحمك الله - ملي بمعاهد ولا ذمي، وإن كان الملي قتله عمدا، إلا أن يكون بقتله في أرضه مفسدا، فيقتل إن رأى ذلك الإمام بفساده، وتمرده في أرض الله وعناده؛ لقول الله سبحانه: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض﴾ [المائدة: ٣٢]، فأحل الله سبحانه من قتل الأنفس بالفساد - ما أحل من قتلها بالقصاص بين العباد.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة﴾،

ثم قال: ﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد عز وجل بتحرير رقبة: تكفيرا للخطية، ومحوا للسيئة؛ فجعل فيه تحرير رقبة بعد الدية، ثم قال في آخر الآية: ﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله﴾؛ فأوجب الصيام لشهرين متتابعين، فمن لم يجد الرقبة، ولم يطق أن يصوم -فعليه أن يطلب الرقبة، ويجتهد فيها، وتكون في رقبته دينا، حتى يفيدها، أو يمكنه الصيام من قبل المقدرة على الرقبة، فيصوم إن كان تركه أولا؛ لعلة عرضت عليه.

وقلت: هل يحكم على العاقلة بالدية؟

وكذلك يفعل بهم، والدية عليهم.

وقلت: فإن لم يكن له عاقلة، وله مال: هل يخرج من ماله؟

فقد قيل: إن عاقلته - إذ لا عاقلة له - المسلمون؛ لأنهم ورثته؛ إذ لا ورثة له، وإن كان الإمام ظاهرا - وداه من بيت مال المسلمين؛ لأنهم ورثته؛ إذ لا ورثة له.

وسألت عن رجل قتل مسلما عمدا: هل يجب عليه عتق رقبة؟

ولم يذكر الله في كتابه، وإنما يلزمه القتل؛ فإن عفي عنه، وقبلت الدية -فقد أحسن في ذلك، ومنوا بنفسه عليه، وعليه أن يؤديها كما قال الله سبحانه: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾[البقرة:١٧٨]، ويستحب له أن يكفر بعتق رقبة؛ فهو أفضل له،

فأما أن يكون محكوما به عليه -فليس ذلك بلازم له.

وقلت: فإن قتل قوم رجلا خطأ، هل تجزيهم كفارة واحدة، مثل: قوم دفعوا جدارا ليطرحوه، ولم يعلموا بما خلفه، فقتلوا رجلا؟

فعلى كل واحد منهم كفارة.

وقلت: إن قتل قوم رجلا مؤمنا عمدا؟

فالجواب في ذلك: أنهم كلهم يقتلون به، وأنه إذا عفي عن بعضهم فإن القتل قد زاح عن كلهم، ولا قتل عليهم؛ لأنهم جميعهم بمنزلة رجل واحد، وإذا صفح عنه أحد الأولياء -لم يجز قتله للآخرين، ويجب على كل هؤلاء القاتلين إذا عفي عن بعضهم وسقط القتل عنهم دية دية، يخرجونها لأولياء المقتول؛ فإن كانوا خمسة أخرجوا خمسة آلاف، وإن كانوا عشرة أخرجوا عشرة آلاف، وإن كانوا أقل أو أكثر فعلى حساب ذلك.

وقد قال قوم ممن لا علم عندهم، ولا تمييز لهم: إنه إذا قتل جماعة رجلا عمدا ساهم بينهم الولي، فقتل منهم واحدا، وهذا عين الظلم والمحال، وأقبح شيء من الحكم والأفعال: أن يكونوا كلهم قاتلين معا، ثم يقتل ولي المقتول منهم واحدا، فيجمع ذنوبهم كلها في رقبته، ويخرجوا سالمين مما دخلوا فيه معه؛ هذا قول مدخول، لا يقبله إلا كل عقل فاسد مخبول.

وقد سئل عن هذه المسألة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فقال: ((نعم، لو قتله أهل صنعاء كلهم لقتلتهم به))، وقد يروى أن المسألة وردت عليه من صنعاء، ويذكر أنه قال: ((لو قتله أهل منى لقتلتهم به)).

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام:

مسألة: قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ﴾: هل " إلا " هنا بمعنى: " ولا "؛ فكيف يصح أن يقال فيه: له أن يفعله أو ليس له أن يفعله؟ وإن كانت " إلا " حرف استثناء؛ فكيف يصح الاستثناء لشيء لم يدخل تحت المستثنى منه؟ وما معنى قوله في آخر الآية ﴿توبة من الله﴾؟

الكلام في ذلك، ومن الله نستمد التوفيق والمعونة: أن الله تعالى أخبرنا بمصالح ديننا، ومراشد أمرنا، وبين لنا الأحكام، وبين الحلال من الحرام، فقال

تعالى: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا﴾، فنفى جواز قتل المؤمن، وأكد حرمته من المؤمن؛ لاشتراكهما في الإيمان والأخوة الدينية، وإن كان الكافر لا يجوز له قتل المؤمن أيضا، وإنما خص المؤمن بالذكر؛ ليعظم حرمة الإيمان، العاصمة لمن عقلها عن ارتكاب العظائم، واقتراف المآثم، ثم قال تعالى: ﴿إلا خطأ﴾، فاستثنى من القتل لا من الجواز، ومعلوم أن المؤمن قد يقتل المؤمن خطأ، وهما في حالة الإيمان على سواء؛ فالاستثناء مما يمكن وقوعه، ومعلوم أن ذلك لا يمتنع ولا يستحيل؛ بل قد وقع، وقد أخرج الاستثناء بعض ما يصح؛ لأن القتل على نوعين، فحظر على المؤمن أحدهما، وعقبه بالوعيد، وجرى الثاني مجرى المباح؛ لخروجه عن باب التكليف؛ لأن الله تعالى [لا] يجوز أن يكلف عبده ما لا يعلم؛ لأن ذلك قبيح، والله لا يفعل، ووكده تعالى بالتوبة في آخر الآية؛ قابل به توبة العبد، فحد اللفظ باللفظ، وأصل التوبة الرجوع، ثم صار بالعرف رجوعا مخصوصا، ثم نقله الشرع الشريف - على مقتضى الأصول - إلى: الندم على ما ارتكب من المعاصي، والعزم أن لا يعود إليها؛ لأجل قبحها، وهي من من الله على من تاب، وفي القرآن الكريم: ﴿إن الله تواب رحيم﴾[الحجرات:١٢]، وقوله تعالى: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾[التوبة:١١٨]، رجع إليهم ليرجعوا، وقوله: ﴿توبة﴾ -والله أعلم -: رجعة.

وقال في موضع آخر منه:

أما الآية في سورة النساء فقوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ﴾، وليس للمؤمن قتل المؤمن خطأ ولا غير خطأ، فمعنى الآية: أن قتل المؤمن حرام على المؤمن، وإن قتله خطأ، فكأن الاستثناء لزوال الإثم لا غير؛ فمعنى الآية والله أعلم: وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا ويجب به القود، إلا أن يقتله خطأ.

ثم بين تعالى حكم قاتل الخطأ، فقال: ﴿ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة

مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة﴾[النساء:٩٢]، قال: " فسماه عز وجل مؤمنا، مع أنه من قوم عدو لنا، وأوجب على قتله الكفارة دون الدية، وهذا إذا قتله وهو يظن أنه كافر "، إلى آخر قوله: " ولا شك أن حكمه ذلك ".

فإن كان المؤمن المقتول خطأ من قوم مؤمنين دفعت الدية إلى أهله، وإن كان من قوم عدو لنا وهم الكفار فعلينا فيه تحرير رقبة، ولا دية؛ لأن أهله لا يستحقون علينا الدم؛ لمكان جرمهم؛ والتعليل: أنه قتل وهو يظن أنه كافر، فقتل الخطأ لا تنحصر صوره؛ ولكن حكمه هذا متى وقع.

فأما قوله: " ولا يعقل من هذا إلا أنه مؤمن بين كفار؛ إذ لو كان مؤمنا بين مؤمنين لوجب على من قتله القصاص إن كان القتل عمدا، أو الدية والكفارة إن كان خطأ بالإجماع، وهذا مقصود إيراده، وما بعده فرع عليه ".

والكلام في ذلك: أما قوله: " إنه لا يعقل إلا أنه مؤمن بين كفار "، فهذا لا يتوجه الكلام على هذه الصورة؛ بل إن قتل خطأ وورثته من أعدائنا فلا يلزمنا نسلم الدية إليهم؛ لكفرهم، والدية لا تكون إلا إلى ولي المقتول، وذلك لا يوجب أن يكون مؤمنا بين كفار، وإن قطع [على] أنه بين كفار فهو معذور؛ لئلا تتناقض الأدلة، فعندنا: أنه يجوز أن يكون المؤمن مؤمنا، مع كونه بين الكفار، إن كان معذورا أو ممنوعا.

وأما أنهم أعداء، وغيرهم أعداء، فلا شك أن الحكم يختلف، فإن كان القوم أعداء فلا دية إليهم، وإن كان بيننا وبينهم ميثاق لزمتنا لهم الدية.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)﴾ [النساء: ٩٣]

قال في كتاب الأحكام:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾، والتعمد هاهنا فهو: التعمد بالظلم والإجتراء، على ما نهى الله عنه من سفك الدماء، وإنما يجب ما أوعد الله به من ناره، وغضبه ولعنته على من تعمد قتل مؤمن ظالما له في تعمده، مجتريا على الله في قتله، فأما من تعمد قتله بحق يجب عليه فليس بمعاقب فيه.

قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: وأنا أرى أن من قتل بحق فليس بمؤمن؛ لأن الحق لا يوجب قتل المؤمن، إلا أن يكون مرجوما تاب قبل رجمه، أو قاتل نفس تاب وأخلص التوبة - قبل قتله - لربه، وأقاد من نفسه؛ لأن القتل إنما يجب بحكم الله على عشرة أصناف.

فأولها: قتل أهل الشرك، من بعد الدعاء لهم إلى الله، إذا أبوا أن يجيبوا إلى الاسلام، أو إلى المعاهدة.

(والثاني): قتل المرتد عن الاسلام، إذا أبى التوبة.

(والثالث): قتل سحرة المسلمين، إذا أبوا التوبة.

(والرابع): قتل الزنادقة، إذا أبوا التوبة.

(والخامس): ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، من: قتل الديوث إذا صحت دياثته من بعد الإستتابة.

(والسادس): قتل الفئة الباغية من المسلمين، إذا بغت وتعدت على المؤمنين، كما أمر الله سبحانه بقتلها، وذلك قوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا

فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾، ومنهم: الذين يدعون ما ليس لهم، ويتأولون بزعمهم: أنهم أئمة، ويعطلون الأحكام، ويهتكون الإسلام، ويخالفون الرحمن، ويجاهرونه بالفسق والعصيان، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين﴾، ثم بين أنهم هم بأعيانهم، فقال: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾، وأما قوله: ﴿يلونكم من الكفار﴾ فإنما معناها: بينكم، الذين هم أضر من غيرهم عليكم، ثم كذلك فرض عليكم: أن تقاتلوا الأدنى فالأدنى من العاصين، حتى لا تبقوا على الأرض لي مخالفين، كذلك حروف الصفات، يعاقب بعضها بعضا، فقامت " يلي " مقام " بين "، فكان المعنى: بينكم، فقال: يلونكم، وكل ذلك في العربية سواء، من ذلك قول رب العالمين، فيما حكى من قول فرعون اللعين، حين يقول: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾، فقال: ﴿في جذوع النخل﴾، وإنما معناها: على جذوع النخل، فقامت " في " مقام " على "، وقال الله سبحانه: ﴿وما ذبح على النصب﴾، وإنما أراد: للنصب، ومن أجلها، فقال: ﴿على﴾، فقامت مقام اللام؛ وكذلك حروف الصفات كلها يعاقب بعضها بعضا؛ وفي ذلك ما يقول الشاعر:

شربن بماء البحر ثم ترفعت ... لدى لجج خضر لهن نئيج

فقال: " ترفعت لدى لجج "، وإنما أراد: ترفعت على لجج خضر؛ وإنما يصف السحاب، ويذكر أنها ترتفع فوق لجج البحر.

(السابع): فما حكم الله به، من قتل قطاع طريق المسلمين، المحاربين في ذلك لله وللرسول وللمؤمنين، إذا أخذوا أموالهم وقتلوا فيهم؛ وذلك قول الله عز وجل: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾.

(والثامن): فهو قتل من قتل مؤمنا متعمدا؛ ففي حكم الله: أن يقتل به،

وذلك قول الله عز وجل: ﴿النفس بالنفس﴾، وقوله سبحانه: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا﴾، والسلطان الذي جعله الله لوليه هو: قتل قاتله به.

(والتاسع): قتل من سب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشتمه، واستخف بحقه واطرحه؛ وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((من سبني فاقتلوه)).

(والعاشر): فقتل من زنا بعد إحصان؛ كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم به، يرجمه حتى يموت.

قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: ثمانية أصناف من هذه العشرة إذا تابوا خلي سبيلهم، ولم يقتلوا، وصنف لابد من قتله تاب أولم يتب، وهو المحصن الزاني، وصنف الأمر فيه إلى أولياء أمره، وهو قاتل النفس؛ فإن أحبوا قتلوه، وإن أحبوا تركوه.

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: من سب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم استتيب، فإن تاب ورجع إلى ما أوجب الله عليه له، فأخلص التوبة من ذلك لربه -رأيت أن يطلق، ومن أقام على ذلك قتل؛ وليس سب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأعظم من سب الله، والجحدان له، والكفر به، ومن استحل ذلك في الله سبحانه لم يقتل حتى يستتاب، فان تاب خلي عنه، وإن أبى قتل.

فهذه الوجوه العشرة التي يجوز بها سفك دم الإنسان، ومن كان في شيء من هذه العشرة الأصناف -وجب عليه من الله حكمها، وانتظمه بفعله لها اسمها؛ وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن))؛ ومن الدليل على أن ذلك كذلك: حكم الله عليه بالنار والعذاب، ومن كان مؤمنا

فليس من أهل العقاب، ولا يجوز أن ينسب إلى العذاب؛ لأن من صح له اسم الايمان فمستوجب من الله الثواب؛ فلذلك قلنا: إن أهل الإجتراء على كبائر العصيان ليسوا عند الله ولا في حكمه من أهل الايمان.

ثم نقول من بعد ذلك: إن الكفر على معنيين، فأحدهما: كفر شرك، وجحدان لله سبحانه، وللنبي وللفرقان؛ فسواء من أنكر الله في ذاته، أو أنكر خلقه لسماواته، أو جحد أنبيائه ورسالاته؛ لأن من أنكر شيئا من فعله فقد أنكره بإنكار صنعه؛ لأن من قال لما فعله الله: " لم يفعله " - فقد زعم وأوجب أن غير الله فعله، ومن قال: إن غير الله فعل فعل الله فهو منكر في قوله لله؛ لأنه يعبد من لم يفعل ذلك الشيء الذي أنكره، والله سبحانه هو الذي صنعه؛ فقد صح: أن من أنكر فعل الله فقد أنكر الله، ومن لم يقر بصنعه فقد كفر به.

والوجه الثاني فهو: كفر النعم؛ بالعصيان للواحد ذي الكرم والإحسان، ومن كفر نعم الله فهو فاسق في دين الله؛ بكفرانه لنعم الله، ومن كانت حاله كذلك كان بعيدا من اسم الايمان، قريبا داخلا مستحقا لاسم الفجور والفسوق والعصيان؛ ألا تسمع كيف ميز الله سبحانه بين المؤمنين والفاسقين، فلم يجمع بينهم بالفعل ولا في الاسم أحكم الحاكمين؛ بل أخبر أنهما شيئان مختلفان، واسمان متضادان متباينان في المعنى والجزاء، فنسب المؤمن إلى ما حكم به من الثواب، ونسب الفاسق إلى ما أعد له من أليم العقاب، فقال فيما نزل من الكتاب: ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾، وفي ذلك ما يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾، يقول سبحانه: ﴿تأذن ربكم﴾، يريد: حكم ربكم لئن شكرتموني، فعملتم بطاعتي، واتبعتم مرضاتي

لأزيدنكم من فضلي، ولأضاعفن لكم ثوابي، ولئن كفرتم نعمتي، وعصيتم أمري، وعندتم عن طاعتي لأعذبكم عذابا شديدا.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤]

قال في كتاب الأحكام:

قال عز وجل تحذيرا للمؤمنين، وتأكيدا منه عليهم في التحفظ- إذا ضربوا في الأرض- من قتل المؤمنين، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة﴾، فيقال: إن هذه الآية نزلت في أسامة بن زيد، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى أرض غطفان، ولم يكن بالمؤمر على السرية، فبلغ غطفان خبرهم؛ فهربوا، وتخلف رجل من غطفان، يقال له: مرداس بن نهيك، فلما رآهم خافهم، وألجأ غنمه إلى كهف في الجبل، ثم استقبلهم، فسلم عليهم، وشهد بشهادة الحق، فحمل عليه أسامة فطعنه، وأخذ ماله، فنزل جبريل، فأخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم خبره؛ فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جعل صاحب السرية يثني على أسامة، ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم معرض، حتى إذا فرغ الرجل قال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((يا أسامة، قال الرجل: لا إله إلا الله، فقتلته؛ كيف لك بلا إله إلا الله))، فقال: يا رسول الله، إنما قالها تعوذا منا، قالها بلسانه، ولم يكن لها حقيقة في قلبه؛ فقال له النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((أفلا شققت عن قلبه، فنظرت ما فيه))، فقال: إنما قلبه بضعة من جسده. فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((إنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها حرمت علي دماؤهم وأموالهم، وحسابهم على الله)).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧)﴾[النساء: ٩٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام بعد أن ذكر الآية:

عنى تبارك وتعالى بظلمهم أنفسهم: مقامهم مع أهل الجور والمنكر في دارهم ومحلهم؛ قال الله سبحانه مخبرا عن أولئك، ومقامهم مع العصاة والفجار، ورضاهم بمجاورتهم، إذ تقول لهم الملائكة عليهم السلام عند قبضهم لأرواحهم: ﴿فيم كنتم﴾، يعنون: ماذا فعلتم من إنكار المنكر على من جاورتهم من أهله؟ ﴿قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾، فعلمت ملائكة الله أنهم قد صدقوا في الخبر من ضعفهم، واحتجت الملائكة عليهم لله؛ إذ ضعفوا عن مهاجرتهم، و ﴿قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾، يقولون: فتنجوا عن أهل المنكر والمعاصي في أرض الله الواسعة، ولا تجاوروهم؛ قال الله سبحانه:﴿فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾ يقول تبارك وتعالى: ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا﴾، يعني: فإن لم يمكنه النقلة، من ضعفة الرجال والنساء والولدان؛ لفقرهم وضعفهم، ثم قال: ﴿فأولئك عسى الله أن يعفوا عنهم وكان الله عفوا غفورا﴾.

ثم قال الله سبحانه مؤكدا على من أمكنه النقلة، والهجرة والانتقال عن أهل المعصية؛ مرغبا لهم في المهاجرة عن مجاورة الفساق الأثمة: ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة﴾، يعني بالمراغم: السعة في الأرض،

وإمكان المحال التي تبعد عنهم، وإمكان المراغمة، وهي: الاعتزال لجوار الأئمة والمغايضة؛ ففي ذلك الرضى لله سبحانه، وإن كرهه الفجرة وأرغمهم وغمهم؛ فهذا أصل كان عنده[1] أيضا من الأصول، كان يراه فرضا لازما، على كل مؤمن يضعف عن إنكار منكر العاصين: أن يكون بالنقلة عنهم، والتباعد منهم لهم من المهاجرين؛ ولذلك ما كان لزم الجبال، وصبر على الوحدة وشظف العيش، وترك المدن ومرافقها، وتقرب إلى الله تعالى، حتى توفي رضي الله عنه في رأس جبل من الجبال، ولم يزل صابرا فيه ومنه على ضيق المعاش وشدة الحال؛ فرحمة الله عليه وبركاته، وقبل الله منه ما تقرب به إليه من اعتزاله إليه.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿توفاهم الملائكة﴾ فهو: عند حضور الأجل، وانقطاع الأمل، وخروج نفس المتوفى، وما ينزل من الموت لجميع الأحياء، ثم قال: ﴿ظالمي أنفسهم﴾، يقول عز وجل: يتوفى أنفسهم وهم ظالمون لها؛ بما اجترموه من أفعالهم، وكانوا فيه من المخالفة لربهم؛ فأهلكوا أنفسهم، وقد كانوا قادرين على إيصالها إلى الثواب، والنجاة لها من أليم العقاب، فلم يفعلوا، واتبعوا الهوى، وارتكبوا الردى، فكانوا بذلك ظالمين، وبتقصيرهم في أمر الله من الهالكين.

ثم أخبر عز وجل عما يعتذرون به في الآخرة من قولهم: ﴿كنا مستضعفين في

---

(١) – الضمير في: " عنده " المراد به والده، الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام؛ فإنه قد ذكره في أول هذا البحث الذي أخذنا منه هذا الكلام.

الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾، فلم يجعل الله فيما احتجوا به من ذلك لهم حجة ولا عذرا؛ بل كان ذلك عليهم نقمة، وإلى العذاب ذريعة؛ فهذه الآية فجوابها يطول، ولها معاني يوفق الله لها من قصده من عباده، وهي توجب على الخلق أسبابا لا يقوم بها إلا من امتحن الله قلبه، وشرح بالإيمان صدره؛ والقليل المجزي لمن قبله خير من الكثير الغزير لمن لا ينتفع به، وقد أعطيناك فيها جملة، وهي للهجرة ملزمة، وعن دار الفسق والكفر للعزلة موجبة؛ فنسأل الله التوفيق لما يرضيه، ويقرب من الأمور إليه.

وذكرت السكنى مع الظالمين، والكينونة بينهم، وقد أجبنا في هذا بجواب شاف عندك في " كتاب الإيضاح "، والقول واحد لا يختلف، ومعاشرة الظالمين فحرام، ومكاونتهم من أعظم الآثام.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في سياق الاستدلال على تحريم تسليم الأموال للظالمين ما لفظه:

ومما يدل على تحريم تسليم الأموال إليهم: قوله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾.

ووجه الاستدلال بهذه الآية: أن المراد بها: الذين أخلوا بالفرائض التي افترضها الله سبحانه وتعالى أو بعضها؛ لكونهم مستضعفين، وهم متمكنون من الهجرة؛ بدليل الوعيد في آخرها، وهو لا يكون إلا لمن أخل بما افترض الله سبحانه من القيام بالواجب، أو ترك القبيح، وهو يتمكن من القيام بهما، كأن يهاجر.

ومن جملة ما افترض الله تعالى: تجنب مشاهدة المعاصي، حين تفعل إلا لتغييرها، بدليل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل))، ونحو ذلك؛ فلما ثبت الوعيد لمن لم يتجنب مشاهدة المعاصي ولم

يغيرها؛ لأجل الاستضعاف - ثبت الوعيد لمن يسلم إليهم الأموال المقوية لهم على سفك الدماء، وشرب الخمور، ونكح الذكور، ولبس الحرير، وغير ذلك من المنكرات؛ لأجل الاستضعاف، ولم يهاجر - بطريق الأولى، وكانت دلالة الآية على ذلك أقوى.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨)﴾ [النساء: ٩٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل عن هذه الآية جدي القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه، فقال: معنى قوله: ﴿لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا﴾، يعني: لم يمكنه النقلة والهجرة، عن أهل المعصية الظلمة الفجرة، ثم قال: ﴿فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا﴾[النساء:٩٩].

ثم قال سبحانه مؤكدا على من أمكنه النقلة والهجرة، والاعتزال لأهل المعصية والفسق والريبة: ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة﴾[النساء:١٠٠]، يعني بالمراغم: الاعتزال لجوار أئمة الظلمة والمغاضبة، وإن غاض ذلك الفساق وأرغمهم وغمهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (١٠١)﴾ [النساء:١٠١]

قال في كتاب الأحكام، في سياق الاستدلال على صلاة القصر في السفر، بعد أن ذكر الآية ما لفظه:

هو قصرها مع الإمام عما جعل الله من فرضها الذي هو ركعتان، وذلك والحمد لله فأبين البيان، لمن أنصف من العالمين، وكان عارفا بتأويل قول أرحم الراحمين؛ ألا تسمع كيف يقول ربنا تبارك وتعالى لرسوله: ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾، فقال في أول الآية: ﴿فإذا سجدوا﴾، يريد: فإذا أتموا ركعة وسجدوا سجدتيها، فليتموا الركعة الثانية وحدهم، ثم لينصرفوا إلى عدوهم، ولتأت الطائفة الأخرى التي لم تصل، فلتصل معك الركعة الثانية الباقية؛ فكل قد قسم صلاته قسمين، وصلاها جزئين: جزءا مع إمامه، وجزءا وحده؛ فهذا معنى القصر؛ حدثني أبي عن أبيه أنه كان يقول: القصر في كل سفر واجب على كل من سافر. وكان يقول: قلنا بقصر الصلوة للمسافر من كل بر وفاجر؛ لأن فرضها المقدم كان في السفر والحضر على ركعتين، وقلنا بذلك وأخذناه لما فهمناه عن كتاب الله المبين، ولم نأخذ ذلك عن رواياتهم، وإن كانوا قد رووه، ولم نقبله عنهم - والحمد لله - وإن رأوه؛ قال الله سبحانه فيما قلنا به من ذلك بعينه، وفيما فهمناه عن الله بالكتاب من تبيينه فيه لرسوله صلى الله عليه وآله: ﴿وإذا ضربتم في الأرض﴾، والضرب فيها فهو: المسافرة إليها، ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا﴾، فأبان في هذه الآية نفسها قصرها في السفر تبيينا، ودل على أن فرضها فيه ركعتان، وأنهما عليهم كلما ضربوا في الأرض ثابتتان، وقصرها في هذه الآية إنما هو تنصيفها مع الإمام، مجمعين جميعا معه في مقام؛ ألا تسمع كيف يقول الله تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وآله: ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا

سجدوا﴾، يقول: فإذا أتموا ركعة وسجدوها، فلتأت الطائفة الأخرى التي لم تصل، فلتصل معك الركعة الثانية بعدها؛ فكل طائفة من الطائفتين فقد قصرت صلاتها عن أن تتمها؛ إذ لم تصل مع الرسول عليه السلام إلا بعضها، وهو القصر للصلاة في الخوف، الذي ذكره الله عنهم، وهذا الذي أمرهم الله إذا صلوا خائفين أن يكون منهم،... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٠٢)﴾[النساء: ١٠٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

فتأويلها: ﴿وإذا كنت فيهم﴾، يريد: في سفر وخوف معهم، فأقمت الصلاة لهم ﴿فلتقم طائفة منهم معك﴾، يقول سبحانه: من جميعهم معك، وليأخذوا أسلحتهم كلهم، من قام معك في الصلاة، ومن لم يقم معك منهم، ﴿ فإذا سجدوا﴾، يعني: الذين معه في صلاتهم آخر سجدة منها، فأتموا، وفرغوا من صلاتهم كلها، وسلموا، ﴿فلتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾ كلهم، من صلى معك، ومن لم يصل منهم، ولا يقال للطائفة الآخرة: لم يصلوا، إلا والطائفة الأولى قد صلوا.

ولا تصلى صلاة الخوف إلا في سفر، ولا يصلى شيء منها في حضر؛ لأن أهل

الحضر في بيوتهم وحصونهم مستترون، وأهل السفر لعدوهم بارزون مصحرون.

وصلاة الخوف: أن يصلي الإمام بإحدى الطائفتين ركعة واحدة، ثم يقومون، فيتمون الركعة الثانية، ثم يسلمون، والطائفة الأخرى الواقفة للعدو في سلاحهم مستلمون، وليس لهم شغل من صلاة ولا غيرها، سوى المواقفة والحراسة لأنفسهم وإخوانهم من عدوهم بالمصافة؛ فإذا رجعوا إليهم من صلاتهم، وقعدوا للعدو موقفهم، ولم يزايلوا أبدا مواضعهم، حتى يتم إخوانهم من آخر الصلاة ما أتموا، ويسلموا من صلاتهم كما سلموا، فتكون كل واحدة من الطائفتين قد حرست كما حرست، وأخذت منهما من الحراسة ما أخذت، وأعطت من الحراسة ما أعطت، وصلى بها من الصلاة مع الإمام ما صلت؛ فهذا عندنا أحسن ما سقط إلينا في صلاة الخوف، وكذلك صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما بلغنا صلاة الخوف في غزوة له غزاها، يقال لها: ذات الرقاع؛ وفقنا الله وإياك للتقوى، في كل محنة نزلت بنا أو بلوى، وصلى الله على محمد وآله الأبرار، الطيبين الأخيار.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله: ﴿تألمون﴾: ألم الجراح ووجعها عند الجهاد، ومحاربة أهل الكفر والعناد، مع التعب في الحركة والأسفار، والمسير في الليل والنهار؛ فأخبرهم عز وجل: أن عدوهم يألم كما يألمون، ويجد من الألم أكثر مما يجدون، وأنتم فترجون من الله من الرحمة والرضوان، والمغفرة والجنان - ما لا يرجون الكفرة الأشرار؛ فإذا صبروا على ما فيه هلكتهم، ولا نجاة عند الله

سبحانه لهم، فأنتم أولى بذلك، وأحق به؛ إذ أنتم أهل الثواب الكريم، والمحل عند الله العظيم؛ فكان هذا تثبيتا من الله لنيات المؤمنين، وتقوية منه سبحانه لعزائم المتقين، أهل الصدق واليقين، والطاعة لرب العالمين.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ [النساء: ١٠٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ولا تكن للخائنين خصيما﴾؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: أراد الله عز وجل: إكرام نبيه وتعظيمه، من بعد إقامة الحجة على أهل الشرك من أهل الكتاب: ألا يكون لهم خصيما في ما قد بان لهم من الحق، وعرفوه معه - صلى الله عليه - من الصدق، ووجدوه في كتبهم، وثبت في عقولهم، وهم يجادلون في الحق بعد ما تبين؛ مضادة لله ولرسوله؛ فأمره الله: ألا يكون لهم خصيما من بعد ذلك، وأن يحكم بما أراه الله من الحق، وينفذه عليهم وعلى غيرهم وهم كارهون.

وقد ذكر ذلك عز وجل، فقال: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾ [المائدة:٤٩]؛ فأمر الله سبحانه: أن يحكم بينهم بما أنزل الله؛ فكان صلى الله عليه ينفذ أحكام الله فيهم، ويمضيها – برغمهم – عليهم، وقال عز وجل: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾[الحجر:٩٤]؛ فأمره أن يصدع بالحق، وما أنزل الله عليهم من الصدق، وأن يعرض عن مخاطبة الجاهلين، وأهل الزيغ المردة المعاندين.

وقد قيل: إن هذه الآية في طعمة[١]؛ وذلك أنه سرق درعا لبعض أصحاب

(١) – هو طعمة بن أُبَيْرِق، وعشيرته هم: بنو أبيرق.

النبي عليه السلام، ثم استعدي عليه، فقامت عشيرته دونه، وجحدوا عنه، وسألوا النبي صلى الله عليه أن يبرأه عند الناس مما شيع به عليه؛ فأنزل الله: ﴿ولا تكن للخائنين خصيما﴾؛ معارضة لكلامهم، ولم يكن النبي عليه السلام ليحتج عنه، ولا يفعل ما قالوا؛ فأنزل الله تحقيق ما ذكر عليه، فقطع النبي صلى الله عليه يده.

وكلاهما معنى حسن، والمعنى الأول فأحسن عندنا، وأصوب لدينا.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)﴾ [النساء: ١١٥]

قال في كتاب شرح الرسالة الناصحة للإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام، في سياق الاستدلال على حجية إجماع الأمة، بعد أن ذكر الآية ما لفظه:

ووجه الاستدلال بهذه الآية: أن الله -تعالى- توعد على مخالفة سبيل المؤمنين، كما توعد على مشاقة الرسول، وهو سبحانه بحكمته لا يتوعد على الإخلال بفعل، إلا وذلك الفعل واجب، وذلك يقضي بأن إجماعهم حجة؛...(إلى آخر كلامه عليه السلام)

قوله تعالى: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨)﴾ [النساء:١١٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه في ما يحكي عن إبليس اللعين، في قوله: ﴿لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا﴾؟

يريد: جماعة وحزبا يضلهم، وعن الحق يصدهم، ويختزلهم من طاعة الله سبحانه، ويجترهم في أمره؛ فلما أن كان من شأن الملعون الإفساد والإغواء، والمكر لهم والاستهزاء، والوسوسة في قلوبهم، والتلبيس لدينهم - جعل ذلك على نفسه مثل الفريضة سواء.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥)﴾ [النساء: ١٢٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾، فقلت: ما معنى الخليل؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى اتخاذه سبحانه إبراهيم خليلا فهو: اصطفاؤه له، وتفضيله إياه، وتكريمه وتعظيمه، وما من به عليه من فضله وإحسانه.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (١٢٧)﴾ [النساء:١٢٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى: ﴿ويستفتونك﴾ أي: يسألونك، ﴿في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن﴾، ويتامى النساء فهي: الأطفال منهن، ومعنى: ﴿ترغبون أن تنكحوهن﴾ فهو: تزهدون في نكاحهن، وقد

كانت الجاهلية لا يؤتون الصبيان من الميراث شيئا، وكانوا يفعلون ذلك قبل نزول حكم الميراث وفرضه؛ فقال سبحانه: ﴿اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن﴾، يقول: تمنعوهن حقهن؛ لصغرهن، ﴿والمستضعفين من الولدان﴾ فهم: الصبيان من الذكور والإناث، الذين في أيدي الأوصياء وغيرهم من الأقارب؛ والصبي: فلا يزال يتيما حتى يبلغ، ثم يخرج من حد اليتيم، ويجب على الوصي إن أنس منه رشدا، والرشد فهو: الصلاح والعقل والمعرفة؛ فإذا بان ذلك للوصي سلم ما في يده إليه، وأشهد عند ذلك عليه، وما لم يبن منه رشد فلا يجب دفعه إليه؛ بل الحضر واجب عليه. ثم قال: ﴿وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾، والقسط فهو: العدل في أموالهم، والحفظ في أنفسهم، ثم قال: ﴿وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما﴾، يريد عز وجل: أنكم ما فعلتم إليهم من خير، أو أنلتموهم ﴿إن الله كان به﴾، يقول: عليه مطلعا، ولكم فيه مكافيا.

وقد قيل: إن معنى ﴿ترغبون أن تنكحوهن﴾ أي: تريدون نكاحهن، والقول الأول أصوب عندنا؛ لأن معنى ﴿ترغبون أن تنكحوهن﴾، أي تزهدون فيهن؛ وذلك في كتاب الله موجود في قوله: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾[البقرة:١٣٠]، فصارت الرغبة: كراهية، وقد تكون في موضع آخر من: طريق المحبة؛ فأما في هذا فليس إلا من طريق الزهد والكراهية، وذلك صحيح في اللغة.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٢٩)﴾[النساء:١٢٩]

قال في كتاب الأحكام بعد ذكره للآية:

يقول سبحانه: ولن تستطيعوا أن تساووا بينهن في المحبة أبدا، ولو جهدتم جهدكم؛ إذ هن مختلفات في أعينكم وموافقتكم وقلوبكم؛ فلم يكلفكم المساواة بينهن في المحبة لهن، كما كلفكم المساواة بينهن في غير ذلك من أمرهن؛ لأنه علم سبحانه: أن ذلك مما لا تقدرون عليه، ولا تستطيعون أبدا المصير إليه، ولن يكلف الله عز وجل عباده ما لا ينالونه، ولا يقدرون عليه، ولا يطيقونه؛ ألا تسمع كيف يقول ذو الجلال والإكرام والطول: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾، ويقول: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾، ويقول عز وجل: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾، ويقول جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين﴾، يريد: ما جعل عليكم في الدين والتحقيق، من عسر ولا تشديد ولا تضييق؛ ولعمر العماة المتجبرين، والغواة المبطلين: ما من ضيق ولا عسر ولا تكليف لما لا يطاق من الأمر - أشد من هذا، لو كان كما يقول الجاهلون، وينسب إلى الله عز وجل الظلمة الضالون؛ بل كلف سبحانه يسيرا، وأعطى على كل قليل كثيرا، ولم يجز لعباده من ذلك أمرا؛ بل أحدث لهم عنه نهيا وزجرا؛ فتعالى عن ذلك الكريم ذو الجبروت، المتفضل ذو الرأفة والملكوت؛ والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وسلام على المرسلين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧)﴾[النساء:١٣٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هؤلاء قوم ممن آمن مع النبي صلى الله عليه، ثم رجعوا

إلى قريش، وارتدوا عن الإسلام، ثم رجعوا، ثم هفوا ثانية، فرجعوا إلى الكفر، فازدادوا فيه، ومضوا عليه؛ فأخبر الله سبحانه: أنهم حين ازدادوا كفرا، ثم مضوا على ذلك، أن الله لا يغفر لهم، ولا يهديهم سبيلا؛ بل تركهم من التوفيق والتسديد، والعون والتأييد، وحكم عليهم عند ذلك سبحانه بالهلكة والخذلان، بما استوجبوه من تركهم للحق والإيمان؛ فصاروا بذلك معذبين، ولديه سبحانه من الهالكين، في السلاسل والأغلال، مصيرون إلى شر حال؛ فأخبر سبحانه: أنه لم ينفعهم ما كان من إيمانهم أولا، وما كانوا عليه في إسلامهم؛ لأن ما ختموا به أعمالهم من الردة والكفر موجب لهم النار، مصيرون به إلى شر دار، جهنم يصلونها؛ وبئس القرار.

وقد قيل في ذلك: إنهم آمنوا بموسى، ثم كفروا به، وغيروا دينه، ثم آمنوا بمحمد، ثم كفروا به، ثم مضوا على كفرهم.

والمعنى الأول أقرب إلى الحق، وهو الذي وضح من الخبر، والله ولي التوفيق والعون والتسديد.

قوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (١٤٤)﴾ [النساء:١٤٤]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: السلطان هاهنا هو: الحجة، والدليل على ذلك قول سليمان للهدهد: ﴿أو ليأتيني بسلطان مبين﴾[النمل: ٢١]، يريد: حجة مبينة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء:١٤٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾؟

وقد سئل عن هذه المسألة جدي القاسم صلوات الله عليه، قال:

المنافقون في دين الله وإجلاله: من كان مخالفا لقوله فيه بفعاله، يقر بما لا يعمل، ويقول ما لا يفعل؛ وفي أولئك ومن كان كذلك: ما يقول الله سبحانه: ﴿ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون(٢)كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[الصف:٢، ٣]، وفي أولئك ما يقول سبحانه: ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين (٧٥) فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون﴾[التوبة:٧٥، ٧٦].

قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ [النساء:١٤٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قد سألني رجل عن قول الله سبحانه: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾، فقال: هل يجوز لمن ظلم أن يجهر بالسوء، وأن يفعله؛ فقد فسر المفسرون: أن ذلك جائز؟

فكان جوابي له: أنه ليس الأمر في الآية، ولا التفسير لها إلى حيث ذهبت، ولا إلى ما ذهب إليه المفسر لها على ما شرحت؛ بل ذلك منه خطأ، وعند الله سبحانه غير صواب، وإنما معنى: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ فهو: أن الله سبحانه لا يحب الجهر بالسوء من القول، ولا يجيزه لفاعله؛ بل

يعاقبه عليه، ويأخذه فيه، إلا من ظلم. ومعنى ﴿إلا من ظلم﴾ فهو: مثل ما كان من مردة قريش وفعلهم بأصحاب النبي صلى الله عليه، حين كانوا يعذبونهم ويضربونهم ويأمرونهم بشتم النبي صلى الله عليه، كما فعل بعمار وصاحبه، حين أخذا وأمرا بشتم النبي صلى الله عليه، والبراءة منه ومن دينه؛ ففعل عمار، وكره الآخر، فخلوا عمارا، وقتلوا صاحبه، فكان هذا جهرا بالسوء من القول، ثم عذر الله فاعله، فقال: ﴿إلا من ظلم﴾ بالتعدي عليه بالضرب والهوان، والعرض على القتل؛ فقد أطلق له عند ذلك أن يتكلم بلسانه، ما ليس في قلبه ولا اعتقاده؛ وفيهما يقول الله سبحانه: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾[النحل:١٠٦]؛ فأخبر الله عز وجل أنه من كفر به معتقدا لذلك، فعليه غضب من الله، ومن تكلم بظاهر من الأمر؛ خوفا على نفسه، وقلبه مطمئن بالإيمان، غير كافر بالرحمن، فهو غير مشرك ولا عاص؛ فكانت هذه الآية مبينة لما في ضمير عمار، من الشح على الإيمان، والصدق في المقال؛ فلم يجز الله عز وجل لأحد أن يتكلم بقبيح، إلا أن يظلم فيتكلم بلسانه ما يدفع عن نفسه، مما ليس من اعتقاده، ولا من مذهبه.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِم﴾ [النساء:١٥٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه فيما عبر عن قوم موسى، إذ قالوا: ﴿أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هؤلاء قوم من بني إسرائيل، سألوا موسى صلى الله

عليه: أن يريهم الله جهرة؛ فأنزل الله سبحانه عليهم الصاعقة، فأهلكتهم بظلمهم، وشدة كفرهم، وما طلبوه من محال مسألتهم، وعظيم فريتهم؛ فسبحان الذي لا تدركه الأبصار، ولا تحيط به الأقطار، ولا تحده الفكر، ولا يلحقه النظر.

ثم قص عز وجل ما كان من فعل بني إسرائيل وحربهم؛ إخبارا لمحمد صلى الله عليه وللمؤمنين بما كان عليه أولئك من شرارتهم، وقلة إنصافهم، وبعداوتهم وشدة كفرهم، وهم يرون الآيات العظام؛ فلا يرجعون، ولا بها ساعة يتعظون، ولا إلى الله سبحانه من جهلهم يستفيقون؛ فأخبرهم سبحانه: أن هؤلاء الذين تشاهدون، وبالمعاينة تنظرون - هم من أولئك الذين قد غابوا عنهم، يحتذون بفعلهم، ويسيرون بسيرتهم؛ أهل جهل وضلال، وباطل وإيغال، وكفر ومحال.

ثم ذكر سبحانه: اتخاذهم العجل، بعد أن أنقذهم من آل فرعون، وما أبان لهم في ذلك من اللطف والعون، وما رأوا من الآيات العظام، من انفلاق البحر لهم طرقا، ومسيرهم فرقا، في قعره يبسا جددا؛ فلم ينتفعوا بذلك إذ عاينوه، ولم يرجعوا عن عبادة العجل ولم يرفضوه؛ فكان هذا ذما لهم، وتبيينا لعوارهم، وتوقيفا على كفرهم.

وقلت: كيف اتخذوا العجل من بعد أن أخذتهم الصاعقة؟

قال: قد أخبر الله سبحانه بحياتهم، وبعثهم بعد موتهم، فقال: ﴿وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون(٥٥)ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾[البقرة:٥٥، ٥٦].

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد سبحانه بذلك: عيسى صلى الله عليه، لما أخذه الظالمون ليهلكوه، وسجنوه في البيت ليقتلوه، فسلمه الله من كيدهم، ودفع عنه ما هموا به من عظيم كفرهم، وألبس الكافر الذي كان يحرسه شبه عيسى في صورته وخلقه، فلم يفرقوا عند ذلك بينه وبين عيسى عليه السلام في شيء من أمره، فلما أن نهضوا لقتل عيسى صلى الله عليه وجدوا صاحبهم في مكانه فقتلوه، ولم يشكوا فيه عندما عاينوه أنه عيسى صلى الله عليه، فأخبرهم عز وجل عنه، فقال: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾، ثم رفعه الله عنهم، وأخرجه من بينهم سالما مسلما.

وقوله: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾[النساء:١٥٩]، فهذا دليل على حياته، وأنهم سيؤمنون به قبل موته؛ وذلك على ما يروى عند نزوله مع المهدي، وإسلام الخلق ورجوعهم، وما وعد الله به نبيه أن يظهر دينه على الأديان جميعا، ولو كره المشركون.

وقلت: هل يجوز أن يقرأ:" قبل موتهم "؟

وهذا لا يجوز، والذين يؤمنون به فهم: أهل الكتاب، وقد يقال: إن عيسى بن مريم صلى الله عليه يقيم بعد المهدي سنينا، ثم يموت.

ومعنى قوله: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون﴾[النساء:١٦٦]، والله سبحانه يشهد بالحق، وقد أخبر أنه من عنده، أنزله بعلمه، لا شك ولا امتراء، ثم قال: ﴿والملائكة يشهدون﴾ على صحته وصدقه، ولم يضر الحق جحدان الفاسقين، ولا إنكار المبطلين.

وقلت: لم لم يستشهد عليه الجن والإنس عامة؟

فكيف يستشهد عليه قوما، منهم من يجحده، وأكثرهم يصد عنه وينكره، ولما

أن جحده أهل الكتاب وأنكروا أن تكون صفته في كتابهم، وإيجاب تصديقه وطاعته عليهم، قالت قريش: يا محمد ائتنا بمن يشهد على صدقك؛ فإن أهل الكتاب قد جحدوك وما جئت به، يعنون: اليهود والنصارى؛ فاحتج بذلك المشركون من قريش ومن كان معهم، وأبطلوا أن يكون ما جاء به محمد عليه السلام من الله، فأخبر سبحانه بإكذابهم، وشهد بالصدق لرسوله بقوله: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون﴾، فكانوا صلوات الله عليهم يشهدون على أنه من الله، فكانت الملائكة مجمعة على التصديق، وليس منهم مخالف، ولا عن الحق معاند.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩)﴾[النساء:١٥٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾؟

وهذا فإخبار عن عيسى بن مريم صلى الله عليه وعن أهل الكتاب، الذين كفروا به من اليهود والنصارى، وقد قيل: إنه صلى الله عليه حي إلى ساعة الناس هذه، وأنه يصلي ورآء المهدي، ويظهر، ويأمر وينهى، ويؤمن به جميع أهل الكتاب، ثم يموت من بعد ذلك عليه السلام، ﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾، فهو: شهيد عليهم بما ألقى إليهم، وأمرهم به وأدى إليهم، من كتاب الله وأمره ونهيه، فخالفوا إلى غيره، وكفروا به. ومما يشهد به عليهم يوم القيامة صلى الله عليه، فيما أدى إليهم عن الله سبحانه، من ذكر من محمد صلى الله عليه، والتبشير به والإخبار بصفته ووقته، وما أمرهم به عن الله من طاعته، فخالفوا ذلك كله،

وصاروا إلى ضده، من الكفر بنبيه، فبذلك يشهد عليهم المسيح صلوات الله عليه يوم القيامة: أني قد أمرتكم بأمر الله؛ فكفرتم، وأوقفتكم على الحق؛ فخالفتم.

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤)﴾[النساء:١٦٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

معنى كلامه سبحانه عند أهل العلم به: أنه أنشأ كلاما أحدثه كما يشاء، فسمعه موسى صلى الله عليه وفهمه، ولم يجعل الله بينه وبين موسى ملكا رسولا، وأسمعه النداء، فقال: ﴿إني أنا الله رب العالمين﴾، والنداء: غير المنادي، والمنادي هو: الله – جل ثناؤه –، والنداء: غير الله – تباركت أسماؤه –، وما كان غير الله تعالى فمحدث، لم يكن، ثم كان، والله الأول القديم الذي لم يزل، ولا يزول...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾؟

ومعنى قوله: ﴿كلم﴾ فهو: ألقى في أذن موسى عليه السلام ما ألقى من الكلام، ولم يكن بينه وبين موسى رسول، كما كان بينه وبين سائر الأنبياء؛ وإنما كان من الله خلق الكلام وإيقاعه في أذن موسى عليه السلام؛ فلما أن كان ذلك كذلك – قال: ﴿كلم الله موسى تكليما﴾؛ إذ لم يكن بينه وبينه رسول، ولم يكن المؤدي الكلام إلى موسى إلا الله سبحانه؛ فجاز – إذ كان ذلك كذلك – أن يقول: ﴿كلم الله موسى تكليما﴾؛ إذ لم يكن بينه وبينه مؤدي غير الله سبحانه، ولا مسمع سواه.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾، فقلت: كيف كان الكلام من الله عز وجل لموسى عليه السلام؟ وما معنى قوله: ﴿تكليما﴾؟

واعلم هداك الله: أن الله تبارك وتعالى لم يوح إلى أحد من الأنبياء، إلا على لسان الملك الكريم جبريل عليه السلام، وكذلك إلى موسى صلى الله عليه، فقد كان منه الإيحاء إليه على لسان جبريل، حتى كان في هذا الوقت الذي ذكره الله جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله؛ فكان من الله إليه: ما ذكره الله سبحانه من الكلام له عليه السلام.

وكان معنى ذلك: أن الله سبحانه خلق له كلاما في الشجرة، سمعه موسى بإذنه، كما كان يسمع ما يأتي به الملك إليه من وحي ربه، فكان فهم موسى وسماعه لذلك الكلام الذي شاء الله إسماعه إياه؛ لما أراد من كرامته واجتبائه، كفهمه لما به كان يأتيه جبريل عن الله من وحيه سواء سواء. فلما أن لم يكن بين الله سبحانه وبين موسى صلى الله عليه لهذا الكلام المخلوق في الشجرة مؤد يؤديه إليه، كما كان يكون فعله في غيره مما ينزله عليه - جاز أن يقول: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾، يريد: أسمع موسى وأبلغه ما كان يريد من الكلام والوحي إسماعا، بلا مؤد لذلك إليه؛ فلما أن لم يكن بين الله وبين موسى مؤد للكلام إلى موسى، وكان المتولي لجعل الكلام وفعله، وخلقه على ما سمعه موسى من البيان، والكفاية والتبيان - قال الله سبحانه: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾؛ معنى ﴿تكليما﴾ هو: تأكيد للإخبار منه عز وجل بما كان من عجيب فعله، وعظيم قدرته، وظاهر برهانه، وما ازداد موسى به بصيرة إلى بصيرته، من خلقه لكلام ينطق من غير لسان، كما ينطق به ذووا اللهوات والأدوات، واللسان والآلات.

فهذا معنى قوله: ﴿تكليما﴾، لا كما يقول به الجاهلون، وينسب إلى الله الضالون، من تشبيهه لخلقه، ونسب الكلام إليه على طريق التكلم به، كما يعقلون من كلام الآدميين، ويعرفون من كلام المخلوقين، تعالى عن ذلك أرحم

الراحمين، وجل أن يكون كذلك رب العالمين.

قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾[النساء:١٦٦]

قال في كتاب حقائق المعرفة:

معنى قوله: ﴿أنزله بعلمه﴾ أي: أنزله وهو عالم به.

ومثل هذا التفسير في كتاب ينابيع النصيحة.

قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾[النساء: ١٧١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم﴾؟

وإنما ألقاها على لسان روحه إليها، وهو التبشير بعيسى صلى الله عليه؛ ومعنى الكلمة فهي: الحكم من الله سبحانه لها بعيسى، وأن يجعله في بطنها من غير ذكر؛ فسماه كلمته؛ إذ كان بقضائه وقدرته، وإيجاده وفعله؛ فعيسى صلى الله عليه: كلمته، وكلمته فهي: فعله وفطرته، وقضاؤه وجبله، ومجعوله وأمره، الذي ألقاه في مريم وخلقه، وأوجده في الرحم من غير نطفة بذكر، ولا مداناة من ذكر؛ فتعالى الله العلي الأعلى، الفعال لما يشاء.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)﴾ [النساء: ١٧٦]

قال في كتاب الأحكام:

قال بعض العلماء: الكلالة: ما خلا من الولد، واحتجوا بهذه الآية، وهي قوله سبحانه: ﴿قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد﴾، وقال آخرون: الكلالة: ما خلا من الولد والأبوين؛ لقول الله عز وجل في أول السورة: ﴿وورثه أبواه فلامة الثلث﴾، وذكر الإخوة، فلم يجعل لهم مع الأب شيئا سبحانه، فلا نرى أنه قد ورثهم عز وجل في الكلالة، فقال تبارك وتعالى في السورة: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت﴾؛ فبين في هذه الآية: أن الأب ليس يدخل في الكلالة، واحتجوا في الولد بالآية التي في آخر السورة، وهي قوله سبحانه: ﴿قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد﴾، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أن رجلا سأله عن الكلالة، فقال: ((أما سمعت الآية التي نزلت في الصيف: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾، من لم يترك ولدا ولا والدا فورثته الكلالة))، وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: ((الكلالة ما خلا من الولد والوالد))، وذلك الصواب عندنا؛ والحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين، وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته وسلم.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الكلالة: ما خلا الولد والوالد، وهذه الآية يروى أنها نزلت في جابر بن عبد الله، وفي أخته: أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: "إن لي أختا، فما لي من ميراثها بعد موتها؟" فنزلت هذه الآية.

وقلت: ما معنى قوله سبحانه: ﴿ليس له ولد﴾، هل أراد الذكور والإناث معا، أو الذكور خاصة دون الإناث؟

قال: الذكور والإناث في هذا المعنى سواء؛ لأن الأنثى والذكر كلاهما ولد، وكذلك ولد الولد إذا لم يكن ولد، قاموا مقام الولد، الذكور منهم مثل الذكور، والإناث مثل الإناث سواء، مثل ابن الابن وبنت الابن وما سواهم - كلالة.

وذكرت أن بعض من يدعي العلم: يحجب العصبة بالبنت، ولا يعطيهم شيئا معها، ويقيمها مقام الابن. وليس هذا قول من له علم، وكيف يقيمها مقام الذكر، والله عز وجل لم يقمها كذلك مع العصبة؟ وإنما يقول بهذا بعض فرق الإمامية الجهلة المفسدين في الإسلام، المعطلين للأحكام، الرافضين للفرقان.

والبنت تحجب الزوج عن النصف، وتحجب الزوجة عن الربع؛ فليس لزوج مع ابنة ولا ابن إلا ربع، ولا لزوجة مع بنت ولا ابن إلا ثمن، والبنت فلها: النصف، وإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان، وما بقي فللعصبة، مثل: العم وابن العم، والأخ وابن الأخ، ومن كان من العصبة.

وقلت: إنك قبلت الحجبة في العول.

فقد - والحمد لله - قبلت صوابا، وأزحت عنك في ذلك شكا وارتيابا؛ وفقك الله للهدى، وأعانك على التقوى.

وقلت: إني كتبت إليك أن الفرائض بالإتباع للثقات.

فما كان منها - يرحمك الله - منصوصا في الكتاب مشروحا فقد اجتزينا به عن النظر في غيره، وما كان فيه مجملا يحتاج إلى تفسير فذلك موجود في السنة عن رسول الله صلى الله عليه، والإتباع له فرض من الله عز وجل؛ لقوله: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[الحشر:٧]، مع ما قد برأه الله منه سبحانه في كتابه من التكلف، فقال: ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾[الأنعام:٥٠]، وقال في موضع آخر: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾[ص:٨٦]، فشهد له سبحانه بالبراءة من التكلف، وأنه لا يتبع إلا ما يوحى إليه، ثم قال عز وجل: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾[التغابن:١٢]، وقال: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[النساء:٨٠]؛ فكل ما جاء به النبي صلى الله عليه فمن الله: أمره به، وإذا صح عنه بسبب، ونقله الثقات تبعناه وعملنا به؛ لأن الله قد أمرنا بذلك أمرا، وحكم به حكما؛ لا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب.

وفي معنى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾: قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليهما السلام:

معناه: ألا تضلوا، وهذا كثير في كلام العرب؛ قال عمرو بن كلثوم:

فنزلتم منزل الأضياف منا ... فعجلنا القراء أن تشتمونا

يريد: أن لا تشتمونا... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة:١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾، فقلت: كم هي من الأصناف؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هي البهائم التي أجاز الله أكلها، وأحل لخلقه لحومها، وأنعم على البرية بها، وهي: الإبل، والبقر، والغنم، وغير ذلك، مثل: الظباء، وبقر الوحش، والوعل، وما أشبه ذلك من بهيمة الأنعام.

ثم قال سبحانه: ﴿إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم﴾، فأخبرهم أن هذه البهائم التي من الأنعام، مثل: الظباء، وبقر الوحش، والوعل محرمة عند الإحرام؛ امتحانا من الله لخلقه، وتعبدا منه لعباده؛ فحظرها عليهم في حال إحرامهم، وأباحها لهم عند إحلالهم؛ اختبارا منه؛ ﴿ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾[النجم:٣١].

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)﴾ [المائدة:٢]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته: عن قول الله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام﴾؟

فقال: هذا نهي من الله سبحانه للمؤمنين أن يحلوا شيئا مما حرم الله من هذه الأشياء، والشعائر فهي: الإبل التي تشعر عند الإحرام، وإشعارها فهو: شق أسنمتها، والهدي فهو: ما أهدى المحرمون إلى مكة، والقلائد فهي: الإبل أيضا المقلدة التي يقلدها الحاج بعد إحرامهم، ﴿ولا آمين البيت الحرام﴾ فهو: القاصدون له، المتوجهون نحوه، من حاج كان أو معتمر؛ فنهى الله تبارك وتعالى عن إباحة ما ذكر. والشهر الحرام فهو: الشهر الحرام الذي حرم الله فيه عليهم القتال، ومعنى الشهر الحرام فهو: الأشهر الحرم؛ فقال: " الشهر الحرام "، وهو يريد: الشهور، كما قال: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك﴾، وهو يريد: الناس. والأشهر الحرم التي نهوا عن الإحداث فيها فهي: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب؛ وهن اللواتي ذكر الله تبارك وتعالى حين يقول: ﴿منها أربعة حرم﴾؛ وهذا كان من قبل ظهور محمد عليه السلام. وحق هذه الشهور فواجب إلى يوم القيامة، ولكل محق أن يقاتل فيهن على الحق وبالحق، وإنما منعوا من القتال فيهن

إذا كان قتال فتنة وعصبية وباطل، يأمروا بإحلال هذه الأشهر عن المكافأة بباطل على باطل.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام...﴾ إلى آخر الآية؟

وقال محمد بن يحيى عليه السلام: الشعائر فهي: ما تعبد الله به خلقه في الحج، مثل: الصفا، والمروة، والمواقف، والجمار، والبدن؛ فأمرهم الله ألا يبيحوا ذلك، ولا يتركوه، ولا يفرطوا فيه.

وقد قيل: إنهم في سالف الدهر من بعد إبراهيم يتركون بعض هذه الأشياء، ولا يرون في تركها بأسا، وكان ذلك من فعلهم خطأ؛ فنهاهم الله سبحانه عنه.

ومن إحلالها أيضا: الإفساد فيها، واستجازة الظلم، والصد عنها.

والمعنى الأول هو تفسيرها، وقد يلحق في الكلام ما يفرع عليه وجوه المسألة، نريد بذلك إفهام المسترشد، وتبيين الحق، والله ولي التوفيق، والعون والتسديد.

والهدي والقلائد فهن: الشعائر، والهدي هو: البدن، والقلائد فهو: تقليدها، وإشعارها فهو: شق سنامها، وهو من التعبد الذي أمر الله به فيها. والشهر الحرام فهي: الأشهر الحرم التي ذكر الله عز وجل حين يقول: ﴿منها أربعة حرم﴾، فأخبر بقول: " الشهر الحرام " عن: ذكر جماعتها؛ إذ كان ذكرها قد تقدم، وشرحها كما قال سبحانه: ﴿ياأيها الإنسان﴾، فإنما أراد: يا أيها الناس، وقال عز وجل: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾[البقرة:١٩٤]؛ فأجاز لمحمد صلى الله عليه وآله ولأصحابه حين تعدي عليهم في الأشهر الحرم، وغزوا فيها: أن يغزوهم صلى الله عليه وآله فيها. وإنما أراد عز وجل: الأشهر الحرم كلها، لا واحدا منها، واجتزى بقوله: ﴿الشهر

الحرام﴾ عن ذكر الأشهر، وعلم السامع أنه قد أجاز الانتصار في كلها - لأن هذا من لغة العرب فصحيح معروف في إيجاز الكلام. والآمون البيت الحرام فهو: من أمه وقصده من المؤمنين الطالبين لرضى الله؛ فحرم سبحانه صدهم عنه، ومنعهم منه، والاعتراض لهم دونه؛ تأديبا منه عز وجل لخلقه، ودلالة على أرشد طرقهم، وإن كانوا لم يفعلوا ذلك، كما قال عز وجل: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾[الأنعام:١٥٢]، فكان ذلك عظة منه وتعليما وتفهيما لما لهم فيه الصلاح، ونهيا عن أفعال الجاهلية الأولين، من إفسادهم لأموال اليتامى، وصدهم عن البيت الحرام، وإن كان المؤمنون لم يفعلوا ذلك في إيمانهم؛ ولكن كان ذلك من الله تعليما لهم، ودلالة على أرشد أمورهم، ثم قد أصبح أهل الظلم اليوم، وهم صادون عنه، مانعون لأهل الإسلام منه، مخيفون للمؤمنين دونه؛ فالله عز وجل على ذلك المستعان، وإليه المشتكى.

وقد قيل في الآمين البيت الحرام: إنه شريح بن ضبيعة، في مسيره من اليمامة إلى مكة؛ فأراد المؤمنون أن يعارضوه ويكافوه على ما كان من أخذه لسرح أهل المدينة، وذلك أنه وصل برسول الله صلى الله عليه وآله، ثم خرج من عنده ولم يسلم، فأجاز بسرح أهل المدينة، فأخذه ومضى به.

وليس تفسير الآية بهذا المعنى، والقول الأول أصوب إن شاء الله؛ لأن شريحا كان كافرا معاندا؛ والله سبحانه فأخبر أنهم يبتغون فضلا منه ورضوانا، والكافر فليس الله عنه براض، ولا له بمقرب.

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا أمر من الله عز وجل للمؤمنين، وتأديب لهم، ودلالة على ما فيه نجاتهم، والسلامة في آخرتهم، فقال: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم﴾، والشنآن فهو: البغض والقلاء، يريد: لا يحملنكم بغض قوم على أن

تعتدوا، وتميلوا عن الحق فتهلكوا، والتعدي فهو: الظلم والحيف؛ فنهاهم الله سبحانه عن ذلك، وحذرهم منه، وأمرهم أن يكونوا منصفين، وبالحق حاكمين، لا يزيلهم عنه بغض لمن شنوا، ولا إيثار لمحبة فيظلموا، ولا يخرجهم ذلك إلى الميل والهوى، وأن ينفذوا أحكامه سبحانه فيهم على السواء؛ لأن الله عز وجل لم يجعل في حكمه تناقضا ولا فسادا، ولا زلفة لأحد ولا إيثارا؛ بل جعلهم في ذلك معا، وحكم عليهم ولهم فيه بالسواء؛ إنصافا لخلقه، وتسوية بين بريته، فقال: ﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾[النساء:١٣٥]؛ فأمرهم أن يقوموا بالقسط، وهو: العدل في من ولدهم، وقرب نسبه إليهم بالسواء، فلا يحل لمؤمن عرف ربه، وأيقن بيوم بعثه: أن يعدل عن القسط والحق: بالحكم في عدوه وقريبه على ما أمر الله سواء سواء، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون(٢)﴾[المائدة:٤٧]، والحق فيه الناس جميعا مشتركون.

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣)﴾[المائدة:٣]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

فأما ما أهل لغير الله به فهو: ما ذكر عليه غير اسم الله. وأما المنخنقة فهو: الدابة ينشب حلقها بين عودين، أو في حبل، أو غير ذلك مما تنخنق به فتموت.

وأما الموقوذة فهي: التي ترمى على موقذتها[١]، أو تضرب فتموت. وأما المتردية فهي: التي تتردى من رأس جبل، أو من المطارة، أو في بئر، أو في غير ذلك، مما تسقط فيه الدابة فتموت، فلا تلحق ذكاتها. وأما النطيحة فهي: ما تنطحه البقرة، أو الشاة منهن فتموت. وأما ما أكله السبع فهي: الدابة يقتلها السبع، ولا يلحق ذكائها؛ فحرم الله ذلك كله، إلا أن تلحق منه ذكاة، فيذبح وفيه شيء من حياة، فيكون حينئذ ذكيا حلالا للآكلين، غير محرم على العالمين، وكانت الجاهلية يعدون ذلك كله ذكيا، وليس بميتة. ثم قال الله سبحانه: ﴿وما ذبح على النصب﴾، والنصب فهي: آلهتهم المنصبة التي كانوا يذكون لها وعلى اسمها.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن قوله سبحانه: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾؟

فقال: إكمال الله لدينهم: فإسلامهم ما فصل الله لهم في كتابه من حلالهم وحرامهم، وذلك بعد إكمال الله - لا شريك له - في تحريمه وتحليله.

وقد قيل: إن هذه الآية نزلت في حجة الوداع، والحج آخر ما نزلت فريضته.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾، فقلت: ما الأزلام؟

---

(١) – قال في القاموس المحيط للفيروز أبادي: الوَقْذُ : شِدَّةُ الضَّرْبِ . وشاةٌ وقيذٌ ومَوْقوذَةٌ : قُتِلَتْ بالخَشَبِ . والوقيذُ : السريعُ، والبطيءُ، والثقيلُ، والشديدُ المَرَضِ المُشْرِفُ كالمَوْقوذِ . ووقَذَه : صَرَعَه، وسَكَّنَه، وغَلَبَه، وتَرَكَه عَليلاً كأَوْقَذَه . وناقةٌ مُوَقَّذَةٌ كمُعَظَّمَةٍ : أَثَّرَ الصِّرارُ في أَخْلافِها، أو التي يَرْضَعُها ولَدُها، ولا يَخْرُجُ لَبَنُها إلا نَزْراً؛ لِعِظَمِ الضَّرْعِ، فَيُوقِذُها ذلك، ويأْخُذُها له داءٌ . والمَوْقِذُ : كمَنْزِلٍ : طَرَفٌ من البَدَنِ كالكَعْبِ والرُّكْبَةِ، والمِرْفَقِ والمَنْكِبِ، ج : المَواقِذُ . والوَقائِذُ : حِجارةٌ مفروشةٌ .اهـ

وهي: القداح التي يستقسمون بها، ويرضون بما يكون من أمرها، فنهاهم الله عز وجل عنها؛ إذ كانت من فعل الجاهلين.

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿أكملت﴾ فهو: أتممت لكم دينكم، وهو: ما لا يكون به نقص، ولا يكون بعده تعبد ولا شريعة، ولا نقصان ولا زيادة؛ لأن الأنبياء عليهم السلام كانوا يأتون بشرائع مختلفة؛ للذي أراد الله سبحانه من التعبد بالأمر والنهي، وامتحان الخلق وتبيين المطيع من العاصي، وكان سبحانه ينقلهم من طاعة إلى طاعة، حتى ختم الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأكمل به التعبد، وجعل الإسلام خاتم الأديان إلى آخر الدنيا، لا دين بعده، ولا فرض سواه، ولا نقصان فيه ولا زيادة؛ فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين، ودينه أكمل أديان المتعبدين؛ قال الله سبحانه: ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾، فذكر أنه قد ارتضاه لخلقه واختاره لهم، وافترضه عليهم، فكملت به النعمة، وقامت على العباد به الحجة.

فهذا معنى ما عنه سألت، وهذه الآية فنزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعرفة، وكان ذلك يوم الجمعة.

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿غير متجانف لإثم﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد عز وجل بقوله: ﴿غير متجانف لإثم﴾، يقول: غير متحرف له، ولا قاصد لمحرم عليه؛ ألا تسمع كيف يقول من قبل هذا: ﴿فمن اضطر في مخمصة﴾، والمخمصة فهي: المجاعة، يقول: فمن اضطر في ذلك إلى أكل شيء مما قد حرم عليه، مثل: الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وكان ذلك على حد مخمصة وجوع، فلا إثم عليه، ومن تجانف له؛ لظلم نفسه، واستحلال لما حرم عليه منه، فهو المعاقب فيه، والمأخوذ به.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

الاستقسام هي: القسمة، والأزلام: هي قداح الميسر، وهي عشرة قداح: العد، والتوأم، والركيب، وكتب، والداس، والمسيل، والمعلى، والفسح، والمسح، والوعد؛ فالأول منها: واحد، والثاني: اثنين، والثالث: ثلاثة، والرابع: أربعة، والخامس: خمسة، والسادس: ستة، والسابع: سبعة، والآخر: لا حظ لها، وكان عشرة رجال يجتمعون، فيدفعون ثمن الجزور، ثم يقسمونها ثمانية وعشرين جزءا، ثم يضربون بالقداح، فربما خرج لواحد واحد وأكثر كما قدمنا، وواحد دفع الثمن، ثم خرج بحكم هذه القداح الظالمة بغير شيء؛ فنهاهم الله سبحانه عن ذلك، وردهم إلى الحق والصواب؛ فله الحمد.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤)﴾ [المائدة: ٤]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

هذه الآية نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في أمر زيد الخير الطائي، وعدي بن حاتم؛ وذلك أنهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقالا: يا رسول الله، إن الله قد حرم الميتة على من أكلها، وإن لنا كلابا نصيد بها، فمنها ما ندرك ذكاة صيده، ومنها مالا ندركه؛ فأنزل الله هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فتلاها عليهم، ثم قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((إذا سميت قبل أن ترسل كلابك، فأخذت الكلاب الصيد، فمات في أفواهها، فكله)). قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: إذا أرسل الكلب المعلم على الصيد، وسمى مرسله، فأخذ الكلب الصيد، فقتله فهو ذكي جائز أكله، وإن أكل

الكلب بعضه، وأدرك صاحبه بعضه، فلا بأس بأكل ما فضل منه؛ وكذلك روي في الأثر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فأما الصقر، والبازي، والشاهين، وجميع الجوارح - فما قتلت فليس بذكي؛ لأنها لا تأتمر إذا أمرت، ولا تأتي إذا دعيت لغير طعم، ولا تذهب إذا أمرت، والكلاب تأتي إذا دعيت، وتذهب إذا زجرت، وذلك فهو التكليب بعينه؛ لأن التكليب فهو: الائتمار، وما سمينا من جوارح الطير فلا تأتمر، وإنما يأتي إلى الطعم إذا رآه، ويطير إلى صيد إذا أبصره، في وقت جوعه، وحاجته إلى طعمه؛ طلبا منه لقوته، فإذا شبع لم يطرد إن طرد، ولم يرجع إلى صاحبه إن دعاه، وما كان هكذا فهو بعيد من الائتمار، وما بعد من الائتمار بعد من التكليب.

وأما الفهد: فإن كان في الحالة كالكلب في ائتماره، في إقباله وإدباره، وإغرائه وتكليبه، في حال شعبه وجوعه - فحال صيده كحال صيد الكلب، وإن كان مخالفا للكلب في معاني الائتمار والتكليب - فالآكل لما قتل غير مصيب.

حدثني أبي عن أبيه: أنه سئل عما قتل الكلب والصقر، فقال: ما قتل الكلب المعلم فحلال عندي أكله، وذكاة ما قتل الكلب المعلم فهو قتله له، ويؤكل ما قتل، وإن كان أكله إلا أقله، ولا أعلم فيما أجبتك به في هذا اختلافا بين أحد من الناس، إلا شيئا ذكر فيه من خلاف عن ابن عباس؛ فإنه ذكر عنه أنه كان يقول: " لا يؤكل ما أكل الكلب المعلم من صيده؛ فإنه إنما أمسك الصيد إذا أكله على نفسه لا على مرسله "، وظننت أن ابن عباس تأول في ذلك قول الله جل ثناؤه: ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم﴾، فكأنه عند ابن عباس أكله له، غير إمساك منه على مرسله. وهو عندي قد يمسك بالقتل أكبر الإمساك، والمذكور المشهور: أن عدي بن حاتم، وأبا ثعلبة الخشني سألا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن: أكل الكلب المعلم، يأكل من صيده؟ فأمرهما بأكل فضلة الكلب. وقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، إلا ابن عباس وحده من

بينهم: يؤكل فضل الكلب المعلم، وإن لم يبق من الصيد إلا بضعة من اللحم. فأما ما قتل الصقر، أو البازي - فأعجب ما قيل فيه من القول إلي: أنه ليس بذكي؛ لأن الله سبحانه يقول ﴿مكلبين﴾، ولم يقل: ما علمتم مصقرين، والكلب فهو: المغرى، وإكلاب الكلب فهو: الإغراء، ولا يكون ذلك من المغري للكلاب إلا أشلا وأمرا، والصقر لا يؤمر، ولا يشلى، ولا يغرى؛ فإن كانت حالة الفهود كحالها، لاتشلى ولا تؤمر - فلا يحل أكل فضول أكلها، وإن كانت تؤمر وتشلى وتأتمر -فهي كالكلب يؤكل ما أفضلت، وذكي ما قتلت؛ وبهذا فيما بلغنا: كان يقول علي عليه السلام، وابن عباس، وابن عمر، وذكر أن طاووسا كان يقول: ليس الصقور، ولا الفهود، ولا النمور من الجوارح اللاتي أحل الله - جل ثناؤه - أكل ما أكلت من صيدها، وقال غيرهم: إن هذه كلها كالكلاب في صيدها وأكلها.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وما علمتم من الجوارح مكلبين﴾، فقلت: هل يجوز لمن أطلق كلبا معلما على صيد، فأكل الكلب بعض الصيد: أن يأكل الرجل ما بقي منه؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الجوارح فهي: الصقور، والشواهين، والبواشق، والباز، ومعنى المكلبين فهو: ما علموا من الكلاب، فإذا كان الكلب معلما لصيد، يغرى فيأخذ، ويدعى فيجيب، ثم أغري على صيد، فلحقه فقتله، ثم لحقه صاحبه فوجده قد أكل منه، فلا بأس بأكل ما بقي؛ لأنه معلم.

وقد أطلق الله سبحانه: كل ما أمسك الكلب المعلم، وأحب لمن توارى كلبه عن عينه في الجبال والغياض: ألا يأكل ما فضل منه؛ لأنه لا يؤمن أن يكون الصيد تردى أو غرق، فإذا قتله في موضع براز من الأرض، وهو يبصره، ثم أكل منه، ولحقه صاحبه، فلا بأس بأكل بقيته.

وقد قال بعض الناس: إن الكلب إذا أكل من صيده، فلم يمسك على صاحبه، وإنما أمسك لنفسه.

وليس ذلك بصواب؛ بل كان السلف - عليهم السلام - يجيزون أكله على ما ذكرت لك.

قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥)﴾ [المائدة: ٥]

قال في كتاب حقائق المعرفة:

ومن المجمل أيضا قول الله تعالى: ﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾، ثم فسر الله هذا فقال: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾[البقرة:٢٢١]، وقال: ﴿إنما المشركون نجس﴾[التوبة:٢٨]، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾[الممتحنة:١]، فبين أن المراد بالآية الأولى: من آمن من أهل الكتاب، ويؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب﴾[آل

عمران:١٩٩].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦)﴾ [المائدة: ٦]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام بعد أن ذكر الآية:

فأوجب سبحانه غسل الوجه كله، من مقاص الشعر إلى حد الأذنين، إلى اللحيين، إلى الذقن، وأوجب غسل اليدين إلى المرفقين، ومعنى قوله ﴿إلى المرافق﴾ فهو: حتى المرافق؛ فأراد بقوله: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم حتى المرافق، فقامت " إلى " مقام " حتى "، وكذلك قوله ﴿إلى الكعبين﴾، أراد: حتى الكعبين؛ وهذه الحروف التي تدعى حروف الصفات، يقوم بعضها مقام بعض، وتجزي بعضها عن بعض؛ وفي ذلك ما يقول الشاعر:

شربن بماء البحر ثم ترفعت ... لدى لجج خضر لهن نئيج

فقال: " لدى لجج "، وإنما أراد: على لجج، فقامت " لدى " مقام " على "، والشاهد لذلك: قول الله سبحانه، فيما عبر من قول فرعون، حين يقول سبحانه ويحكي عنه من قوله: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾، وإنما أراد على جذوع النخل، فقامت " في " مقام " على ".

وقال عليه السلام في موضع آخر:

حدثني أبي عن أبيه أنه قال: لم أر أحدا من آل رسول صلى الله عليه وآله يشك في أن قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلي بن أبي طالب رحمة الله عليه، وجميع آلهما، وجميع المهاجرين من بعدهما، ﴿وأرجلكم﴾ بالنصب، يردونها بالواو نسقا على غسل الوجه، وإنما حرم المسح على الرجل بالآية، والآية فإنما أوجبت الغسل؛ لما في الرجل من القذر والدرن والوسخ والأذى، فإذا مسح فوقهما فلم يغسلهما، وإذا لم يغسلهما فلم ينقهما، وإنما تعبده الله بغسلهما لإنقائهما، وإماطة الأقذار عنهما، ومن مسح أعلاهما فلم ينقهما، ولم ينق جوانبهما وأسافلهما.

وفي الاستقصاء عليهما بالغسل، وإيجاب الغسل، ما يروى عن الرسول صلى الله عليه وآله من قوله: ((ويل للعراقيب وبطون الأقدام من النار))؛ فدل بذلك – صلى الله عليه وآله – على: أنه واجب على المتوضي أن يغسلهما بأجمعهما، ظاهرهما وباطنهما، ولو كانت القراءة في الأرجل بالخفض – لكان المسح واجبا، ولو وجب المسح لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ويل للعراقيب وبطون الأقدام من النار))؛ لأنه إنما أراد صلى الله عليه وآله بذلك الاستقصاء على الأرجل بالغسل؛ تأكيدا لما أمر الله به من الغسل لهما، وعنه في ذلك ما يروى من أنه قال: ((خللوا الأصابع بالماء قبل أن تخلل بالنار))؛ فدل بذلك على: أن تخليلهما و تنظيفهما، وغسل ما بطن وما ظهر منهما – واجب على كل مسلم متطهر.

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: ما أبالي أمسحت على رجلي، أم مسحت على خفي، وما أبالي أمسحت على خفي أم مسحت على سرجي، ولأن تقطع رجلي أحب إلي من أن أمسح على خفي، أو أمسح عليهما، أو أترك غسلهما؛ لأن الفرض في غسلهما؛ لما ذكرناه واحتججنا به في أول كلامنا، من قول الله تبارك وتعالى، ومن قول رسول الله صلى الله عليه وآله. ومن الحجة على من قال بمسح الرجل، وقرأ الآية بالخفض: ﴿وأرجلكم﴾: قول الله: ﴿إلى

الكعبين﴾، فلما أن قال: ﴿إلى الكعبين﴾ علمنا بتحديده: أنه إنما أراد الغسل، وأنها نصب عطف على غسل الوجه؛ لأن المسح لا يقال فيه: امسح إلى الكعبين، ولا يقال: إلى الكعبين إلا في الغسل فقط.

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾، فقلت: هل يجوز غسل اليدين قبل الوجه، أو يسع ذلك؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿فاغسلوا وجوهكم﴾ فهو: أمر من الله بغسل الوجه عند وضوءه للصلاة، والغسل فهو: الإنقاء للدرن بالماء، ثم قال: ﴿وأيديكم﴾ فأمر سبحانه بغسل اليدين بعد الوجه، ثم قال: ﴿وامسحوا برءوسكم﴾، فأمر بمسح الرأس مسحا، ولم يأمر بغسله، ثم قال: ﴿وأرجلكم﴾ تقرأ بالنصب عطفا على الوجه واليدين.

ولا يجوز لأحد أن يقدم مؤخرا ولا يؤخر مقدما، فمن فعل ذلك فقد خالف حكم الله عز وجل، وترك ما أمر به، ولا يجوز لأحد أن يغسل اليدين قبل الوجه، ولا أن يغسل الرجلين قبل مسح الرأس، فمن فعل من ذلك شيئا أعاده، ولو أن رجلا نسي غسل وجهه، حتى غسل يديه، ومسح رأسه، وغسل رجليه - لوجب عليه أن يستأنف الوضوء ويبتديه، ولو أنه غسل وجهه، ونسي المضمضة والاستنشاق - لوجب عليه أن يعيد وضوءه، فيتمضمض ويستنشق، ويغسل وجهه، ثم يده اليمنى، ثم اليسرى، ثم يمسح رأسه وأذنيه، ورقبته وغابته، والغابة فهي: ما تحت اللحية، ثم يغسل رجله اليمنى ويخلل أصابعه، ثم رجله اليسرى، فيفعل كذلك بها، فإن نسي يده اليمنى غسلها، ثم أعاد اليسرى، ثم رأسه، ثم رجليه، وإن نسي اليسرى غسلها، ثم أعاد مسح رأسه، وكذلك إن

نسي مسح رأسه مسحه، ثم أعاد غسل رجليه، وإن نسي رجله اليمنى غسلها، ثم أعاد غسل اليسرى، وإن نسي اليسرى غسلها فقط، وقد تم وضوءه؛ فعلى هذا فقس الوضوء؛ فكل ما قدمت شيئا من الأعضاء قبل المقدم قبله غسلت المقدم، ثم أعدت ما بعده؛ وبذلك أمر الله ذو الطول والإحسان، والنعمة والامتنان.

والاستنجاء: فواجب؛ لأن الله سبحانه يقول في كتابه: ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء﴾[المائدة:٦]، فأوجب الاستنجاء عند الوضوء وافترضه، وليس مع من قال: " إن الاستنجاء لا يكون إلا من الغائط " حجة؛ لأن الله قد ذكر الاستنجاء عند الوضوء وافترضه؛ فإن قال قائل: " ليس إلا من ملامسة النساء، والغائط ": فما تقول في البول؛ فليس البول يدعى غائطا، ولا يدعى المذي غائطا؟ فيجب عليه أن يقول: إن المذي والبول لا يقطعان الوضوء، ولا يجب منهما الاستنجاء. وإن قال بذلك قائل فقد خرج من حد المعرفة، وخالف الكتاب وما نطق به، مع ما جاء في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأمر بالاستنجاء نصا والتشديد فيه.

ومن أعجب عجائبهم: أنهم يرون إعادة الوضوء من الريح والدود يخرج من الدبر، فيرون إعادة الوجه واليدين والرأس والرجلين، ولا يرون الاستنجاء؛ فالذي وقع منه من الحدث، ونقض الوضوء - أحق بالغسل والإنقاء مما لم يحدث فيه شيء من الأشياء؛ بل الوجه واليدان والرأس على غاية الطهارة والنقاء، وإنما جاءت الإعادة مما كان من الحدث والأذى، فالذي جاء منه الحدث أحق بالغسل والإنقاء، وإلا فإن عارضهم معارض، فقال: من أين قلتم بإعادة الوضوء من الرعاف والقيء، وليس له ذكر في كتاب الله؟! فنحن نراكم لا توجبون الاستنجاء، وهو في كتاب الله قائم؛ فكيف توجبون ما ليس في كتاب الله؟! فيجب عند ذلك: ألا تعيدوا الوضوء من الدم، ولا من القيء، وإذا فعلوا

ذلك فقد خرجوا من المعرفة إلى الجهل، ومن الحق إلى الضلال؛ ولكن يقال لمن قال بهذه المقالة: إن الله سبحانه قد أمرنا بإعادة الوضوء على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم؛ فكل ما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم فمن الله عز وجل، ومن خالف قوله صلى الله عليه وآله وسلم فقد خالف حكم ربه.

وكذلك أيضا الاستنجاء، قد ذكره الله في كتابه، ووكده نبيه بلسانه، وقد كان جدي القاسم - صلوات الله عليه - قد أجاب فيها، واحتج بحجج في " كتاب الطهارة "، وهو عندكم مثبت، وفي ما ذكرنا حجة وغنى، لمن قصد الحق واهتدى.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)﴾ [المائدة: ١١]

قال في المجموعة الفاخرة:

إن رسول الله صلى الله عليه وآله، كان خرج إلى يهود بني النضير في نفر من أصحابه، وكان بنو النضير ينزلون قريبا من المدينة؛ ليستعينهم في ديتين وقعتا خطأ على بعض المسلمين؛ فلما أن أتاهم رحبوا به وأدنوه، وكل ما طلب منهم وعدوه، ثم تآمروا به وبأصحابه، وعزموا على الغدر به وبمن معه من أعوانه، فأهبط الله عز وجل بذلك جبريل صلى الله عليه على رسوله، فأخبره به وأوقفه عليه، فنهض صلى الله عليه وآله مسرعا هو ومن معه حتى رجعوا، ثم هيئوا وخرجوا إليهم، فقاتلوهم، وأقاموا عشرين ليلة يحصرونهم في حصونهم، ثم نزلوا من بعد ذلك على حكم سعد بن معاذ، وكان من كبار الأنصار، وذوي القدر منهم والأخطار، وكانوا يتكلمون إليه، ويظنون - لما كان بينه وبينهم في

الجاهلية، من المداناة والإحسان - أنه سيحابيهم، ويحكم بما ينجيهم كلهم؛ فحكم بأن يقتل رجالهم، وتسبى ذراريهم وحرمهم؛ وفي ذلك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات))، ففعل ذلك بهم، وأخزاهم الله وأهلكهم، وأبادهم وقتلهم؛ فكان إعلام الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله بما اجتمعوا عليه، وعزموا وصاروا فيه وإليه؛ كفا لأيديهم، ونقضا لعزيمتهم، وإبطالا لتدبيرهم.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله: ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: القوم الذين أرادوا أن يبسطوا أيديهم فهم: بنو قريظة، وبنو النضير؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وقعت عليه الدية التي لزمت في الرجلين اللذين قتلهما المسلمون، وظنوا أنهما لم يسلما، وكانا ممن يطالبه المسلمون بالقتل، فقدما على رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلما، ثم خرجا، فقتلهما بالحرة من لم يعرفهما، ولم يقع عنده إيمانهما، فقتلا خطأ بلا تعمد ظلم ولا اجتراء؛ فخرج صلى الله عليه وآله يستعينهم في ديتهما، فرحبوا به ولقوه بأحسن لقاء، وقالوا: أقعد يا محمد حتى نأتيك. فقعد صلى الله عليه وآله، ومعه أنفار من أصحابه يسير، أقل من عشرة أو عشرة، ثم مضوا من عنده، فأزمعوا بقتله عليه السلام، وتعاملوا على ذلك؛ فأنزل الله عليه جبريل عليهما السلام، فأخبره بخبرهم، وما يهمون به من مكرهم؛ فنهض صلى الله عليه وآله مسرعا، وكان الذي بينه وبين المدينة قريبا، ثم جاءوا يطلبونه في الموضع الذي تركوه فيه، فلم يجدوه، فأرسلوا إليه يعاتبونه في مضيه من قبل أن يأتوه؛ فأعلمهم صلى الله عليه وآله بما كان منهم وما أرادوا به، ونهض في حربهم من ساعته، فأذلهم الله وأخزاهم، وأباح عزهم وأرداهم، وكان من أمرهم ما قد وقفت عليه، فسلم الله نبيه من كيدهم

وخبرهم، عما أرادوا من قتله، وجعل دائرة السوء بأعدائه، وكان ذلك كفا لأيديهم، وقبضا لانبساطها على إتلاف نبيه والمؤمنين معه؛ فكف الله شرهم، وأوهن كيدهم، وما هموا به من عظيم فعلهم، وردهم بغيظهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة:١٤]

قال في المجموعة الفاخرة:

وأما ما سأل عنه من الإغراء بالإرادة دون الأمر؛ فزعم أن الله جل ثناؤه يأمر بما لا يريد، ويريد من الأشياء ما لا يشاء كينونته -فأخطأ في قوله وأمره، ونسب الجهالة في ذلك إلى ربه، ورضي فيه بما لا يرضاه في نفسه، ولا يراه حسنا من أمته وعبده، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا؛ ألا ترى أن الآمر بما لا يشاء: من أجهل الجاهلين؟ وعن الحكمة من أبعد المبعدين؟ فكيف اجترأ الحسن بن محمد على رب العالمين؛ فنسب إليه أشد ما يعاب به المربوبون؟!!

ثم احتج في قوله، وسطر أفحش القول في ربه؛ فقال: قال الله: ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾، فقال: إن الله تبارك وتعالى أغرى بينهم، ولم يرد الإغراء، ولم يأمر بالإغراء، وأدخلهم من ذلك فيما لم يشاء.

وليس ذلك كما توهم ولا كما قال، وأول الآية يدل على عدل الله في ذلك، حين أخبر بما كان منهم، وذكر من الترك والرفض لما أمروا بأخذه، والأخذ لما أمروا بتركه، فلما أن فعلوا من ذلك ما عنه نهوا -استأهلوا من الله سبحانه الترك والخذلان؛ بما كان منهم لله من العصيان، فتركهم من الرشد والتوفيق فضلوا، وعن الخير والصلاح في كل أمرهم عموا، والبر والتواصل تركوا، فغريت بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، ونشأ على ذلك خلف من بعد خلف، فكان ذلك بسبب خذلان الله لهم، وسخطه عليهم لذلك، فلما كان ذلك كذلك – جاز

أن يقال: إن الله أغرى بينهم العداوة؛ بكل ضلال قالوا، فنسب المسيح منهم قوم إلى: أنه رب، ونسبه قوم آخرون إلى أنه: ابن للرب، وقال آخرون بما قال في نفسه: إنه عبد الله، حين أخبر عنه بقوله، حين أشارت إليه أمه، قال الله جل ثناؤه: ﴿فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا (٢٩) قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا (٣٠) وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا﴾ [مريم: ٢٩-٣١]؛ فلما أن اختلفوا، وعلى الحق لم يأتلفوا: كفر بعضهم بعضا، وبرئ فاسق من منافق، ومنافق من فاسق، وخذلهم الله فيه، ولعنهم سبحانه عليه - غريت بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة. فلما كان عز وجل الذي خذلهم فضلوا، وتركهم فهلكوا، قال: ﴿فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾، وهذا - ولله الحمد - مشهور، في اللسان معروف. تم جواب مسألته.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى أغرينا: أي خذلنا، وتركناهم من التوفيق والتسديد؛ لما كان من معصيتهم، وتركهم لما أمروا به من عظيم طاعة خالقهم، فلما أن خذلهم ضلوا عن رشدهم، ووقع البلاء بينهم، والبغضاء في قلوبهم، كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿إنما نملي لهم﴾[آل عمران:١٧٨]، يريد بالإملاء: الترك والخذلان، فدام ذلك فيهم، وفي أولادهم وعقبهم إلى يوم القيامة؛ بما اكتسبوا لأنفسهم، واجتلبوه من الخذلان على فعلهم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥)﴾[المائدة: ١٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه المخاطبة من الله عز وجل لأهل الكتاب، وتوقيف لهم، والرسول فهو: محمد صلى الله عليه وآله.

قال: ﴿يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب﴾، يريد: ما كنتم تغيرون من أحكامه، وتكتمون من صفة محمد صلى الله عليه وآله، ونبوته، والأمر بطاعته؛ فكان مما يخفون الرجم، فأبانه لهم، وأوقفهم فيه على كذبهم، ومثله من الأشياء التي كانوا يحرفونها، وعمن لا يعرفها من الخلق يغمضونها، فكان هذا شاهدا له صلى الله عليه وآله بالنبوة؛ إذ أخبرهم بما كانوا يخفون، وأظهر لهم كثيرا مما كانوا يسترون، مما لم يكن ليدرك علمه إلا بالوحي من الله عز وجل.

﴿ويعفو عن كثير﴾، فالذي يعفو عنه صلى الله عليه وآله فهو: ما ستره عنهم، وعفى عن كشفه لهم، ومن العفو أيضا: تخفيف الله سبحانه التعبد الذي كان عليهم، لو رجعوا إلى طاعة الله لكانوا في التكليف كالمؤمنين، مثل: عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا معه، فزاح عنهم ما كان من التشديد الأول في التعبد؛ لأن الله عز وجل جعل أمة محمد أمة وسطا في التعبد، فخفف عنهم المحن العظيمة، والأسباب الشديدة؛ فضلا منه وإنعاما، ومنة وإحسانا.

قوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة:١٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

المتبع: أن يأتي بطاعة الله، ويزدجر عن معصية الله. وسبل السلام: طرق النجاة من الهلكة.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨)﴾ [المائدة: ١٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا قول من اليهود والنصارى يكذبون فيه، ويقولون البهتان والزور، والفاحش من جميع الأمور؛ فأكذبهم الله عز وجل في قولهم، فقال: ﴿بل أنتم بشر ممن خلق﴾، يقول: مثل من قد خلق من الأمم، تؤمرون وتنهون، وتماتون وتحيون، وتثابون وتعاقبون.

ثم قال: ﴿يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ الذي يشاء عز وجل المغفرة له فهو: المطيع لأمره، المتبع لحكمه؛ فحكم لمن كان كذلك بالثواب والنعيم، والنجاة من العذاب الأليم؛ ولم يحكم سبحانه بالمغفرة إلا: لمن أطاعه واتقاه، وكذلك عز وجل يعذب من عصاه، وخالف أمره وأباه؛ فقد شاء سبحانه عند ذلك عذابه، وحكم به عليه في فعله واكتسابه، وما كان من صدوده وعناده؛ فلا يشاء تبارك وتعالى للمؤمنين إلا الثواب، وكذلك فلن يشاء سبحانه ولن يحكم أبدا للعاصين بنجاة، وإذا لم يحكم لهم سبحانه بالنجاة -فقد شاء لهم العقاب، وحكم عليهم بأليم العذاب.

وقلت: قد قال قوم: إن الله عز وجل حين قال: ﴿يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ - فقد أبطل الفعل والعمل؟

فقد أخطأوا في قولهم، وتأولوا غير ما نطق به كتاب ربهم، ولو كان ذلك لفسد الوعد والوعيد، وإذا فسد الوعد والوعيد جاز أيضا أن يفسد البعث والحشر؛ لأنه يقول سبحانه: ﴿لا يخلف الله الميعاد﴾[الزمر:٢٠]، ويقول: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾[فصلت:٤٦].

فإذا دخل أهل الجنة النار ذهب الوعد، ووقع الظلم، وإن جاز أن يدخل أهل الجنة النار جاز أن يدخل أهل النار الجنة، وإن جاز ذهب الوعد والوعيد، وبطل الأمر والنهي، فإذا بطل ذلك فسد إرسال الأنبياء، وكان عبثا واستهزاء، والله سبحانه بريء من ذلك، متعال عنه؛ بل وعده الحق، وقوله الصدق، لا يخلف الميعاد، ولا يظلم العباد، ولا يدخل النار أهل طاعته، ولا يوصل الجنة أبدا من مات على معصيته، عز سلطانه، وعظم برهانه، وجل عن كل شأن شأنه.

فأما ما زعم أهل الحديث، واحتجوا به من قوله: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ [الأنبياء:٢٣]، فقالوا: هو في تعذيب المؤمنين إن شاء، وإدخال الكافرين الجنة إذا شاء - فبئس ما نطقوا؛ إذ عن الحق عدلوا، وله في كل الأمور باينوا، وإنما أراد الله عز وجل بقوله: ﴿لا يسأل عما يفعل﴾: من الموت والحياة، والأمر والنهي، والخلق والتصوير، والتعذيب والتقدير؛ فهذا معنى الآية، لا ما ذهبوا إليه من فاحش قولهم، وعظيم فريتهم؛ فأين قوله سبحانه: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره(٧)ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾[الزلزلة:٧ - ٨]؛ بعدا - والله - ممن أدخل النار أن يؤتى خيرا، أو غبطة أو سرورا، أو يعرف لصالح عمله جزاء، أو ينال أبدا راحة أو نعما؛ كذب المفترون على الله في قولهم، وضلوا يقينا عن طريق رشدهم؛ بل هو تبارك وتعالى عدل في فعله، غير ظالم لخلقه، بريء مما نسبه إليه أهل الإفك من عباده.

وليس قولهم لهذا المقال الفاسد المحال، إلا مثل قولهم: إن الله سبحانه يقضي بالمعاصي، ويأمر بها ويشاؤها، ويعذب خلقه عليها.

ومثل قولهم: إن الله جسم وصورة، فوصفوه بما نفى عن نفسه، وشبهوه بالمحدثين من خلقه؛ فأوجبوا أن خالقهم: مصور مجسم، فيه آثار الصنع والتدبير، والتأليف والتقدير؛ فحكموا بجهلهم: أنه مخلوق كخلقهم، مؤلف كأحدهم؛ فصاروا يعبدون شبحا مقدرا، وجسما مؤلفا؛ فكفروا وهم لا يعلمون، وعبدوا غير الله وهم لا يشعرون؛ عمى من قلوبهم، وقلة معرفة بخالقهم، وجهلا بدينهم، يخبطون في عشواء مظلمة، لم يستضيئوا بنور الحكمة، ولم يقتبسوا من معدن الرسالة، فيعرفوا الحق، ويقفوا منه على الصدق، اتبعوا الشهوات، وتركوا الواضح من المحكمات، وصاروا في المهالك والظلمات، وأخذوا دينهم من كذب المقالات، فضلوا عن الصواب، وصاروا بذلك إلى شر مآب، جهنم يصلونها فبئس المهاد؛ فلا تلتفت - يرحمك الله - إلى شيء من مقالتهم؛ فإنها حجج داحضة، وأقاويل مختلطة، ومذاهب مهلكة؛ فهم كما قال الله عز وجل: ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾[الكهف:١٠٤].

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾[المائدة:١٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿على فترة من الرسل﴾؟

والفترة: فهي المدة التي بين الرسل، وقد يقال: إنه كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام أربعمائة سنة، وبين موسى وعيسى مثل ذلك.

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠)﴾ [المائدة:٢٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام، بعد أن ذكر الآية ما لفظه:

كانت بنو إسرائيل - وهم قبيلة واحدة وبنو أب – مفضلين على قبائل بني آدم في الزمن الذي كانوا فيه؛ بنعمة الله عليهم؛ إذ جعل فيهم أنبياء، وجعلهم ملوكا، أهل كتاب. وأكرم بني إسرائيل أتقاهم، كما قال الله تعالى.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا﴾، فقلت: ما معنى الأنبياء؟ وهل يجوز أن يدعى باسم النبوة غير الأنبياء؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الأنبياء فهم: المبلغون عن الله عز وجل، والمقيمون للحجج على خلقه، والملوك الذين جعلهم الله فيهم فهم: ولاة أمرهم، العادلون فيهم، المحكوم من الله بالطاعة لهم. ثم قال سبحانه: ﴿وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين﴾، فهو: ما آتاهم من الملك، والنبوة، والآيات المنزلات بينهم، وما خصوا به في عصرهم، وفضلوا به على غيرهم؛ فكان ذلك لهم نعمة، وعليهم لله حجة.

وقلت: هل يجوز أن يدعى أحد من الناس باسم الأنبياء، ويسمى نبيا؟

فهذا - يرحمك الله - لا يجوز؛ ولكن قد يجوز أن يقال: منبي، يريد: مخبرا، كما قال الشاعر:

أنبيت عمرا حز بين السنابك ألا فمتى بالفائزين كذلك

قال: أنبيت، يريد: أخبرت، ويقال: أنبأني فلان عن فلان، وقال الله عز وجل: ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾[فاطر:١٤]، يقول: لا يخبرك مثل خبير، فجعل

الإخبار إنباء؛ قال الشاعر:

أنبيت أن أبا قابوس أوعدني ولا مقام على زأر من الأسد

وقال الشاعر أيضا:

أنبيت عمرا غير شاكر نعمتي والكفر مخبثة لنفس المنعم

فقال: أنبيت؛ أي: أخبرت، ولا يجوز أن يقال لإنسان: نبيء، ولكن يقال: منبي.

قوله تعالى: ﴿يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة:٢١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة(٢)﴾؟

والمقدسة فهي: المفضلة الطاهرة، وقد يقال: إنها بيت المقدس والشامات كلها، وهي التي قال الله سبحانه: ﴿القرى التي باركنا فيها﴾[سبأ:١٨]، والمقدس فهو: اسم لما طهر من الأنجاس، ونقي من المعاصي والأدناس، فيقال: مقدس؛ أي: مطهر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣)﴾ [المائدة: ٢٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام ما لفظه:

وهما فيما بلغنا يوشع بن نون، وكالب بن نوفيا، رهط أربعين ألف رجل من

أمة موسى عليه السلام.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما﴾، فقلت: من الرجلان؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد قال فيهما الناس بأقاويل مختلفة، وهما - حاطك الله - فرجلان كانا خائفين لله، عارفين بأمره، مسلمين لحكمه متبعين لأمر موسى صلى الله عليه، وقد قيل: إن أحدهما يوشع بن نون، وليس معرفة أسمائهما مما تعبد الله به خلقه، فافهم هديت ذلك.

وقلت: هل كان هؤلاء القوم الذين أمروا بدخول القرية مع موسى مؤمنين؟

فقد كانوا قد آمنوا بموسى عليه السلام وصدقوه، ثم ضعفوا عن الدخول على الجبارين، ورغبوا في الدنيا، وخافوا القتل والفناء؛ فصاروا بذلك من العاصين، ولما أمروا به من المخالفين؛ ولذلك حرم الله عليهم مصرا أربعين سنة؛ إذ كان امتناعهم من دخول القرية على الظالمين محبة للدنيا، وميلا إلى الهوى، وطلب الدعة، ورغبة في العاجلة؛ فأقاموا عند ذلك يتيهون في الأرض أربعين سنة.

وقلت: لم جاهد بهم، وهم فاسقون منافقون؟

وفسقهم ونفاقهم فإنما بان عندما أمروا بالجهاد، وافترضه عليهم ذو العزة والأياد، ثم سأل موسى ربه عند مخالفتهم لأمره، وصدودهم عن طاعته: أن يفرق بينه وبينهم؛ إذ كانوا غير مطيعين له.

وقلت: ما معنى يتيهون؟

والتيه: فهو التحير عن القصد لما يطلب؛ وذلك أنه لما حرمت عليهم مصر - أقبلوا يطلبونها، وهم لا يهتدون لطريقها، فحينا يذهبون يمينا، وتارة يمضون شمالا، ومرة يرجعون على أعقابهم، متكمهون في حيرتهم، ممعنون في تيههم،

يتكبدون بطون الأودية والفيافي والقفار، فلما أن لم يهتدوا لقصدهم، ولم يعرفوا الطريق التي يؤمون في سيرهم -قيل: يتيهون؛ لتحيرهم عما يريدون.

وقلت: ما كان طعامهم وشرابهم؟

وقد تقدم تفسير ذلك في أول مسائلك.

وقلت: ما كانت الحجة في الفترات على الأمم؟

والحجة عليهم: فالتمسك بدين النبي الذي بعثه الله إلى أولهم، والإقرار به؛ فهو عليهم حجة إلى ظهور مرسل من بعده إليهم؛ فكان موسى عليه السلام في عصره حجة على أهل دهره، وكان القيام بدينه عليهم واجبا، وفرضا من الله سبحانه لهم لازما، إلى أن بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام، ثم كان عيسى حجة حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله، فختم به النبيين، وبعثه إلى جميع العالمين، وجعل دينه أفضل الأديان، مفروضا على جميع المربوبين إلى يوم الدين، وحشر العالمين، وكانت بين المرسلين فترات قد فسرناها في أول كلامنا.

وقلت: هل كان للأنبياء أوصياء؟

وكذلك كان الأمر فيهم، كانت الأنبياء لم يزل لهم الأوصياء صلوات الله عليهم، حتى لم يمت نبي إلا وله وصي، يقوم بدينه وبتعليم أمته، ويأمر فيهم بالتقوى، ويجنبهم عن الردى، ويبين لهم طريق الهدى، فمنهم من يتبع أمره، ومنهم من يصد عن سبيله، ويخالف حكمه؛ وذلك فعل الأشقياء، الظلمة الجهلاء بالدين، إخوان المنافقين، وأتباع الجائرين؛ وأشباه أولئك الآن: فموجودون في الأرض، يحذون أفعالهم، ويتبعون آثارهم؛ عجل الله سريعا إهلاكهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧)﴾ [المائدة: ٢٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليهم السلام:

معناه: إنما يتقبل الله إيمان من اتقى وعمله، والاتقاء فهو: اتقاء الفاحشات، كما قال الله سبحانه: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (٨٣)﴾ [القصص]، إلى ما أوضحه الله في كتابه ، وجاء به رسوله عليه وآله السلام، وأجمعت عليه الأئمة، وحسن في جميع القلوب فعله؛ فيزمك القبول لذلك، والاعتقاد والقول والعمل به.

قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢)﴾ [المائدة:٣٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: أراد الله عز وجل: أنه من قتل نفسا مؤمنة، ظلما وتعمدا و تعديا، فكأنما قتل الناس جميعا؛ لأنه قد ظلم وتعدى، واستوجب العقاب بفعله، فيما اكتسبه من عظيم جرمه، والعقوبة والهوان، والخلود بين طبقات النيران.

و ﴿كتبنا﴾ فمعناه: حكمنا بالعقوبة عليهم، والتعذيب لمن فعل ذلك منهم.

ومعنى: ﴿ومن أحياها﴾ فهو: بالتعليم للدين، والتفهيم لأحكام رب العالمين، وأحياها بذلك وأنجاها، من أليم عقوبة الله عز وجل التي جعلها على أهل الجهل والغفلة عما افترض عليهم، من تعليم الدين، والتفقه فيما جاء به

خاتم النبيين؛ فكان إحياؤه للنفس هو: بالتعليم والتفهيم، لما افترض الله على جميع المسلمين، ومن إحياء النفس: الدفع عن المسلمين، والحقن لدماء المؤمنين، والذب عن المستضعفين.

ووجه آخر من وجوهها أيضا: أنه لما كان هذا الحكم من الله عز وجل في ابن آدم -وجب أن يكون حكما خاصا في الأنبياء والأئمة: أن من قتل منهم نبيا أو إماما كان كأنما قتل الناس جميعا؛ إذ حكم الأنبياء والأئمة سوى حكم الخلق، وبهم يهتدى من الحيرة، ويستضاء من الظلمة، وينصف المظلوم، وينعش الضعيف، وتقتسم الأموال، وتحقن الدماء، وتظهر من الله سبحانه على الخلق بهم النعماء؛ فإذا قتلوا فقد قتل الخلق، وأهلك العباد، وأفسدت البلاد؛ فنعوذ بالله من الضلال بعد التقى، ومن الحيرة بعد الهدى.

وسألت: عن رجل قتل قوما عمدا، ثم أراد التوبة من جرمه، والإقادة من نفسه، فقلت: كيف يصنع؟ أيجمع الأولياء، أم كيف يعمل؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إذا فعل ذلك فاعل فكان أولياء المقتولين في بلد واحد، فليجمعهم، ثم ليقدهم نفسه، فيحكموا فيه بما رأوا، فإن رأوا الصفح عنه فذلك جائز، وعليه لهم الديات، وإن صفح بعضهم وقتل بعض، فذلك جائز؛ لأن هذا حكمه خلاف حكم من قتل، وله أولياء كثيرون، وهم فيه مستوون؛ فإذا وهب أحدهم سقط القتل عن القاتل، ولم يكن للباقين أن يقتلوا، وهؤلاء فإنما هم أولياء لقتلى متباعدين، وفي الأنساب غير مجتمعين، فلولي هذا أن يقتل، ولولي هذا أن يعفوا.

وإن كان قتل رجلا بالري، وأولياءه فيها، وقتل آخر بجرجان، وقتل آخر بآمل، وقتل آخر بورفوه -كان هؤلاء في بلدان شاسعة، ومواضع باينة -رأيت له أن يكتب إلى كلهم، يعلمهم بتوبته، ورجعته إلى الله سبحانه، وأنه خارج من خطيئته، بإقادة نفسه لهم، ويعلم كل أولياء المقتولين بمن يطلبه بالقتل، وأنه

سيعرض نفسه للأول فالأول، فمن صفح عنه وأخذ الدية أعطاه إياها، ومن قتله فبحقه، وإن سلم صار إلى الآخر كمصيره إلى الأول.

ونحب له إذا كتب إلى أوليائهم: أن يذكر لهم أمر الدية، ويتوقف عن القود حتى تتصل به كتبهم، فمن قبل الدية أرسل بها إليه، ومن أبى أقاد نفسه، فإذا فعل ذلك فقد خرج إلى الله من ذنبه، وإن قتله واحد منهم دونهم كان أداء ما يجب عليه - من بعد التوبة والاستغفار، والإخلاص في العلانية والإسرار، والتأدي إلى من ظلم، والخروج ممن أساء فيه إلى نفسه واجترم.

وقال في كتاب حقائق المعرفة:

قوله: ﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ المراد به: من منعها من القتل، وصرف ظلم الظالم عنها.

ولو كان من يقتل: لو سلم من القتل لمات في ذلك الوقت - لكان من يذبح بهيمة غيره مأجورا غير مأزور، ولم يحكم عليه لصاحبها بشيء؛ لأنه لو تركها لماتت، فكانت ميتة؛ فكأنه قد أحسن إلى صاحبها، وكذلك القاتل لا يجب عليه قود ولا دية في جرح من قد أذن الله بموته؛ ولو كان ذلك كذلك لكان خارجا من الحكمة: أن ينهى الله عن شيء ويأذن به، ويعذب عليه من فعله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)﴾ [المائدة: ٣٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه آية فيها أحكام من الله عز وجل، حكم بها على

الفاسقين، وألزمها من عند من جميع المفسدين؛ فجعل على من حاربه سبحانه، وسعى بالفساد في أرضه، وأخاف عباده - أحكاما على قدر جناياتهم، وجعل عليهم حدودا تنفذ على ما يكون من أفعالهم؛ فمن سعى في الأرض فسادا من جميع الناس، وقطع الطريق على المسلمين، وقتل المجتاز عليها -كان حكمه إذا أخذ وظفر به: أن يقتل ويصلب، وإذا أخذ أموال المسلمين على الطريق، ولم يقتل نفسا - قطعت يده ورجله من خلاف، وإذا عاد لقطع الطريق من بعد قطع اليد والرجل -نفي من الأرض، وأدب على قدر ما يرى الإمام.

وقد قيل في النفي: إنه يحبس، ومن النفي أيضا: الطرد من البلد، والإخراج منها؛ فيكون خروجهم نفيا من أرضها، وإبعادا له من الفساد فيها؛ وهذه الأحكام فلا تكون إلا للأئمة، الحكام على الأمة.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ [المائدة: ٣٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا الحكم من الله عز وجل في السارق خلاف حكمه أولا في المفسدين في الأرض؛ لأن الله عز وجل جعل عقاب مخيف الطريق وقاطعها: قطع اليد والرجل، وعلى السارق في المدن والحوانيت والبيوت: قطع اليد لا غير؛ لأن قاطع الطريق مجاهر لله بالمعصية، معلن بالجرأة، مفتخر بالمخالفة، مخيف للمسلمين في طرقهم، ذاعر لهم في اختلافهم؛ فجعل الله عليه في ذلك: قطع اليد والرجل؛ جزاء على فعله، وتشريدا لأهل البغي من خلقه، وتحذيرا لأشكاله، من المردة المفسدين، فيما كان من مجاهرته بالفعل العظيم، والجرأة بذلك على رب العالمين.

وسارق الحانوت والبيت ذليل، غير مخيف لطريق، ولا قاطع لسبيل، ولا ذاعر للمسلمين، ولا معلن بمعصية رب العالمين؛ فجعل عليه في سرقته الغبية الخفية للحانوت والبيت: قطع اليد؛ فلما نزلت الآية بقطع اليد لم يدر المسلمون أي يديه يقطعون، لولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله بين ذلك وشرحه عن الله، فقال صلى الله عليه وآله: ((هي اليد اليمنى لسارق البيت، وما كان في الحرز))، وقال في الذي يأخذ على الطريق: ((اليد اليمنى والرجل اليسرى))؛ فكان تبيين ما يقطع من الأعضاء باسمه: عن الله سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه وآله، كما كان تبيين الصلاة - بعد ذكرها مجملة في الكتاب - على لسان نبيه عليه السلام، سواء سواء، لا شك في ذلك ولا امتراء.

وقد قال بعض الناس: إن القاطع إذا قطع الطريق قطعت يده ورجله، ثم عاد الثانية فنهب سائر الطريق قطعت رجله الأخرى ويده، أو سرق من بيت أو حرز قطعت يده الأخرى.

وهذا قول فاحش، لا يحكم به عدل في نفسه، ولا حاكم بكتاب ربه؛ لأن ذلك من القتل بغير القتل؛ والله سبحانه فإنما جعل عليه القطع، ولم يجعل عليه القتل؛ لأنه إذا قطعت يداه ورجلاه فقد قتل؛ إذ لا يقدر يأكل ولا يشرب، ولا يقوم ولا يتحرك إلا تحريكا ضعيفا، ولا يصلي ولا يتوضأ للصلاة، ولا يغسل عن بدنه دنسا، ولا يميط درنا، ولا يدفع عن نفسه بلاء، ولا يجر إليها ساعة رخاء؛ ولكن إذا كان ذلك مما قطعت يده ورجله -أدب ونفي؛ وفي ذلك ما بلغنا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أنه قال: ((لا بد له من يد يأكل بها، ويميط بها الأذى، أو يقيم بها الفرض، ورجل يمشي بها في ما لا بد له منه)).

(ثم استطرد الإمام # في ذكر بعض المسائل، إلى أن قال:)

وسألت: هل تقطع يد السارق بإقراره على نفسه؟ وهل يلزمه رد السرقة؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إذا أقر السارق على نفسه بالسرقة مرتين، من غير إفزاع ولا بلاء؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((لا حد على معترف بعد بلاء))، فإذا لم يخف ولم ير سوءا: سئل عن عقله، فإن كان صحيح العقل سئل: أحر أم مملوك، فإذا شهد على حريته قطع الإمام يده، وما حال اعترافه بالسرقة إلا كحال اعترافه بالزنا، وإن رجع السارق عن إقراره من قبل أن ينفذ فيه الحاكم لم يقطع؛ لأن حاله كحال شاهدين شهدا على رجل بالسرقة، فلما قرب إلى القطع نكل أحدهما أو كلاهما، فلا قطع عليه عند نكولهما.

وأما السرقة: فإن وجدت معه أخذت بعينها، وإن لم توجد معه، وكان قد استهلكها لم يحكم عليه بغرمها؛ لأنه قد استهلكها، ونفذ الحكم عليه من الله فيها؛ فحاله كحال من اغتصب امرأة بكرا على نفسها، فأقيم الحد عليه، فلا عقر لها؛ لأن الحد قد نفذ فيه، فلا يجتمع حد وعقر، كذلك لا يجتمع قطع وغرامة. وإنما ذهب من قال بعقر المكرهة إلى أن للإمام أن يحسن النظر في أمرها، وله أن يفعل في ذلك ما يوفقه الله له ويرى، من طريق نظر العلماء واستحسانهم، لا من طريق فرض مؤكد، كغيره مما هو مشدد.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١)﴾ [المائدة: ٤١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ومن يرد الله فتنتة فلن تملك له من الله شيئا﴾؟

والفتنة فهي: القتل والإهلاك، والانتقام والتعذيب، كمن عذب من القرون الأولى بالخسف والرجم، والصاعقة والإغراق لمن أغرق من الأمم الطاغية؛ فقال سبحانه: ﴿من يرد الله فتنته﴾، أي: عذابه وإهلاكه ﴿فلن تملك له من الله شيئا﴾، فصدق الله العلي الأعلى.

وقال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

هذه الآية نزلت فيما كان من أمر بشرة اليهودية، وذلك أن الله عز وجل أنزل على موسى بن عمران الرجم في الزاني المحصن، فغيرت ذلك اليهود، فجعلوه الجلد: أن يجلد أربعين جلدة بحبل مقير، ويسودون وجهه، ويحملونه على حمار، ويجعلون وجهه إلى ذنب الحمار، فلم يزالوا على ذلك، حتى هاجر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى المدينة، فزنت امرأة من اليهود يقال لها: بشرة، برجل من اليهود؛ فأراد اليهود جلدها، ثم خافوا من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يفضحهم، لما

غيروا من التوراة، فقال الأحبار للسفلة منهم: انطلقوا إلى محمد فاسألوه عن حد الزاني، فإن قال أجلدوه فاقبلوا ذلك منه، وإن أمركم بالرجم فأنكروا ذلك، ولا تقروا به ولا تقبلوه. فأتوا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فسألوه، فقال: ((الرجم إن كان محصنا))، فقالوا: إن موسى أمر أن يجلد إن كان محصنا. فقال لهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((كذبتم؛ بل أمركم بالرجم، ورجم))، فقالوا: كلا. فقال: ((فاجعلوا بيني وبينكم حكما))، فقالوا: اختر من أحببت. فجاءه جبريل، فقال له: ((اجعل فيما بينك وبينهم رجلا من أهل خيبر، أعور شابا طويلا، يقال له: عبد الله بن صوريا))؛ فدعاهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: ((هل تعرفون رجلا من أهل فدك))، فنعت لهم نعته، فقالوا: نعم. فقال: ((كيف علمه فيكم بالتوراة؟)) فقالوا: ذلك أعلمنا بالتوراة. فقال: ((ذاك بيننا وبينكم))، فرضوا بذلك، فأرسلوا عليه، فقدم، فدخل على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع اليهود، فقال له النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((أنت ابن صوريا؟))، فقال: نعم. فقال: ((أنت أعلم اليهود بالتوراة؟))، فقال: نعم، كذلك يقولون. فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((أنشدك بالله الرحمن، الذي أنزل التوراة على موسى، الذي أغرق آل فرعون وأنتم تنظرون: ما أنزل الله على موسى في الزاني))، فقال: فارتعدت فرائصه، وقال: الرجم. فوقعت به اليهود، وقالوا: لم أخبرته؟ فقال: لقد استحلفني بيمين لو لم أخبره عما سألني لأحرقتني التوراة، فقالت اليهود: إن ابن صوريا كاذب، ليس ذلك في التوراة. فقال عبد الله بن سلام للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: اجعل بينك وبينهم التوراة، فإنه فيها مكتوب. فقال لهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((بيني وبينكم التوراة))، فقالوا: نعم. فركب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى بيت المدارس على حمار، ومضى معه أصحابه، فقال لهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((لا تبدؤا اليهود بالسلام، فإذا سلموا فقولوا: وعليكم مثله))، فأتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى بيت المدارس، فدخل، وقال: ((ائتوا بالتوراة))، فجاءوا بها،

وكان الذي يقوم عليها جدي بن أخطب، وليس بحيي بن أخطب، وجلس معه عبد الله بن سلام، فقال له: اقرأ في سفر الحدود. فلما بلغ الرجم وضع إبهامه على ذلك الحرف، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك. فرفعها، فقال: اقرأه. فقرأ الرجم في التوراة، مبينا من الله جل جلاله. قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: أما قول الله عز وجل: ﴿فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾ -فإنها آية منسوخة، نسخها قول الله عز وجل: ﴿وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾، فوجب الحكم بين أهل الكتاب وعليهم بما أنزل الله في الكتاب من الأحكام، فأمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما أنزلت عليه هذه الآية باليهوديين الزانيين، فرجما...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام:

وأما قول الله جل ذكره: ﴿ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا﴾، فإن الفتنة في لغة العرب، وفي كتاب الله على وجوه كثيرة، فمنها: الكفر به، ومنها : المحنة والاختبار، ومنها: العذاب ، ومنها: الحرب والقتال على الضلال، وما يسخط الله، ومنها: غلبة الهوى، والمحبة للشيء وغير ذلك؛ وقد بين الله - جل ذكره وعز - أكثر ذلك، في كتابه الشفاء لما في الصدور، فقال جل ذكره: ﴿والفتنة أشد من القتل﴾، وقال لموسى عليه السلام: ﴿وفتناك فتونا﴾، أي: امتحناك امتحانا، وقال: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾، يقول: حتى لا يكون شر ولا حرب، ولا قتال على ضلال وكفر، وقال: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾، يريد: يعذبون ﴿ذوقوا فتنتكم﴾، أي: عذابكم، فيقول سبحانه: ﴿ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا﴾، وفي هذا الموضع يريد: من يرد الله عذابه فلن تستطيع أن تدفع عنه ما يريده الله من عذابه؛ والله سبحانه فلا يريد أن يعذب إلا من هو مصر على معاصيه، وقد علم أنه لا يرجع عن كفره ولا يتوب، كما علم مثل ذلك عن الشيطان: أنه لا يتوب أبدا ، وليس من حكمه: أن يعذب من يعلم أنه يتوب ويرجع يوما ما؛ لأنه قال:

﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾، يقول : لا أعذب من أعلم أنه يتوب ويستغفر، وقال جل ذكره: ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾، يقول: لو علمت أنهم يقبلون لأسمعتهم ما طلبوا، وأريتهم من الآيات ما سألوا، وقال: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾؛ فهذا وأشباهه في القرآن كثير، يعلم الله جل ذكره: أنه عالم باختيارهم معاصيه، وعاقبة أمرهم، وأنهم لا يتوبون مختارين غير مضطرين، وأنه لا يعذب من يعلم أنه يتوب، ويرجع عن كفره وضلاله.

وأما قوله سبحانه :﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾... الآية، فمعنى ذلك: أنه لا يريد: أن يحكم لقلوبهم بالطهارة والإيمان، وهي كافرة، ولا يشهد لها بالطهارة، وهي نجسه، ولا يزكيها، وإنما صاروا بهذه المنزلة؛ لكفرهم وشركهم الذي اختاروه، وأصروا عليه، ولو أنهم آمنوا واتقوا لحكم لهم سبحانه بالطهارة والعدالة، كما حكم بمثل ذلك لسائر من آمن به واتقاه؛ ومثل هذا مما يتعامل به الناس في اللغة: أن يقول قائل لبعض الفسقة : " إنه طاهر زكي "، فيقول قائل آخر: " أنت تريد أن تزكي هذا الفاسق، وتعدله، وتشهد له بالطهارة، وهو فاسق دنس "، والله لا يريد ذلك؛ فله الحمد، وتفسير أول الآية دليل على ما فسرناه: ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾، إلى قوله: ﴿يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا﴾، فأعلم جل ذكره: أن هذه الأفعال الردية منهم، لا منه، ولا بمشيئته، ولا رضاه، وأنها كسبهم لا بإجبار منه لهم عليها.

ثم قال سبحانه: ﴿ومن يرد الله فتنته﴾، أي: عذابه فلن يمكنك رد عذاب الله عنهم، ثم قال: ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾، أي : لم يرد أن يحكم لهم بالطهارة، وهي مصرة على خلافه وخلاف رسوله عليه السلام.

ثم ختم ذلك بأن قال: ﴿لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾،

وقد قال جل ذكره في آية أخرى: ﴿فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون﴾، فأعلم أنه إنما يريد أن يحكم بالعذاب على أهل الذنوب، ثم قال في آية أخرى: ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما﴾، وفي هذا غنى وكفاية لمن عقل عن الله، والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾ [المائدة: ٤٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

تأويلها - استمتع الله بك، وبنعمته عندك - هو: تنزيلها؛ وذلك أن من حكم بأحكام التنزيل بخلاف حكمه، فهو - غير شك - من الكافرين به؛ لأن من أحل ما حرم الله، أو حرم ما أحل الله، بعد الإحاطة بعلمه، فهو من الكافرين بالله في حكمه؛ لأنه منكر من حكم الله فيه لما أنكر، ومن أنكر من أحكام الله [و] تنزيله حكما فقد كفر، ولله أحكام هي ليس في تنزيل، في تحريم من الله وتحليل؛ ولكنها من أحكام التأويل، حكم بتنفيذها والحكم بها، فمن لم ينفذها ويقم إذا أمكنه تنفيذها -فهو من الظالمين، وفي تعطيلها من الفاسقين.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد الله عز وجل بقوله: ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾: أي: يتبعون ويحكمون بما أنزل الله فيه، من الأمر بطاعة محمد

صلى الله عليه وآله والدلالة والبشارة به؛ فإن حكموا بذلك فسيؤمنون برسوله، ويقرون بنبوته، وما أمروا به من اتباعه، وإن حرفوا ولم يحكموا على أنفسهم، وعلى من تحت أيديهم، بما أنزل الله في الإنجيل، من الاتباع لمحمد صلى الله عليه وآله، فقد كفروا بالإنجيل وجحدوه، وخالفوا حكمه ونبذوه؛ فهذا معنى الآية ومخرجها.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)﴾ [المائدة: ٤٨]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾، فقلت: ما الشرعة، وما المنهاج، وما الجعل؟

فالشرعة هي: الفرائض المفروضات، والأحكام المجعولات، المأمور الخلق بفعلهن، والمحكوم عليهم بأداء فرضهن. والمنهاج فهو: الطريق الواضح، الدال على ما ذكرنا من الشرعة، الناطقة لها السنة المتبعة. والجعل: فلا يكون إلا فعلا لله تبارك وتعالى، من ذلك ما جعل من الليل والنهار، وذلك قوله: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾، وقوله: ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا﴾، يريد: جعلنا وفعلنا، وقدرنا ورفعنا. وقد يكون الجعل من الله على: طريق الفرض والحكم، مثل قوله: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾، يريد: ما حكم عليكم في

دينكم بضيق من أمركم، ولا كلفكم إلا دون طاقتكم.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله عز وجل: ﴿ومهيمنا عليه﴾، فقلت: ما معناه؟

قال أحمد بن يحيى رضي الله عنه: المهيمن هو: الشاهد؛ قال عبد الله بن العباس يمدح ابن عمه أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

ألا إن خير الناس بعد محمد ... مهيمنه التاليه في العرف والنكر.

قوله تعالى: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ [المائدة: ٤٩]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

قوله في سورة المائدة: ﴿واحذرهم أن يفتنوك﴾، يقول: أن يصدوك عن بعض ما أنزل الله إليك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)﴾ [المائدة: من آية (٥١)]

قال في كتاب حقائق المعرفة في سياق الكلام عن الهداية والضلالة:

والثاني: هدى جزاء، وهو: الجنة، قال الله تعالى: ﴿والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾[محمد:٤-٦]، ولأن الذين قاتلوا قد قتل منهم في الحال قوم، فصح أن الهدى - الذي وعدهم الله في الآخرة؛ لأنهم لم يبقوا لهداية الدنيا؛ وقد قرأ أبو عمرو: ﴿والذين قتلوا في سبيل الله ...﴾ الآية؛ ومما يؤكد هذا قول الله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾[القصص:٥٦]، أراد به: هدى الجزاء على الحقيقة؛ لأنه لا يثيب من أحب في الآخرة؛ فلو كان المراد بالهداية هاهنا: في الدنيا -لكان

هذا مخالفا للكتاب والسنة، ناقضا للأصول؛ لأنه قد هدى في الدنيا من أحب ومن لم يحب، وأثاب أيضا في الدنيا من أحب؛ فصح أن المراد: أنك لا تثيب في الآخرة من أحببت، وصح أن الجزاء يسمى هدى، وقول الله تعالى: ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[المائدة:٥١]، وقوله: ﴿إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾[المنافقون:٦]، فهو يريد: هداية الثواب؛ لأنه قد هداهم في الدنيا فلم يهتدوا، قال عز من قائل: ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾[فصلت:١٧]... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)﴾ [المائدة]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام في سياق كلام:

قال تعالى: ﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (٥١) فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم﴾؛ المرض هاهنا هو: الشك والارتياب، لا الكفر؛ لأنه خاطبهم بلفظ الإيمان في أول الآية، والكتاب الكريم محروس من التناقض. ومسارعتهم فيهم: رفع المضار عنهم، والمدافعة دونهم؛ بدليل قوله تعالى: ﴿يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾، والذي أسروا في أنفسهم وهو: مخافة دولة المشركين، التي كفاه الله سبحانه بالفتح والأمر من عنده، الذي هو: الشهادة أو هلاك الكافرين بعذاب من عنده؛ فإنه يكون نصرا، ولا يكون فتحا؛ لأن الفتح لا يكون إلا لما [تولوه] لأنفسهم، وأعانهم الله تعالى عليه، يقول تعالى: إنهم حرموا أنفسهم الغنيمة

من الوجهين، مما أفاء الله تعالى عليهم من أموال الكافرين وسباياهم، وما كان يدخر عليهم على إمضاء ذلك، وإنفاذه من الثواب؛ فأصبحوا نادمين في الآخرة إن استشهدوا، أو في الدنيا إن وقع الفتح، وزال ما كان في قلوبهم من الخيفة والشك، وليس بين الموالاة والمباراة واسطة، وقد أمر الله تعالى بالغلظة على الكفرة، وقال تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾...الآية [المجادلة:٢٢]، وقال تعالى: ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾[الأحزاب:٦٢]، ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾[فاطر:٤٣]، وسنته في الكافرين: القتل، والسبي، والسلب؛ والخطر العظيم في الوجهين جميعا في: تحريم الحلال، كما هو في تحليل الحرام؛ ولهذا قال من آبائنا عليهم السلام من قال: " لم أر إلا الخروج، أو الكفر بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم"؛ فرأى ترك الفعل كفرا، كما أن فعل العظيمة كفر؛ فنسأل الله الثبات في الأمر، والتوفيق لما يحب ويرضى.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)﴾[المائدة: ٥٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد عز وجل: أنه من رجع من المؤمنين عما عاهد الله عليه، وعقده في رقبته - فإن ذلك عليه وبال، وله مهلك، ولن يضر الله سبحانه بشيء من فعله، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، ثم قال سبحانه: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾، وإتيانه بهم فهو: إيجاده نبيه صلى الله عليه وآله من خلقه قوما راغبين، وإلى الله سبحانه من ذنوبهم متنصلين، ولدعوة

رسوله صلى الله عليه وآله مجيبين؛ فيشرح صدورهم، ويعينهم على أمورهم؛ فنسبتهم لنبيه، يحبهم ويحبونه، صحيحة مودتهم لله ولرسوله. ﴿أذلة على المؤمنين﴾ يريد: رحماء بالمؤمنين، مطيعين لهم، غير متكبرين عليهم، ولا متطاولين؛ بل هم خاضعون لله يتذللون، ليسوا بجبارين، ولا فراعنة شياطين، ومعنى ﴿أذلة على المؤمنين﴾ فإنما هي: للمؤمنين؛ فقامت " على " مقام اللام. ولم يذكر عز وجل: أنهم ارتدوا ولا كفروا، وإنما قال: ﴿من يرتد منكم﴾؛ فكان ذلك تنبيها للمؤمنين، وتعريفا وموعظة وزجرا.

وقد يقال: إن هذه الآية نزلت في قوم كرهوا الجهاد، وهم الذين قالوا: ﴿ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾[النساء:٧٧]، وقد تقدم تفسير أمرهم في وسط مسائلك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥)﴾[المائدة: ٥٥]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: رحم الله عليا أمير المؤمنين؛ فقد جهل الحق من جهل فضله، وحار عن القصد من حار عن قصد حقه؛ فكيف بمن حار عن حقه، وهو يسمع قول الله سبحانه حين يقول فيه رضوان الله عليه: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾، فجعل الولاية لله سبحانه ولرسوله، وللمؤتي من المؤمنين الزكاة وهو راكع؛ فكان ذلك أمير المؤمنين دون غيره من سائر المسلمين، لا ينازعه فيه منازع، ولا يدفعه عنه دافع؛ بحكم الله له بذلك، وقوله فيه ما قال من ذلك وغيره من قوله: ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾؛ فكان السابق إلى ربه غير مسبوق.

وقال في موضع آخر بعد أن ذكر الآية:

فكان ذلك أمير المؤمنين رحمة الله عليه، دون جميع المسلمين؛ إذ كان المتصدق في صلاته، المؤدي لما يقربه من ربه من زكاته.

وفي مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه آية نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فيقال: إنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو في منزله، فقال: ((لقد نزلت علي آية عجيب أمرها، فانظروا من ذا الذي أدى الزكاة وهو راكع))؛ فإذا بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد جاءته مسكينة، وهو راكع، فسألته المنفعة، فمد يده إليها، فأخذت خاتمه من يده، فوجده معها، تقلبه في يدها، فكان صلى الله عليه: المتزكي في صلاته، والمتصدق في ركوعه، دون جميع أهل دهره.

وسألت: لم جاء الوحي لجماعة، وإنما هو واحد؟

وهذا من لغة العرب صحيح جيد؛ لأن الواحد من العرب يقول: فعلنا، وضعنا، وإنما يريد نفسه، والله سبحانه يقول: ﴿إنا نحن نحيي ونميت﴾[ق:٤٣]، وليس أحد يحيي ويميت إلا الله تبارك وتعالى؛ فجاز أن يقول: إنا نحن، وإن كان واحدا كما قال: ﴿إنا أنزلنا الكتاب﴾، وهذا فصيح في اللغة حسن، وكما قال سليمان صلى الله عليه: ﴿ياأيها الناس علمنا منطق الطير﴾[النمل:١٦]، فقال: علمنا منطق الطير، فخرج لفظه يدل على أنهم: جماعة علموا ذلك، ولم يكن أحد في عصره علم ذلك إلا هو وحده؛ فهذا حجة فيما سألت عنه، ومبين لذلك إن شاء الله.

وقال الإمام المؤيد بالله عليه السلام في كتاب التبصرة في سياق الاستدلال على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام:

وقد دل الله تعالى على ذلك في محكم كتابه، فقال: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾، ولم يرو في أحد أنه زكى وهو راكع غيره، فنزلت هذه الآية فيه، إلا في علي عليه السلام، فثبتت الولاية له.

فإن قيل: ما أنكرتم أن تكون الآية عامة في جميع المؤمنين؟

قيل له: لا يجوز ذلك؛ لأنه تعالى أثبت الولي والمولى عليه؛ لأنه قال: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾؛ فوجب أن يكون الولي غير المولى من هو ولي عليه، فثبت أن الآية خاصة، وإذا ثبت ذلك ثبت أنها في علي عليه السلام؛ إذ لم يدع أحد أنها خاصة في غيره...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في كتاب حقائق المعرفة:

فهذه الآية خاصة لعلي أمير المؤمنين عليه السلام؛ إذ لا يكون الولي إلا غير المولى عليه.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام بعد ذكره لهذه الآية:

وهو عليه السلام المراد بقوله: ﴿الذين آمنوا﴾؛ بإجماع العترة على ذلك، وعلى أنه الذي آتى الزكاة راكعا، واستفاض بذلك الخبر، ونحن نرويه بالإسناد الصحيح، فأثبت الله تعالى له الولاء على الكافة، كما أثبتها لنفسه ولرسوله عليه السلام، وهي: ملك التصرف فيهم، والرئاسة عليهم...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقد ذكر الآية في موضع آخر من الكتاب، وبسط الكلام حولها؛ فليرجع إليها.

وقد ذكر الآية أيضا في كتاب شرح الرسالة الناصحة، وحكى إجماع أهل النقل على أنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام، وأنه المصدق بخاتمه في حال ركوعه، دون غيره.

وقال في كتاب ينابيع النصيحة بعد ذكره لهذه الآية:

نزلت في علي عليه السلام لما تصدق بخاتمه، وهو راكع في الصلاة، وعلى ذلك إجماع العترة عليهم السلام، وإجماعهم حجة، كما تقدم بيانه.

وفي الكتاب المذكور بحث حول الآية في موضع آخر.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠)﴾[المائدة: ٦٠]

قال في المجموعة الفاخرة، بعد ذكر الآية، في سياق كلام ما لفظه:

إن الله لم يأخذهم، ولم يجعل منهم ما جعل من القردة والخنازير، ومسخ منهم من مسخ من المذنبين، إلا بعد الإعذار والإنذار، مرارا بعد مرار، فلما أبوا، وعموا عن أمره سبحانه وخالفوا -أخذوا بذنوبهم، فلم يجدوا من دون الله وليا ولا نصيرا.

وأما قوله: ﴿وعبد الطاغوت﴾ فإن ذلك مردود على أول الآية، وهو مقدم في المعنى، وكثير مثل ذلك على ما يكون على التقديم والتأخير، يعلمه من عباده العالم الخبير؛ فمعناه: أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله، وغضب عليه، وعبد الطاغوت، وجعل منهم القردة والخنازير، أراد: أن من عبد الطاغوت فهو شر من ذلك؛ فهذا موضع ما ظن[1] من: ﴿عبد الطاغوت﴾؛ ألا ترى كيف أهلك من كان كذلك؟ ومن اجترأ من الخلق كاجتراء أولئك؟

(١) - الضمير في : " ظن " راجع للحسن بن محمد ابن الحنفية؛ لأن هذا الكلام من سياق كلام في الرد عليه.

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾؟

فهؤلاء قوم من بني إسرائيل، مسخوا حين عتوا واجترووا، فجعلوا صور ما ذكر الله جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله، من القردة والخنازير؛ فجعل الله لهم هو: تحويله لصورهم، وإحلاله لنقمه الله سبحانه لهم؛ على ما كان من فعلهم، وما استوجبوا بجرمهم. وأما قوله: ﴿وعبد الطاغوت﴾ فإنما هو منه على التقديم والتأخير، أراد سبحانه: هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وعبد الطاغوت؛ فجعلها في اللفظ مؤخرة، وهي في المعنى مقدمة؛ وفعل الطاغوت فليس من فعل الله؛ لأن الطاغوت هو: ما أطغى من الفعل، وأفسد من العمل، وخالف الحق، وجنب عن الصدق.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾، فقلت: ما معنى ذلك؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل جدي القاسم صلوات الله عليه عن هذه المسألة، فقال: جعلهم فهو: تبديله لهم تبارك وتعالى، وقوله: ﴿وعبد الطاغوت﴾ فإنما هو نسق وتمام لما تقدم من الأول ولحق، من قوله سبحانه: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله﴾، يريد: منزلة ومحلا ومرتبة عند الله من لعنه الله، وغضب عليه، وجعل منهم القردة والخنازير، وعبد الطاغوت، والمسخ المقدورة الممقوتة[1]، تقديما وتأخيرا وتعريفا، ولست تحتاج – والله محمود – إلى تفسير فيما

(١) – هكذا في الأصل المنقول منه، وهو المجموع المطبوع، ولعل في الكلام نقصا؛ فتأمل.

يجوز من شأن القرآن من التقديم والتأخير.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام ما لفظه:

مجاز الآية: النعمة منه والفضل، وقوله تعالى: ﴿ينفق كيف يشاء﴾ يدل على ذلك، وقد يقول الرجل من العرب: " لفلان علي يد "، أي: نعمة، وقد قال علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ [الإسراء: ٣٠]، قال: ((لا تمسك يدك عن النفقة في حق، بمنزلة المغلولة يده إلى عنقه)).

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وقال جل ثناؤه: ﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾، وتأويل ذلك عند أهل العلم: بل نعمتاه مبسوطتان على خلقه، نعمة الدنيا، ونعمة الآخرة.

وقيل في تأويله: بل رزقاه مبسوطان على خلقه، رزق موسع، ورزق مضيق، ﴿ينفق كيف يشاء﴾، أي: يفعل من ذلك ما هو أصلح لعباده.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

قال أحمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾، يعني: نعمتاه مبسوطتان، نعمته في الدنيا، ونعمته في الآخرة؛ وكذلك قوله: ﴿خلقت بيدي﴾[ص:٧٥]، وقوله: ﴿مما عملت أيدينا أنعاما﴾[يس: ٧١]، يقول: ما توليته بنفسي؛ والعرب تقول لمن تخاطبه: " في عنقك يا فلان لي يد "، يعني: نعمة، لا أن في عنقه له يد لازمة بكف وأصابع، وقد قال الله سبحانه: ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾؛ فهل يجوز في العقول أن للمؤمنين

عند الله عز وجل قدما مطروحة بعقب وأصابع؛ هذا ما لا يجوز في العقول، ولا يتوهمه مسلم؛ وقد قال الشاعر في نحو ذلك:

تحملت من أسما ما ليس لي به ... ولا للجبال الراسيات يدان

والجبال ليس لها أيدي؛ فجاز هذا في لغة العرب، وإنما خاطبهم الله عز وجل بلغتهم التي يعرفون، وإنما جاء الهلاك في الدين والترك للتوحيد من جهل الخلق باللغة العربية؛ ألا ترى أن العرب تقول: " ما زلنا نطأ السماء حتى وصلنا إليكم من مسيرة أيام كثيرة "، وهذا الكلام عند من لا يفهمه غير جائز: أن يكون أحد يطأ السماء، وهو عند العرب وأهل المعرفة صحيح جائز؛ لأنهم يعنون بالسماء هاهنا: الغيث، أي: لم يزالوا يطئونه، حتى بلغوا إلى أصحابهم،...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في كتاب ينابيع النصيحة:

روي: أن الله تعالى كان قد بسط على اليهود، وأكثر الخصب عليهم، فلما عصوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبض الله عليهم في الرزق؛ فقالوا: يد الله مغلولة، كما حكى الله في قوله : ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾، وقيل: اسم القائل فنحاص؛ ومعنى مغلولة: أي مقبوضة عن العطاء، ﴿غلت أيديهم﴾ أي ألزموا البخل؛ فلهذا لا تجد ألأم منهم، ولا أبخل. وقيل: غلت في نار جهنم، أي: شدت إلى أعناقهم. قوله تعالى: ﴿ولعنوا بما قالوا﴾: اللعنة من الله: الإبعاد من الخير، واللعنة من غيره: الدعاء باللعن. قوله: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾: أي نعمتاه: نعمة الدنيا، ونعمة الآخرة؛ وعلى هذا يقول قائل أهل اللغة: " عندي لفلان يد، وشكرت يدك عندي "، معناه: النعمة، وتقول: " لفلان عندي يد بيضاء "، وقال الأعشى يخاطب ناقته:

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم   تريحي وتلقي من فواضله يدا

وأنشد الفراء:

ويدان بيضاوان عندي محلم قد يصنعا لك بينهم أن تهضما.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[المائدة: ٦٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضىٰ بن الهادي #:

قال محمد بن يحيىٰ عليه السلام: أراد عز وجل: أن أهل التوراة والإنجيل لو أقاموا ما أنزل إليهم من ربهم لدرت أرزاقهم، وكثرت نعمهم، وأكلوا -كما قال- من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، ولأنزل عليهم من السماء البركات، ومن الأرض النعم السابغات، كما قال عز وجل: ﴿وألو استقاموا علىٰ الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾[الجن:١٦]، وقال: ﴿ولو أن أهل القرىٰ آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾[الأعراف:٦٠].

فلما أن كانت البركات تأتي من السماء والأرض قال: ﴿من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾، فكان هذا دليلا وشاهدا علىٰ كفر أهل الكتاب في تحريفهم للتوراة والإنجيل، وتركهم ما فيهما من أمر الله ونهيه وأحكامه، وفي مثل ما ذكرت في الآية: ما يروىٰ عن عيسىٰ بن مريم صلوات الله عليه أنه قال: ((بحق أقول لكم يا بني إسرائيل: أن لو اتقيتم الله حق تقاته لأكلتم من فوقكم، ومن تحت أرجلكم، وعن أيمانكم، وعن شمائلكم.

فإن قلتم: كيف ذلك؟

فانظروا إلىٰ الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا.

فإن قلتم: نحن أكبر أجوافا؟

فانظروا إلىٰ بقر الوحش والظباء والسباع تغدوا خماصا، وتروح بطانا، لا تحرث ولا تزرع، الله يرزقها وإياكم))؛ وفي كتاب الله عز وجل الشاهد لذلك،

قوله سبحانه: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا(٢)ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[الطلاق:٢، ٣].

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)﴾ [المائدة: ٦٧]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام، في سياق الاستدلال على إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام، ما لفظه:

وفيه: أنزل الله على رسوله بغدير خم: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته والله يعصمك من الناس﴾، فوقف صلى الله عليه وآله وسلم، وقطع سيره، ولم يستجز أن يتقدم خطوة واحدة، حتى ينفذ ما عزم به عليه في علي عليه السلام، فنزل تحت الدوحة مكانه، وجمع الناس، ثم قال: ((يا أيها الناس، ألست أولى بكم من أنفسكم))، قالوا: بلى، يا رسول الله. فقال: ((اللهم اشهد))، ثم قال: ((اللهم اشهد))، ثم قال: ((فمن كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره))،...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨)﴾ [المائدة: ٦٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن محمد عليه السلام، وقد ذكر الآية، فقال:

معناها: أنهم كفار، حتى يقيموا التوراة والإنجيل، أي: يعملوا بما فيهما من التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وآله، والتزام ما جاء به عن الله سبحانه وتعالى.

قوله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١)﴾ [المائدة: ٨٠-٨١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

يقول سبحانه: لو كانوا يؤمنون بالنبي الذي كان فيهم، وبمن صار من أنبياء الله ورسله صلى الله عليهم إليهم -لما والوا عدوا مشآقا، ولا أدخلوا عليهم - إذ كانوا أعداء للرب - مرفقا، بمخالطة منهم لهم ولا معاملة، ولا بمجاورة لأحد منهم ولا محآلة، وقد تعلمون أن من ذكره الله سبحانه في هذه الآية بالتولي للكفار من اليهود، وإن كانوا قد نقضوا في أكثر الأمور ما بينهم وبين الله من العهود، فلم ينقضوا: أنهم غير متولين للكفار في أديانهم، ولا راضين بعبادة ما كان الكافرون يعبدون من أوثانهم، ولا ما كانوا يشرعون في دينهم من الشرائع، ويفترون على الله فيه من الشنائع، في أكل الميتة والدم، وما كانوا يحلون من كل محرم؛ بل كانوا لهم في ذلك مخالفين، ولعملهم فيه من القالين؛ ولكنهم كانوا لهم موالين، وإن لم يكونوا لدينهم قائلين، وكانوا لهم على دينهم من العائبين، ولهم في أنفسهم من المعادين؛ ولكنهم كانوا أولياء لهم بالنصرة والموآدة، وبما ذكرنا من الجوار والمعاملة والمقاعدة؛ أفلا ترون كيف جعلهم رب العالمين، بموالاتهم لمن ظلم -من الظالمين ؟! فأثبت سبحانه عليهم في الحكم، أنهم عنده كـ:هم في الظلم، وأنهم منهم؛ بموالاتهم لهم، وإن كانوا برآء منهم في شرائع دينهم،

وجاهلين بأكثر أقاويلهم، لا يعملون منها حرفا، ولا من أوصافهم فيها وصفا؛ فلذلك كان من الموالاة، ما ذكرنا من القرب والمداناة، التي منها المجاورة والمحآلة، كما منها الإخاء والمخآلة،...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧)﴾ [المائدة: من آية (٨٧)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن محمد عليه السلام، في سياق كلام عن أهل الكبائر ما لفظه:

والله لا يرتضي أهل الكبائر؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾، أي: لا يرتضيهم؛ بدليل أنه لا يصح أن يقول: " أحبهم وما ارتضاهم "، ولا: " ارتضاهم وما أحبهم "؛ للتناقض، وإنما يرتضي سبحانه عباده المؤمنين؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا...﴾ إلى قوله: ﴿والله يحب المحسنين﴾[المائدة:٩٣].

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩)﴾

[المائدة: ٨٩]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: الأيمان ثلاث؛ فمنهن: اللغو، وكسب القلب، وما عقدت عليه الأيمان.

فأما اللغو: فاليمين يحلف بها الحالف، وهو يظن أنه صادق فيها، ولا يكون الذي حلف عليه كما حلف؛ فهاتيك: لغو، وليس عليه فيها: كفارة، ولا ينبغي له أن يعود لمثل ذلك، وينبغي له: أن يتحرز من اليمين بالله، إلا في اليقين، فهو غير آثم فيها.

وكسب القلوب هو: ما حلف عليه كاذبا، وهو يعلم أنه كاذب، يتعمد ذلك تعمدا، في بيع، أو شراء، أو غير ذلك من المحاورة في الأشياء، فليس في ذلك: كفارة، وفيها: التوبة إلى الله، والإنابة والرجعة عن الخطية إلى الله عز وجل والإستقالة.

وأما المعقدة من الأيمان فهو: ما حلف الرجل أن لا يفعله، أو أقسم فيه أن يفعله، وهو عازم على التمام على يمينه والوفاء، ثم يرى غير ذلك خيرا منه، فيفعله، فعليه في ذلك: كفارة اليمين، يطعم عشرة مساكين غداءهم وعشاءهم، من أوسط ما يطعم أهله من الطعام، ويؤدمهم بأوسط الإدام، يطعم كل واحد منهم نصف صاع من دقيق، أو صاعا من تمر أو شعير، أو صاعا مما يأكله هو وأهله من الذرة، أو غيرها من الطعام، أو يكسوهم كسوة تعم جسد كل مسكين منهم: إما قميصا سابغا، وإما ملحفة سابغة يلتحف بها، وإما كساءا، ولا تكون الكسوة إلا كسوة جامعة للبدن، لا يجوز أن يكسى أحدهما: عمامة وحدها، ولا سراويل وحدها، أو يعتق رقبة مسلمة، صغيرة أو كبيرة. وهو في هذه الكفارات الثلاث بالخيار، يصنع أيها شاء، والكسوة أفضل من الإطعام، والعتق أفضل من الكسوة؛ فمن لم يجد من ذلك شيئا، ولم يستطع إليه سبيلا -فصيام ثلاثة أيام متتابعات، ثم قال سبحانه: ﴿واحفظوا أيمانكم﴾، يقول: احفظوها، أي: كفروها، وقوموا بما أوجبنا عليكم فيها، ثم قال سبحانه في الاستثناء: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا﴾؛ فأمره بالاستثناء عندما يتكلم في كلامه،

أو يؤمل فعله غدا من أفعاله، ثم قال: ﴿واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا﴾، يقول: لتستثن إذا ذكرت إن نسيت في أول أمرك، فلا تدع الاستثناء عند آخر كلامك، وعندما تكون فيه من ذكرك.

قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: لا بد من إطعام عشرة مساكين في كفارة اليمين، ومن إطعام ستين مسكينا في الظهار، لمن لم يجد عتق رقبة، ومن لم يستطع صياما. ولا يجوز إن لم يجد كلهم: أن يردد على بعضهم، ولابد من إطعام ما ذكر الله من عددهم، إن كان لم يوجد بعضهم: صبر حتى يوجدوا، وان أطعم بعضهم كان عليه أن ينتظر حتى يجد تمامهم.

حدثني أبي عن أبيه: أنه سئل عن كفارة اليمين، كم يعطى كل مسكين؟ فقال: يعطى مدين مدين، من حنطة أو دقيق لكل مسكين، بإدامه من أي إدام كان، أو قيمته لغدائهم وعشائهم؛ وكذلك يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

حدثني أبي عن أبيه: أنه سئل عن إطعام المسكين في الكفارة، إذا لم يوجد ستون مسكينا أو عشرة، هل يجوز أن يردده عليهم؟ فقال: لا يردد عليهم؛ ولكن ينتظر حتى يجد ما قال الله، ستين مسكينا، أو عشرة مساكين...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: اللغو فهو: ما لا يعتمد فيه اليمين، ولا يقصد به جرأة على رب العالمين، وإنما يقع من طريق: الغفلة، والسهو؛ فاللغو: ما لا يكون له حقيقة ولا قصد ولا ضمير. وقد قيل في اللغو: إنه الرجل يحلف على الشيء: " ما فعله "، وقد فعله. وليس هو عندي كذلك.

وسألت: هل يجوز أن يحلف على الحقوق بالقرآن والطلاق؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: ذلك جائز، وقد قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يستحلف بالقرآن، وأمير المؤمنين عليه السلام من بعده.

وأما الطلاق فلا يدخل في ذلك؛ لأن الله يقول عز وجل: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[الرعد:٢٨]، وفي اليمين بالله كفاية لمن عرفه. والطلاق فقد يستحلف به بعض من لا معرفة له بالقرآن، فيكون هيبته للطلاق والعتاق أشد عليه من اليمين على الكتاب، وفي كتاب الله المقنع والكفاية؛ فافهم هديت.

وسألت عن: من حلف فحنث، وهو لا يقدر على كفارة، فقلت: كيف يعمل؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إن الله سبحانه جعل الكفارة أربعة أشياء؛ رأفة بعباده، ورحمة لخلقه؛ فسح بذلك عليهم، وجعله على قدر ما يمكن من طاقتهم: إطعام، أو كسوة، أو عتق، أو صيام؛ فإذا لم يقدر على إطعام، ولا كسوة، ولا عتق، ولا صيام - كان ذلك عليه دينا، حتى يقوى على الصيام، فيصوم عند صحته إن كان به مرض، أو يرزق فيكفر، أو يستعين إمام حق إن كان في عصره فيعينه، أو يحمل كفارته عنه.

وقلت: فإن كفر برز أيعطيه بقشره؟

ونحن نعطيك في هذا أصلا تعتمد عليه، والذي نحب في الإطعام من رز، أو ذرة، أو بر، أو شعير: أن يطعم كل مسكين ما يشبعه، ويكفيه بإدام يومه؛ فإذا فعل ذلك فقد أدى ما عليه.

وقلت: أيما أفضل: إعطاء المساكين حبا، أو يسويه لهم خبزا؟

والخبز لهم والإشباع، والتقديم إليهم ما قد فرغ من تعبه وعن شغله - أفضل، وإن دفع من الحب ما يكفي خبزا وأدما أجزأه، وخلصه وكفاه.

(إلى أن قال عليه السلام:)

وقلت: هل يعطي الرجل قريبه إذا كان فقيرا من كفارته شيئا؟

واعلم - حاطك الله -: أنه إذا كان ممن يجب عليه النفقة فلا يحل أن يعطيه من كفارته شيئا، وإن كان ممن لا يجب عليه نفقته فهو من المساكين والفقراء، غير أنا لا نحب أن يعطى المسكين أكثر من شبعة يومه ذلك، ويعطى الفقراء معه، ولا يخص بالكفارة واحدا ولا اثنين، فيعطيهم إياها كلها، ولا بد أن يعطي عشرة مساكين كما أمر الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)﴾ [المائدة: ٩٠]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام بعد أن ذكر الآية:

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: الخمر: كل ما خامر العقل فأفسده، فإذا أفسد كثيره كان حراما قليله، ولذلك سميت خمرا؛ لمخامرتها للعقل وإبطالها له، سواء كانت من عنب، أو تمر، أو عسل، أو ذرة، أو شعير، أو حنطة، أو زهو، أو غير ذلك من الاشياء. والميسر فهو: النرد والشطرنج والقمار كله، وكلما كان من ذلك مما يلهي عن ذكر الرحمن، ويشغل عن كل طاعة وإيمان. والأنصاب فهي: أنصاب الجاهلية التي كانوا ينصبونها من الحجارة لعبادتهم، يعبدونها من دون الله؛ وهي اليوم فموجودة في شعاب الأرض، وفي آثارهم منصوبة على حالها، قائمة منذ عهدهم. والأزلام فهي: القداح التي كانت الجاهلية تضرب بها، وتستقسم بها، وتجعلها حكما في كل أمرها، عليها كتب وعلامات لهم، فما خرج من تلك الكتب والعلامات يجعلوه لهم هداية ودلالات؛ فأخبر الله تبارك وتعالى أن ذلك كله من فعلهم أمر عن الله يصدهم، ومن طاعة الله يمنعهم،

وعن التعاهد لأوقات فرائض الصلوات يشغلهم؛ وذلك قوله سبحانه: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾.

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: حد الخمر: ثمانون على من شرب منها قليلا أو كثيرا، فإذا شهد على شاربها رجلان أنهما رأياه يشربها، أو شما منه في نكهته رائحتها، وجب عليه الحد: ثمانون سوطا؛ وكذلك بلغنا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال لعمر بن الخطاب، حين كان من أمره وأمر قدامة بن مظعون الجمحي ما كان، حين كان قدامة يشرب الخمر، فحده أبو هريرة في البحرين، وهو إذ ذاك وال لعمر عليها، فقدم قدامة على عمر، فشكا إليه أبا هريرة، فبعث إليه عمر، فأشخصه، فقدم أبو هريرة معه بالشهود الذين شهدوا على شرب قدامة الخمر، وكان ممن قدم معه الجارود العبدي؛ فلما قدم عليه أبو هريرة سأله عن أمر قدامة، فأخبره أنه جلده في الخمر، فسأله عمر البينة، فجاء بشهوده، فالتقى عبد الله بن عمر والجارود العبدي، فقال له عبد الله بن عمر بن الخطاب: أنت الذي شهدت على خالي أنه شرب الخمر؟ قال: نعم. قال: إذا لا تجوز شهادتك عليه. فغضب الجارود، وقال: أما والله لأجلدن خالك، أو لأكفرن أباك. فدخلوا على عمر، فشهدوا أنه ضربه في الخمر، فقال قدامة: إني أنا ليس علي في الخمر حرج، إنما أنا من اللذين قال الله: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾، قال: وكان بدريا، ففزع عمر مما قاله قدامة، فبعث إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له: ألا تسمع إلى ما يقول قدامة. فأخبره بما قرأ من القرآن، فقال علي عليه السلام: ((إن الله لما حرم الخمر شكا المؤمنون إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقالوا: كيف بآبائنا وإخواننا الذين ماتوا وقتلوا وهم يشربون الخمر، وكيف بصلاتنا التي صلينا

ونحن نشربها: هل قبل الله منا ومنهم أم لا؟ فأنزل الله فيهم: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم أتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾، فكان ذلك معذرة للماضين، وحجة على الباقين، يا عمر، إن شارب الخمر إذا شربها انتشى، وإذا انتشى هذى، وإذا هذى افترى؛ فأقم حدها حد فرية، وحد الفرية ثمانون))؛ وكذلك بلغنا عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((أنه كان يضرب في شرب المسكر ثمانين)). وكان يقول: ((كل مسكر خمر)). وبلغنا عنه عليه السلام: ((أنه كان يجلد في قليل ما أسكر كثيره كما يجلد في الكثير)).

حدثني أبي عن أبيه أنه قال: حدثني أبو بكر بن أبي أويس، عن حسين بن عبد الله بن ضميره، عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عليه السلام: أنه كان يجلد فيما أسكر قليله كما يجلد فيما أسكر كثيره.

وحدثني أبي عن أبيه: أنه سئل عن المسكر، فقال: كلما أسكر كثيره فقليله حرام؛ وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: ((كلما أسكر كثيره فالذوق منه حرام)).

قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: وما حرم الله شربه لزم شاربه حد، وحدثني أبي عن أبيه: أنه قال: بلغنا عن أمير المؤمنين رضي الله عنه أنه كان يقول: ((لا أجد أحدا يشرب خمرا، ولا نبيذا مسكرا إلا جلدته الحد ثمانين)).

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)﴾ [المائدة: ٩٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، بعد ذكره للآية:

يقول الله سبحانه: ليس على من اتقى وآمن جناح - يعني: إثما - فيما أكل وطعم من طيبات الأطعمة، التي ليست عند الله بمحرمة؛ لأن من المؤمنين من كان يترك أكل بعض الطيبات؛ زهادة في الدنيا، والتماسا في ذلك لما يحب الله ويرضى؛ وممن ذكر بذلك عثمان بن مظعون، كان فيما بلغنا قد حرم على نفسه أكل اللحوم، فنهاه الله وغيره من المؤمنين عن تحريم ما لم يحرم من المطاعم الطيبة، وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾[المائدة:٨٧]، فأخبرهم سبحانه وغيرهم من الأتقياء البررة: أنها لمن آمن به في الدنيا خالصة في الآخرة، فقال سبحانه: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾[الأعراف:٣٢].

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤)﴾ [المائدة: ٩٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿ليبلونكم﴾ هو: ليمتحننكم بالصيد الذي

تناله أيديكم ورماحكم، أراد بذلك عز وجل: الاختبار لهم، والامتحان بالطاعة؛ لينظر كيف صبرهم، وقد كان عز وجل عالما بهم؛ ولكن امتحنهم بذلك ليكافي المطيع على فعله، ويعاقب المسيء على عمله، فكان الصيد في إحرامهم كثيرا، لا يذعر منهم كما كان يذعر، حتى لو شاء أحدهم أن يضربه بالسيف لضربه، أو يطعنه بالرمح لطعنه؛ فكان ذلك من الله سبحانه اختبارا لهم، كما اختبر أصحاب الحيتان، فكانت الحيتان في يوم سبتهم تأتيهم شرعا، حتى لو شاءوا لأخذوها بأيديهم، وإذا كان سائر الأيام لم يقدروا عليها إلا بالشبك والحيل والطلب.

وقلت: فإن قتل رجل صيدا متعمدا، ثم قتل صيدا ثانيا، هل يجب عليه كفارة أو كفارتان؟

والذي يجب عليه في كل ما قتل، وهو محرم: كفارة كفارة، ولو قتل خمس بقرات من الوحش -لوجب عليه خمس بقرات من الأوانس، فإن لم يجد فقيمتهن في ذلك البلد الذي قتل فيه، فإن لم يجد القيمة وجب عليه عدل ذلك صياما، وهو: ثلاثمائة وخمسون يوما، عن كل بقرة سبعون يوما.

وقلت: لم قال الله سبحانه: ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾، ولم يقل: يحكم به ذو عدل؟

وذو العدل فهو: واحد، وذوا عدل فهما: اثنان؛ فأراد الله سبحانه: أن يحكم في هذه القيمة ذوا عدل؛ لأن الاثنين أوثق من الواحد، وأجدر أن تصح القيمة؛ بالتراجع بينهما، والنظر فيها منهما، ولم يجز سبحانه شيئا من الأحكام إلا بشاهدين.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ(٩٥)﴾ [المائدة:٩٥]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام، بعد ذكر الآية:

المتعمد لقتل الصيد من المحرمين، الذي جعل الله عليه الجزاء فهو: الذي يريد قتله متعمدا، يرميه بالسهم، أو يطعنه بالرمح، أو يضربه بالسيف، يريد قتله، ويتعمد أخذه، وهو ناس لإحرامه، غير ذاكر لما دخل فيه من حجه. فأما من قتله متعمدا ذاكرا لما هو فيه من إحرامه: فلابد له من التوبة النصوح إلى الله من ذلك، وهي كبيرة أتاها، يجب عليه الخروج إلى الله منها، ويجب عليه معها الجزاء. والذي يقتله متعمدا لقتله، وهو ناس لإحرامه، فالجزاء يجزيه: كما فرض الله سبحانه عليه؛ لأنه لم يأت بكبيرة يجب التوبة منها. والجزاء فهو: مثل ما يقتل، يحكم به عليه ذوا عدل. والعدل فهو: البصير بالحكومة في ذلك، مع الصلاح في الدين، والخشية لرب العالمين؛ فمن كان قتل ما يكون جزاؤه شاة، فلم يجد الشاة أطعم عشرة مساكين إن أحب، أو صام عشرة أيام؛ لأن عدل الشاة من الصيام ما حكم الله به على المتمتع، من صيام ثلاثة أيام في الحج، وسبعة إذا رجعتم، فلما وجدنا الله تبارك وتعالى قد أقام صيام العشرة الأيام مقام أقل الجزاء عندنا، وهو شاة، قلنا: إن عدل كل شاة من الصيام عشرة أيام، وقلنا: إن عدل الشاة من الإطعام إطعام عشرة مساكين؛ لأنا أقمنا إطعام كل مسكين مقام صيام يوم، وكذلك أقامه الحي القيوم، حين يقول في الظهار: ﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا﴾؛ فأقام إطعام كل مسكين مقام صيام يوم؛ فصح بذلك عندنا: أن عدل

الشاة من الصيام صيام عشرة أيام، ومن الإطعام: إطعام عشرة مساكين؛ فإن قتل المحرم بقرة وحش، أو نعامة -فعليه في النعامة: بدنة يحكم بها ذوا عدل، فإن كره البدنة لثقل مؤنتها، وأحب أن يحكم عليه بالإطعام، فإنا نرى أن عليه: إطعام مائة مسكين، وإن أحب أن يحكم عليه بالصيام، حكم عليه بصيام مائة يوم، وهو في الجزاء والصدقة والصيام بالخيار، أيهن شاء فعل؛ لأن الله سبحانه قال: ﴿هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما﴾، فقال: " أو "، فجعل بذلك الخيار إلى صاحبه، ولم يقل: فإن لم يجد فكذا وكذا. ولو قال ذلك لم يجز له الإطعام، حتى لا يجد الجزاء، ولم يجز له الصيام حتى لا يجد الإطعام، كما قال الله سبحانه في الظهار: ﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا﴾، فلم يجز الثاني إلا من بعد تعسر الأول، ولم يجز الثالث إلا من بعد الضعف وعدم الاستطاعة. وإنما قلنا: إن عدل البدنة إطعام مائة مسكين، أو صيام مائة يوم؛ لأنا وجدنا البدنة تقوم مقام عشر شياه، ووجدنا الشاة تقوم بحكم الله تعالى: مقام صيام عشرة أيام للمتمتع، ووجدنا الله عز وجل قد أقام إطعام كل مسكين: مقام صيام يوم فيما ذكرنا من الظهار، فقلنا: إن البدنة في القياس تعدل عشر شياه، وإن كل شاة تعدل إطعام عشرة مساكين، ففي العشر شياه على هذا القياس من الطعام: إطعام مائة مسكين، وكذلك الصيام لمن أراد الصيام: مائة يوم، عن كل شاة: عشرة أيام، كما جعلها ذو الجلال والإكرام حين يقول: ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة﴾، وكذلك أيضا عدل البقرة من الإطعام: إطعام سبعين مسكينا؛ لأنها تقوم مقام سبع شياه، أو صيام سبعين يوما.

قال يحيى بن الحسين عليه السلام: من قتل نعامة أو بقرة وحش فعليه بدنة في النعامة، وبقرة في البقرة، ومن قتل حمار وحش فعليه فيه بقرة، ومن قتل ظبيا فعليه فيه شاة، ومن قتل وعلا أوجبنا عليه فيه كبشا، ومن قتل ثعلبا فعليه فيه

شاة، وفي الحمام شاة.

قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: ومن قتل ضبيا من المحرمين في الحرم فعليه فيه الجزاء، وهو شاة وقيمة الظبي، وكذلك لو قتل حماما كان عليه الجزاء وقيمة الحمام، وإنما قلنا وأوجبنا عليه الجزاء؛ لقول الله عز وجل: ﴿فجزاء مثل ما قتل من النعم﴾، وأوجبنا عليه قيمته؛ لحرمة الحرم.

قال: ولو أن محرما خلى كلبه في الحل على صيد، وأغراه به، فلم يزل الكلب يطرده، حتى أخذه في الحرم، فقتله -وجب عليه أن يخرج قيمة الصيد؛ لقتل كلبه إياه في الحرم حين أغراه به، ووجب عليه عدل ذلك الجزاء؛ لأنه صاده وأغرى الكلب عليه وهو محرم، وكذلك لو أغرى كلبه على صيد في الحرم، فلم يلحقه حتى خرج إلى الحل، فقتله في الحل -فعليه القيمة والجزاء.

قال: ولو أن رجلا حلالا خلى كلبه في الحل على صيد، فقتله في الحرم -كان عليه قيمة الصيد فقط.

قال: ولو أن الحلال أغرى كلبه على الصيد في الحرم، فقتله في الحل -كان عليه قيمة الصيد؛ لأنه أغراه عليه في الحرم.

وقال في محرم مفرد، ومحرم قارن، وحلال اشتركوا في قتل ظبي في الحرم: إنه يجب على القارن شاتان وقيمة الظبي، ويجب على المفرد شاة وقيمة الظبي، ويجب على الحلال قيمته.

وقال في محرم دل حلالا على صيد في الحرم، فقتله الحلال: كان على المحرم جزاء الصيد وقيمته، وعلى الحلال قيمته.

وقال: إن أفزع الصيد المحرم، أو أفزع بدلالته، أو بإشارته، ولم يقتل -تصدق المحرم بصدقة؛ لإفزاعه الصيد.

وقال: في اليعقوب، والحجلة، والدبسي، والقمري، والرخمة - شاة شاة؛

وكذلك روى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وذكر عنه: أنه جعل في اليربوع والضب عناقا من المعز؛ لقول الله تعالى: ﴿فجزاء مثل ما قتل من النعم﴾، وأوجبنا عليه قيمته؛ لحرمة الحرم.

قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: فأما بيض النعام إذا كسره المحرم، أو أوطأه راحلته فقد ذكر فيه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما قد ذكر من: القلاص اللواتي يضربن، فما نتج منهن أهدى ولده؛ ولا أدري كيف هذا الخبر: أيصح أم لا؟!. وقد ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((أنه جعل في ذلك صيام يوم عن كل بيضة، أو إطعام مسكين))، وهذا إن شاء الله فأرجو أن يكون صحيحا عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ لأنه أقرب إلى العدل والرحمة، والإحسان من الله والتوسعة.

قال: ومن قتل صيدا، من محرم أو حلال، في الحرم - فلا يجوز أكله، ولا يحل له ولا لغيره؛ لأن الله سبحانه ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد حرما صيده في الحرم، وإذا حرم صيده في الحرم -كان أكل ما صيد فيه حراما؛ لأن صيده دون أكله، وأكله أعظم من صيده، وما حرم صيده فأكله أعظم تحريما. وكذلك لو أن محرما اصطاد صيدا، فدفعه إلى الحلال لم يجز للحلال لزومه، ولا أكله؛ لأنه حرام بصيد المحرم له.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠)﴾[المائدة: ١٠٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه وجل عن كل شأن شأنه: ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هما - كما ذكر الله عز وجل- لن يستويا عند الله تبارك وتعالى في منزلة، ولا يحلان لديه في درجة؛ لأن الخبيث - وإن كثر وغزر- حرام، كثير الآثام، وعقوبته المجازاة فيه، الخزي الطويل، والويل والعويل، في العذاب الأليم، الدائم المقيم؛ فعاقبته وخيمة، وآثامه جمة، وليس فيه لأحد منفعة؛ بل هو عليه وبال ومضرة في جميع الأحوال.

والطيب: فزكي مطهر مرضي، يثاب عليه بأكرم الثواب، مقبول عند الله في كل الأسباب، وقد يكون الطيب: من المؤمنين، أهل البصائر والدين، والمعرفة واليقين؛ فقد سماهم الله سبحانه طيبين، فقال: ﴿الطيبون للطيبات﴾[النور:٢٦]، فكل هذا يسمى طيبا؛ إذ هو من النجس بعيد، وعند الله سبحانه مكرم قريب، وقد يكون الخبيث: من مكاسب الدنيا، وجمائع الكفرة وزهاها، وكثرة زينتها وكبرها في أعين أبناء الدنيا، وعظمها في صدورهم؛ لما يرون من العدد والتملك؛ فتهواهم قلوبهم، وتأمقهم أنفسهم، فيزدرون عند ذلك: جمائع المؤمنين؛ لقلة عددهم، وخمول الدنيا وزينتها لديهم، فلا ينظرون إليهم؛ من الإعجاب بما ينظرون به أبناء الدنيا؛ فمدح الله الطيب من كل شيء، وعاب الخبيث، ثم قال: ﴿ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ فهو: غير زكي ولا نام رضي؛ فذمه الله سبحانه ولم يحمده؛ فهذا معنى الآية، والله ولي العون والتوفيق.

وفي أهل الكفر والعصيان ما يقول ذو المنة والإحسان: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾[البقرة:٢٢١]، فقال: ولا تنكحوهن ولو أعجبكم حسنهن، ثم قال: ولا تنكحوهم، يعني: الرجال، يقول: ولو أعجبكم كثرة أموالهم، وشرف أصولهم؛ لأنهم عند الله مذمومون، ولديه من الهالكين.

قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾؟ فالبحيرة هي: الناقة تنتج خمسة أبطن، فإن نتجت في الخامس سقبا أهدوه للقوام على آلهتهم من الأصنام، وإن نتجت قلوصا استحيوها، وخلوا عن أمها، وشرموا أذنها، وسموها بحيرة، ثم لم ينتفعوا منها بلبن ولا وبر، ولم يحلبوها إلا في البطحاء، ولم يجزوا لها وبرا إلا ذروه في الرياح.

وأما السائبة: فكانوا يسيبون من أموالهم ما شاءوا على طريق الشكر لله، إن كان غائبا فقدم، أو مريضا فشفي، ويسمون ذلك سائبة، ويخلا فلا يحمى، ولا يمنع ماء.

والوصيلة فهي: من النعم، وهي: الشاة إذا ولدت خمسة بطون أيضا، فكان الخامس جديا أهدوه لخدام الأصنام، وإن كانت عناقا استحيوها، فإن تؤمت فولدت جديا وعناقا تركوا الجدي واستحيوه، وقالوا: قد وصلته أخته؛ فلا يجوز عندهم ذبحه؛ فهذه العناق عندهم فهي: الوصيلة؛ لما وصلت من أخيها.

وأما الحام فهو: الجمل يرسل في الإبل، فيضرب عشر سنين، فإذا ضرب عشر سنين، ولحقت أولاده، وضربت في الإبل، قالوا: هذا قد حما ظهره، فلا يجوز عندهم بعد ذلك أن يحملوا عليه شيئا، ولا يخرجوه في دية، ولا يستعان به في نازلة، ويسمونه حاميا، ويخلون سبيله، لا يحما حما، ولا يمنع ماء؛ وكان الذي سن لهم ذلك، وجعله فاتبعوه في ذلك: قصي بن كلاب.

وقال في كتاب الأحكام للإمام الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام:

وذلك أن قصي بن كلاب كان أول من بحر وسيب، ووصل وحمى، ثم اتبعته على ذلك قريش، ومن كان على دينها من العرب، وكانوا يجعلون ذلك نذرا، ويزعمون أن الله حكم به حكما؛ فأكذب الله في ذلك قولهم، وقول إخوانهم المجبرة، الذين نسبوا إلى الله كل عظيمة، وقالوا: إنه قضى عليهم بكل معصية، وأدخلهم في كل فاحشة، فقال: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾، فنفى أن يكون جعل ذلك فيهم، أو قضى به سبحانه عليهم؛ إكذابا منه لمن رماه بفعله، ونسب إليه سيئات صنعه؛ فانتفى سبحانه من ذلك، ونسبه إلى أهله، ثم ذكر أنهم يفترون عليه الكذب، فقال: ﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾؛ فصدق الله سبحانه، إنه لبرئ ء من أفعالهم، متعال عن ظلمهم وفسادهم، بعيد من القضاء عليهم بغير ما أمرهم، ناء عن إدخالهم فيما عنه نهاهم.

والبحيرة التي كانوا جعلوها فهي: الناقة من الإبل، كانت إذا ولدت خمسة أبطن، فنتجت الخامس سقبا، وهو الذكر- ذبحوه، فأهدوه للذين يقومون على آلهتهم، وإن كانت أنثى استبقوها، وغذوها، وشرموا أذنها، وسموها بحيرة، ثم لا يجوز لهم بعد ذلك أن يدفعوها في دية، ولا يحلبوا لها لبنا، ولا يجزوا لها وبرا، إلا أن يحلبوا لبنها إن خافوا على ضرعها في البطحاء، وإن جزوها -جزوها في يوم ريح عاصف، ويذرون وبرها في الرياح، ولا يحملون على ظهرها، ويخلون سبيلها، تذهب حيث شاءت، وإن ماتت اشترك في لحمها النساء والرجال، فأكلوه.

وأما السائبة فهي: من الإبل، كان الرجل منهم إذا مرض فشفي، أو سافر فأدى، أو سأل شيئا فأعطى - سيب من إبله ما أراد أن يسيبه؛ شكرا لله، ويسميها سائبة، ويخليها تذهب حيث شاءت، مثل البحيرة، ولا تمنع من كلاء، ولا حوض ماء، ولا مرعى.

وأما الوصيلة فهي: من الغنم، كانوا إذا ولدت الشاة خمسة أبطن عندهم، وكان الخامس جديا ذبحوه، أو جديين ذبحوهما، وإن ولدت عناقين استحيوهما: فإن ولدت عناقا وجديا تركوا الجدي، ولم يذبحوه من أجل أخته، وقالوا: قد وصلته، فلا يجوز ذبحه؛ من أجلها. وأما الأم فمن عرض الغنم، يكون لبنها ولحمها بين الرجال دون النساء، فإن ماتت أكل الرجال والنساء منها واشتركوا فيها.

وأما الحام فهو: الفحل من الإبل، كان إذا ضرب عشر سنين، وضرب ولد ولده في الإبل، قالوا: " هذا قد حما ظهره "، فيتركونه لما نتج لهم، ويسمونه حاما، ويخلون سبيله، فلا يمنع أينما ذهب، ويكون مثل البحيرة والسائبة، فلا يجوز في دية، ولا يحمل عليه حمل.

فهذه الثلاثة من الأنعام التي حرمت ظهورها، ثم قال سبحانه: ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين (١٤٣) ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (١٤٤)﴾[الأنعام]، فذكر سبحانه ذلك؛ لما حرموا من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، وغيره؛ فجعل الذكر زوجا، والأنثى زوجا، فقال: آلذكرين من الثمانية: حرمت عليكم، أم الأنثيين؟ ثم قال: ﴿هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا﴾[الأنعام: ١٥٠]، فقالوا: نحن نشهد، فقال سبحانه: ﴿فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون (١٥٠)﴾[الأنعام]، ثم قال سبحانه؛ إخبارا منه لهم بما حرم عليهم، فقال: ﴿قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك

غفور رحيم (١٤٥)﴾[الأنعام]، والمسفوح فهو: السائل، وهو القاطر. وأما قوله ﴿فإنه رجس﴾ فإنه يقول: إنه رجس محرم. وأما ﴿فسقا أهل لغير الله به﴾ فالفسق هو: المعصية، والجرأة على الله بالذبح لغير الله والخطية. وأما قوله: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد﴾، يريد: غير باغ في فعله، ولا مقدم على المعصية في أكله، ولا مقعد في ذلك لأمر ربه؛ ولكن من اضطر إلى ذلك فجائز له أن يأكل منه، إذا خشي على نفسه التلف من الجوع، فيأكل منه ما يقيم نفسه، ويثبت في بدنه روحه، إلى أن يجد في أمره فسحة.

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: كل ما أحل الله سبحانه في كتابه للمسلمين فبين في كتاب الله رب العالمين، وما حرمه عليهم فقد بينه في كتابه لهم؛ ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)﴾[المائدة: ١٠٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن قوله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم...﴾ الآية؟

إنما قال سبحانه للذين قالوا: ﴿ حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾ [المائدة:١٠٤] من دينهم، وأكثروا الإتباع لدين غيرهم، عليكم بأنفسكم خاصة، فليس يضركم إذا اهتديتم ضلال من اعتقد ضلالة، كان أبا أو غيره؛ لأن كل امرئ إنما يحاسب بما عمله وما له، فإن اهتدى نجا سالما، وإن ضل هلك ظالما؛ لأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ [النجم:٣٩].

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فهم: المؤمنون المصدقون بالله، الذين آمنوا نفوسهم من عذاب الله؛ بما كان من اجتنابهم لمعصيته، واتباعهم لحكمه؛ فأمنوا بذلك من العقاب، وصاروا به إلى محل الخلد والثواب، ثم قال: ﴿عليكم أنفسكم﴾، يقول عز وجل: أصلحوها بالطاعة فاستنقذوها، ثم قال: لا يضركم ضلال الضالين، ولا تحاسبون بفعل المبطلين، ولا تسألون عن شيء من أعمال المفسدين، وإنما أفعالهم عليهم، وضرهم في رقابهم.

وقد ذكر أن اليهود قالوا للمسلمين: كيف تطمعون بالنجاة، وآباؤكم مشركون، ولستم بناجين من فعلهم؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾، وقال سبحانه: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[الأنعام:١٦٤]، فأخبر أنه لا يعذب أحدا بجرم أحد، والدا كان أو ولدا.

وسألت: هل يعرف الله عز وجل الخصمين المتنازعين بقبيح أفعالهما، وما يكون من تظلمهما؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: كذلك الله عز وجل يوقف كلا على فعله، ويحاسبه على عمله، وينصف المظلوم من ظالمه؛ ألا تسمع كيف يقول عز وجل، ويخبر عما يتكلم به الظالمون، حين يقول: ﴿ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾[الكهف:٤٩]، ويقول عز وجل: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[الأنبياء:٤٧].

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن محمد عليه السلام:

قد اختلف في معناها، فقال عبد الله بن الحسين صنو الهادي عليه السلام ما معناه: إن المسلمين كانوا يدعون الذين ضربت عليهم الجزية من أهل الكتاب إلى الإسلام، ويشددون عليهم، فأنزل الله الآية. ومنهم من قال: هي موقوفة حتى يعمل بها في آخر الزمان. ومنهم من قال: تأويلها إلى يوم القيامة. ومنهم من قال: قد مضى تأويلها، وإنما كانت صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد.

(إلى أن قال، أي الإمام القاسم بن محمد عليه السلام:)

فمعنى قوله تعالى: ﴿عليكم أنفسكم﴾: كفوا أنفسكم وألزموها.

(إلى قوله:)

وقوله تعالى: ﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾[المائدة:١٠٥] جواب: ﴿عليكم أنفسكم﴾، مجزوم بـ"أن" مقدرة بعد ذلك، والحركة على الراء في قوله تعالى: ﴿لا يضركم﴾ لالتقاء الساكنين، وجعلت ضمة للاتباع، وذلك شائع في لغة العرب، والمعنى: أن ضلال من ضل لا يضر المؤمنين إذا اهتدوا، وكفوا أنفسهم عن المحارم، بخلاف ما لو لم يكن منهم ذلك فإنه يضرهم ضلالهم؛ لأنهم يكونون مشاركين لهم فيه، وأهل قدوتهم، حيث قرروهم عليه بالسكوت عنهم،...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ (١٠٦)﴾[المائدة: ١٠٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن قوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم﴾...الآية؟

﴿شهادة بينكم﴾ هو: الشهادة بينكم في قضاياهم ومواريثهم، عند نزول الموت وحضوره؛ عندما يكون في ذلك للميت من أموره: أن يستشهدوا عند الموت شهيدين من أنفسهم، أو آخرين من غيرهم، إن لم يحضر مسلمان عند الموت من غيرهم؛ لأنه ربما حضر الموت الرجل المسلم، في السفر أو غيره، وليس عنده إلا كافر أو مجرم، فيضطر إلى شهادتهما، وإن هو لم يرض بهما، فإذا كانا معروفين في دينهما بالتحرج من الزور والظلم، استشهدا على الوصية وغيرها إذا لم يظفر بمسلم، ﴿فإن عثر﴾ وهو: ظهر على أنهما آثمان، وأنهما ليسا بصادقين فيما عليه يشهدان، حبسا بعد صلاة من الصلوات، وحبسهما: وقفهما، فأقسما في وقت مما ذكر الله من الأوقات. و ﴿إن ارتبتم﴾ هو: ظننتم أنهما كذبا، فزادا أو نقصا، فليحلفان بالله لا نشتري بشهادتنا وقولنا ثمنا، ولا نشهد بغير الحق لأحد ولو كان ذا قربى، ولئن فعلنا فكتمنا شهادتنا ﴿إنا إذا لمن الآثمين﴾، يريد: إنا إذا لمن الظالمين؛ وفيما في الشهادة من الظلم، بالإخفاء لها في الكتم: ما يقول الله سبحانه: ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾[البقرة:٢٨٣]، فإن استحق

أنهما كاذبان، حلف من المظلومين آخران.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل عن هذه المسألة جدي القاسم عليه السلام، فقال: كذلك أمر الله لا شريك له - كما قال - لكل من آمن، إذا حضره الموت فأوصى: أن يشهد على وصيته ذوي عدل من المؤمنين، فإن لم يمكنه من يشهده: فأشهد غيرهم من أمكنه، فإن ارتيب بهما واتهما - أقسما وحلفا - كما قال الله سبحانه لا شريك له - على شهادتهما: لا يشتريان بشهادتهما ثمنا، ولا يأخذان عليها جعلا.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١٠٩)﴾[المائدة: ١٠٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت عن: قوله: ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا﴾؟

ومسألة الرسل من الله عن ما أجيبوا في يوم البعث: فمسألة عن الله ذات حقيقة، وحكمة ورحمة، برية من كل جهل وعبث، وإنما هي تقرير لهم ولأممهم، وتعريف وتوقيف، وإبانة أنه لا يأخذ أممهم إلا بجرمهم؛ لأنه هو الله الرحيم الرؤوف، وأنه علام ما خفي عن الرسل من غيرهم، فيما كان من الجواب لهم، في حسناتهم وذنوبهم.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم

قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله سبحانه: ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ فهو: يوم القيامة، وهو اليوم الذي قال الله عز وجل: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾[النساء:٤١]، فيحضر عز وجل أنبياءه وأممهم، ثم يقول سبحانه لهم عندما يكون من تغيير الأمم وأفعالهم، خلاف ما أعطوا أنبيائهم من أنفسهم، وأبانوه من علانيتهم، عند كشف سرائرهم، وتوقيفهم على أعمالهم، التي خالفوا فيها ما كان من ظاهرهم، فيقول تبارك وتعالى لأنبيائهم: ما هذا أجبتم؛ أي ليس هذا الفعل الذي أعاقبهم عليه، وأجزيهم فيه - الذي أعطوكم من أنفسهم، ولم يفوا بما أظهروا لكم من ألسنتهم؛ بل كانت لهم أعمال دون ذلك. فيقول الأنبياء عليهم السلام: سبحانك، ﴿لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾. أرادوا بذلك: أنه لا علم لهم بضمائرهم، ولا ما استجن في قلوبهم، ولم يكن عندهم من العلم إلا ما أظهروا من أنفسهم، ولا يعلمون منهم إلا ما كان يظهر من قولهم، الذي كانوا يبدونه لأنبيائهم، وهو ظاهر الأمور، لا باطنها؛ ألا ترى كيف يقول: ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾، فهذا دليل على أن الله عز وجل أعلم أنبياءه بما كان في ضمائر من أرسلهم إليهم، إذ سألهم عند معاقبته لهم، مما لا علم لهم به.

وأما ما يقول به من لا علم له: أنه سألهم يوم القيامة سبحانه عن مطيعي أممهم؛ فأنكروه ولم يعرفوه - فعلى ما أحضرهم عز وجل شهودا، إذا كانوا لا يعرفون من أطاعهم في عصرهم؟! فهذا ما لا يقول به أحد يميز، وليس القول فيه إلا القول الأول الذي قلنا.

وقد قيل في ذلك عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله: ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم﴾[المائدة:١٠٩]، فقال: يقول ماذا أجابكم قومكم، وهذا في بعض مواطن القيامة، ﴿قالوا لا علم لنا﴾؛ من شدة هول

المسألة، وهول ذلك الموطن، ﴿قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾، ثم رجعت إليهم عقولهم، فشهدوا على قومهم: أنهم قد بلغوهم الرسالة.

وهذا قول ليس هو عندي بثابت؛ بل هو مدخول، وكيف يحزن أولياء الله ورسله المطهرون في ذلك اليوم، والله سبحانه يخبر بأن المؤمنين الذين آمنوا في ذلك اليوم غير محزونين ولا خائفين؛ وذلك قوله عز وجل: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾[الأنبياء:١٠٣]، فكيف يحزن من تتلقاه الملائكة عند خروجه من قبره، تبشره بالرضا من الله عز وجل، والجنة وحسن الثواب، والأمن من أليم العقاب؛ والقول الأول الذي قلنا به في صدر جوابنا هذا - هو أقرب إلى الحق، وهو الصواب عندنا، وبالله نستعين على طاعة خالقنا.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (١١٠)﴾[المائدة:١١٠]

قال في المجموعة الفاخرة:

وأما ما سأل عنه، من قول الله لعيسى بن مريم المسيح العبد الكريم: ﴿وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾، فقال: هل كانت بنو إسرائيل تقدر على أن تبسط أيديها إليه، وقد كفها الله عنه، وأنعم بذلك عليه؟

فقولنا في ذلك: أن الله لم يكف أيديهم عنه جبرا؛ ولكنه ألقى في قلوبهم الهيبة له، ولمن معه من الحواريين، وأعلم نبيه صلى الله عليه بما يريدون منه، وما يريدون فيه، فحذرهم، واستعد بمن معه لهم، فخافوهم وحذروهم، فلاشى عزيمتهم، وأبطل في ذلك إرادتهم، ومن على نبيه صلى الله عليه بما ألقى له وللحق في قلوبهم من الهيبة والمخافة، فرجعوا خائبين، ومما أرادوا مؤيسين، وأعز الله سبحانه المؤمنين، وكبت الفاسقين.

فهذا - إن شاء الله - معنى ما ذكر الله، من كف أيديهم عن عيسى بن مريم صلى الله عليه نبيهم، والمظهر للحق فيهم، والمطلق لهم بعض الذي حرم عليهم، المبريء لأكمههم وأبرصهم، الشافي لسقيمهم، والمحيي لميتهم، والمنبيء لهم عما يأكلون ويدخرون في بيوتهم؛ وتلك أعظم آيات ربهم، وبراهين خالقهم، فلما عتوا عن أمر خالقهم قال حين ذلك نبيهم صلى الله عليه وسلم: ﴿من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله﴾، وأعوانك وأنصارك وخدامك؛ فآمن معه من بني إسرائيل الحواريون، وكفر سائر الإسرائيليين؛ فأيد الله المؤمنين، فأصبحوا - كما قال الله - ظاهرين، حين يقول عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾[الصف: ١٤]؛ فهذا قولنا في رب العالمين، لا كقول الجاهلين، الذين نسبوا إلى الله عز وجل أفعال العباد، وقلدوه ما يكون في ذلك من الفساد؛ فتعالى الله الواحد الرحمن، عن زخرف أقاويل الشيطان، المضاهين لمذاهب عبدة الأوثان، وما حكى فيهم الرحمن من قولهم: ﴿لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾...الآية[النحل: ٣٥].

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿إذ أيدتك بروح القدس﴾، فقلت: ما معنى

روح القدس؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هو الروح المطهر الزكي المكرم، فلما أن أيده الله به كان فضلا منه سبحانه عليه، وتعظيما لعيسى عليه السلام.

وقد قيل: إنه جبريل عليه السلام أيده الله به عز وجل، وأعانه به على أهل الكيد له، والطلب لتلفه.

وقال في كتاب ينابيع النصيحة:

﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾، أي: تقدر وتصور على مقدار معلوم. ﴿بإذني﴾ أي: بأمري، وقوله: ﴿فيكون طيرا بإذني﴾، أي: بفعلي له.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ [المائدة: ١١١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿أوحيت إلى الحواريين﴾ هو: ما أوحى عز وجل إلى عيسى عليه السلام، من الأمر لهم والنهي والدعاء إلى الله عز وجل، فلما كان ذلك إليهم جاز أن يقول: أوحيت؛ لأن الأمر والنهي كان فيهم ولهم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢)﴾ [المائدة: ١١٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل جدي القاسم عليه السلام عن هذه المسألة، فقال: معنى ﴿هل يستطيع ربك﴾: يقولون: هل ذلك مما يجوز طلبنا له. والحواريون فلا يشكون ولا ينكرون: أن الله سبحانه يستطيع ويقدر، والشك في هذا كفر بالله عز وجل، فهل يتوهم على الحواريين الشك في قدرة الله عز وجل، وقال: ﴿يستطيع﴾ يقرأ بالياء، ولا يقرأ بالتاء.

قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُم﴾ [المائدة: ١١٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿إني منزلها عليكم﴾، فقلت: هل أنزلها عليهم أم لا؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: بل قد أنزلت عليهم؛ ألا تسمع كيف يقول، وقوله الحق: ﴿إني منزلها عليكم﴾، ومعنى قوله: ﴿عيدا لأولنا وآخرنا﴾، وإنما سألوا أن تكون لهم المائدة عيدا، فكان ذلك يوم عيد من أعيادهم، فقالوا: لأولنا وآخرنا. أرادوا: جميعهم، والأول منهم فهو: نبلهم المقدمون، والآخر المؤخر فهو: الأوسط منهم التابع للأول؛ وهذا موجود في لغة العرب، يقول: " بلغت

الرسالة أولهم وآخرهم "، يريد بقوله ذلك: أي جميعهم، ويقول القائل: " خرجوا عن آخرهم "، وهذا الكلام حسن جميل جائز.

وقد قيل: إنها لم تنزل عليهم.

وليس ذلك عندي كذلك؛ لأن الله سبحانه يقول: ﴿إني منزلها عليكم﴾، وقوله الحق، ووعده الصدق، تعالى علوا كبيرا.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦)﴾[المائدة:١١٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

إن سأل سائل ذو حيرة عن قول الله عز وجل :﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾، وعن قوله سبحانه: ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾[الأنعام: ١٢]، وتوهم أن لله عز وجل نفسا كنفس الإنسان، وأنها جزء الجسم، وأنها جوهر يقيم الأعراض ؟

قيل له: إن معنى قول الله سبحانه في كتابه :﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾: أي: تعلم ما أعلم، ولا أعلم الذي تعلم، وكذلك قال عز وجل: ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾، فالكاتب هو: المكتوب عليه، وهو الله عز وجل، الكاتب والمكتوب عليه.

وإن زعم أن النفس معنى غير ذاته، وزعم أنه شخص – سئل عما في النفس: أهي النفس أم غير النفس ؟!

فإن زعم أنها غير النفس، زعم أن في ربه غير ربه، وإن زعم أن الذي في النفس هي: النفس - زعم أنه لا معنى لقوله ﴿في نفسي﴾!!

ويسألون: هل كانت النفس، وفيها ذلك الذي هو غيرها ؟! فإن زعموا أنه لم يزل، جحدوا قول الله :﴿هو الأول﴾[الحديد:٣]، وإن زعموا أنها كانت، وليس فيها ذلك الذي في النفس، وأن ذلك محدث -جحدوا أن يكون كان عالما لم يزل.

واعلم أن للنفس في لغة العرب معاني، فمنها ما يجوز على الله تبارك وتعالى، ومنها ما لا يجوز عليه.

فأما ما لا يجوز عليه: فمعنى النفس التي هي: الروح، وما ذكر الله تعالى من قوله :﴿وإذا النفوس زوجت﴾[التكوير: ٧]؛ فهذه النفوس هي: أجزاء الإنسان التي هي أرواحهم، وقد قيل في اللغة في ذكر هذه النفس: " فاضت نفس فلان "، يعنون: خروج روحه، وهذا المعنى عن الله عز وجل منفي.

وقال الله عز وجل في كتابه، يذكر النفس بغير هذا المعنى: ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾[النساء: ١٠]، يعني: من آدم عليه السلام، فسماه: نفسا، ولم يرد به: روحه، وقال :﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي﴾[الفجر: ٢٧]، يعني: يا أيها الإنسان، ولم يرد النفس التي هي الروح فقط، وإنما أراد الحي الذي هو الإنسان، وكذلك قوله: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[المدثر: ٢٨]، أي: كل إنسان بما كسب رهين، وقال: ﴿أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت﴾[الزمر: ٥٦]، يعني: أن يقول الإنسان، وقال: ﴿النفس بالنفس﴾[المائدة: ٤٥]، يريد: الإنسان، وقال:﴿كل نفس ذائقة الموت﴾[العنكبوت: ٥٧]، يعني: أن كل إنسان ميت؛ والعرب قد تقول للشيء الذي لا روح له ولا شخص: " هذا نفس كلامك، وهذا النور بنفسه "، وقال الشاعر:

قالت له النفس إني لا أرى طمعا .... وإن مولاك لم يسلم ولم يصد

وقال آخر:

وهل نحن إلا أنفس مستعارة .... تمر بها الروحات والغدوات

يعني: هل نحن إلا أناسي مستعارون، ولو أراد بذكر النفس: معنى الروح - لما جاز أن يسمى كله نفسا؛ لأنه بدن ونفس.

وقال آخر:

وقد وفدت إليك بذات نفسي .... قصائد يعترفن بها نشاء

يعني بقوله: " بذات نفسي "، أي: بي، كما أنا؛ كما قيل في اللغة: " جئتك بنفسي "، ولم يريدوا بقولهم: معنى ثانيا، هو غير " جئتك "؛ لأنه إذا قيل: " جئتك " دل على الجائي تاما، ولما قال: " بنفسي " لم يرد: معنى ثانيا هو غير المعنى الذي هو " جئتك ".

وقال آخر:

.... وما لام نفسي مثلها لي لائم

قال الله عز وجل: ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونسآءنا ونسآءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾[آل عمران: ٦١]، يعني: نحن وأنتم، وقال الله: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾[آل عمران: ٢٨]؛ فالمحذر هو: المحذر منه، يعني: يحذركم الله، أي: يعذبكم، كما قال: ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾[الأنعام: ١٢]، وليس الكاتب غير المكتوب عليه.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وأما قول الله سبحانه: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ فهو: ويحذركم إياه لا غيره، وقوله عن عيسى: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾، يعني: أنت تعلم ما أعلم، ولا أعلم أنا ما تعلم، كما يقول القائل: " هذا نفس الحق، وهذا نفس

الصواب "، يريد: هذا هو الحق، وهذا هو الباطل، وهذا وجه الرأي، ووجه الحق، كقوله ولا نظير: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام، وقد سئل عن الآية:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل عن هذه المسألة جدي القاسم عليه السلام، فقال: هذا تسبيح لله، وإكبار لله عز وجل عن أن يقول في ذلك على الله؛ ما كان وما يكون يقول، إفك مفترا مكذوب، لا يصح فيه أبدا قول في فطرة، ولا يقوم في عقل سليم ولا فكرة، فقال صلى الله عليه: ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾[المائدة:١١٧]، فأنبأهم عليه السلام أنه عبد له كما هم كلهم جميعا لله عز وجل عبيد، وأخبر الله سبحانه من قوله في ذلك بما لا تنكره النصارى كلها، وإن اختلفت في أديانها، وفرقتها البلدان في كل مفترق من أوطانها، لما رأوا منه عيانا، وأيقنه من غاب عنه منهم إيقانا، من عبادته عليه السلام لله سبحانه، واجتهاده في طاعة الله عز وجل، وكان فيما عاينوا من مشابهته لهم في الخلقة -دليل مبين، على أنه عبد الله، يجري عليه من حكم الله عز وجل في أنه عبد لله - ما جرى عليهم؛ بما بان من أثر تدبير الله وصنعه فيه وفيهم. انتهى.

سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢)﴾[الأنعام: ٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن قوله: ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون﴾ ؟

خلقه سبحانه لهم من طين فهو: خلقه لأبيهم آدم صلى الله عليه؛ لأن ما كان نسلا منه فمخلوق مما خلق منه، ﴿ثم قضى أجلا﴾: الأجل المقضي هو: الموت والوفاة، والأجل المسمى عنده هو: أجل يوم الحساب والمجازاة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٦)﴾[الأنعام: ٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾، فقلت: ما تأويل القرن؟ وقلت: إنه يقال عندكم ثمانون سنة؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: القرن: الخلف الذي يكون بعد الأول الفاني، فأما ما يقال به من: ثمانين سنة - فليس بشيء؛ لأنا قد رأينا قوما يزيدون على الثمانين في عصر واحد؛ ولكن القرن: ما خلف من قد مضى، ويقال: القرن؛ لأنهم غير الأولين، فسبحان الله رب العالمين؛ وفي ذلك يقول الشاعر:

إذا ذهب القرن الذي كنت فيهم   وخلفت في قرن فأنت غريب

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (٩)﴾ [الأنعام:٨-٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته: عن: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك﴾؟

وكانوا يقولون لولا أنزل عليه، فيكون معه، فيشهد له من رسالته بما ينكرون، فقال الله سبحانه: ﴿ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر﴾ فيهم بأخذهم، ﴿ثم لا ينظرون﴾، يقول تبارك وتعالى: ثم لا يتركون ساعة ولا يؤخرون، فما ينفعهم إذا أخذوا إيمانهم، بعد رؤيتهم للعذاب وعيانهم.

ثم قال سبحانه: ولو أنزلنا ملكا ما أيقنوه، إلا أن يروه رؤية ويعاينوه، وما كانوا ليروه عيانا، إلا أن يجعله الله مثلهم إنسانا، في الصورة والحلية، وما للرجال من الهيئة، لا في جميع حدود البشرية؛ ولكنه في المنظر والرؤية، فقال سبحانه: ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾، يقول سبحانه: ولو فعلنا ذلك به، فجعلناه رجلا كما يعرفون، لزادهم ذلك لبسا إلى لبسهم، ولما أيقنوا أنه ملك في أنفسهم، ولو نزلنا عليهم الملك على حاله ملكا، لما كان أحد منهم معاينا له ولا مدركا، إلا أن يأتيهم من الصورة وهيئتها في مثل لباسهم منها، فيرونه ويدركونه بمثل دركهم [و] رؤيتهم لها، وإلا لم يروه ولم يعاينوه أبدا، وكيف يرون من كان من الملائكة، ولم يروا قط من الجن أحدا، والجن في احتجابها عنهم أقرب إليهم قربا، والملائكة أبعد عنهم مكانا ومحتجبا؟!! وليس يعاين أبدا من الملائكة الحضرة، إلا عند الموت الذي ليس بعده تأخير ولا نظرة، حين يكشف عن المحظور الغطاء، ويزول عنه الأخذ والإعطاء، فيرى من الحضرة ما لم ير، ويحدث الله له عند المعاينة لهم بصرا، فيعاينهم عند الموت وفي

غمراته، وعندما وقع فيه من غصصه وسكراته، كما قال الله سبحانه: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾[ق:١٩]، وقد قال في الموت وما بعده من البعث: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾[ق:٢٢]، وكما قال سبحانه: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم﴾[الأنعام:٩٣]، فالملائكة هم الذين يبسطون أيديهم ويقولون: ﴿أخر جوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾[الأنعام:٩٣].

وقلت: أرأيت لو جعل الله الملك رجلا، ومن كانت الرسل تراه من الملائكة قبلا، أهم في تلك الحال والهيئة والصورة ملائكة أم رجال ؟

بل هم في تلك ملائكة، وإن انصرفت بهم الهيئة والأحوال؛ ألا ترى أن الذهب والنحاس، وإن لم يكونا هم الناس، فقد يصنع منهما صور وهيئات، ويحدث فيها تماثيل مختلفات، والذهب وإن اختلفت هيئاته ذهب على حاله، وكذلك النحاس وإن كثرت فيه الصور فهو نحاس على حاله، لم ينقل واحد منهما عن خليقته وذاته، ما نقل عنه من متقدم صورته وهيئاته، وإنما تبدو الملائكة إذا بدت بأمر الله وإرادته إلى البشر، بما جعل الله لها وأحدث فيها من الهيئات والصور، لا البشر بما لا يدركون ولا يرون، من الصور والهيئات إلا ما يبصرون، فجعل الله من الملائكة رسلا، وجعل من شاء منهم كما شاء إن شاء رجلا.

وقال في ذلك [تبارك] وتعالى: ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾[فاطر:١]، فالتبديل للخلق والزيادة -ليست إبادة، وكذلك من مسخه الله تبارك وتعالى قردا أو خنزيرا -فإنما أحدث له عن هيئته وصورته تبديلا وتغييرا، فبدل هيئته وصورته، وأقر نفسه وذاته، ولو كان المسخ للممسوخ إبادة وافناء -لكان ذلك فطرة وإنشاء وابتداء، ولم يقل: تغيير ولا

مسخ ولا تبديل، ولم يصح بذلك - إذا لم تكن الذات موجودة - خبر ولا قيل.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣)﴾ [الأنعام: من آية (١٣)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

إن سأل سائل عما ذكر الله الكريم في القرآن من قوله: ﴿وهو السميع العليم﴾ [البقرة:١٣٧، الأنعام:١٣، ١١٥، الأنبياء: ٤، العنكبوت: ٥، ٦٠]، فقال: ما معنى السميع عندكم، وما معناه في أصل قولكم؟

قيل له: يخرج ذلك على معان أربعة معلومة، معروفة عند جميع العرب مفهومة:

فأولهن: أن يكون معنى سميع هو: عليم؛ والحجة في ذلك: قول الرحمن الرحيم: ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾[الزخرف: ٨٠]، والسر فهو: ما انطوت عليه الضمائر ولم يبد، فذلك أسر السرائر، والنجوى فهو: ما يتسار به ويخفيه المتناجون، من الكلام والمحاورة فيما يخفون ويكتمون؛ والسر الذي في القلوب فلن يسمع؛ لأنه مستجن لم يبن فيشرح ويسمع، وإنما يسمع ما ترجمه اللسان، وباح به ضمير الإنسان. وإنما أراد ذو الجلال، بما قال في ذلك من المقال: التوبيخ لهم والإخزاء، والتوقيف لهم على ما يأتون به من الخطأ؛ إذ يتوهمون أن الله تخفى عليه خافية، سرا كانت أو علانية، فقال: ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾[الزخرف: ٨٠]، يقول: لا نعلم ولا نحفظ من أمرهم، ما يكتمونه من سرهم، ويكنونه في غيابات ضمائرهم.

والمعنى الثاني، في اسم الواحد البارئ: أن يكون السميع هو: المجيب للداعين، ممن دعاه من عباده المؤمنين؛ والحجة في ذلك: فما حكى الواحد الكريم، عن نبيه زكريا وخليله إبراهيم، حين يقول زكريا: ﴿رب هب لي من

لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾[آل عمران: ٣٨]، وقول خليله إبراهيم الأواه الحليم: ﴿إن ربي لسميع الدعاء﴾[إبراهيم: ٣٩]، يعني عليه السلام: إن ربي لمجيب لمن يشاء من الأنام؛ وفي ذلك ما تقول العرب، لمن سأل من الله أو طلب: " سمع الله دعاك "، أي: أجاب الله طلبتك ونداك.

والوجه الثالث: قول القائل من الراكعين المصلين: سمع الله لمن حمده، ومعناه: أي قبل الله ممن حمده، وأثاب على شكره من شكره.

فهذه الثلاثة الوجوه اللواتي يجوز أن يوصف بهن الرحمن، وهن فواضحات عند من عرف العربية والبيان.

والوجه الرابع: فلن يجوز على الواحد الجليل، في شيء من الأقاويل، وهو موجود في المخلوقين، متعال عنه رب العالمين، وهو: الإصغاء بالأذان، والإنصات لجولان دواخل الأصوات، ومستقر مفهوم القالات؛ فتعالى عن ذلك المهيمن الكريم، المتقدس الواحد الفرد العظيم.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠)﴾[الأنعام:٢٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الذين أوتوا الكتاب فهم: اليهود والنصارى، وهم يعرفون محمدا صلوات الله عليه وآله، ويثبتون صفته، ويقفون على صحة أمره، وما أمروا به من طاعته، كما يعرفون أبناءهم، مشروح ذلك في كتبهم، مبين لهم؛ ولكن جحدوا ما عرفوا، وأنكروا ما علموا، فضلوا وخسروا؛ ذلك هو الخسران المبين.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ يعني: يعرفون النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما يعرفون أبناءهم؛ لأن نعته معهم في التوراة. ﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾؛ لأنهم كفروا به بعد المعرفة.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢)﴾ [الأنعام: ٢٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: معنى قوله عز وجل: ﴿أين شركاؤكم﴾: تبكيت لهم وتقريع، وإذلال عندما تنقطع بهم الأسباب، ويعاينوا ما كذبوا به من أليم العذاب؛ لأنهم كانوا يساوون الله عز وجل بخلقه، ويعبدون الأصنام، ويوقدون النيران، ويرون ذلك عندهم حسنا جائزا. ومن الشركاء [1] أيضا: طاعة الجبارين، الظلمة المتمردين، فيشركونهم ويجعلون لهم من الطاعة ما لله عز وجل، فيبتغون منهم الرضا، ويتبعون في ذلك الغي والهوى، ويتركون عيانا رشدهم، مصدقون لهم في كفرهم، مستمعون من كلامهم، حتى ضلوا وهلكوا، وعن سبيل الحق يقينا عدلوا، فأصبحوا من المعذبين، وعن الله سبحانه من الهالكين؛ ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾[الزمر:٣]، فيقولون عندما يرون العذاب: ﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾[الأحزاب:٦٧]، وقالوا: ﴿ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾[فصلت:٢٩]، وكل ذلك ندم وأسف على ما فاتهم من التعلق بالحق، والميل في طريق الصدق،

(١) – وفي نسخة: ومن الشرك.

بغرور ما كانوا يعبدون، وخديعة ما كانوا يطيعون.

وأما قولهم: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾[الأنعام:٢٣]، فإنما ذلك كذب منهم، وكلام عند معاينة العذاب، يرجون به ما لا ينالون، جهلا منهم وإيقانا بالعذاب، وتقطعا من الأسباب؛ لقبيح ما عاينوا في الآخرة من المآب، جهنم يصلونها فبئس المهاد.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٣]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

الفتنة تخرج في كتاب الله جل ثناؤه على عشرة وجوه في القرآن:

الوجه الأول: من الفتنة يعني به الشرك، وذلك قوله: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله﴾[البقرة:١٩٣]، نظيرها في الأنفال حيث يقول: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾، يقول: حتى لا يكون شرك ﴿ويكون الدين كله لله﴾[الأنفال: ٣٩]، وقال سبحانه في البقرة: ﴿والفتنة أكبر من القتل﴾، يعني: الشرك بالله أعظم جرما عند الله من القتل في الشهر الحرام، ونحوه كثير.

والوجه الثاني: فتنة يعني بها الكفر، وذلك قوله عز وجل في آل عمران: ﴿ابتغاء الفتنة﴾، يعني: الكفر، وكقوله سبحانه: ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾، يعني: الكفر، وكقوله تبارك اسمه في سورة النور: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة﴾، يعني: كفرا، وكقوله عز وجل في سورة الحديد: ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾، يقول: كفرتم وشبهتم على أنفسكم، وكذلك كل فتنة في المنافقين واليهود.

الوجه الثالث: يعني به: بلاء، وهو المحنة، فذلك قوله تبارك وتعالى في العنكبوت: ﴿ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد

فتنا الذين من قبلهم﴾، يعني: ولقد ابتلينا الذين من قبلهم، وقال لموسى صلى الله عليه: ﴿وفتناك فتونا﴾، يعني: ابتليناك؛ لأن الله عز وجل لا يفتن نبيه، وإنما يريد بالفتنة للنبي صلى الله عليه: المحنة، وفي حم الدخان: ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾، يعني: ولقد امتحنا الذين من قبلهم، يعني: قوم فرعون.

والوجه الرابع: يعني به: العذاب، وذلك قوله عز وجل: ﴿فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ يعني: جعل عذاب الناس في الدنيا كعذاب الله في الآخرة، نزلت في عباس بن ربيعة، أخي أبي جهل لعنه الله؛ الآية نظيرها في النحل، حيث يقول: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعدما فتنوا﴾، يعني: من بعد ما عذبوا في الدنيا.

والوجه الخامس: يعني به: الإحراق بالنار في الدنيا، فذلك قوله في السماء ذات البروج: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾، يعني: الذين حرقوا المؤمنين والمؤمنات في الدنيا، وقال في سورة الذاريات: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾، يعني: يعذبون ويحرقون بالنار في الآخرة، ﴿ذوقوا فتنكم﴾، يعني: حريقكم بالنار؛ والآخرة ليس فيها فتن مثل فتن الدنيا، وهذا دليل لمن عقل.

والوجه السادس من الفتنة: يعني به القتل، وذلك قوله سبحانه في سورة النساء: ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾، يقول: إن خفتم أن يقتلكم الذين كفروا، وكقوله في سورة يونس صلى الله عليه: ﴿على خوف من فرعون وملائه أن يفتنهم﴾، أي: يقتلهم.

والوجه السابع من الفتنة: الصد، وذلك قوله في سورة المائدة: ﴿واحذرهم أن يفتنوك﴾، يقول: أن يصدوك عن بعض ما أنزل الله إليك، وقال في سورة بني إسرائيل: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك﴾، يعني: ليصدونك.

والوجه الثامن من الفتنة: يعني به الضلالة، فذلك قوله عز وجل في سورة

الصافات: ﴿فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين﴾، يعني: ما أنتم عليه بمضلين من أحد، ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾، يعني: إلا من عمل عملا يصلى به الجحيم، وقال في سورة المائدة: ﴿ومن يرد الله فتنته﴾، يقول: من يرد الله ضلالته ﴿فلن تملك له من الله شيئا﴾ ، والله عز وجل لا يضل به إلا من استحق الضلال، وذلك قوله عز وجل: ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾، وقوله: ﴿ويضل الله الظالمين﴾، ويخرج الضلال على: الحكم والتسمية، لا على الجبر والقسر.

والوجه التاسع من الفتنة: يعني به المعذرة، وذلك قوله عز وجل في سورة الإنعام: ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾، يعني: ثم لم تكن معذرتهم، ﴿إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾.

والوجه العاشر من الفتنة: قوله عز وجل في الأعراف: ﴿إن هي إلا فتنتك﴾، يقول: إن هي إلا محنتك.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن قوله: ﴿ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا﴾؟

فقال: الأكنة هي: الحجب، وهي مثل الطبع والختم.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ [الأنعام:٣٣]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله عز وجل للنبي صلوات الله عليه: ﴿فإنهم لا

يكذبونك﴾، فقلت: وأي تكذيب أشد مما كذبوه صلوات الله عليه؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: إنما عنى تبارك وتعالى: أنهم لا يقدرون على تكذيبه بحجة يقهرونه بها، فيلزمه التكذيب.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥)﴾ [الأنعام:٣٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا تسهيل من الله سبحانه على نبيه صلى الله عليه وآله؛ لما علم من غمه بإعراض الخلق عن الله سبحانه، ومعصيتهم له، ومخالفتهم لحكمه، فلما كبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله، وعظم عنده إعراضهم عن الله سبحانه، واشتد عليه ما يرى من شرارتهم -قال الله سبحانه: ﴿فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض﴾، والنفق: فهو محتفر في الأرض، ﴿أو سلما في السماء﴾، يقول: ترقى في السماء، ﴿فتأتيهم بآية﴾، وهذا غاية الاجتهاد: الذهاب في الأرض والسماء، فقال: إنك قد جئتهم من الآيات والعلامات، والحجج الواضحات الباهرات، بما في أقل منه يؤمن من كان له قلب أو معرفة، ولم تترك غاية في حرص ونصيحة، واجتهاد وموعظة، فما تريد أن تعمل بهم بعد ذلك، أتذهب في الأرض أو في السماء، ولن تقدر على ذلك، ليس عليك من الأمر إلا ما قد فعلت؛ ألا تسمع كيف يقول مشركوا قريش: ﴿أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك﴾، فذكروا أنه لو رقى في السماء لم يؤمنوا به؛ لشدة

كفرهم، وعظيم عنادهم.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾؟

الجواب في ذلك: أن هذا إخبار من الله تبارك وتعالى لنبيه عليه السلام، عن الاقتدار على ما يشاء من خلقه، وأن إرادته فيهم نافذة، ومشيئته ماضية، وأنه لو جمعهم لم يجب ثواب لمثاب، ولا عقاب على معاقب، والله بريء عن جبر الخلق على المعصية، وإخراجهم من طاعته.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾، فقلت: ما معنى دعاء من لا يسمع؟

المعنى في ﴿يسمعون﴾ هو: يطيعون ويقبلون ما يأتيهم به من ربهم، فيستبصرون بنور الله ويهتدون، لا أنهم صم لا يسمعون؛ ألا ترى كيف تقول العرب لمن كان منها ذا عصيان: " ألا تسمع يا هذا قول فلان؛ فإنه ناصح شفيق، حريص عليك رفيق، مؤيد، تقبل قوله، وتصير إليه، لا تخالفن بعملك عليه ".

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)﴾ [الأنعام: ٣٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾؟

وقد تقدم تفسيرها إليكم في مسائلكم الأولى، والله سبحانه باعث جميع خلقه، كما ذكر في كتابه.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ولا طائر يطير بجناحيه﴾، وقلت: إن الطيران لا يكون إلا بجناحين، وإن العرب تستغني بذكر الطائر، وتكتفي باسمه عن ذكر جناحين فما معنى ذلك؟

قال أحمد بن يحيى عليه السلام: هذا تأكيد للكلام، وهذا موجود في لغة العرب، يقول الرجل لصاحبه: " قد جئتك بنفسي، ومشيت إليك برجلي، وكلمتك بلساني، ونظرت إليك بعيني، وسمعتك بأذني، وأعطيتك بيدي "، وكل هذا كان سيجزي فيه كلمة واحدة؛ لو قال: " جئتك " أجزأ عن قوله: " بنفسي "، ولو قال: " مشيت إليك " أجزأه عن قوله: " برجلي "، ولو قال: " كلمتك " أجزأه عن قوله: " بلسانه "، وكذلك سائر الكلام على هذا المثل؛ فافهمه إن شاء الله تعالى. وقال الله عز وجل: ﴿فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة﴾، فقد علموا أن ثلاثة وسبعة عشرة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٩)﴾[الأنعام:٣٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشإ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾؟

وهذا - يرحمك الله - فمثل مثله وضربه لهم؛ إذ كانوا عن آياته معرضين، وعن قبول ما أمروا به صادين، فأخبر سبحانه أنهم في ترك الاستماع للحق، وقبول ما جاء به نبيه صلى الله عليه وعلى آله من الصدق، وقد يرون ما يأتي من البراهين والدلالات والعلامات، كالصم والبكم الذين لا يسمعون ولا يعقلون فيأتمرون؛ ألا ترى أن العرب تقول لمن لم يستمع ويسمع، ويقبل ما يؤمر به فينتفع: " ما أنت إلا أصم "، وتقول: " فلان أصم أبكم عما يلقى إليه "، وإن كان حديد السمع، تريد بذلك: قلة الائتمار بما به يؤمر، وطول الغفلة عما منه يحذر.

وأما قوله: ﴿في الظلمات﴾ فهي: ظلمات الكفر والعصيان، والبعد من الواحد ذي الجلال والسلطان.

وأما قوله: ﴿من يشإ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ فقد تقدم منا شرح معنى إرادته لإضلال الضالين، وهدايته لمن اهتدى من المهتدين، ومعنى الضلال والهدى هاهنا: كمعناه فيما تقدم أولا.

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

معنى يضلله: يعذبه، ﴿ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾، وهي: طريق الجنة للمؤمنين، مستقيمة لا عوج فيها ولا تعب.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢)﴾ [الأنعام :٤٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الأمم الذين كانوا قبله عليه السلام فهو: مثل ما كان من أمة إبراهيم، وأمة إسماعيل، وأمة موسى، وأمة عيسى، ومن كان مثلهم من الأمم الخالية، الذين أرسل الله سبحانه إليهم رسله معذرين ومنذرين، ومعلمين من الجهالة، ومنقذين من الهلكة، فلما كانت منهم القسوة والصدود، والميل عن الحق والعنود -أخذهم الله عز وجل بالبأساء والضراء، والبأساء فهو: ما يكون من عقابه، وانتقامه من أعدائه، وما كان يحل بهم من خسف وقذف بالحجارة، وقتل بالسيف، ومسخ وإهلاك؛ فكان هذا من البأساء، ومثله كثير، والضراء فهو: من جنس البأساء، ومن الضراء أيضا: نقص الأموال والأنفس والثمرات، والجوع والحسرات؛ فكل ذلك ليرجعوا إلى الله عز وجل ورسله عليهم السلام، ويصدقوا بالحق ويؤمنوا به، فمنهم من يؤمن، فيحكم له بالنجاة، ومنهم من يستعصم في كفره، ويدوم على شرته، فينزل به البلاء، وتتراصف عليه النقم، فيكون ذلك عبرة لمن بعدهم، وإهانة وتخويفا لهم، وردعا للمتخلف، ومانعا من الزيغ والتكلف، فيكون فيما نبههم الله به، وعرف به مسيئهم - نعمة وفلاحا، وسلامة وصلاحا، وما ربك بظلام للعبيد.

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣)﴾ [الأنعام: ٤٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن

قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾، فقلت: هل كان ينفعهم التضرع إذا رأوا البأس؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: لولا أن الله سبحانه قد علم أن تضرعهم ينفعهم - ما قال تضرعوا، فأعلمهم بقسوة قلوبهم، ولو تضرعوا وتابوا لقبل توبتهم، ورفع العذاب عنهم؛ ولكن قست قلوبهم، فلم يتضرعوا، ولا إلى الله سبحانه من ذنوبهم رجعوا؛ بل مضوا في خطاياهم، وأصروا على كفرهم، حتى أنزل الله سبحانه العذاب بهم، وكان ذلك من تزيين الشيطان لهم، فاستحقوا من الله عز وجل الخذلان، وقد نفع قوم يونس التضرع حين أقبل العذاب وعاينوه، فأخلصوا عند ذلك لله عز وجل قلوبهم، وعلم الله سبحانه صحة التوبة منهم، فرفعه عنهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤)﴾ [الأنعام:٤٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾، فقلت: كيف أخذهم بفرحهم بما آتاهم؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: لم يأخذهم عز وجل بما توهمت؛ ولكن أخذهم سبحانه وجل عن كل شأن شأنه بذنوبهم؛ ألا تسمع كيف يقول عز وجل: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾، يقول: لما نسوا ما أمروا به، وبعثت الأنبياء عليهم السلام فيه، ومعنى نسوا فإنما هو: تركوا وغفلوا وسهوا، فلما تركوا ما أمرهم الله عز وجل به، وأعرضوا عنه ونسوه -فتح عليهم

سبحانه - كما قال - أبواب كل شيء يحبون؛ لإقامة الحجة عليهم، فكان ذلك إملاء لهم، وتأخيرا لعقوبتهم، كما قال سبحانه: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثما﴾[آل عمران:١٧٨]، فكان ذلك إملاء لهم؛ وما فتح الله سبحانه عليهم أوكد في الحجة، وأشد للأخذ، وآلم للعقوبة، والله سبحانه فلا يخشى فوتا ولا يعجل، وإنما يعجل من يخشى الفوت، أو يضره شيء فيتقيه، والله عز وجل فلا يضره شيء من معصيتهم، ولا تنفعه طاعتهم؛ بل هم ضارون في ذلك لأنفسهم، فلما أن فرحوا بما أوتوا، وجعلوه في معاصي الله عز وجل، ونسوا ما أمرهم به - أخذهم سبحانه بغتة، وذلك أشد حسرة، يكون الأخذ على الغفلة، فإذا هم مبلسون، فانقطع عنهم اللهو والعبث، واليسارة والغنى، وصاروا إلى الآخرة مبلسين، وعند الله عز وجل مهلكين.

والمبلس فهو: الذي ليس له ولا في يده شيء، العادم لما كان معه، الآيس مما كان يؤمله؛ فدامت حسراتهم، وحصلوا بذنوبهم حيث ﴿لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾[الأنعام: ١٥٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١)﴾[الأنعام: ٥١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم﴾، فقلت: كيف أمر أن ينذر به الخائف دون الآخر؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الإنذار فهو: التحذير مما أعد الله عز وجل للعاصي، وحكم به على المخالفين؛ فقد أمره سبحانه أن ينذر خلقه أجمعين، فلما قبل قوم، وأنكر آخرون -قال عز وجل: أنذر به الخائف؛ إذ قد غلب العاصي، فكان المنتفع

به المصدق -الخائف لله سبحانه فيه؛ وذلك موجود في اللغة: إذا وعظ رجل جماعة، وكان فيها من لا يقبل عظته -قال: " أعظ بها من يؤمن بالله سبحانه "، يريد: إن لم يستمع هؤلاء المعرضون -انتفع به من كان من المؤمنين، فلما أن كان المعرضون عن الله عز وجل لا يذكرون حشرا، ولا يخافون وعيدا، وكان المؤمنون يخافون الله عز وجل ويخشونه، قال: أنذر به الذين يخشون؛ لما أن كان أولئك لا يحذرونه ولا يقبلونه، وقد كان إلى جميع الخلق كافة، وقد قال الله سبحانه: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها (٤٢) فيم أنت من ذكراها (٤٣) إلى ربك منتهاها (٤٤) إنما أنت منذر من يخشاها (٤٥)﴾[النازعات] ، فقال: ﴿منذر من يخشاها﴾، فأما من لا يخشاها فليس له في إنذاره حيلة؛ لقلة قبوله، ومن لم يقبل الإنذار، فلم ينتفع به، وإذا لم ينتفع به فهو مقيم على غفلته، غير حذر ولا نذر لما ينذر به، فلم تبق التذكرة والتفهيم إلا لمن قبلها وأخذ بحظه منها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)﴾[الأنعام: ٥٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي #:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿لا تطرد﴾ فهو: لا تبعد ولا تقصي، فكان ذلك من الله عز وجل تفهيما لنبيه عليه السلام، وأمرا بحفظهم، وردا على من سأل طردهم، ومحمد عليه السلام فلم يطرد أحدا، وإنما قالت قريش لما دعاهم إلى الله سبحانه، فقالوا: كيف نؤمن يا محمد، وقد سبقنا من ليس له قدر فينا ولا رئاسة، من أوساط الناس واتباعنا؟! فاطردهم؛ فإن طردتهم آمنا بك؛ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية؛ تقريعا لهم، وردا عليهم، وأمرا بخلاف قولهم، وشهد الله

سبحانه لمن اتبع رسوله بالدين، وإخلاص النيات، فقال: ﴿يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾، فأخبر أنهم يقصدونه، ويطلبون ما عنده؛ فكان هذا مدحا لهم، وثناء عليهم، وذما لغيرهم.

ثم أخبر نبيه عليه السلام: أنه إن فعل ذلك كان من الظالمين، وهو عليه السلام فلم يكن ليفعل ذلك بالمؤمنين؛ بل كان شفيقا عليهم، عارفا بحقوقهم، وكانت مسألتهم هذه لمحمد صلى الله عليه وآله كمسألة أصحاب نوح عليه السلام، حين سألوه طرد من كان معه من المؤمنين؛ حسدا لهم لما سبقوهم إلى الإيمان بالله عز وجل، فقالوا: ﴿أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾[الشعراء:١١١]، والأرذلون في اللغة فهم: الذين لا خطر لهم ولا قيمة ولا رئاسة، سقاط الناس، ومن لا ينظر إليه منهم؛ فسموهم بهذا الاسم؛ احتقارا لهم، واستخفافا بهم، وكانوا عند الله سبحانه أفضل منهم، وأعلا درجة، وأعظم مرتبة؛ فكان من قول نوح عليه السلام: ﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون(٢٩)ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون﴾[هود:٢٩، ٣٠]، فسألوا محمدا صلى الله عليه وآله ما سأل إخوانهم المبطلون في سالف الدهر نوحا وغيره من الأنبياء عليهم السلام، وكذلك أهل الباطل أفعالهم متقاربة، وأمورهم متشابهة؛ ألا تسمع كيف يقول الله سبحانه: ﴿تشابهت قلوبهم﴾[البقرة:١١٨]، يعني: الأولين والآخرين، فيما يسألون الأنبياء، ويتقحمون به من جميع الأشياء؛ فنعوذ بالله من الحيرة والعمى، والضلالة بعد الهدى.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣)﴾[الأنعام:٥٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض﴾، فقلت: ما

معنى ذلك؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: الفتنة هي: المحنة، والفتنة تكون من: العذاب، وهذه لغة في اليمن إذا غاظ إنسان إنسانا، قال: فتنتني؛ قال الله سبحانه: ﴿الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾[العنكبوت:١، ٢]، يقول: يمتحنون، وقد امتحن الله سبحانه المؤمنين بجهاد الظالمين، وفتن الظالمين بمحاربة المحقين، وعذبهم على ذلك، وأوجب عليهم النكال فيه وبه، ومعنى فتنهم فهو: عذبهم؛ لأن الفتنة قد تكون من العذاب؛ قال الله سبحانه: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾[البروج:١٠]، فقال: فتنوا، يريد: عذبوا، وقد فسرنا لك في مسائلك الأولى: الفتنة على كم هي من الوجوه.

قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)﴾[الأنعام: ٥٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: الغيب فهو: ما استتر واستجن وغبي فلم يعلم، وذلك لا يعلمه إلا الله عز وجل، المطلع على السرائر، العالم بالضمائر، فلا يعلم الغيب من الأشياء إلا هو، ولا يعرف منه إلا ما دل عليه وفتحه، وبينه لعباده وأخبر به، ومفتاح الشيء فهو: علمه؛ لأنه لا يوصل إلى ما كان منغلقا عن الخلق إلا بمفتاحه؛ وإنما هذا مثل ضربه الله عز وجل لخلقه، وبينه لعباده بأنهم

يعلمون: الأغلاق لا يفتحها إلا المفاتيح، فلما أن كان الغيب منغلقا عن الخلق، والله سبحانه هو العالم - قال: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾؛ إذ هو العالم بالمحجوبات، المطلع على السرائر المستورات، ثم قال: ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾، يريد عز وجل: أنه العالم به المطلع عليه، فإنما أخبر سبحانه بعلمه، وإحاطته بجميع الأشياء، فقال: ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾ عند سقوطها، ولا تغبى عنه عند انحتاتها، فكذلك الحبة في ظلمات الأرض فهو: مطلع على مكانها، عالم بقرارها، ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾، والكتاب فهو: العلم؛ فسبحان من لا يستتر عنه علم محجوب، ولا يسقط عليه دقيق من الأمور، ولا جليل في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥)﴾ [الأنعام: ٦٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿هو القادر﴾ فهو: الله سبحانه القادر على خلقه، الذي لا يعجزه ما طلب، ولا ينجوا منه من هرب، ثم قال سبحانه ﴿على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾ فأخبرهم سبحانه: أنه إن شاء أنزل عليهم عذابا من فوقهم، وهو مثل ما يكون من القذف بالحجارة والصواعق، وما نزل الله عز وجل من النقم بأعدائه، المعرضين عن طاعته، ﴿أو

من تحت أرجلهم﴾، فهو مثل الخسف، وما ينزل من متالف الأرض بهم، وذهاب معايشهم، ونقص ثمارهم، وهو سبحانه قادر على ذلك إذا أراد كونه، لا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، ومعنى: ﴿أو يلبسكم شيعا﴾ فهو: يذلهم ويخرجهم، ويفرقهم حتى يصبحوا بعد العز أذلة، وبعد الجماعة شيعا يتفرقون في الأرض؛ ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا﴾[الأنعام:١٥٩]، يقول: من بعد الاجتماع على الدين تفرقوا عن ذلك، ومضوا في سبيل غيره، فمال كل قوم في هوى، والتفرقة لهم والتبديد شيعا، فهو من أشد الذل والهوان، والقلة والصغار، ﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾، فهو: بالخذلان لهم والترك من التوفيق، حتى تقع بينهم الشحناء والبأس والبلاء، فيقتل بعضهم بعضا، ويقع عند ذلك العداوة والبغضاء، فيكون اجتماعهم على الباطل سببا لإهلاكهم، وطريقا إلى تبديدهم، ونكاية من الله عز وجل لهم، وإزالة لنعمهم، وإذهابا لعزهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨)﴾[الأنعام]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الذين يخوضون في آياته عز وجل فهم: أهل الشرك، وخوضهم فيها فهو: تكذيبهم بها، وطعنهم عليها، واستهزاؤهم فيها وبها، فأمره الله عز وجل: ألا يقعد معهم، وهذه المخاطبة فلنبيه عليه السلام وللمؤمنين عامة؛ دلهم سبحانه على أفضل الأعمال، وأدبهم بأحسن الآداب، ونهاهم عن القعود مع الخائضين.

ثم قال عز وجل: ﴿وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾، فنهاه عز وجل: ألا يقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين، ولم يكن

عليه السلام يغشى حلقهم ولا مجالسهم، وإنما كانوا يغشونه ويقعدون عنده، فإذا وعظهم وتلا عليهم ما أنزل الله سبحانه إليه -خاضوا فيما لا يجوز من الأقوال، وتكلموا بالباطل والمحال؛ فأمره الله سبحانه عند ذلك بالقيام عنهم، والمجانبة لهم، من بعد ما كان من إقامته عليهم للحجة.

قوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠)﴾[الأنعام]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، في سياق كلام عن وجوب الهجرة للظالمين ما لفظه:

وفي ترك مقاربتهم، وإيجاب مجانبتهم، وما أمر الله به الرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين من مهاجرتهم -ما يقول الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وعلى آله: ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به﴾، يقول سبحانه: بمهاجرتك لهم، ففيها تذكير لمن يعقل منهم، إن أبصر هداه ورشده، أو كان شيء من الخير عنده، ولا تجلس معهم، ولا يجمعك من المقاعدة ما يجمعهم؛ إذ كانت مقاعدهم مقاعد لهو ولعب واستهزاء؛ فإن ذلك إذا كان كذلك يمنعهم من الذكر لما تذكرهم به من الأشياء، وفي تركك لهم، وإعراضك عنهم - ما فيه تذكير لمن عقل منهم؛ ولم يذر الظالمين: من جاورهم، وحل وسكن دارهم.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم

الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا غاية الوعيد من الله عز وجل، لمن اتخذ دينه لعبا ولهوا، كما قال سبحانه: ﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾[الطارق:١٧]؛ فكان هذا وعيدا لهم، وتعريفا بجهلهم، ثم قال عز وجل: ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾، والحياة فهي: هذه المهلة التي جعلها الله سبحانه لكل نفس متحركة، فاغتروا بالدنيا، ومالوا إلى الهوى، واتبعوا الجهل والردى، وآثروا العاجلة، على ما جعل الله عز وجل لهم في الآخرة من العطاء، والفوز والجزاء.

وقوله: ﴿وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت﴾، يقول: أعذر وأنذر من قبل أن تبسل نفس، والإبسال فهي: كلمة عربية، يقول القائل لمن خالف أمره، ولم يقبل نصيحته، إذا وقع في البلاء: " بسلا، بسلا "، وهي من طريق التبكيت والتقريع، والخذلان والإفراد، يقول: أبسلوا؛ أي: أفردوا.

قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾[الأنعام: ٧١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا مثل ضربه الله عز وجل لكل من عند عن الحق وتركه، من بعد الدعاء إليه والتبيين له؛ فكان حاله في جهله وعماه عن الحق، بعد إذ عاينه ورآه، كحال المستهوا في الأرض، والمستهوا فهو: المتحير الضال في الأرض، الذاهب عن القصد، المائل عن الصدق، التارك للحق، من بعد أن شرع له الدين، وأبانه الله عز وجل لجميع العالمين، والشيطان فقد يكون من الجن والإنس، وهم المغوون المفسدون المجترئون.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾[الأنعام:٧٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول إبراهيم لأبيه آزر، فقلت: ما معنى هذا الاسم؟

وقد يقال: إن اسم أبيه كان آزر، فدعاه باسمه؛ وليس هذا مما تعبدك الله سبحانه به، ولا أوجب عليك معرفته، ويقال: إن آزر هو الصنم الذي كانوا يعبدونه.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦)﴾[الأنعام:٧٥-٧٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

يقول سبحانه: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي﴾، فقال مقيما لقومه وموقفا، ومحتجا عليهم من الله ومعرفا، لا معتقدا لآلهتهم ولا ممتريا، ولا شاكا فيها ولا عميا، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾، وكذلك قوله عليه السلام: ﴿فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾[الأنعام: ٧٧]، يقول صلى الله عليه لهم: لئن لم يهدني ربي ويرفعني عنكم -لأكونن ضالا مثلكم ومنكم، فلما وقفهم على الحجة مفاوهة، وأثبتها لهم، فوقفهم مواجهة - ﴿قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾[الأنعام: ٧٨ - ٧٩]؛ وفيه وفيهم: ما يقول الله سبحانه: ﴿وحآجه

قومه قال أتحاجونني في الله وقد هدان﴾[الأنعام: ٨٠]، يقول صلى الله عليه وسلم: وقد أراني من آياته، ودلائل معرفته، ما أراني من أرضه وسمائه، وفطرته لهما وإنشائه؛ فنجاني من هلكتكم بجهله، والإشراك به، وخصني مع النجاة من هداه لي [باليقين]، ولولا هداه لي لعبدت كما عبدتم الآفلين، وكيف يكون[إلها] من أفل، وزال عن معهود حاله وتبدل ؟!!

وفي تبدل الذات والصفات والأحوال - ما لا يدفع عن المتبدل من الإفناء والإبطال، وما بطل وفني - فخلاف ما دام وبقي، وما اختلف وتفاوت من الأشياء - فليس يحكم له إلا من ظلم: بالاستواء!! فكيف سويتم في معنى، بين ما يدوم وبين ما يفنى ؟! إلا أن تساووا في مقال واحد، بين كاذب وصادق، وكما سويتم فيها تحبون من العبادة وغيرها بين مخلوق وخالق.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: الملكوت فهو: ما خلق الله عز وجل من السماوات والأرض ومن فيهن، وما أظهر في ذلك من قدرته، وملكه سبحانه لجميع خلقه، لا يمتنع عليه شيء من مفطوراتها، ولا يحتجب عنه شيء من محجوبات سرائرها؛ فأرى إبراهيم عليه السلام قدرته وسلطانه - كما قال - ليكون من الموقنين.

ومعنى: أراه فهو: عرفه وهداه، وكان تكرمة له وتبيينا وتعريفا، مثل ما كان أراه من الطير الذي أمره بأصرها، عند مسألته لله عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى، وغير ذلك مما أطلعه عليه سبحانه؛ فأراه سبحانه من قدرته التي قامت بها الدنيا وما فيها، من جميع الأشياء ما بهره، وزاده في تثبيته، وعظم به شكره، وعلم بذلك منزلته عند الله سبحانه وكرامته، وقد كان بالله عارفا، وله مجلا،

ولأمره مقدما؛ ألا تسمع كيف يقول تبارك وتعالى: ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾[يس:٨٣]، فأخبر أن ملكوت كل شيء في يده وملكه، سبحانه وتعالى عما يقول به المبطلون، وأهل الزيغ الظلمة الملحدون، الكفرة الجائرون، عز ربنا سبحانه وتعالى عما يقولون.

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: سألت أبي الهادي إلى الحق عليه السلام عن هذه الآية، فقال: معنى ﴿جن عليه الليل﴾ فهو: غشيه وأجنه، وركبه وأظله، ومعنى: ﴿هذا ربي﴾ فهو: توبيخ وتقريع لعبدة النجوم، على غلطهم وكفرهم في عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم، فقال: ﴿هذا ربي﴾، يريد: أهذا ربي الذي تزعمون أنه لي ولكم رب، وتدعونني إلى عبادته من دون إلهي وخالقي، وهو زائل آفل، ذاهب غافل؛ هذا لا يكون لي ربا، ولا يجوز أن يدعى خالقا، وكذلك قوله في الشمس والقمر على هذا المعنى الذي قاله في النجم، يريد بذلك كله التوقيف لهم على خطأ فعلهم، والشرك بربهم؛ ألا ترى كيف قد تبرأ من أعمالهم، في عبادة النجوم والشمس والقمر، حين يقول: ﴿إني بريء مما تشركون﴾[الأنعام:٧٨]، من بعد التقريع لهم والتوقيف.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٧]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

معنى قوله: ﴿فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي﴾، وكذلك قوله في النجم والشمس حين قال: ﴿هذا ربي هذا أكبر﴾، قال: معنى ذلك منه صلى الله عليه وآله هو على معنى: الذم لهم، والعيب لفعلهم، يريد: أهذا ربي الذي يزول، وينتقل

ويحول. وهو على معنى الاستفهام؛ وذلك موجود في القرآن، في قوله سبحانه: ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾، ومعنى ﴿لا أقسم﴾ فهو: ألا أقسم، فطرح الألف وهو يريدها، ومن ذلك قوله في سورة المنافقين: ﴿رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾، ومعنى ﴿لولا أخرتني﴾ هو: لو أخرتني، وفي ذلك ما يقول الشاعر:

بيوم جدود لا فضحتم أباكم ... وسالمتمو والخيل تدمى شكيمها (١)

فقال: " لا فضحتم أباكم "، وأراد: فضحتم أباكم، فأدخل الألف وهو لا يريدها؛ صلة في الكلام، ومن ذلك قول الله سبحانه في يونس صلوات الله عليه: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾، ومعناها: ويزيدون، فطرح الألف وهو يريدها، وأثبتها في الشيء وهو لا يريدها، ومن ذلك ما قال شاعر العرب:

نزلتم منزل الأضياف منا ... فعجلنا القرى أن تشتمونا (٢)

---

(١) - قال في العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (٦/ ٥٧): يوم جدود: غزا الحوفزان، وهو الحارث بن شريك، فأغار على من بالقاعة من بني سعد ابن زيد مناة، فأخذ نعما كثيرا، وسبى فيهنّ الزرقاء من بني ربيع بن الحارث، فأعجب بها وأعجبت به، وكانت خرقاء، فلم يتمالك أن وقع بها، فلما انتهى إلى جدود، منعتهم بنو يربوع بن حنظلة أن يردوا الماء، ورئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب، فقاتلوهم، فلم يكن لبني بكر بهم يَدٌ، فصالحوهم على أن يعطوا بني يربوع بعض غنائهم، على أن يخلّوهم [أن] يردوا الماء، فقبلوا ذلك وأجازوهم، فبلغ ذلك بني سعد، فقال قيس بن عاصم في ذلك:

جزى الله يربوعا بأسوأ سعيها ... إذا ذكرت في النائبات أمورها

وَيْوَمَ جَدُودٍ قَدْ فَضحتم أباكم ... وسالمتم والخيل تدمى نحورها.

... إلخ. وانظر شرح أدب الكاتب للجواليقي (١/ ١٢٥)، والأغاني (١٤/ ٨٠).

قال في تاج العروس: (و) جَدُود: (علم) بعَيْنه من أَرض تَمِيم، قَرِيب من حَزْن بني يَربوع بن حَنظَلَةَ، على سَمْتِ اليَمامة، فِيهِ ماءٌ يُسمَّى الكُلاَب، وكانتْ فِيهِ وَقْعَةٌ مرّتين يُقَال للكُلاَب الأَوّلِ: يومُ جَدُود، وَهي لتَغْلِبَ على بَكْرِ بن وائِلٍ، قَالَ الشاعِر:

أَرَى إِبِلي عَافَتْ جَدُودَ فَلَم تَذُقْ ... بهَا قَطْرَةً إِلاّ تَحِلّةَ مُقْسِم

(٢) - من معلقة عمرو ابن كلثوم. شرح المعلقات السبع للزوزني (١/ ٢٢٢).

فقال: " أن تشتمونا "، وإنما أراد: لأن لا تشتمونا، ولا ندم[١]، فجاز ذلك من قوله في العربية والبيان؛ فعلى هذا يخرج معنى قول إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿هذا ربي﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾ [الأنعام]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

الفاطر هو: المبتدئ الصانع، والحنيف هو: المخبت الخاشع؛ فاستدل صلوات الله عليه بدلائل الله من سماواته وأرضه، على أن الله صانع لذلك كله لا لبعضه، وتبرأ صلى الله عليه من شرك كل من أشرك؛ إذ رأى كل نجم منها إنما يسلك كما أسلك، بما رآه بينا في جميعها، من تدبير بديعها، في الجيئة والطلوع، والذلة والخشوع، وعلم أنه لا يكون ما رأى منها عيانا، وأدركه فيها إيقانا، من الطلعة والأفول، إلا من مصرف ناقل غير منقول، فقال صلى الله عليه: ﴿وما أنا من المشركين﴾، الذين أشركوا بين المالك والمملوكين؛ تجاهلا بما يعلمون، ومكابرة لما يرون، من التزايل والفرق، بين الخالق والخلق، والمبتدع والبدائع، والصانع الصنائع.

(١) – هكذا في النسخة المنقول منها، ولعل الصواب: ولا نذم؛ تأمل.

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١)﴾ [الأنعام]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: الفريقان فهما: فريق الحق وفريق الباطل؛ ألا تسمع كيف يقول عز وجل في أول المخاطبة: ﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا﴾[الأنعام:٨١]، يقول صلى الله عليه: إن الذي معكم، وما تعبدون من هذه النجوم، والشمس والقمر والأصنام - أشياء لم ينزل الله بها سلطانا، يعني: حكما ولا أمرا ولا وحيا، وإنما ذلك ابتداع منكم وعمى، وكفر واتباع هوى؛ فكان صلى الله عليه على بينة وبرهان من الله عز وجل، والفريق الذي هو حقيق بالأمن فهو: إبراهيم صلى الله عليه ومن تبعه، الماضون على بصيرة، المتبعون لحكم الله عز وجل، الصادون عن الهوى، التاركون لما ضل فيه أهل الجهل والفتنة الأشقياء؛ فكان صلى الله عليه أحق بالسلامة، وأولى بالجنة والكرامة؛ إذ هو على المحجة، ومن أمره على بصيرة وبينة؛ فكان حقيقا من الله عز وجل بالثواب، وحسن الموئل والمآب.

ثم قال سبحانه: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾[الأنعام:٨٢]، فدل على الفريق بعينه، ونسبه بمذهبه ونعته، فقال: ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾، يقول: لم يدخلوا فيه فسادا، ولم يلبسوا فيه ظلما، ولا بعد اليقين والمعرفة شكا؛ فكانت هذه حجة على المشركين لإبراهيم الخليل عليه السلام، آتاه الله سبحانه إياها، وفهمه الاحتجاج بها صلى الله عليه ورحم وكرم، ولقد آتاه الله عز وجل من

الحجج على قومه ما فلجهم بها، وقطع حججهم عندها، مثل ما رأوا من الآيات والعلامات، ومثل مخاطبته للكافر الجاحد، المتمرد المعاند، حين قال: ﴿إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر﴾[البقرة:٢٥٨].

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦)﴾[الأنعام]، مع قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨)﴾[الأنعام: من آية (٨٨)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين(٨٤)وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين(٨٥) وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين(٨٦)﴾، فقلت: أمن ذرية إبراهيم هؤلاء، أم ذرية نوح؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هم من ذرية إبراهيم صلى الله عليه، وقوله: ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾[الأنعام:٨٨] -فإخبار منه عز وجل بأنهم لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون، ولم يكونوا ليشركوا صلى الله عليهم، وإنما قال: " لو "، ولم يقل: " فعلوا "؛ فأخبر سبحانه عن فعله فيهم على محلهم عنده، وكرامته لهم: أنهم لو زالوا عن الحق ما قبل منهم، ولأحبط أعمالهم؛ فإذا كان ذلك حكمه سبحانه فيهم: لو كان منهم ما ذكر عز وجل - ولن يكون -

فكيف بغيرهم إذا ظلم وتعدى، وتقحم في المهالك والردى، وصد عن طريق الحق والهدى.

وفي هذا إبطال لقول المزخرفين لأنفسهم الأباطيل، الذين مالت بهم الدنيا، واتبعوا الغي والهوى، ثم يزعمون بجهلهم، ورداوة تمييزهم: أنهم ممن يغفر له خطيئته، ويتجاوز عن سيئته، بغير توبة ولا رجعة، ولا خروج من معصية، ثم قالوا بجهلهم، وقلة بصائرهم: أنه لا يدخل النار من أمة **محمد** صلى الله عليه وآله أحد، وإن ظلم وتعدى، وأفسد وعصى؛ كأن لم يسمعوا ما ذكر الله عز وجل في أول القصص، إذ ذكر الأنبياء عليهم السلام، حين يقول سبحانه: ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾، فإذا كانت الأنبياء في قدرها، وعظيم محلها، لو كان منهم بعض ما قد كان من هؤلاء الظلمة - وحاش لأنبياء الله سبحانه من الدخول في معصيته، أو مخالفة شيء من أمره - لحبطت أعمالهم، فكيف بغيرهم من أهل الجهل والعمى، التابعين للغي والردى؛ إن هذا لهو العدل من الله عز وجل في خلقه، وعين الإنصاف لبريته؛ إذ ألحق كلا بذنبه، وجازاه على فعله، وأخذه بعمله؛ ألا تسمع كيف يقول عز وجل: ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا﴾[النساء:١٢٣]، يقول: يكافأ عليه، ويعاقب فيه؛ فكان هذا إكذابا لقولهم، وإبطالا لمحال ظنهم؛ فأوضح سبحانه لهم الحق الذي لا شك يدخله، ولا فساد يلحقه: أنه يجزي كلا بعمله، ويكافيه على فعله؛ ﴿ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى (٣١)﴾[النجم]؛ فسبحان العدل في حكمه، المنصف لخلقه، البريء من ظلم عباده.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩)﴾[الأنعام: من آية (٨٩)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين﴾، فقلت: من هم؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هم قريش ومن تبعهم من أهل الكتاب، يقول: ﴿إن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين﴾، يعني: أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، فأخبر أنهم غير كافرين بها، ولا تاركين لما أمر الله عز وجل به من فرضها، كما كفر أهل الكتاب، وتركوا ما عرفوه من الحق، ومن هذه الشريعة البينة، النيرة الواضحة لمن عقل وأنصف. ثم قال: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[الأنعام:٩٠]، فرجع الخبر إلى إبراهيم عليه السلام، ومن ذكر الله سبحانه من الأنبياء عليهم السلام؛ فأمره أن يقتدي بفعلهم، ويتبع سبيلهم، ويصبر كصبرهم؛ إذ هو صلى الله عليه وآله كأحدهم، فكان صلى الله عليه وعلى آله صابرا، وفي أمره محتسبا، حريصا على أمته مشفقا، وعلى جميع أهل طاعته: مقيما لحجج ربه، ناصحا لله بجهده، حتى قبضه الله سبحانه حميدا مفقودا، فعليه أفضل الصلاة والترحيم، من ربنا الواحد الكريم.

وقد يخرج تفسير الآية وشرحها: أن الموكلين بها هم الأئمة، القائمون على الأمة، المفروضة طاعتهم، المحكوم من الله عز وجل بولايتهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[الأنعام: من آية (٩١)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: يقول سبحانه: ما قدروا الله حق الحقيقة التي تجب عليهم، ثم قال: ﴿إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾، وهذا قول من كفرة أهل الكتاب، وقد قيل: إنه مالك بن الصيف أحبر الأحبار؛ قالها جحدانا لمحمد صلى الله عليه وآله، وتعلقا بكفره، وصدودا عن الحق الذي بان له، ثم قال عز وجل: ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس﴾، يقول سبحانه: فمن أنزل كتاب موسى؛ إذ كان الله عز وجل لم ينزل على بشر وحيا، وموسى عليه السلام من البشر، فقد جحدتم بقولكم هذا كتاب موسى عليه السلام وأكذبتموه. ثم قال سبحانه: ﴿تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا﴾، يقول: تجعلون الكتاب الذي أنزل الله سبحانه، والوحي المحكم، كحال القراطيس عندكم، التي تكتبون فيها فتخفونها مرة، وتظهرونها أخرى، وتغيرون فيها وتبدلون، وتزيدون وتنقصون؛ فجعلتم كتب الله عز وجل في النقصان والزيادة والتبديل كنقصانكم في كتبكم وزيادتكم، وتخفون ما كرهتم، وتظهرون ما أحببتم، فذمهم الله في فعلهم، ووقفهم على عظيم جرمهم.

ثم أخبرهم عز وجل بما علمهم من الحق وهداهم إليه، وما كانوا ليعلموا هم ولا آباؤهم إلا بفضل الله عز وجل وإحسانه إليهم، فكفروا بنعمه، وخالفوا حكمه؛ فأمر الله سبحانه نبيه عليه وآله السلام عند ذلك أن يقول لهم: ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾، أراد عز وجل بقوله: ﴿قل الله﴾ أي: هو الذي أنزل الكتب التي جاءت بها الرسل، ثم أمره من بعد إقامة الحجة عليهم: أن يذرهم في خوضهم يلعبون، واللعب: فهو اللهو والعبث، والسهو والاشتغال، بالباطل والمحال.

وقد قيل: إن معنى قوله عز وجل: ﴿تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا﴾، يقول: تظهرون من الصحف التي كتبتموها ما ليس فيه صفة رسول الله عليه وآله السلام، ووقت مبعثه، وصحة نبوته، وتخفون ما كان له فيه صفة،

ولنبوته علامة.

والقول الأول أشبه بالحق، والله المعين والموفق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

قوله تعالى: ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: من آية (٩٢)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وأم القرى فإنما هي: مكة؛ فأقام القرى مقام أهلها، ومثل قوله في قصة يعقوب حين يقول: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾[يوسف:٨٢]، والقرية فإنما هي: لبن وحجارة، والعير فهي: الإبل، وليس هي تتكلم؛ ولكن أقيمت مقام أهلها، ومثل قوله سبحانه: ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾[البقرة:٩٣]، والعجل فلا يشرب، وإنما أراد: حب العجل؛ ومحمد عليه وآله السلام فأشد الخلق معرفة بالله سبحانه وإعظاما له؛ لعلمه وفضله، وما من الله عز وجل به عليه من تفهيمه وتعريفه؛ فرحمة الله ورضوانه، وصلواته وبركاته عليه.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)﴾ [الأنعام: ٩٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله عز وجل: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت

والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا عند خروج أنفسهم، وحضور وفاتهم، ونزول الملائكة لقبض أرواحهم؛ وبسط أيديهم فهو: نزعهم لأنفس الظالمين، وأخذهم لها، وقوله: ﴿أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون﴾، وعذاب الهون فهو: الهوان والذل والصغار، بالعذاب الأليم، والخزي الدائم المقيم؛ ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾[الأنفال:٥٠]، فضرب الملائكة عليهم السلام لوجوه الظالمين وأدبارهم عند خروج أنفسهم هو: من أول عقابهم، مع ما يعاينونه من سوء منقلبهم، وقبيح مآبهم، وكذلك فعل الله عز وجل بالكافرين، ومن عند عن أمره من الظالمين.

وليس يخرج عبد من الدنيا حتى يرى محله، ويعرف من الآخرة مكانه، بإخبار الملائكة عليهم السلام له عند قبض روحه، وخروج نفسه؛ فإن كان فاسقا أيقن بالنيران، وبالمصير إلى سوء دار، مع إتعاب الملائكة عليهم السلام له في إخراج نفسه، وضربها لوجهه وظهره، كما قال الله عز وجل: ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾، وإن كان مؤمنا تلقته الملائكة بالبشارة والكرامة، وقبضت روحه قبضا رفيقا سهلا، لا متعبا ولا معذبا؛ ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾[فصلت:٣٠]، فأخبر سبحانه ببشارة الملائكة للمؤمنين عند خروج أنفسهم، وتطمينهم لهم بما يطلعونهم عليه ويخبرونهم به، من رضا ربهم عنهم، وقبوله لهم، والمكافئة على طاعة ربهم، والجنة والنعيم، الدائم المقيم، حيث لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وأما ما سألت عنه من: ضرب الملائكة لوجوه الظالمين، فقلت: كيف لا

نسمع ذلك من فعلهم؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: وكيف نسمع - رحمك الله - من حجب الله سبحانه عن الخلق الإحاطة به؛ لو سمع ضربهم لنظر إليهم، وما ضربهم بأكبر من صورهم؛ ولكن الله سبحانه حجب أعين الخلق عن درك الملائكة، فلا ينظر إليهم أبدا إلا من حضرته الوفاة، أو في يوم القيامة، فينظرون ويعاينون.

وقلت: قد رأيت الفاسق يكون أسرع خروج نفس من المؤمن؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد يناله في سرعة خروج نفسه من التعب والألم، وعنف الملائكة عليهم السلام به - ما لا يعدله من النكاية، وقد يكون التعب والعنف في سرعة قبض روحه أشد في أليم العقوبة، وقد يكون المؤمن في إبطاء خروج روحه على أحد معنيين، كلاهما -فيه راحة: إما أن يكون في بطو موته يجد إفاقة ساعة بعد ساعة، وتسل نفسه هونا، فيكون أسهل عليه من العنف بها، وأيسر في خروجها، وإما أن يكون محنة من الله عز وجل؛ ليثيبه على ذلك ويكافئه عليه، وقد يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ((أشد الناس محنا الأفضل فالأفضل))؛ نسأل الله حسن الاستعداد ليوم المعاد، وقد تخرج نفس المؤمن بسهولة وسرعة، فيكون ذلك من الله عليه نعمة، وبه لطف ورحمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: الفرادى فهو: المنفرد الوحيد؛ ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم﴾، يقول: تركتم أموالكم وخدمكم، وأولادكم ونعمكم التي آثرتموها وراء ظهوركم، وجئتم فرادى من ذلك، مؤخرين منه منفردين.

وأما ما ذكرت أنه قيل به: من إتيان الخلق عند حشرهم عراة؟

فليس ذلك بشيء، وليس يخرج أحد من قبره عاريا؛ بل كلهم يخرج في كفنه، ويصل به إلى موقفه؛ وبذلك جاء الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم،...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[الأنعام: من آية (٩٨)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: المستقر من الآدميين فهو: ما قر في الأرحام؛ ألا تسمع كيف يقول عز وجل: ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾[المؤمنون:١٣]، والمستودع فهو: ما كان في الأصلاب؛ فسبحان ذي القدرة والسلطان، والرأفة والامتنان إلى جميع من خلق من عباده، المحسن إليهم، المنعم بفضله عليهم؛ فتبارك الله أحسن الخالقين، ذي العزة والقدرة المتين، وتعالى سلطانه، وجل عن كل شأن شأنه.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠)﴾[الأنعام:١٠٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

معنى ﴿خرقوا﴾ فهو: افتروا واخترقوا باطلا وبهتانا، وعماية وجهلا وطغيانا.

وتأويل " سبحان " ومعناها، فليعرف ذلك من قرأها أنها هو: بعد الله وتعاليه، عما قالوا به من اتخاذ الولد فيه، وقول القائل " سبحان " إنما معناه: بعدان، كما يقال: " بينك وبين ما تريد سبح يا هذا بعيد "، فالسبح هو: البعيد الممتنع، والأمر المتعالي المرتفع.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾ [الأنعام: من آية (١٠٢)]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله عز وجل: ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾، فقلت: إن قال لنا قائل: كيف يجوز أن يكون الله عز وجل وكيلا، ويقول العبد: الله وكيلي، وكيف الجواب في هذا المعنى؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: قد بلغني أن القرامطة الكفار - عليهم لعنة الله - يحتجون بهذه الآية على جهال الناس، ويغالطون الغباة وأهل الغفلة، ويقولون: كيف يجوز أن يكون الله وكيلا، وإنما له الوكلاء؟! يريدون بذلك الإلحاد، وأن كون وقدر خالقان؛ وذلك من جهل من يلقون من الناس: بالدين، وبلغة العرب التي خاطب الله بها عز وجل رسوله صلى الله عليه وآله، وخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله القوم أهل اللسان العربي، الذي بعث - صلوات الله عليه وآله - إليهم به.

فالجواب لهم - عليهم لعنة الله - أن يقال لهم: إن اللغة العربية واسعة، جهلتها القرامطة وغيرهم، ولذلك موهوا على الخلق الذين لا يعقلون، ومن ذلك: أن العرب تسمي أسماء كثيرة بأضدادها من الكلام، من ذلك أنك تقول: " فلان مولاي الذي اعتقته، وفلان مولاي الذي اعتقني "، فجاز الاسم لهما جميعا، وهما ضدان، وتسمي العرب المكري الذي يكري الإبل: كريا، وتسمي المكتري الذي اكترى من الجمال أيضا: كريا؛ قال الشاعر:

كرية لا تطعم الكريا ... ومثلها لا يصحب المطيا

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((البيعان بالخيار ما لم يفترقا))، يعني: البائع والمشتري، فسماهما بيعان، وإنما أحدهما بيع، والآخر مشتري. والوكيل يجوز في لغة العرب: المالك للشيء كله يسمى: وكيل شيئه، أي: مالكه، والوكيل لغيره يسمى: وكيلا، وكل ذلك جائز في اللغة، معروف غير منكر -والحمد لله -، لا ما ذهبوه إليه من الكفر، وإن كون وقدر يخلقان من دون الله عز وجل، وتقدس عما قالوا علوا كبيرا.

قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)﴾[الأنعام: ١٠٣]

قال الإمام المؤيد بالله عليه السلام في كتاب التبصرة:

فإن قيل: فهل تقولون إن الله تعالى يرى بالأبصار؟

قيل له: لا نقول ذلك؛ بل نحيله؛ والدلالة على ذلك قول الله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾، والإدراك بالأبصار هو: الرؤية بالبصر عند أهل اللغة؛ فكأنه قال تبارك وتعالى: لا تراه؛ فثبت لذلك صحة ما ذهبنا إليه، من نفي الرؤية عن الله عز وجل.

فإن قيل: ما أنكرتم أن يكون تعالى يرى في الآخرة؛ لأنه ليس فيها نفي الرؤية في الآخرة؟

قيل له: لا يجوز ذلك؛ لأنه تعالى مدح نفسه بنفي الرؤية عنها، فيجب أن يكون إثباتها نقصا، والنقص لا يجوز على الله تعالى في الآخرة، ولا في الدنيا.

فإن قيل: فما الفصل بينكم وبين من قال: إن الله تعالى يجوز أن يرى، واحتج بقوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة (٢٣)﴾[القيامة]، كما

استدللتم على نفي الرؤية بقوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾؟

قيل له: إن النظر بالعين ليست حقيقة الرؤية؛ بل حقيقة الرؤية: تقليب الحدقة في جهة المرئي طلبا لرؤيته، وإذا كان هذا هكذا، فظاهر الآية لا تدل على إثبات الرؤية، وتأويلها ما روي عن المفسرين، وهو: أنه إنما أراد به انتظار الثواب، عند أهل اللغة يجوز أن تقول: " ناظرة إلى الله "، بمعنى: ناظرة إلى ثوابه، على ضرب من التوسع، وأراد: انتظاره الثواب، والنظر إليه؛ لأن النظر بمعنى: الانتظار مشهور عند أهل اللغة. ويجوز أن يقال: " ناظر إلى الله "، بمعنى: ناظر إلى ثوابه، على ضرب من التوسع، كما قال الله تعالى حاكيا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾[الصافات:٩٩]، أي: إلى حيث أمر ربي.

فأما الأخبار المروية في إثبات الرؤية، فإن أكثرها ضعاف، وقد بين ذلك العلماء في الكتب المؤلفة في هذا الباب، فإن صح منها شيء فالمراد بالرؤية هو العلم، وذلك غير مستنكر في اللغة؛ ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾[الفرقان:٤٥]، يريد: ألم تعلم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾[الفيل:١]، وقوله تعالى: ﴿أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ [الأنبياء:٣٠]، فبان بهذه الآيات صحة ما ادعيناه من أن الرؤية قد تكون بمعنى العلم.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: من آية (١٠٥)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: معناها: حفظت وأتقنت، فكانوا إذا سمعوا ورأوا ما يجيء به رسول الله صلى الله عليه وآله من آيات الله عز وجل، ويصرفه من أحكامه، ويبينه من حلاله وحرامه - قالوا: درست، يريدون: أنه محكم لما هو فيه، دارس له، يوهمون أنه صلى الله عليه وآله وسلم: يتعلم ذلك، ويدرسه من أخبار الأولين.

وقلت: ما الصواب في قراءة هذا الحرف؟

والصواب فيه: درست.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (١٠٧)﴾ [الأنعام: من آية (١٠٧)/الزمر: ٤١/ الشورى: ٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته: عن قول الله سبحانه: ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾، فقلت: أوليس قد كان صلى الله عليه وآله وكيلا عليهم، ومأمورا بهم، ومجاهدا لمن عند منهم؟

فقال: معنى: ﴿وما أنت عليهم﴾ أي: ما أنت على إخلاص ضمائرهم بوكيل؛ إذ أنت غير عالم بذلك ولا محيط به، وإنما أنت وكيل على ظاهرهم معامل لهم عليه، فأما الضمير فالله الحافظ له عليهم، والعالم به منهم، وإنما كلفناك ما تقدر على القيام به، ولم يكلفك ما لا تستطيع مما لا تقدر عليه من علم ضمائرهم، لو فعلنا ذلك بك لكلفناك إذا شرا، أو لافترضنا عليك عسرا؛ ألا تسمع كيف بين في أول الآية وفي وسطها ما قلنا من أنه سبحانه الحافظ لسرائرهم، المعامل لهم عليها دون نبيه، وذلك قوله: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ في السرائر، وأعطوك يا محمد غير ذلك في الظاهر، الله يحفظ ذلك عليهم، ويعلمه منهم؛ إذ

لا تعلمه أنت من فعلهم، حتى يجازيهم عليه في يوم حشرهم، ويبدي عليهم فضائح ما كان من ضمائرهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام في جوابه على ابن الحنفية ما لفظه:

فأما قوله تبارك وتعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾، فإن هذه الآية نزلت في أبي جهل بن هشام المخزومي لعنه الله، وذلك أنه لقي أبا طالب عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا أبا طالب، إن ابن أخيك يشتم آلهتنا، ويقع في أدياننا، واللات والعزى لئن لم يكف عن شتمه آلهتنا لنشتمن إلهه. فأنزل الله في ذلك ما ذكر في أول هذه الآية؛ تأديبا للمؤمنين؛ فأمرهم بالكف عن شتم أصنام المشركين؛ لكيلا يجترئوا بغير علم على شتم رب العالمين.

وأما ما احتج به الحسن بن محمد في الآيات المنزلات: آية النمل، وآية الأنعام، وآية حم السجدة، وما ذكر فيهن ذو الجلال والإكرام، من قوله: ﴿زينا﴾، و﴿قيضنا﴾، فإن ذلك من الله هو: الإمهال، وترك المغافصة لهم بقطع الآجال، وما كان في ذلك منه لأهل الجهل من التبري منهم، والخذل منه سبحانه لمن عشا عن ذكر ربه منهم، فلما أن أمهلوا، وعلى ما هم عليه من الشرك والكفر تركوا، وبالعقوبات لم يعاجلوا، وأملي لهم ليرجعوا، فتمادوا ولم ينيبوا، ورأوا من إمهال الله وتأخيره لهم، وصرف ما عاجل به غيرهم، من القرون الماضية، والأمم الخالية، من ثمود وعاد، وفرعون ذي الأوتاد، وقوم نوح، وقوم لوط، وأصحاب الرس والأيكة، وقوم تبع والمؤتفكة، وغير ذلك من القرون المهلكة؛

فزادهم تأخير ذلك عنهم اجتراء وتكذيبا، ومجانة وافتراء وتزيينا، بصرف ذلك عنهم، [مع] ما هم عليه من أعمالهم، وفاحش قولهم وأفعالهم؛ فكان إملاء الله لهم وتركهم ليرجعوا، أو لتثبت الحجة عليهم، وتنقطع المعذرة إليهم - هو الذين أطمعهم، وزين عملهم لهم؛ فجاز أن يقول: ﴿زينا لهم﴾؛ إذ قد تفضلنا وأمهلنا، وأحسنا في التأني بكم ورحمنا؛ وكذلك تقول العرب لعبيدها، يقول الرجل لمملوكه، إذا تركه من العقوبة على ذنب من بعد ذنب، وتأنى به وعفى عنه وصفح؛ ليرجع ويصلح؛ فتمادى في العصيان، ولم يشكر من سيده الإحسان؛ فيقول له سيده: أنا زينت لك، وأطمعتك فيما أنت فيه، إذ تركتك وتأنيت بك، ولم أؤاخذك ولم أعاجلك.

فهذا على مجاز الكلام، المعروف عند أهل الفصاحة والتمام.

وأما الآية التي في حم السجدة[1]- فكذلك الله أوجد القرناء وخلقهم، ولم يجمع بينهم وبين من أطاعهم، ولم يأمرهم بطاعتهم ولا اتباعهم؛ بل حضهم على مخالفتهم، وأخبر بعداوتهم، ونهاهم عن اتباع الهوى، فقال: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم﴾ [القلم: ١٠]، وقال فيمن يأمر ويوسوس بالسوء من الشياطين: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾ [فاطر: ٦]، فبين كل ما افترض وأمر به، فلم يترك لذي علة قبله متعلقا، فكان تقييضه لهم ما ذكر من القرناء – هو: تخليته لهم، وتبريه منهم، وترك الدفع لنوازل الأسواء عنهم، وذلك فيما تقدم منهم من الكفر بربهم، والشرك بخالقهم.

وقال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام:

---

(١) - وهي قوله تعالى: ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾.

قالت المجبرة القدرية : إن الله - جل ذكره - خلق الكفر كفرا، والإيمان إيمانا، والقبيح قبيحا، والحسن حسنا، وخلق جميع الأشياء على ما هي عليه من جورها وعدلها، وحقها وباطلها، وصدقها وكذبها، وأنه لا يقدر على فعل ذلك سواه، واحتجوا لهذا من مذهبهم بقول الله - سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا-: ﴿كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم﴾، وبقوله : ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون﴾، فيتأولون هاتين الآيتين بجهلهم وضلالهم: أن الله - جل ذكره - زين وحسن الكفر للكافرين، والفسق للفاسقين؛ وذلك هو الضلال البعيد؛ لأن الثابت في عقل كل عاقل منصف: أنه زين وحسن ما أمر به ومدحه، ووعد على فعله كريم الثواب، وحسن المآب، والنعيم المقيم، ولم يزين ولم يحسن ما ذمه وذم فاعليه، وزجر عنه وأوعد على فعله التخليد في النار، والعذاب الدائم الأليم، وهم فيسمعون الله - جل ذكره - يقول: ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾، ويقول: ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس﴾، ويعتقدون أن الشركاء والشيطان تزين لهم الباطل الذي هو فعلهم، ولم يزينوا شيئا من الحق، ولا دلوا على شيء من الخير، وكان يجب عليهم: أن يخصوا الله سبحانه بأنه ربما زين الخير والحق الذي أمر به، ودل عليه، ورغب فيه، وشكر فاعليه، ولم يزين ما ذمه، وزجر عنه، وأوعد عليه العذاب الدائم الأليم، حتى يكونوا قد عدلوا في الحكم، وسلموا من الجور والإثم، وقالوا بما يعقله كل ذي عقل، وفي هذا القدر كفاية لمن تدبره، وعقل عن الله إن شاء الله.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩)﴾ [الأنعام: ١٠٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا إخبار من الله عز وجل عن أهل الكفر والنفاق، والصد عن الحق والشقاق، من أهل الكتاب وغيرهم، وكانوا يحلفون بالله لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها، ويصدقون لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم عند إتيانها، فقال الله سبحانه: ﴿إنما الآيات عند الله﴾، ومعنى ﴿عند الله﴾ إنما: إرادتها من الله سبحانه، ثم قال: ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾، فأخبر سبحانه بما علم من سرهم، وأحاط به من غامض كفرهم، وأنهم إذا رأوا الآيات لم يؤمنوا بها، ولا عند المعاينة يصدقونها، ولا يرجعون بها، ولقد جاءهم من الآيات والمعجزات مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما ثبتت له به النبوة والتصديق، وزاح به الشك عنه، وسوء الظن فيه، فلم ينتفعوا بذلك، ولم يؤمنوا به؛ بل ثبتوا على كفرهم، وأصروا على معصيتهم؛ فأصبحوا بذلك من الخاسرين، وعند الله سبحانه من الهالكين، ولديه من المعذبين، وإنما كان هذا منهم عبثا وتمردا، وعنادا وتعنتا، لغير قصد لهدى، ولا طلب لتقوى، ولقد جاءهم من ربهم الهدى، ونالهم فيه أكبر الشقاء.

قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠)﴾ [الأنعام: ١١٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

تقليب أفئدتهم وأبصارهم: تضليله إياهم فيما يعملون، وتركه تبارك وتعالى

فيما هم فيه من ضلالهم يعمهون، والتضليل من الله لهم فإنما هو بعملهم؛ وسواء في المعنى أضلهم، وضللهم، كما سواء: أكفرهم، وكفرهم؛ ألا ترى: أن من أضللت فقد ضللته، ومن أكفرت فقد كفرته.

وقال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام بعد ذكره الآية:

تأويل ذلك: أنهم لما عصوا بارئهم ومولاهم، فيما هداهم له ودلهم عليه - تركهم من يديه، وللعرب إذا دعا بعضهم على بعض قال: " تركك الله من يديه "، معنى ذلك : من نعمته في الدنيا والآخرة، فإذا تركهم من لطائفه وتوفيقه، وخلاهم في ضلالهم يعمهون، كالأعمى الذي يقلب طرفه، فلا يبصر ولا يدري كيف يتوجه، فيصير قلبه مضطربا متقلبا، وطرفه كذلك، ويكون كالحيران، فجاز أن يقال: إن ذلك عقوبة من الله له، وينسب الى أنه الفاعل ذلك بهم؛ كما قال: جل ذكره: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثما﴾.

وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾ في النار ﴿كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم﴾ في الدنيا ﴿في طغيانهم يعمهون﴾.

وكلا التأويلين حسن جميل، والحمد لله وحده.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

إن معنى قوله سبحانه: ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ هو: تركه لهم من توفيقه وتسديده، وعونه ولطفه وتأييده؛ لما خرجوا من طاعته، وارتكبوا بطغيانهم من معصيته، فولى بعضهم بعضا، ولم يقم لهم سبحانه أمرا، كما قال سبحانه: ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون﴾ [الأنعام: ١٢٩]، فلم يبرأ منهم سبحانه، ويكلهم إلى أنفسهم جل وعظم شأنه: إلا من بعد أن تولوا، وكفروا وتعدوا، فاستوجبوا منه الخذلان، بما تمادوا فيه من الطغيان، كما يستوجب الرشد والتوفيق بالطاعة منه المؤمنون، واستأهل بالاهتداء منه والزيادة في الهدى المهتدون، كما قال أحكم الحاكمين، وأصدق

القائلين: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ [محمد: ١٧]، فأخبر سبحانه أنه ولي للمتقين، مجانب خاذل للفاسقين، وكذلك قال سبحانه رب العالمين: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ [محمد: ١١]، يريد سبحانه: أنه ولي الذين آمنوا، والمتولي في كل الأسباب لهم، وأنه الخاذل للكافرين، والتارك لتأييدهم، الرافض لتوفيقهم وتسديدهم؛ ألا ترى كيف يقول ويخبر بتأييده، وصنعه وتسديده، ولطفه للمؤمنين، وتخليته بين المؤمنين والكافرين ومن أطغاهم من الطاغوت، والطواغيت فهم: الذين أجابوهم إلى دعائهم، واتبعوهم في أهوائهم، من مستجني الشياطين، وأبالسة الإنس الملاعين، الذين أطغوهم واستهووهم في الردى والطغيان، ومنوهم مع الإقامة على ذلك من الله الغفران؛ قال الله سبحانه: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ [البقرة: ٢٥٧].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)﴾[الأنعام:١١١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله سبحانه: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ إنما هو: خبر عن قدرته عليهم، وقوة سلطانه تبارك وتعالى فيهم، ولو أنه شاء لمنعهم من المعصية، فكانوا به مؤمنين؛ إذ كان الايمان عندنا إنما هو أمان من عصيان العاصين؛ ومن منعه الله من المعصية جبرا فمأمون عصيانه، وإذن كان الاحسان في ذلك المنع إحسان الله لا إحسانه، وكان فيما منع منه من المعصية غير مطيع لله، ولا مستوجب لثواب من الله؛ إذ منع من المعصية بجبر، وحمل على الايمان منه بقسر.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا تعريف من الله عز وجل لنبيه عليه وآله السلام بكفر المشركين، وأهل الصدود من المعاندين؛ أخبر عز وجل بما اطلع عليه من قولهم، وعلمه من سرائرهم: أنهم لا يؤمنون أبدا، ولو نزلت عليهم الملائكة حتى يعاينوها، وكلمهم الموتى، وحشرنا عليهم كل شيء قبلا مجموعا، مشاهدا معاينا، حتى يعاينوه ويروه - ما كانوا ليؤمنوا، ولا يرجعوا إلى الله سبحانه ولا يهتدوا؛ للذي قد علم من تصميمهم على الكفر، وبعدهم من الإيمان.

ثم قال: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ إيمانهم قسرا، ويدخلهم في الإيمان جبرا، فأما طوعا من أنفسهم واختيارا فلا يكون أبدا؛ والله تبارك وتعالى فلا يدخل أحدا في طاعته جبرا، وإنما يأمره سبحانه به أمرا، ولا يحمله على معصيته قسرا، ولا يحتم بها عليه حتما، ولو كان ذلك كذلك ما حمد مطيعا، ولا ذم عاصيا، كما لم يحمدهم في ما جبرهم عليه، من صورهم وألوانهم؛ بل أمرهم تخييرا، ونهاهم تحذيرا، وكلفهم يسيرا، وأعطاهم على القليل كثيرا.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢)﴾ [الأنعام: ١١٢]

قال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام:

وهذه الآية مما دخل على المجبرة المشبهة فيها؛ لقلة علمهم؛ وتأويل هذا

الجعل: الحكم من الله أيضا؛ وذلك أنه سبحانه لما حكم على أنبيائه بأن يعادوا من عصاه، ويبرأوا منهم، ففعلوا ذلك، فعادوا العصاة لله، في الآباء والأبناء والأقربين، فلما عادوهم عاداهم أيضا العصاة، وكان هؤلاء أعداء لهؤلاء، وهؤلاء أعداء لهؤلاء، فحكم الله عليهم بذلك، فقال جل ذكره: شياطين الإنس والجن أعداء لكل الأنبياء، حين حكم على الأنبياء عليهم السلام بعداوتهم للأنبياء والبراءة منهم، وكان في عداوة الأنبياء عليهم السلام لهم إيجاب عداوتهم للأنبياء؛ وهذا بين، والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤)﴾ [الأنعام: من آية (١١٤)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿فلا تكونن من الممترين (١١٤)﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: لم يكن محمد صلى الله عليه وآله من الممترين، ولم يخبر الله سبحانه أنه من الممترين، وإنما قال: لا تكن منهم، كما قال: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾[الزمر:٦٥]، وهو يعلم أنه لا يشرك صلى الله عليه وآله، وهذا في اللغة جائز؛ ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه﴾[الأنبياء:٨٧]، وهو فلم يظن ذلك؛ بل أيقن أن الله عز وجل يقدر عليه، وقال عز وجل: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾[الكهف:٥٣]، ولم يظنوا؛ ولكن أيقنوا، ويقول القائل:" عسى أن نأكل "، وإنما يريد: نأكل، فأدخل " عسى " فصارت شكا، وليست بشك، وإنما أراد يقينا، وهذا في اللغة كثير موجود.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨)﴾ [الأنعام: ١١٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا أمر من الله عز وجل للمؤمنين: أن يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، ثم نهاهم عز وجل: ألا يأكلوا مما لم يذكر اسم عليه، فقال: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق﴾[الأنعام: ١٢١]، فنهاهم الله سبحانه عن أكل ذبائح الملحدين، والجاحدين المشبهين، والكفرة المتمردين؛ لأن هؤلاء كلهم غير عارف بالله عز وجل، ولا مقر به، وإنما يعرفه من آمن به، وصدق رسله ووحده؛ وذبائحهم فميتة غير ذكية، لا يحل أكلها، ولا يسع مسلما الانتفاع بها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)﴾ [الأنعام: ١٢١]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: قال الله سبحانه: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾، قال: هذه الآية نزلت في مشركي قريش؛ وذلك أنهم كانوا يقولون للمؤمنين: " تزعمون أنكم تتبعون أمر الله، وأنتم

تتركون ما ذبح الله، فلا تأكلونه، وما ذبحتم أنتم أكلتموه، والميتة فإنما هي ذبيحة الله "؛ فأنزل الله سبحانه: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾؛ فحرم بذلك الميتة، وما ذبحت الجاهلية لغير الله. ثم قال: ﴿وإنه لفسق﴾ يريد: أن كل ما لم يذكر اسم الله عليه لمعصية... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته: عن معنى: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾ ؟

ومعنى إيحاء الشياطين هو: إلقاء الشياطين للمجادلة للمؤمنين، والشياطين كما قال الله سبحانه: فقد تكون من الجن والإنس، وما يلقون إلى أوليائهم من المجادلة -من زخرف القول واللبس، كما قال الله سبحانه: ﴿شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾[الأنعام:١١٢]، يريد سبحانه بقوله: ﴿فذرهم وما يفترون﴾: من الخزي بزخرف القول وغروره وما يقولون؛ فسيعلمون من بعد ما هم فيه من دنياهم -إلى أي منقلب ينقلبون.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣)﴾[الأنعام:١٢٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

فقولنا في ذلك: أن جعل الله لهم هو: خلقه لهم، وتصويرهم في كل قرية كما صور غيرهم. وأما قوله: ﴿ليمكروا﴾ فإنما أراد الله سبحانه: لأن لا يمكروا؛ فطرح " لا " وهو يريدها؛ استخفافا لها، والقرآن فبلسان العرب نزل؛ وهذا تفعله العرب، تطرح " لا " وهي تريدها، وتأتي بها وهي لا تريدها، فيخرج اللفظ بخلاف المعنى: يخرج اللفظ لفظ نفي، وهو إيجاب، ويخرج لفظ إيجاب،

وهو معنى نفي؛ قال الله عز وجل: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [الحديد: ٢٩]، فقال: ﴿لئلا﴾، فخرج لفظها لفظ نفي، ومعناها معنى إيجاب، فأتى بـ" لا " وهو لا يريدها، وإنما معناها: ليعلم أهل الكتاب، وقال: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين﴾ [آل عمران: ١٧٨]، فخرج اللفظ لفظ إيجاب، ومعناها نفي، يريد سبحانه: لئلا يزدادوا إثما، وقال الشاعر:

ما زال ذو الخيرات لا يقول ... ويصدق القول ولا يحول

فقال:" لا يقول "، وإنما يريد: يقول، فأدخلها وهو لا يريدها، ووصل بها كلامه؛ ليتم له بيته؛ استخفافا لها، وقال آخر:

بيوم جدود لا فضحتم أباكم ... وسالمتمو والخيل تدمى شكيمها [١]

فقال:" لا فضحتم أباكم "، وإنما يريد: فضحتم ، فأدخلها وهو لا يريدها، وقال آخر:

---

(١) – قال في العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (٦/ ٥٧): يوم جدود: غزا الحوفزان، وهو الحارث بن شريك، فأغار على من بالقاعة من بني سعد ابن زيد مناة، فأخذ نعما كثيرا، وسبى فيهنّ الزرقاء من بني ربيع بن الحارث، فأعجب بها وأعجبت به، وكانت خرقاء، فلم يتمالك أن وقع بها، فلما انتهى إلى جدود، منعتهم بنو يربوع بن حنظلة أن يردوا الماء، ورئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب، فقاتلوهم، فلم يكن لبني بكر بهم يَدٌ، فصالحوهم على أن يعطوا بني يربوع بعض غنائهم، على أن يخلّوهم [أن] يردوا الماء، فقبلوا ذلك وأجازوهم، فبلغ ذلك بني سعد، فقال قيس بن عاصم في ذلك:
جزى الله يربوعا بأسوأ سعيها ... إذا ذكرت في النائبات أمورها
وَيَوْمَ جَدُودٍ قَدْ فَضحتم أباكم ... وسالمتم والخيل تدمى نحورها.
... إلخ. وانظر شرح أدب الكاتب للجواليقي (١/ ١٢٥)، والأغاني (١٤/ ٨٠).
قال في تاج العروس: (و) جَدُود: (علم) بعَيْنه من أَرض تَميم، قَريب من حَزْن بني يَربوع بن حَنظَلَة، على سَمْتِ اليَمامة، فِيهِ ماءٌ يُسمَّى الكُلاَب، وكانتْ فِيهِ وَقْعَةٌ مرّتين يُقَال للكُلاَب الأَوّلِ: يومُ جَدُود، وَهي لتَغلِبَ على بَكْرِ بن وائِل، قَالَ الشاعِر:
أَرَى إِبِلي عَافَتْ جَدُودَ فَلَم تَذُقْ ... بهَا قَطْرَةً إِلاَّ تَحِلَّةَ مُقْسِم

نزلتم منزل الأضياف منا ... فعجلنا القرى أن تشتمونا [١]

فقال:" أن تشتمونا "، فخرج لفظها لفظ إيجاب في قوله:" أن تشتمونا "، ومعناها نفي، أراد: لأن لا تشتمونا.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: من آية (١٢٤)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا إخبار من الله عز وجل عن الظالمين، الخونة الكافرين: أنهم إذا جاءتهم آية من آيات الله سبحانه مع محمد صلى الله عليه وآله، تبهر العقول، وتصحح النبوة -قالوا: لن نؤمن حتى نؤتى مثلها، كما أوتيتها؛ فإذا أوتينا ذلك آمنا وصدقنا: أنه من الله عز وجل؛ فقال الله عز وجل: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾، أراد: إنكم لستم في موضع الرسالة، ولا منزلة الطهارة، ولا بأهل ثقة ولا أمانة؛ فاختار سبحانه لرسالته، وما أنزل من حجته محمدا صلى الله عليه وآله؛ لأمانته وفضله، ومعرفته بالله عز وجل وقدره عنده، وقد يروى أن الذي قال هذه المقالة الوليد بن المغيرة المخزومي، وأبو مسعود الثقفي.

---

(١) – من معلقة عمرو ابن كلثوم. شرح المعلقات السبع للزوزني (١/ ٢٢٢).

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥)﴾[الأنعام: ١٢٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن تأويل: ﴿من يرد الله أن يهديه يشرح صدره﴾؟

فتأويلها - رحمك الله -: من يرد الله أن يرشده فيزيده هدى على هدى؛ لأنه لا يعطي الهداية إلا من اهتدى، كما قال تبارك وتعالى في زيادته لهم هدى إلى هداهم: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ [محمد:١٧]، والتقوى فمن الهدى، و" آتا " فمعناها: وأعطى؛ فهو: آتاهم التقوى؛ بتبصرته وتقويته لهم على ما عملوا منها، وبمنعه لهم تبارك وتعالى من الضلالة، ونهيه لهم عنها، وليس بين الضلال والهدى منزلة، هادية لأهلها ولا مضلة، ﴿فمن يرد الله أن يهديه﴾ بعد الهدى، ﴿يشرح﴾ يريد: يفتح صدره للتقوى، ﴿ومن يرد أن يضله﴾: الضلالة والعمى، ﴿يجعل صدره﴾ بما اتبع من الضلالة والهوى ﴿ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء﴾، كذلك يفعل الله بأهل الضلالة والاعتداء.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وأما ما سأل عنه من قول الله سبحانه: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فجوابنا في ذلك: أن الشرح من الله هو: التوفيق والتسديد، والتبصير والتنبيه، وأن معنى قوله جل جلاله: ﴿يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء﴾ هو: بما

يدارك عليه من الأمر والدعاء، وما أمر به عبده ورسوله، ونزل عليه، فكلما زاد الله في إقامة الحجة عليهم، والدعاء لهم، وإظهار الحق لديهم -ازدادوا طغيانا وإثما، وتماديا وعمى؛ فخذلهم الله لذلك وأرداهم، وأذلهم وأشقاهم، فعادت صدورهم؛ لما فيها من الشك والبلاء، وما يخافون من ظهور الحق عليهم والهدى -ضيقة حرجة، كأنما تصعد في السماء. وإنما مثل الله ضيقها بالتصعيد في السماء؛ لأن التصعيد أشد الشدة، وأعظم البلاء؛ ولذلك ما قال الله جل ثناؤه في الوليد بن المغيرة المخزومي: ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا (١١) وجعلت له مالا ممدودا (١٢) وبنين شهودا (١٣) ومهدت له تمهيدا (١٤) ثم يطمع أن أزيد (١٥) كلا إنه كان لآياتنا عنيدا(١٦) سأرهقه صعودا (١٧)﴾ [المدثر]، فلما أنعم الله عليه بما ذكر، فأبى وأعرض واستكبر، وخالف وكفر -وعده الله إرهاق الصعود؛ وهو: الأمر الصعب الشديد، من العذاب في دار الآخرة، بالنار وأغلال الحديد؛ فلما كان الصعد الذي لا تعرض فيه، ولا سهولة في حيله، وأنه مصعد فيه أبدا، وكان أشد ما يلقى من سلك سبيلا ماشيا أو راكبا -مثل الله به لهم: ما أعد من العذاب والبلاء.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء﴾؟

فمعنى قوله: ﴿يشرح صدره﴾ فهو: يوفق ويسدد، وينور الحق له وفيه، حتى يتضاعف فيه الهدى، ويدخله معرفة التقوى، ولا يكون ذلك إلا لمن قبل من الله سبحانه الهدى المبتدأ، فزاده عند قبوله له هدى، كما قال: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾؛ فهذا معنى الشرح من الله لصدور من آمن به واتقاه.

وأما جعله لصدر الفاسق ضيقا حرجا فهو: بالخذلان منه له، وترك التوفيق والتسديد، وبما يزيد أوليائه في كل يوم برهانا، من الحجة النيرة والبيان، وبما يقيم لهم به حقهم، ويثبت لهم به دعوتهم؛ فكلما زاد الله أوليائه نورا، وظهور حجة – ازدادت صدور أعدائه حرجا بذلك وضيقا؛ فهذا معنى جعله لصدر عدوه ضيقا حرجا.

وقال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام:

كثيرا ما تساءل المجبرة عن قول الله جل ذكره: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء﴾، إلى قوله: ﴿على الذين لا يؤمنون﴾: فقد فسرنا معنى ﴿من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾، وكيف هذه الآية، وشرحه لصدره في باب الهداية، مما فيه كفاية إن شاء الله.

وأما قوله: ﴿ومن يرد الله أن يضله﴾، وذلك فكقوله: ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾، وقوله: ﴿وكذلك يضل الله الكافرين﴾، وقوله: ﴿ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾، وذلك: فحكمه عليهم بأنهم قد ضلوا لما عصوه، ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾، فمن لم يؤمن فهم: الذين يريد الله أن يضلهم، ويجعل الرجس عليهم.

وأما قوله سبحانه: ﴿يجعل صدره ضيقا حرجا﴾ فإن الجعل من الله في كتابه على وجهين، ومعنيين: فجعل معناه: الخلق، وذلك مثل قوله: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾، ومثل قوله: ﴿قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون﴾؛ فهذا الجعل معناه معنى الخلق. وجعل آخر، معناه: الحكم من الله، لا معنى الخلق منه، وذلك فمثل قوله: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾، ومثل قوله:

﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين * مالكم كيف تحكمون﴾ فإنه قال سبحانه: أفنحكم لهؤلاء كما تحكمون أنتم؛ فساء ما تحكمون؛ فهؤلاء الذين أراد: أن يحكم عليهم بالضلال؛ لفسقهم وكفرهم، وظلمهم -تركهم وخذلهم، فضاقت صدورهم بخذلان الله إياهم، فحكم عليهم بضيق الصدور، وحرجها، ومخالفتها صدور من شرح صدره للإسلام، ممن قبل أمره وطاعته؛ فهذا الجعل من الله جعل حكم، لا جعل خلق وفطرة، وكذلك يقول الناس:" قد جعلت فلانا وكيلي، وجعلته وصيي "، والله خلقه، وهذا حكم له بالوصية والوكالة، وهذا - والحمد لله – واضح...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في كتاب حقائق المعرفة:

وأما قول الله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا﴾[الأنعام:١٢٥]، فالمراد به: ما ذكرنا من الجزاء، والزيادة في الدنيا للمؤمنين، من سعة الصدور واليقين، والرحمة للمؤمنين.

ومن كفر أو فسق، وعند عن الحق -جزاه الله على فعاله، وجعله ضيق الصدر. وليس جعل حتم وجبر؛ لكنه جعل حكم وإرسال، وزيادة في الأعمار والأموال، والأولاد وسلامة الأحوال.

والمراد بالآية: أن الله وسع صدر المؤمن [العالم] بالعلم، وترك الآخر على أصله؛ لأن أصله الجهل؛ وقد قيل: العلم سعة، والجهل ضيق.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام:

قوله: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾[الأنعام:١٢٥]، معنى ﴿يهديه﴾ هاهنا: يوفقه ويسدده، بعد قبوله الهداية الأولى؛ فيكون زيادة التوفيق والتسديد ثوابا؛ وشرح الصدر: توسيعه. ﴿ومن يرد أن يضله﴾ بسلبه التوفيق والتسديد؛ عقوبة له على فعله. ﴿يجعل صدره ضيقا حرجا﴾؛ تأكيدا للضيق،

وإلا فالضيق والحرج معناهما واحد؛ والعقوبة يجوز إنزالها بالمستحقين، ويجوز تقديم شيء منها في الدنيا، كما فعل في المستقيمين، وكذلك الجواب في قوله تعالى: ﴿من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾[الأنعام:٣٩]، معنى ﴿يضلله﴾: يعذبه، ﴿ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾، وهي: طريق الجنة للمؤمنين، مستقيمة لا عوج فيها ولا تعب.

قوله تعالى: ﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠)﴾[الأنعام: ١٣٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾، فقلت: ما معناها؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا قول من الله سبحانه لهم في الآخرة، عند مصيرهم إلى النار، يقول: ﴿ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾، وما صرتم إليه من العذاب؛ فيشهدون على أنفسهم بالكفر والتقصير، حين يقولون: ﴿شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ بما أنزل الله إليهم، مخالفين لما أمروا به من طاعة ربهم.

وقلت: هل كان إلى الجن رسل؟

أفلا تسمع كيف يقول الله سبحانه في كتابه: ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن

يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين﴾[الأحقاف:٢٩]، فكان رجوعهم إلى قومهم، وإنذارهم لهم -إقامة حجة عليهم، ومحمد صلى الله عليه وآله فكان الحجة على الثقلين؛ وقد تقدم تفسير ذلك، وفي هذه الآية لك شفاء وكفاية، والقرآن فيفسر بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض، هدى للناس، ومذهبا للشك والالتباس.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١)﴾[الأنعام: ١٣١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: كذلك الله عز وجل لم يظلم خلقه، ولم يتعد على أحد من بريته، ولم يكن ليهلك القرى بظلم؛ لأنه تبارك وتعالى عدل في حكمه، رؤوف بعباده؛ فأخبر سبحانه: أنه لا يهلكهم وهم غافلون؛ لأن الإهلاك لهم على غفلة من غير دعوة ظلم، والله عز وجل بريء من ذلك، متعال عنه، لا يعذب إلا من بعد الإعذار والإنذار؛ فإذا أرسل الله سبحانه إلى أهل القرى المرسلين، فدعوهم إلى الطاعة، وأمروهم بأمره، ونهوهم عن نهيه، وأقاموا عليهم الحجة، وأوقفوهم على المحجة -زاح عنهم بذلك الجهل والعمى، وتمت عليهم من الله سبحانه النعماء، وعرفوا ما أنكروا، وأوقفوا على ما إليه دعوا، وبه أمروا، وإن أبوا واستعصموا، وصدوا عن الحق وأدبروا - قامت الحجة عليهم، ولم يكونوا حينئذ بغافلين عما دعوا إليه؛ إذ قد أوقفوا عليه، فحق عليهم العذاب عند قيام الحجة، كما قال سبحانه: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾[الإسراء:١٥]، يقول: ما كان عز وجل ليأخذ قوما على ظلم

حتى يبينه، ويدعوهم إلى تركه، ثم يأخذهم عند كراهتهم لأمره، وبعدهم عنه، وثباتهم على ضده، فعند ذلك يستوجبون من الله عز وجل البلاء.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)﴾ [الأنعام:١٤١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: معنى أنشأ فهو: خلق وجعل هذه الجنات التي ذكرهن سبحانه، فالمعروش منها: ما كان مثل العنب يعرش تحته ويرفع، فقال سبحانه: إن مما خلقنا من هذه الجنان: ما هو معروش؛ فدل عليه بعينه، والعنب فلا ينتصب باسقا في السماء، وإنما يذهب على الأرض منبسطا، فلما أن كان كذلك لم يكن له بد من العرش والرفع من الأرض، وإلا فسد حمله وتغير أكله.

وغير معروشات: فهو ما كان من الأشجار، مثل: النخل، والرمان، وما أشبه ذلك مما ينتصب، ولا يعرش تحته؛ كل ذلك خلق الله سبحانه، وإقامة حجة منه على عباده، ونعمة وتفضل على بريته، وإنعام عليهم؛ ليشكروه ويذكروا آلاءه ويحمدوه، وقليل من عباده سبحانه - كما قال - الشكور.

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: حقه فهو: زكاته، وما جعل الله سبحانه فيه لضعفة عباده.

وقلت: هل تجب الزكاة في قليله وكثيره؟

واعلم - أحاطك الله -: أن الزكاة قد جعل الله سبحانه لها حدا، فإذا بلغ شيء مما تخرجه الأرض ذلك الحد -فقد وجبت فيه الزكاة، وإذا نقص عنه فلا زكاة فيه، وتفسير ذلك غير مجهول عندكم، ولا مستتر عنكم؛ بل قد وصل بكم من قبلنا شرحه وتبيينه.

وقلت: ما أكل منه وانتفع به من قبل حصاده: هل تجب فيه الزكاة؟

وكل ما قطع أو أكل وانتفع به، وأكثر الأخذ منه ففيه الزكاة، إذا كانت الزكاة واجبة في أصله، وما كان مما يأكل الداخل للضيعة، والطائف فيها -فقد رخص في ذلك، والحيطة في الدين أصلح؛ واحتجوا في ترخيصهم بقول الله سبحانه: ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده﴾، فجعلوا ذلك لهم حجة، فصاروا يحملونه، ويقطعونه، ويأكلونه من قبل حصاده، حتى يذهبوا منه بأكثر من ربعه وثلثه، ثم يزعمون: ألا زكاة فيه، ويقولون: إنما تجب عليك الزكاة فيه عند حصاده؛ وهذا قول فاسد مدخول.

وقد يخرج في تفسير الآية: ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده﴾: أن يأكلوا من الثمر، ويؤدوا الحق الذي فيه؛ فكان ذلك منه عز وجل رحمة لهم، وإنظارا بما يجب عليهم فيه، ولو حظره عز وجل عليهم حتى يحصدوه -لأضر ذلك بهم، ولأتعبهم؛ ولكن أطلق لهم سبحانه أكله، وأمرهم بتأدية ما يجب في أوله وآخره عند كماله.

وقلت: إن الهادي إلى الحق عليه السلام كان يوجب الزكاة في ما أخذ منه قبل الحصاد؟

فعلى ما ذكرت لك كان يوجب الزكاة؛ لأنهم كانوا يأخذون عامة الثمار، ويتصرفون في ذلك غاية التصرف، وكذلك جدي القاسم عليه السلام أيضا لم يجز لهم أن يسرفوا، والقول مؤتلف... (إلى آخر كلامه عليه السلام)

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ [الأنعام: ١٤٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته: عن قول الله سبحانه: ﴿قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه﴾ ؟

فإنما هو خلاف على اليهود، فيما كانوا يحرمون ما لم يحرم الله من أشياء كانوا يحرمونها، وخلاف على أهل الجاهلية أيضا في تحريم أشياء كانوا يفترون على الله فيها الكذب، فلا يستحلونها، وهي أشياء تكثر عن أن تعد فيما كتبنا لكم من هذا الكتاب، وليس مما يحتاج إليه فيما سألتم عنه من الجواب. وليس يحرم في مأكل ولا مطعم، إلا ما حرم الله في كتابه المحكم، ومن ذلك ما ذكر في هذه الآية وغيرها، من أشياء كثيرة لا يحتاج في جوابكم هذا إلى تفسيرها، منها: أكل أموال اليتامى ظلما، ومنها: أكل ما جعله الله من الربا محرما، ومنها: أكل أموال الناس بالباطل؛ كثيرا مما نهى الله عن أكله لكل آكل، فقال سبحانه: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾ [البقرة:١٨٨]، وقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [آل عمران:١٣٠]، وقال سبحانه: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما (٢٩) ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا (٣٠)﴾ [النساء]،

فحرم الله هذا كله، إذا كان لمسلم ملكا ومالا، مواتا كان أو حيوانا. ولم يحرم سبحانه على طاعم أن يطعمه من حيوان الأنعام، إلا ما ذكر الله في الآية مما خصه بالذكر من الحرام، فأحل سبحانه ذلك كله مستحلا، ولم يحرم شيئا منه تحريما، فأحل ما حرم منه وفيه، لمن اضطر من المؤمنين إليه؛ وفي إجلاله لذلك وإفضاله، وما من به فيه من جلاله -ما يقول سبحانه: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾[البقرة:١٧٣]، وليست المغفرة هاهنا من ذنب، ولا عن حرام مرتكب؛ ولكنها مغفرة تخفيف، ورحمة فيما وضع من التكليف.

وقال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

والمسفوح فهو: السائل، وهو القاطر. وأما قوله: ﴿فإنه رجس﴾ فإنه يقول: إنه رجس محرم. وأما " فسق أهل لغير الله به " فالفسق هو: المعصية والجرأة على الله، بالذبح لغير الله والخطية. وأما قوله: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد﴾ - يريد: غير باغ في فعله، ولا مقدم على المعصية في أكله، ولا مقعد في ذلك لأمر ربه؛ ولكن من اضطر إلى ذلك فجائز له أن يأكل منه، إذا خشي على نفسه التلف من الجوع، فيأكل منه ما يقيم نفسه، ويثبت في بدنه روحه، إلى أن يجد في أمره فسحة. قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: كل ما أحل الله سبحانه في كتابه للمسلمين فبين في كتاب الله رب العالمين، وما حرمه عليهم فقد بينه في كتابه لهم؛ ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: من آية (١٤٦)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هو ما كان له ظفر يعرف به، ويقع عليه اسم الظفر؛ فهو عليهم محرم؛ ولكن أباحوه، وأكلوه وتعدوا فيه.

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)﴾ [الأنعام:١٤٨-١٤٩]

قال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام:

فسبحان الله، ما أبين حجته على القدرية المجبرة، وأوضحها؛ قالوا: لوشاء الله ما عصيناه، فقال سبحانه: لو شئت أن أبلوكم على الهداية لكنت قادرا على ذلك؛ ولكن شئت أن أبلوكم أيكم أحسن عملا، وأختبر طاعتكم، بعد أن أعطيتكم الاستطاعة على ما كلفتكم ونهيتكم عنه؛ فلي الحجة البالغة، ولرسلي ما بلغوكم عني من البلاغ المبين، والحمد لله رب العالمين. فقالت المجبرة، كما قال إخوانهم المشركون: لوشاء الله ما عصيناه؛ ولكنه شاء أن نكفر، وأن نعصيه. و ﴿ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾؛ وكل ما كان في القرآن من مثل قوله سبحانه: ﴿لو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾... الآية، وهو كثير- فإنما ذلك إخبار منه لعباده بقدرته على إجبارهم لو شاء ذلك؛ ولكنه شاء اختبارهم وبلواهم، بعد تمكينهم من أمره ونهيه، فقال: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾، وقال: ﴿ذلك ولوشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض﴾؛ فأعلم أنه لم يشأ أن يجبرهم، وأنه إنما شاء بلواهم واختبارهم... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليهم السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾؟

قال محمد بن يحيى عليهم السلام: هذا أمر من الله عز وجل لعباده في أموال الأيتام: ألا يقربوها إلا بالتي هي أحسن، والذي هو أحسن فهو: الإصلاح فيها، والحفظ والتوفير لها.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤)﴾ [الأنعام: ١٥٤]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليهم السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون﴾؟

فقال: معنى قوله: ﴿آتينا موسى الكتاب تماما﴾، يقول: آتيناه التوراة تماما؛ لإحساننا إليه الأول من إرسالنا له إلى فرعون وملائه، بالآيات والدلائل والعلامات؛ فأخبر سبحانه: أنه قد أتم له كل إحسان كان منه إليه؛ بما أعطاه من الكتاب. ومعنى: ﴿على الذي أحسن﴾ فهو: تماما للذي أحسنا به أولا؛ فقامت " على " مقام " اللام "؛ إذ هي من أخواتها، من حروف الصفات. ومعنى: ﴿تفصيلا﴾ فهو: تبيانا لكل شيء افترضه عليهم، فأخبر: أن الكتاب الذي آتاه موسى صلى الله عليه - وهو التوراة - تبين كل شيء افترضه على أهلها، مما أمرهم به ونهاهم عنه.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٥٨)﴾[الأنعام: ١٥٨]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي #:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾؟

فقال: إتيان الملائكة فهو: حضورها لقبض أرواحهم عند الموت، ومعنى قوله: ﴿أو يأتي ربك﴾ فهو: يأتي حكم ربك عليهم بذلك، ومعنى قوله: ﴿أو يأتي بعض آيات ربك﴾، يقول: يأتيهم بعض آيات الله وغيره، وانتقامه لأهل معصيته؛ والآيات فكثيرة، منها: الجوع، ومنها: العطش، ومنها: ذهاب الأموال، ومنها: نزول بعض نقمه عليهم، من هلكة أو غيرها، ومنها: تسليط بعضهم على بعض، وذلك قوله سبحانه: ﴿وكذلك نولي بعض الظلمين بعضا بما كانوا يكسبون﴾، وما أشبه ذلك من آيات الله ونقمه، وفعاله بمن اجترأ عليه من خلقه.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هو حضور الموت؛ فلا ينفع عبدا إيمانه عند نزول ذلك به.

سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١)﴾ [الأعراف:١١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

سئل الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: كيف كان السجود من الملائكة صلوات الله عليهم؟

فقال: معنى ﴿اسجدوا لآدم﴾؛ إنما أراد بذلك: اسجدوا من أجل آدم؛ تعظيما لخالقه؛ إذ خلقه من أضعف الأشياء وأقلها عنده، وهو الطين. فجاز أن يقال: ﴿اسجدوا لآدم﴾؛ لما أن كان السجود من أجل خلقه.

وقوله: ﴿فسجدوا إلا إبليس﴾، وإنما جاز أن يجعل إبليس معهم في الأمر، وإن لم يكن من جنسهم؛ إذ كان حاضرا لأمر الله لهم، فأمره بالسجود معهم، وإن لم يكن جنسه جنسهم؛ لأن الملائكة صلوات الله عليهم إنما خلقوا من الريح والهواء، وخلقت الجن كلها من مارج النار، ومارج النار فهو: الذي يتقطع منها عند توقدها وتأججها.

قلت: فما الدليل على أن إبليس من الجن؟

قال: قول الله جل ذكره: ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾[الكهف: ٥٠].

قلت: فهل أمرت الجن كلها بالسجود، أم خص الله إبليس بذلك دونهم؟

قال: لم يأمر الله سبحانه أحدا منهم، إلا إبليس فقد أمره الله بالسجود دونهم.

قلت: أفمخصوصا كان بذلك دونهم؟

قال: نعم، كان مخصوصا بالأمر.

قلت: فعصيان آدم صلوات الله عليه في أكل الشجرة كيف كان ذلك منه: تعمدا أم نسيانا؟

فقال: قد أعلمك الله في كتابه، من قوله: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما﴾[طه: ١١٥]، يقول: لم نجد له عزما على أكلها، واعتمادها بعينها.

ولكن سلني، فقل لي: فإذا كان آدم في أكل الشجرة ناسيا فكيف وجبت عليه العقوبة، وقد أجمعت الأمة على أنه إذا نسي الرجل، فشرب في رمضان وهو ناس، أو أكل وهو ناس، أو ترك صلاة حتى خرج وقتها وهو ناس، أو جامع امرأته في طمثها وهو ناس، لم يجب عليه في ذلك عقوبة عند الله؟ فكيف يجب على آدم عليه السلام العقوبة في أكل الشجرة ناسيا؟

فإن سألتني عن ذلك، قلت لك: إنما عوقب آدم صلوات الله عليه في استعجاله في أكل الشجرة، وذلك أن الله سبحانه لما نهاه عن أكل الشجرة - وهي البر -، وأمره بالشعير، ولم يحظرها عليه، فكان يأكل من شجرة الشعير، وهي ورق، ولم تحمل ثمرا، فلما صار فيها الحب والثمر أشكل عليه أمرها، فلم يدر أيهما نهي عنه، فأتاه اللعين بخدعه وغروره، فقاسمه على ما ذكره الله في كتابه؛ فقال: ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾[الأعراف: ٢٠]، فاستعجل آدم، فأكل من الشجرة، ولم ينتظر الوحي في ذلك من عند الله، فعوقب في استعجاله في أكلها، وقلة صبره لانتظار أمر ربه.

قلت: فكيف كان كلام إبليس وخدعه إياه؟ هل كان تصور له جسما، ورآه عيانا؟

فقال: إنما سمع آدم كلامه، ولم يره جسما؛ وقد رويت في ذلك روايات كذب فيها من رواها، وكيف يقدر مخلوق أن يخلق نفسه على غير مركب خلقه، وفطرة جاعله؟! هذا ما لا يثبت ولا يصح عند من عقل وعرف الحق.

قلت: فقد كان محمد النبي صلى الله عليه وآله يخاطب جبريل، ويعاينه على عظيم خلقه، وجسيم مركبه!

فقال: إنما كان جبريل عليه السلام ينزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم في صورة لطيفة يقدر على رؤيتها وعيانها، وصح عندنا أن النبي محمدا عليه السلام رأى جبريل في صورة " دحية الكلبي "، وإنما ذلك خلق أحدثه الله فيه، وركبه عليه؛ لما علم من ضعف البشر، وأنهم لا يقدرون على النظر إلى خلق الملائكة؛ لعظيم خلقهم، وجسيم مركبهم؛ فلما علم الله تبارك وتعالى من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ذلك، ولم يكن جبريل عليه السلام يقدر على تحويل صورته ومركبه من حال إلى حال؛ لضعف المخلوقين وعجزهم عن ذلك -نقله الله سبحانه على الحالة التي رآه محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيها؛ نظرا منه سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وما فعله الله فليس من فعل خلقه؛ فلك في هذا كفاية إن شاء الله.

قلت: فهل كان آدم صلى الله عليه طمع في الخلود؛ لما قاسمه إبليس على النصح؟

قال: إنما كان ذلك منه صلوات الله عليه طمعا أن يبقى لطاعة الله ولعبادته، فأراد أن يزداد بذلك قربة من ربه.

قلت: فما معنى قوله: ﴿فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما﴾[طه: ١٢١]؟

قال: معنى قوله: ﴿بدت لهما سوآتهما﴾ فهو: سوء فعلهما؛ لا كما يقول من جهل العلم، وقال بالمحال: إن الله كشف عورة نبيه وهتكه، وكيف يجوز ذلك على الله في أنبيائه؛ والله لا يحب أن يكشف عورة كافر به؟ فكيف يكشف عورة نبيه؟

قلت: فقوله: ﴿ينزع عنهما لباسهما﴾[الأعراف: ٢٧]؟!

فقال: قد اختلف في ذلك، ورويت فيه روايات، وأصح ما في ذلك عندنا، والذي بلغنا عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم: أن لباسهما هو: لباس التقوى والإيمان؛ لا ما يقول به الجاهلون، من أنه لباس ثياب، أو ورق من ورق الشجر؛ فهذا معنى قول الله: ﴿ينزع عنهما لباسهما﴾، وإنما أراد بذلك من قوله: ﴿لباسهما﴾ أي: لباس التقوى، بما سول ووسوس لهما، من الكذب والمقاسمة التي سمعها منه.

قلت: فقوله: ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾[الأعراف: ٢٢]؟!

قال: إنما كانا في الجنة، في ظلها، وتحت أشجارها، فلما أخرجا منها، وأصابتهما الشمس بحرها، ورمضاء الأرض، فأرادا أن يجعلا لهما موضعا يكون لهما فيه ظلال، كما يفعله من خرج من منزله في سفر، ونيته إلى غيره من البوادي وغيرها، فلا يجد ظلالا ولا مسكنا، فلا يجد بدا من أن يعرش عريشا يكنه، ويستره من الحر، ويقيه من شدة البرد؛ فهذا معنى قوله: ﴿يخصفان عليهما﴾.

قلت: فالجنة التي كانا فيها: أفي السماء كانت، أم في الأرض؟

قال: هي جنة من جنان الدنيا، والعرب تسمي ما كان ذا أثمار وأنهار: جنة.

قلت: فقوله: ﴿اهبطوا منها جميعا﴾؟!

قال: ذلك جائز في لغة العرب؛ ألا ترى أنك تقول: " هبطنا نجران "، " وهبطنا اليمن "، " ونريد أن نهبط الحجاز "؛ فلما كان ذلك معروفا في اللغة، جاز أن يقول: ﴿اهبطوا منها﴾.

وسألته: عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾[البقرة: ٣٧]، ما الكلمات التي تلقاها آدم من ربه؟

قال: قد اختلف فيها، والصحيح عندنا أن الكلمات هو: ما كان الله تبارك وتعالى قد أعلمه، بخلق من سيخلقه من ذرية آدم ونسله، وأنه سيكون منهم

مطيع ومنهم عاص باختيارهم، وأنه سبحانه يقبل التوبة من تائبهم، إذا تاب وأصلح، وأخلص التوبة وراجع؛ فلما كان منه ما كان من أكل الشجرة –ذكر ما كان الله قد أعلمه من القبول للتوبة، فقالا: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾[الأعراف: ٢٣]؛ فهذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه صلوات الله عليه.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن علي العياني ؛:

وسألت عن: إبليس، وامتناعه من السجود، وما ذكر الله سبحانه، فقال: ﴿إلا إبليس لم يكن من الساجدين (١١)﴾؟

الجواب: اعلم – أحسن الله عونك – أن الله ندب ملائكته وإبليس اللعين إلى السجود لآدم، والمعنى: بسبب خلق آدم؛ شكرا لخالقه، ولما أراهم في آدم من بديع صنعته؛ إذ خلقه ترابا، ثم رده بشرا حيا واعيا، حسنا بهيا، فسجد الملائكة؛ شكرا لخالقهم، ولما أمرهم به، وعصى الشيطان خالقه؛ حسدا لآدم، وبغضا له؛ فألزمه الحسد عصيان خالقه، وهو عارف بذلك من نفسه، وسأل ربه النظرة بالعذاب الذي علم أنه قد استحقه؛ فأنظره الله – جل اسمه – إلى يوم البعث، كما وعده، ولم يكن استنظار اللعين –من موت؛ لأن الجن خلق معمرون، خلقهم الله جميعا، ويميتهم إذا شاء جميعا؛ فهذا معنى ما سألت عنه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦)﴾ [الأعراف:١٦]

قال في كتاب ينابيع النصيحة:

قيل: أغويتني: معناه خيبتني من رحمتك وجنتك، والإغواء: التخييب. وقيل: جعلتني في العذاب بمصيري إليه بحكمك. وقيل: اغويتني: أي حكمت

بغوايتي؛ فيكون بمعنى الحكم والتسمية؛ كما يقال: أضللتني: أي حكمت بضلالتي، وسميتني ضالا، على ما تقدم تحقيقه.

وقيل: مذهب إبليس الجبر ، والمجبرة أتباعه؛ وقد رد الله عليه قوله حين لعنه، وأوجب عليه العذاب ، حيث يقول: ﴿قال اخرج منها مذءوما مدحورا﴾ [الأعراف:١٨]، مذءوم: قيل: هو الاحتقار. وقيل: بمعنى مذموم. والمدحور: هو المبعد من رحمة الله. وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ [الحجر:٣٥].

قوله تعالى: ﴿يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦)﴾ [الأعراف: ٢٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

واللباس: ما وارى العورات وغطاها، والرياش: فزيادة اللباس على ما سترها وواراها. ومما أوجبنا له ذلك أيضا -ما أوجبه الله تبارك وتعالى منه على بني آدم، ففرضه عليهم فرضا، فقال سبحانه: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾[الأعراف: ٣١]، فأمر تبارك وتعالى جميع الناس بالأخذ عند كل مسجد لزينة اللباس، وفيما قلنا به من هذا من منزل القرآن -ما كفى وأغنى كل ذي رشد وإيمان.

ولا يجوز لأحد أن يصلي شيئا من صلاته -بشيء سرقه، من ماء ولا لباس؛ لأن الله سبحانه قد حرم الصلاة عليه به، كما حرمها عليه بغيرها من الأنجاس.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)﴾ [الأعراف: من آية (٣١)]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: المسرف هاهنا هو: المسرف على نفسه بالإنفاق في معاصي الله، والتبذير فيما لا يرضى الله، من الأمر الذي يكون فيه المنفق معاقبا عند الله؛ فنهى سبحانه عباده عن صرف رزقه في معاصيه، والاجتراء بالإنفاق فيما يعاقب عليه؛ فأما إنفاق المرء على إخوانه، وإطعامه لهم، وإنفاقه على أضيافه، وعلى غشيه يطلب رفده منهم -فلا يكون ذلك إسرافا، وإن كان على نفسه آثرهم؛ وكيف يكون الاسراف كذلك، أو يكون على غير ما قلنا من الإنفاق في معاصي الله ذلك، أو يجوز ألا يحب الله من عباده من فعل ما قد حضه عليه، وحمده الله وحده فيه، وذلك قول الله سبحانه في الأنصار، حين آثروا على أنفسهم، وآثروا بقوتهم غيرهم، وأنزلوا الخصاصة بعيالهم وأولادهم، وأنفقوا أموالهم على من هاجر إليهم، فقال عز وجل: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾، فحمدهم بالإنفاق في طاعته، وشكرهم على إدخال الخصاصة عليهم وعلى عيالهم، والإيثار بقوتهم لغيرهم، ولم يذم ذلك من فعلهم.

وفي ذلك ما يقول ويثني، ويذكر آل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالإيثار بقوتهم غيرهم، والصبر على الجوع، وإطعام المسكين، واليتيم، والأسير؛ لوجه الله تعالى، فقال سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا (٨) إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (٩) إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا (١٠) فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا (١١) وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا (١٢)﴾[الإنسان]، ثم

نسق سبحانه فضائلهم في ذلك، وما أعطاهم به وعليه في السورة، إلى قوله: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا﴾؛ ففي هذا ومثله ما تبين - والحمد لله - للمستنيرين بنور الله: أنه ليس من المسرفين، من أنفق فيما حضه الله عليه رب العالمين، وكان في إنفاقه من المتفضلين، وبإخراجه من المحسنين، في حكم أحكم الحاكمين...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)﴾[الأعراف:٣٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام:

وسألت عن: معنى قول الله سبحانه: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾؟

الجواب: اعلم أن الله سبحانه أمر نبيه عليه السلام: أن يسأل من أنكر عليهم ما كانوا ينالون من الزينة، وطيبات الرزق: من حرم ذلك؟ فلم يجدوا لما سأل عنه جوابا؛ فأخبر الله سبحانه بالجواب في ذلك، فقال عز من قائل: ﴿قل﴾ يا محمد: ﴿هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾؛ فدل بذلك: أن الرزق في الدنيا مشترك، وأنه في الآخرة للمؤمنين خالصا، والخالص هو: الصافي لأحد الجزئين بعد الاشتراك، ولو كان للمؤمنين خالصا في الدنيا والآخرة – لكان قول الله ﴿قل[1] هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾؛ لكنه سبحانه لما قال: ﴿قل هي

(١) - ﴿قل هي للذين...﴾ خبر كان، أي لكان قول الله هو ﴿قل...﴾، أي: من دون =

للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ علمنا أنه مشترك في الدنيا؛ فهذا معنى ما سألت عنه، وجوابه.

قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤)﴾ [الأعراف: ٤٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن كلام أهل الجنة لأهل النار في قولهم: ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم﴾[الأعراف: ٤٤]، فقلت: أمثل هو مضروب، أم قول مقول؟ وقلت: هل يقرب بينهما حتى يكلم بعضهم بعضا؟

واعلم - هديت ووفقت -: أنه قول مقول منهم، وعمل معمول من فعلهم. فأما ما سألت من القرب بينهم، حتى يسمع بعضهم قول بعض -فليس ذلك كذلك فيهم، ولا ذلك فعل الله تبارك وتعالى بهم، وكيف يسمع أهل الجنة كلام أهل النار، وهم لا يسمعون حسيس النار؟ فحسيس النار أشد حسا، وأبعد صوتا من كلام أهلها الذين ذكر الله عنهم، وشرح سبحانه أنه يكون منهم؛ ألا تسمع كيف يقول الله سبحانه: ﴿لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون﴾[الأنبياء: ١٠٢]؟ فأخبر أن المؤمنين لا يسمعون للنار حسيسا، وأنهم عنها مبعدون. وإنما كلامهم لأهل النار، وكلام أهل النار لهم، عند قولهم: ﴿أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾[الأعراف: ٥٠] - فهو بالرسائل التي تبلغها الملائكة عنهم، وتمشي بها بينهم، وذلك منها - صلوات الله عليها -

---

﴿خالصة...﴾.

فبإذن من الله لها فيه، وتقدير منه سبحانه لها عليه. وإنما جعلهم الله كذلك، وأذن لهم في ذلك؛ ليكون ذلك سرورا للمؤمنين، ومعرفة منهم بما نزل بالمكذبين الضالين؛ فيتجدد لهم بذلك البهج والسرور، وتكمل لهم به الغبطة والحبور، ويكون من علم أخبار المؤمنين، وما هم عليه من عطايا رب العالمين -حسرة في قلوب الكافرين، وعذاب لهم مع عذاب النار، وأسف لما فاتهم، من كريم القرار، ونعيم الدار، التي جعلها الله ثوابا للأبرار؛ فافهم ما عنه سألت، وقف من الجواب على ما طلبت.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦)﴾ [الأعراف: من آية (٤٦)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾[الأعراف: ٤٦]؟

الجواب في ذلك: أن الأعراف هو: ما ارتفع من الأرض وعلا، وشمخ منها في الهوى؛ فتلك أعراف الأرض ومعارفها.

والرجال التي عليها في يوم الدين، فقد قيل: إنها رجال من المؤمنين. وقيل: إنها الحفظة التي كانت من الملائكة المقربين، حفظة في الدنيا على العالمين، التي قال الله في كتابه وذكرهم، وما بين من حفظهم لمن كان من الخلق معهم، حين يقول: ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨)﴾[ق]، وهذا فأشبه المعنيين عندي، والله أعلم وأحكم. ومعنى ﴿يعرفون كلا بسيماهم﴾ فهو: معرفة أولئك الحفظة لمن كانوا يحفظون. ومعنى

﴿يعرفون﴾ فهو: يتعرفون ويتفهمون، حتى يوقنوا بهم، ويعرفوهم، ويقفوا عليهم، ويثبتوهم معرفة. ومعنى ﴿بسيماهم﴾ فهو: بحليتهم التي كانوا يعرفونها في الدنيا، ومعناهم في صفاتهم وخلقهم، وبنيتهم المعروفة من صورهم.

وقال في كتاب ينابيع النصيحة بعد ذكره للآية:

روي عن عبد الله بن العباس رضي الله عنه: أن الأعراف: موضع عال على الصراط، عليه العباس وحمزة وعلي وجعفر رضي الله عنهم، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه. تم كلامه رضي الله عنه.

ومتى قيل: فلم تأخر دخولهم الجنة ؟

قلنا: لأنهم تعجلوا اللذة بالشماتة على الأعداء، وإن تأخر دخولهم؛ لظهور فضلهم، وجلالة موقعهم، فيشمتون بأهل النار، ويهنئون أهل الجنة، وهم يطمعون؛ وهو طمع يقين، كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿أطمع أن يغفر لي خطيئتي﴾.

قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُم﴾ [الأعراف: من آية (٥١)]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قوله عز وجل: ﴿فاليوم ننساهم﴾، فقلت: ما معنى ننساهم، والله تبارك وتعالى لا يجوز عليه النسيان؟

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: هذا يعني به: الترك متعمدا، وذلك كقوله عز وجل: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾، وإنما هم تركوا أمر الله فتركهم، فلو كان ذلك منهم نسيانا على الحقيقة ما أخذهم بالنسيان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: من آية (٥٤)]

قال في كتاب حقائق المعرفة بعد ذكره الآية:

المراد به: في مقدار ستة أيام؛ لأن الأيام والليالي أحدثها الله تعالى بعد خلق السماوات والأرض، وهي مقدار حركة العالم؛ فثبت أنها بعده.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله عز وجل: ﴿ثم استوى على العرش﴾، فقلت: كيف جاز الاستواء في التوحيد، وما معناه؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: الاستواء هاهنا هو: الاستيلاء، والعرش فهو: الملك؛ معروف ذلك في لغة العرب وأشعارها، من ذلك قول زهير بن أبي سلمى حيث يقول:

تدار كتما عبسا وقد ثل عرشها ... وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل

وفيه شواهد كثيرة، وكلام يطول، ولجدي القاسم بن إبراهيم عليه السلام في العرش والكرسي كتاب بليغ، اجتزينا عن التطويل في جوابك هذا، فانظر فيه إن شاء الله.

قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨)﴾ [الأعراف: ١٢٨]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسئل: عن قول الله سبحانه في ما يحكي عن موسى عليه السلام، إذ قال ﴿لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

(١٢٨)﴾، قال: كيف يستعان بالله، وما يقول المستعين؟

قيل له: الاستعانة بالله هي: العمل لا المقال، من كل مستعين من النساء والرجال، والاستعانة بالله هي: العمل بطاعة الله، والأمر بأمره، والنهي عن نهيه، والوقوف عن معاصيه؛ فمن عمل ذلك من الناس فقد استعان بالله الواحد الرحمن؛ وفي ذلك ما يقول الله سبحانه: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾[النحل:١٢٨]، ومن كان الله معه فقد قهر أمره وقوي، ومن لم يكن الله معه فقد عجز في أموره وغوي، والله سبحانه فلا يكون إلا مع من ذكر من المتقين المحسنين، وإذا لم يكن إلا مع المتقين، فهو – لا شك – خاذل للفاسقين، ومن خذله الله فقد هلك وهوى، ومن وفقه الله وأعانه قهر أمره؛ ألا ترى كيف يدل آخر الآية التي سألت عن تفسير أولها على جميع ما عليه سألت منها، حين يقول: ﴿والعاقبة للمتقين﴾، فأخبرهم سبحانه أن استعانتهم به لا تنجح إلا للمتقين، وفي هذا دليل لمن عقل وفهم، واستضاء بنور كتاب الله، فعمل على ما قلنا به من تفسير الآية وشرحنا.

قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[الأعراف: ١٤٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وهذا من كلام العرب صحيح معروف، يقول القائل إذا أراد يقول: " وعدتك ثلاثين ليلة "، فيقول: " وعدتك خمس عشرة وخمس عشرة "، ويقول: " وعدتك عشرا وعشرا وعشرا "، وذلك كله يكمل الثلاثين، سواء عليه قالها أعشارا، أو قالها مجتمعة.

ولما قال الله سبحانه: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾، ثم قال: ﴿وأتممناها بعشر﴾، فقد تم الميعاد أربعين، سواء قال: " أتممناها بعشر "، أو قال: " أربعين "

عند من فهم، وهذا من اللغة حسن كامل، وفي ذلك ما يقول الشاعر في الناقة وحملها وعدد شهورها:

إذا جمعت حولا وعشرا ومية   وشهرا فقربها إلى منزل سهل

وقال أيضا:

أمن بعد تسعين وخمس وأربع   تريد الغواني صبوتي ومزاريا

فأراد: تسعا وتسعين سنة، فقال: تسعين وخمسا وأربعا، وفي ذلك ما يقول الشاعر:

فلأشرين ثمانيا وثمانيا   وثمان عشرة واثنتين وأربعا

وإنما أراد: أربعين، فقطعها، وإنما احتججت بالشعر؛ لأنه من لغة العرب، وبلغتهم خاطبهم الله عز وجل فقال: ﴿قرآنا عربيا﴾.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣)﴾ [الأعراف: ١٤٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته: عن قول موسى صلى الله عليه: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾[الأعراف: ١٤٣]؟

قال: معنى قوله: ﴿أرني أنظر إليك﴾ فهو: أرني آية من عظيم آياتك، أنظر بها إلى قدرتك، وأزداد بها بصيرة في عظمتك وقدرتك، فقال: ﴿لن تراني﴾، يقول: لن تقدر على نظر شيء من عظيم الآيات، التي لو رأيتها لضعف جسمك، ولطف

مركبك، ولأهلكتك، ولما قدرت على النظر إليها؛ لعجزك، وضعف مركبك؛ ﴿ولكن انظر إلى﴾ هذا ﴿الجبل﴾، الذي هو أعظم منك خلقا، وأكبر منك جسما، ﴿فإن استقر مكانه﴾ إذا أريته بعض ما سألتني أن أريكه -﴿فسوف تراني﴾، يقول: فسوف ترى ما سألت من عظيم الآية، ولن تقدر على ذلك أبدا، ولا تقوم له أصلا، ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا﴾، معنى ﴿تجلى ربه﴾، أي: أظهر آيته، وأبان قدرته - ﴿جعله دكا وخر موسى صعقا﴾؛ يقول: مغشيا ميتا؛ لما رأى من الهول العظيم، الذي لا يقدر على رؤيته؛ لعجزه وضعفه، وإن كان الذي أظهره الله وأبانه - من لطيف آياته، فجاز أن يقول: ﴿تجلى ربه﴾؛ لما كان ذلك من فعله وتدبيره، وأمره وإرادته، وهو كقوله: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾[البقرة: ٢١٠]، يقول: تأتيهم الآيات، وما يريد أن يحل بهم من العذاب والنقم والآفات. وقوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة (٢٣)﴾[القيامة]، فمعنى قوله: ﴿ناضرة﴾ يقول: نضرة مشرقة حسنة، وهذا معروف في اللغة والبيان؛ تقول العرب للرجل إذا أرادت له خيرا: " نضر الله وجهك "، وقوله: ﴿إلى ربها ناظرة﴾، أي: ناظرة لثوابه، وما يأتيهم من خيره وفوائده، ومن ذلك ما تقول العرب: " قد نظر الله إلينا، وقد نظر الله إلى بني فلان " إذا أصابهم الخصب بعد الجدب، والرخاء بعد الشدة. وإنما أراد بذلك: أن الله قد رحمهم، وأتاهم بالنعمة، ﴿فلما أفاق﴾ موسى صلى الله عليه، ﴿قال سبحانك تبت إليك وأنا اول المؤمنين﴾[الأعراف :١٤٣]، يقول: لو ابتليتني وأريتني وأظهرت لي من بعض ما سألتك، مما أهلكت به الجبال الراسية -لما قام لها جسمي، ولأهلكتني بقليلها، ولما احتمل ذلك لطيف خلقي، وضعف مركبي؛ آنظر إلى عظيم ما ذهبت به الجبال الراسية؟!! فلك الحمد على ما صرفت عني من ذلك؛ رحمة منك بي، وتفضلا علي، وزيادة وإحسانا إلي.

فهذا معنى قوله: ﴿أنظر إليك﴾، لا ما ذهب إليه من جهل، وزعم أن الله

يرى، سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا؛ كيف وهو يقول في كتابه: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾[الأنعام: ١٠٣]؟!

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول موسى: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾؟

فلم يرد موسى عليه السلام ما يتوهم الجاهلون، من أن يكون سأل أن يرى ما لا يرى، وموسى أعرف بالله من أن يجعله محدودا، وإنما معنى قوله: ﴿أرني أنظر إليك﴾ هو: أرني آية من كبار آياتك أنظر بها إلى عجائب قدرتك، وإلى ما لا أشك فيه من عجائب فعلك، الذي لا يناله غيرك، ولا يقدر عليه سواك؛ فأوحى الله إليه: إنك لن تراني، يقول: إنك لن ترى مني تلك الآية؛ لضعف بنيتك عما طلبت من عظيم آياتي، التي لا يقوم لها فطر الآدميين، ولا يقدر على تأملها أحد من الآدميين.

ثم قال سبحانه: ﴿ولكن انظر إلى الجبل﴾ الذي هو أشد منك بنية، وأقوى منك فطرة، فإني سأهبط عليه بعض ما سألتني أن تراه من عظيم آياتي، فإن استقر هذا الذي هو أشد منك بنية، عند تجلي الآية عليه، ووقوعها به -فسوف أريكها أو مثلها، وإن لم يستقر ولم يطقها فكيف تسألني أنت أن أريكها أو مثلها؟! بل كيف تقوى بنيتك الضعيفة لها، ولم يقم لها جسم الجبل العظيم، الصخر الصلد الجسيم؟! ﴿فلما تجلى ربه﴾ يقول: فلما تجلت آية ربه للجبل ﴿جعله دكا﴾، فقال: ﴿تجلى ربه﴾، وإنما معناها: تجلت آية ربه، وهذا من العربية فكثير أن يقيم الشيء مقام ما هو منه، مثل ذلك قول الله: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾، فقال: العير، والقرية، وإنما القرية: الجدر والأرض؛ فلم يرد ذلك، وإنما أراد: أهل القرية، فطرح " أهل "، وأقام القرية مقام أهلها، ﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾، والعير فهي: الإبل، وليس تسأل الإبل، وإنما أراد: أهل العير، فطرح الأهل، وأقام العير

مقامهم؛ فعلى ذلك يخرج قول الله: ﴿فلما تجلى ربه﴾، ولله المثل الأعلى، ومعنى قوله: ﴿للجبل﴾ فهو: على الجبل، غير أن حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض، ويجزي بعضها عن بعض. ومن الحجة أن العرب تطرح الشيء، وتقيم ما كان من سببه مقامه -قول الشاعر:

ألا إنني سقيت أسود حالكا... ألا بجلي من ذا الشراب ألا بجل(١)

والأسود لا يشربه أحد ولا يسقاه، وإنما هي الحية السوداء، وإنما أرد: أني سقيت سما أسود، فطرح السم، وأقام الأسود مقامه.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله سبحانه: ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا﴾، فقلت: ما معنى التجلي من الله عز وجل؟

قال أحمد بن يحيى عليه السلام: قد قيل فيه بأقاويل، لا أشك أنك قد عرفتها، وأحسنها عندي ما أنا ذاكره لك، وهو أولى بلغة العرب، وله نظائر من القرآن؛ فأفهمه ذهنك إن شاء الله.

قال: ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾، يعني: فلما تجلى ربه بالجبل، أي: تجلى لخلقه الذين كانوا مع موسى صلوات الله عليه بالجبل، يعني: أن تجليه بالجبل هو دلالة لهم عليه؛ فلما (٢) أوقع من الآية التي نظروا إليها؛ فقامت اللام الزائدة مقام الباء؛ لأن حروف الصفات يعقب بعضها بعضا، والله -تبارك وتعالى- لا يتجلى للجبل، والله عز وجل لم يغب عن الجبل، منذ خلق الجبل، والتجلي يلزم من كان عليه حجاب وستر، ثم تجلى عنه ذلك الحجاب، والله عز وجل متقدس متعال

---

(١) هكذا في النسخة المنقول منها، وهو في مقاييس اللغة لابن فارس وغيره:
أَلَا إِنَّنِي سُقِّيْتُ أَسْوَدَ حَالِكًا... أَلَا بَجَلِيَّ مِنْ الشَّرَابِ ألا بَجَلْ
والبيت لطرفة، وبجيلة: قبيلةٌ.

(٢) هكذا في النسخة، ولعلها: لِمَا...إلخ.

عن ذلك؛ لأنه شاهد كل نجوى، وحاضر كل ملأ، لا يخلو منه مكان، ولا يخفى عليه. والتجلي فقد تعرفه العرب في لغاتها وأشعارها، وأنه يجوز عندها على: غير تجلي الرؤية، من ذلك قول الشاعر يصف بعض الملوك؛ لأنه تجلى لقوم خالفوا أمره، فوجه إليهم عسكرا، ولم يبرح هو، قال الشاعر:

تجلى لهم بالمشرفية والقنا ... وإن كان من طعن الأسنة نائيا

فترى كيف خرج التجلي عند العرب، وكيف جوازه في لغاتهم ومخاطباتهم، وقد قال عز وجل: ﴿يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[المؤمنون:٦١]؛ فكيف يستبقون الخيرات؟! لو سبقوا الخيرات -لم يكن ذلك لهم بفخر، ولا لهم فيه مديح، وإنما المعنى فيه: يسارعون في الخيرات وهم بها سابقون؛ فقامت اللام مقام الباء؛ قال الشاعر:

لقد نلت أمرا لم تكن لتناله ... ولكن لفضل الله ما نلت ذلكا

يريد: بفضل الله، فأقام اللام مقام الباء، فهذا حجة في حروف الصفات التي يعقب بعضها بعضا، وقد جرى في ما سألت عنه نظائر لهذا في جواباتنا هذه، وفيه لك الكفاية بحول الله وقوته، وبهذا الجواب في هذه الآية: ﴿يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[المؤمنون:٦١] -أجاب أبي الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين.

وقال في كتاب حقائق المعرفة، في سياق الاستدلال على نفي الرؤية ما لفظه:

وقد سأل موسى ربه أن يريه آية من آيات الآخرة؛ حتى يعلم ربه علم ضرورة، فقال: ﴿رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾[الأعراف:١٤٣]، ويحتمل أن يكون سأل ربه أن يبين له نفي الرؤية، إذ سأله قومه الرؤية، فقال: ﴿لن تراني﴾، و" لن " عند أهل اللغة للقطع والتأبيد؛ قال الله تعالى: ﴿لن ينال الله لحومها

...﴾الآية[الحج:٣٧]، وقال: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾[آل عمران:٩٢]، ولأن الله عاقب الذين سألوا موسى أن يريهم الله، ولم يعاقب موسى، ولو كان موسى سأله كسؤالهم لكان معاقبا مثلهم، وقد حكى الله عن موسى عليه السلام أنه نسب ذلك إلى بعض قومه، ونفاه عن نفسه بقوله: ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾[الأعراف:١٥٥]؛ وأما توبة موسى فإنها من سؤاله البيان قبل الاستئذان، والأنبياء لا يقيمون على صغيرة، ولا يسألون ربهم حتى يستأذنوه؛ قال الله تعالى حاكيا عن نوح: ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين (٤٥) قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين (٤٦) قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين (٤٧)﴾[هود]، فاستغفر ربه من سؤاله قبل استئذانه. ولو كان موسى سأل ربه أن يريه نفسه، كما سأله قومه -لأصابه ما أصابهم من العقوبة، ولما قال: ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾، وقد حكى الله قولهم، فقال: ﴿وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة...﴾[البقرة:٥٥]، وقال عز من قائل لنبيئنا صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة...﴾الآية[النساء:١٥٣]، فلو كان يجوز أن يرى في وقت من الأوقات، لما عاقبهم الله على ما يجوز في وقت من الأوقات؛ ألا ترى أن العبد يسأل ربه - وهو في الدنيا - المغفرة والجنة والثواب، فلا يعاقب في ذلك. وقد سأل قوم عيسى صلى الله عليه المائدة، فلم يعاقبوا بسؤالهم ذلك قبل وقته؛ فبطل قول المشبهة... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: من آية (١٤٦)]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله عز وجل: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾، فقلت: إذا صرف الناس عن آياته فما حيلتهم في ذلك؟

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: إن الأمر ليس على ما ذهبت إليه، وإنما المعنى في ذلك: أنه عز وجل - أنه يصرف عن آياته الأعداء والمعاندين والمفسدين، حتى لا يكيدوها بكيد، ولا يقدرون لها على فساد؛ فقوله - عز وجل- لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ تنزيل من حكيم حميد.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠)﴾ [الأعراف: ١٥٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، في سياق كلام في وجوب الهجرة للظالمين ما لفظه:

قال الله - سبحانه، لا شريك له -:﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين (١٥٠)﴾[الأعراف: ١٥٠]، فأخذ صلى الله عليه برأس أخيه يجره إليه؛ غضبا وأسفا، وتغيظا وتلهفا، وإعظاما وإكبارا، وتقبيحا

وإنكارا لمقامه معهم، وبين أظهرهم، مع ما صاروا إليه من معصية الله في أمرهم، وهارون صلى الله عليه مباين لهم، فيما هم فيه من عصيانهم وضلالهم، وما ارتكبوا فيما بينهم وبين الله من سيىء أفعالهم، يأمرهم دائما بالهدى، وينهاهم عما هم عليه من الضلالة والردى، يناديهم في إنكاره، وتقبيحه وإكباره، بصوت منه صيت رفيع، يسمعه منهم كل سميع؛ فتمسك صلى الله عليه في نفسه ومن أطاعه من آله، وغيرهم من قومه - بعصم الحق والرشد والهدى، بريء مما هم فيه من الضلالة والردى؛ يقول صلى الله عليه: ﴿يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري﴾[طه: ٩٠]، فما منعه ذلك كله من سخط موسى عليه، ولا من وثوبه صلى الله عليه إليه، يجره بلحيته ورأسه، وهارون في كرب أنفاسه، يعتذر في غمة كربه، وفيما نزل منه به؛ لما يراه هارون صلى الله عليه له عذرا، وعدوه من عصاة بني إسرائيل يرى من فعل موسى به ما يرى، وهارون يعتذر إليه، صلى الله عليه، فما قبل موسى ذلك منه؛ ولكنه نبهه لما غفل عنه، فقال صلى الله عليهما: ﴿يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني أفعصيت أمري﴾[طه: ٩٣]، قوله:﴿أفعصيت أمري﴾ يدل على أن قد كان أمره أن لا يقيم - صلى الله عليهما - مع من شآق الله وكفره، وقوله:﴿ما منعك ألا تتبعني﴾ إذ عصوا؛ ما منعك أن لا تتركهم وتلحقني، ﴿قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي (٩٤)﴾[طه: ٩٤].

فهل رأيتم - هديتم - من قول أشبه بأن يكون عذرا من قول هارون واعتذاره، مع ما كان من أمره ونهيه وإنكاره، فلما علم موسى صلى الله عليه ذلك كله، وأن هارون - صلى الله عليهما - أتاه وفعله، وأن جميع ما فعل من ذلك - وإن كان إحسانا، وكان لله تبارك وتعالى رضوانا - غير مقبول عند الله منه، وأن مقامه مع الظالمين ذنب يحتاج إلى الله في العفو عنه -قال موسى بعد اعتذار هارون - صلى الله عليهما - إليه، واستعطافه بذكر أمه له عليه، إذ يقول:﴿ابن أم إن

القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين (١٥٠)﴾[الأعراف: ١٥٠]، فلم يستغفر موسى لهارون ذنبه، ولم يسأل العفو عنه ربه، حتى علم هارون أنه قد كان أخطأ في مقامه مع الظالمين، يرى ويعاين عصيانهم لرب العالمين، فعندما اعترف هارون بزلته في مقامه معهم، وتركه لاتباع موسى عند ما رأى منهم، قال موسى صلى الله عليه: ﴿رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾[الأعراف: ١٥١]. وقول موسى لهارون صلى الله عليهما: ﴿أفعصيت أمري﴾ بين أن قد كان أمره، وقال له: إن رأيت من القوم عمى، أو ضلالا، أو ظلما، فلم يقبلوا قولك فيه، وأقاموا مصرين عليه، فالحقني، وآتني، واتبعني؛ فهذا وجه قوله: ﴿أفعصيت أمري﴾، يقول: فأقمت مع من كفر وظلم، وجاورت مقيما مع من أجرم.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأعراف: من آية (١٥٥)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء﴾: ما هذه الفتنة؟

وهي: الابتلاء من الله والاختبار والمحنة؛ وإضلاله وهداه بها فهو: عنها وبسببها، و ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ [النحل:٩٣، فاطر:٨] هو: إضلاله إن ضل، وهدايته لمن اهتدى، ومن ضل ضلله، ومن اهتدى كان مهتديا عنده، وزاده - تبارك وتعالى - في هداه، وآتاه - كما قال سبحانه - تقواه.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام في سياق كلام ما لفظه:

وقوله: ﴿إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من

تشاء﴾[الأعراف:١٥٥]، معنى فتنتك: محنتك، تضل بها المستحق لها، معناه: يعذبه، ويهدي بها التائب المتذكر، معناه يثيبه، كما قال تعالى: ﴿أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾[التوبة:١٢٦]، ومعناه: يمتحنون.

وقال في كتاب ينابيع النصيحة:

معنى قوله ﴿فتنتك﴾: أي امتحانك وبليتك؛ لأنهم كلفوا الصبر. وقيل: ﴿فتنتك﴾ عذابك، وهو الرجفة في قوله تعالى: ﴿فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي﴾ [الأعراف: ١٥٥]. الرجفة قيل: هي الموت، وقيل: رعدة شديدة، رجفت لها قلوبهم فماتوا، فبقي موسى يبكي، ويقول: يا رب لو شئت أهلكتهم من قبل خروجهم معي، فأخشى أن يتهمني بنو إسرائيل بهلاكهم، إلى غير ذلك؛ فأحياهم الله تعالى؛ وعلى هذا النسق يجري الكلام في بيان معاني الآيات الجارية هذا المجرى.

قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥)﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٤-١٦٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، في سياق كلام في وجوب الهجرة للظالمين، بعد ذكره لهذه الآيات ما لفظه:

كان أهل القرية: ثلاث فرق، نسبها الله إلى العتاء والفسق، وفرقة من الفرق الثلاث معذرة مقصرة، وفرقة منهن واعظة ناهية مذكرة، تنهى من عتا، عن الفسق والعتاء، وتذكر بما يجب لله من الطاعة والرضى، فلم يذكر الله تبارك وتعالى في خبره عنهم، أنه - جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله- أنجى منهم إلا من أمر ونهى، وكان واعظا منبها، وداعيا لهم إلى الله مسمعا، ومقبحا لعتاهم مشنعا، لم يذكر سبحانه عمن خلصه وأنجاه، أنه أقام مع من وعظه ونهاه، في محل الفسق والعتاء، ولا أسبت معهم في قريتهم سبتا، ولا استحل فيها لهم جوارا، ولا قر معهم فيها بعد العتاء قرارا؛ وكيف يقيمون معهم في القرية، مع ما أظهروا لله فيها من المعصية، يرونها فيها عيانا، ويوقنون بها إيقانا، لله كان أجل في صدورهم جلالا، وأكبر في نفوسهم أمرا وشأنا، من أن يجاوروا مشاقيه ومعاصيه، أو يقيموا جيرانا لمن يشاقه ويعصيه، وهم لو جاورهم جار في أنفسهم بما يسخطون، أو بكثير من الأذى والمكروه هم له ساخطون، لا

يقدرون له على دفاع، ولا منه إلى امتناع -لما أقاموا ساعة واحدة معه، ولا سيما إذا كان لا يقدر أحد منهم على أن يدفعه؛ فكيف بمساخط الله التي هي في صدورهم أعظم، ولقلوبهم أحرق وآلم؟! ما يحل توهم ذلك عليهم، ولا نسبة شيء منها إليهم؛ والحمد لله رب العالمين، ونعوذ بالله من مجاورة الظالمين.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾، قال عكرمة: أخذ المصحف ابن عباس، فقرأ هذه السورة، يعني: الأعراف، فلما بلغ قصة اليهود وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر، ﴿إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم﴾... الآية، فقال ابن عباس: يا عكرمة، هذه قرية بحاضر البحر، يقال لها: " آيلة "، كان فيها قوم من اليهود، حرم الله عليهم صيد السبت، فكان السمك إذ كان يوم السبت يجيء شرعا، حتى يقع في آنيتهم وبيوتهم، وإن كان غير السبت تحجب في البحر، فلا يقدرون عليها إلا بمشقة. وقال طائفة: لو حفرنا لها الحفائر يوم الجمعة؛ فإذا كان يوم السبت وقعت في الحفائر، ونأخذها يوم الأحد، ففعلوا؛ فأثروا، وكثرت أموالهم، فحين علم بهم قومهم قالوا: يا قوم، اتقوا الله ، ولا تستحلوا صيد السمك. فأبوا أن يقبلوا منهم، فافترقوا ثلاث فرق: فمنهم من استحل صيد السمك السبت، ومنهم من نهاهم ولم يغير لهم، وأقام معهم. والفرقة الثالثة: نهت واعتزلت، وقالوا: والله لا نناكحكم، ولا نواكلكم، ولا نسايركم، حتى تتوبوا؛ فإنا نخشى أن ينزل بكم العذاب؛ فيصيبنا معكم. وخرجوا من قريتهم، فقالت الفرقة التي نهت وأقامت: ﴿لم تعظون قوما الله مهلكم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون﴾، وقالوا: إما أن تتقوا وتتوبوا؛ فيكتب لنا ثوابهم، وإما أن ينزل بهم العذاب، فلا يصيبنا معهم.

وقرأ ابن عباس حتى بلغ هذا الموضع: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون (١٦٥) فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين (١٦٦)﴾

قال ابن عباس: فكان أهل القرية الذين استحلوا صيد السبت يصبحون على خمورهم ولهوهم، ولهم ضجة في القرية، فلما أراد الله بهم العقاب أصبحوا ذات يوم، وليس لهم صوت يسمع ولا حركة؛ فقال بعضهم لبعض: لعل القوم أصبحوا على خمورهم ولهوهم؛ فناموا. فلما تعالى النهار، ولم يسمعوا لهم صوتا – قال بعضهم لبعض: يا إخواننا، إنا نخاف أن يكون قد نزل بهم العذاب؛ فأصعدوا رجلا من فوق السور، وكانت الأبواب مغلقة عليهم، فلما أشرف عليهم نادى بأعلى صوته: يا إخوتاه، هؤلاء إخوانكم قردة لها أذناب، يتعاووا. ثم نزل، ففتح عليهم الباب، فدخلوا عليهم، فكان القرد يجيء إلى قرائبه وابن عمه، والقردة تجيء إلى قرائبها وابن عمها، فلا يعرفه أنه الرجل حتى يجيء ويحرك ذنبه، فيقول له الرجل: من أنت؟ فلان؟ فيقول برأسه، أي: نعم، ثم بسط يده، ويقول: ذلك بما كسبت يدك. وتدمع عيناه.

فلما بلغ ابن عباس هذا الموضع بكى حتى علا بكاؤه، ثم قال: والله ما سمعت الله ذكر أنه نجى إلا الفرقة التي نهت واعتزلت، ولقد أهلك الفريقين جميعا: التي عصت، والتي نهت وأقامت معهم؛ ثم تلا ابن عباس: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا ...﴾ الآية؛ فلم يرض الله عز وجل من أهل العلم والقيام له بالتقصير، إلا بحقائق التعبير، وهو النهي لهم والعزلة عنهم، والمباينة لهم في أفعالهم وأقوالهم، ومستقرهم ومقامهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢)﴾[الأعراف: ١٧٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾؟

وذكرت ما قالت به العامة في ذلك من قولهم، وليس ما قالوا به فيه بشيء مما يلتفت إليه؛ لأنهم قالوا: أخذ من ظهر آدم. وقالوا: [أخذ] من بني آدم. وآدم غير بنيه، وظهره غير ظهورهم، وذريته غير ذراريهم، والذراري تكون صغارا وكبارا، وأطفالا ورجالا، وكل أهل الجاهلية من رجال العرب الذين كانوا يشركون قد أخذوا، ومعنى " أخذوا ": أخرجوا ذرية من ظهور آبائهم من بني آدم، لا يشكون، وكلهم كان شهد وأقر بأن الله ربه، وأن ما يرى من السماوات والأرض خلقه، فاستشهدهم الله على ربوبيته بما يشهدون، وبما كانوا يقرون به كلهم فلا ينكرون، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ [الزمر:٣٨]، ولم يقل سبحانه: إنه استشهد على ربوبيته أحدا من الأطفال، ولا يكون الاستشهاد والشهادة إلا للرجال؛ والله أعلم ما يكون وغيره وما كان، ونسأل الله أن يفهمنا ويفهمك عنه البيان.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾؟

فأخذ الله سبحانه على بني آدم فهو: أخذه على أولهم ما أخذ من الإقرار به، وبوحدانيته وربوبيته، والإقرار بفرائضه وكتبه ورسله، لا يزيله عنهم شيء إلى أن تقوم الساعة، فرضا لازما في الأولين والآخرين؛ فهذا معنى أخذ الله من بني آدم. ومعنى: ﴿من ظهورهم﴾ فهو: أخذه على نسلهم نسلا بعد نسل؛ والظهور: ما يخرج من الظهور، من النسول؛ وعلى ما يخرج منها -كان الأخذ عليها؛ ألا تسمع كيف يقول: ﴿ذرياتهم﴾؛ فأخبر بذلك أنه عنى الذرية التي تخرج من الظهور. ومعنى: ﴿أشهدهم على أنفسهم﴾ فهو: بما جعل من حجج العقل - الشاهدة لهم وفيهم - هذه [(١)]؛ بحقائق ما أخذ الله من الإقرار بربوبيته ووحدانيته عليهم.

وقال في موضع آخر من الكتاب:

قال أبو القاسم الإمام المرتضى لدين الله محمد بن يحيى:

سألت أبي الهادي إلى الحق صلوات الله عليهما ورحمته عن قول الله: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم﴾؟

فقال: يعني سبحانه: أنه أخذ على آدم صلى الله عليه وعلى ذريته العهد بما ذكر عن المعرفة والإقرار بربوبيته، والتوحيد له، والقول بالحق فيه، وألزمه وإياهم الإقرار بذلك، فكان ذلك عهدا أخذه من بني آدم في عصره وذريته، عقدا باقيا، وفرضا على ذريته لازما لهم إلى يوم الدين، وحشر العالمين، فلما أن كان سبحانه قد أخذ العهد على آدم بذلك، وجعله فرضا ثابتا على ذريته، لا يتغير حاله، ولا يزول فرضه وإيجابه له على الخلائق أبدا، وكان ذلك عهدا عقده الله عز وجل على آدم وذريته إلى يوم الدين -جاز أن يقول: أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم. ومعنى ﴿من ظهورهم﴾ يقول: من نسولهم وعقبهم نسلا

(١) هكذا في النسخة المنقول منها.

فنسلا، وعقبا بعد عقب.

وأما قوله ﴿وأشهدهم على أنفسهم﴾ فهو: بما جعل وركب من العقول لهم، فكانت تشهد لمن أنصفها، بأمر الصنع فيها لخالقها، وتدل بذلك على الله صاحبها؛ فهذا معنى قوله سبحانه: ﴿وأشهدهم على أنفسهم﴾، وقد يكون الإشهاد يخرج على معنى: الشهادة منهم على أنفسهم، والإقرار بما أخذ سبحانه من العهود عليهم، وكل ذلك حسن معناه، جائز لمن احتذاه؛ فافهم -هديت - ما عنه سألت؛ نسأل الله لنا ولكم التوفيق والتسديد.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة #، بعد ذكره لهذه الآية، مع الآية التي بعدها، وهي: ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣)﴾[الأعراف:١٧٣]:

الجواب وبالله التوفيق: أن الأمر في كتاب الله عظيم، والتعرض به شديد، ولولا أن الله تعالى جعلنا ورثته، وفهمنا غرائبه - ما تعرضنا به؛ إذ هو بحر لا تقطعه الألواح إلا بريح التوفيق من الله سبحانه والهداية؛ نسأل الله العون.

قال تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾[الأعراف:١٧٢]، الأخذ يقتضي الترك، والرب: المالك، وهو سبحانه مالكنا من كل وجه، بالقدرة والإحسان والاستحقاق؛ فآدم أبو البشر، وفي تسميته وجهان، أحدهما: خلقه من أديم الأرض، والثاني: لونه وتحسينه له إلى خلقه بالحلاوة. والظهور: معروفة. والذرية: أولاد الرجل، ذكورا كانوا أو إناثا، وأعقابهم ما تناسلوا، وأصل الذرية: الذر، وهو: تفريق الحب وغيره بعد اجتماعه، ومنه: سميت الرياح ذاريات؛ لأنها تذر الرمال والتراب وغيرها، تفرقها بعد اجتماعها، وهكذا ذرية الرجل، كأنها مجتمعة في صلبه، ففرقها في الأرحام أو في الرحم شيئا بعد شيء.

وقوله تعالى: ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾[الأعراف:١٧٢]، الابتهال هاهنا: بلسان الفعال دون المقال، وكذلك الجواب: لما أخرج النطفة من الصلب، وهو الظهر إلى الرحم، رقيقة مهينة، حقيرة منتنة، ليس فيها شيء من آثار الخلقة -أشهدها على نفسها أنه الخالق المصور، فخلقها بمعنى: قدرها، وبرأها بمعنى: أوجدها وصورها، ما شاء من زيادة ونقصان، وخفة ورجحان، فلو خلقت للنطفة - والحال هذه – لسان، وأقدرت على النطق -لشهدت له سبحانه بالربوبية، واعترفت بالعبودية، شهادة حقيقة.

قوله تعالى: ﴿أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾[الأعراف:١٧٢]: في الكلام حذف، تقديره: إذا كان الأمر في الذرية من الظهور ما قدمنا، فما الموجب أن يقولوا به يوم القيامة: ﴿إنا كنا عن هذا غافلين﴾؟، وهل الغفلة عذر في حق رب العالمين، وما يجب أن يقع فيه النظر من أصول الدين؟ ولولا غفلتهم عن الفكر لاعترفوا بربوبية رب العالمين، ولشهدوا كما شهد الماء المهين.

قوله تعالى: ﴿أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾[الأعراف:١٧٣]، وهذا الفصل لاحق بالأول؛ لأنهم اعتذروا بالأول: بالغفلة عن النظر فيما يوجب الاعتراف، وفي هذا تقليد الآباء والأسلاف. الشرك: إضافة فعل الله إلى غيره، وإضافة فعل غيره إليه. والآباء: معروفون. وقد تقدم معنى الذرية. والهلاك: التلف أو ما يؤدي إليه أو يقرب منه، وأصله: السقوط. المبطل: نقيض المحق، وأصل البطلان: الذهاب، ومن فعل لغير الله سبحانه بطل سعيه.

فإذا كانت الحال هكذا كان الواجب على المسلم، وطالب النجاة: أن ينظر في الأدلة والبراهين، ويميز بين أقوال المختلفين؛ ليقع من أمره على عين اليقين، ولا

يقلد الأباء السالفين، ولا من أنس به من العالمين، فلا بد من يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين، فيتبرأ فيه القرين من القرين، والآباء والأمهات من البنات والبنين، والمتبوعين من التابعين، ولا ينفع الإنسان إلا ما ادخر من الأعمال الصالحة التي هي زاد المتقين، وهذا ما اتفق من الجواب، وقد قال غيرنا: الذرية أخرجت على صورة الذر، وشهدت؛ وليس ذلك عندنا بشيء، والسلام.

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

إن رجلا كان يقال له: بلعام بن باعورا الحوباني، وكان عالما بالغا في العلم، قد قرأ الصحف الأولى، وكان معه أسماء الله تعالى، وكان يدعو بها بنية فتجاب دعوته، وكانت بنوا إسرائيل قد عظمته، وذلك في زمان موسى عليه السلام، وجعلوه لهم ربانيا، وجبوا إليه؛ فكانوا إذا قحطوا، أو نالهم مكروه -أتوه، فدعا لهم بأسماء الله سبحانه، فتجاب دعوته، وذلك قبل موسى، فلما أدرك نبوة موسى، وسمع خبره -أدركه الحسد والنكد؛ فقال:" هذا يزيح مرتبتي ورئاستي ". فأتاه العدو، فقالوا له:" ادع لنا على موسى بن عمران ". فأجابهم إلى ذلك، فلما ركب أتانا له، يريد: أن يدعوا لهم عليه بمكان مجتمعهم -كلمته الأتان، فقالت:" أتدعو على نبي الله؟! إنك من الغاوين ". فرجع، وقال:" لست أدعوا عليه؛ ولكني أحتال لكم عليه وعلى أصحابه بحيلة يكون الظفر لكم عليهم والغلب؛

أشير عليكم أن تهادنوه، وتعدوه أن تطيعوه، وتسلموا له، فإذا فعلتم ذلك أرسلتم النساء البغايا إلى عسكره، متزينات متعطرات، كأنهن يبايعن، ويشارين في عسكره، فإن عسكره يصيبون المعاصي، ويفسد إيمانهم بمواقعتهم المعاصي، فيرفع عنهم النصر، ويستحقون بالمعصية الخذلان، ولا تثبت أقدامهم عند اللقاء، فيهتزمون عنكم ". ففعلوا ما أمرهم به، حتى نفذت حيلته ومكره فيهم، ونسي ما وعظ به، وأدركه الحسد والبغي الراجع عليه وباله.

ثم إن موسى عليه السلام قاتل ثلاثة أيام بعد انقضاء الهدنه، ومباينتهم له، وبدوهم بالحرب لما نفذت مكيدتهم، فكل ما لقي أصحاب موسى العدو لم تثبت أقدامهم، وانهد جيشهم؛ فيصيح موسى: ((عطاف!))، فلا يعطف أحد. فأقام ثلاثا على هذا الحال، ثم قال: ((أنا نبي الله وكليمه؛ لقد عصيتم))، وهبط إليه الوحي: ((أن ائت خباء من أخبية أصحابك، فانظر ما فيه)). فلما أتى الخباء: إذا فاسق على فاسقة، فطعنهما بحربته، فشكهما جميعا وهما على قبيح فعلهما، ورفعهما، وصاح، وكان صيتا شديد القلب، شديد القوة: ((يا بني إسرائيل، هذا الفعل الذي يقلبكم على أعقابكم عند القتال))، وشالهما حتى نظر العسكر إليهما، وهو يهزهما، وهو حديد، وهو حديد، عجل الكلام، قد أزبد على بني إسرائيل أسفا وغيظا، وغيرة على من عصى الله، وشدة في ذات الله عز وجل، فلما رأت ذلك بنوا إسرائيل اجتمعوا إليه، وقالوا:" نجدد البيعة، والعهد لله، ونصح التوبة ". فاصطفوا للصلاة والدعاء، وبسط نبي الله كساه، وكان لهم دليلا على قبول توبتهم: أن تجتمع فيه ألوان شتى، فيعلمون أن قد قبلت توبتهم.

في سحر يوم الجمعة عند انفلاق الفجر أمر موسى بالبوق فنفخ، وهو أول من أحدث أبواق الصفر؛ وذلك أن عساكره شكوا إليه أنهم لا يشعرون بحركته، فألهمه الله لأبواق الصفر، وقيل: والجباجب أيضا[1]، ثم سار موسى

(١) الجباجب: هي الطبلُ. (القاموس المحيط: مادة " جبجب ").

صلى الله عليه بهم، واصطفوا بعد التوبة للقتال، فثبتت أقدامهم، وانقلب العدو على أعقابهم مدبرين، فمنح الله أكتافهم، وغلب جند الله، كما قال سبحانه: ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾[الصافات:١٧٣]. فلما دخل عليه السلام القرية انبعث إليه بلعام بن باعوراء، وهو دالع لسانه، قد ختم على فيه من الكلام، وهو يلهث كما يلهث الكلب، والخلائق ينظرون كيف غير أمر الله، فغير الله به. فأقام عبرة ومنظرة للعالمين أياما على حاله، ثم قضى عليه الموت، فذكر الله ذلك لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾[الأعراف: ١٧٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ [الأعراف: ١٧٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

فإن سأل سائل عن: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس﴾[الأعراف: ١٧٩]، فقال: إذا كان قد أخبر أنه خلق لجهنم كثيرا من الجن والإنس -كيف يزعم أنه خلقهم لعبادته؟ وإلا فبينوا ما تأويل الآية عندكم؟!

فأول ما نجيبه أن نقول له: ينبغي أن تعلم أن كتاب الله لا يتناقض ولا يختلف، ولا يكذب بعضه بعضا؛ لأن الاختلاف لا يأتي من عند حكيم، وقد قال تبارك وتعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾[النساء:٨٢]، فإذا علمت أن ذلك كذلك، فقد وضح لك الأمر، أمر

الآية من قبل: أنه أخبرنا أن خلق الإنس والجن لعبادته، وقال في موضع آخر: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس﴾، ثم أخبرك: من هم؟! فقال: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها﴾...إلى آخر الآية [الأعراف: ١٧٩]؛ فينبغي لك إذا ورد عليك شيء من كتاب الله، مما ذهب عنك معناه: أن تسأل عنه العلماء؛ فإن الله عز وجل، يقول: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[النحل: ٤]، وقال: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[فاطر:٢٨]، وليس ينبغي لعاقل أن يدع ما علم لما جهل، وليس لك أن تشك في الواضح إذا ذهب عنك الخفي؛ فينبغي للعاقل أن يتمسك بالواضح من كتاب الله، وبالمحكم من كلام الله، فإن في ذلك تبيانا وشفاء لمن طلب الحق وأراده، وقد رغب الخلق في التمسك بالمحكم من كتابه، فقال: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به﴾[آل عمران: ٧].

وأنا مخبرك بتأويل الآية: قال بعض أهل العلم: إن معنى قوله: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس﴾، يريد: الإعادة، ولم يرد: ابتدأهم لجهنم؛ ألا ترى: أنهم كانوا في الدنيا يتمتعون ويأكلون؟! ولكن لما علم تبارك وتعالى: أن أكثر عاقبة هذا الخلق يصيرون إلى جهنم بكفرهم -جاز على سعة الكلام، ومجاز اللغة: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم﴾، وإن كان إنما خلقهم في الابتداء لعبادته، وذلك جائز في اللغة، وقد قال نظير ما قلنا في كتابه، في موسى عليه السلام، قال: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾[القصص: ٨]، وإن كانوا إنما التقطوه ليكون لهم قرة عين، وهكذا حكى الله عن امرأة فرعون، إذ قالت: ﴿قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا﴾[القصص: ٩]. ومثل قوله: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾[النساء:١٠]: لما كان عاقبة أمرهم إلى ذلك، وإن كانوا لا يأكلون في

الدنيا إلا الأخبصة[١]، والفالوذجات[٢]، والأطعمة الطيبة؛ وقد قال الشاعر ما يدل على ما قلنا من ذلك:

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وللمنايا تربي كل مرضعة ... وللحتوف برى الأرواح باريها

والوجه الثاني: قال فيه بعض العلماء: إن معنى قوله: ﴿ذرأنا لجهنم كثيرا﴾: خلقنا، ومعنى " خلقنا " على: أن سنخلق، وليس على: قد خلقناكم في الابتداء لجهنم، وإنما أراد به: في القيامة، كما قال: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار﴾[الأعراف:٤٤] على معنى: سينادون، وكما قال: ﴿قال الذين استضعفوا للذين استكبروا﴾[سبأ:٣٣]، إنما يريد الله بقوله:" سنخلقهم " بمعنى: الإعادة، وهو يوم القيامة في النشأة الأخرى؛ فهذا تأويل الآية.

وإنما يدخلون جهنم بأعمالهم؛ جزاء بما كانوا يكسبون، وجزاء بما كانوا يكفرون، وجزاء بما كانوا يعملون؛ قال الله عز وجل: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها﴾[الأعراف:١٧٩]، يعني: لا يتفقهون بها، وقد كانوا يفقهون ما يقولون، ويبصرون ما هو ألطف من الخردل، ويسمعون ما يريدون، ويستثقلون ما لا يريدون؛ فعلى هذا المعنى تأويل الآية، وكل آية تشبهها.

وقال في المجموعة الفاخرة:

معناها على الصدق والمعاد؛ لعلم الله بما يكون من العباد، فقال: ﴿ذرأنا﴾، فأخبر عما سيكون في آخر الأمر، ويوم القيامة والحشر، من الذرو الثاني، لا الذرو الأول الماضي؛ فكذلك الله رب العالمين، يذرأ لجهنم في يوم الدين جميع من مات على كفره من الكافرين، فيعذبهم على فعلهم، ويعاقبهم على ما تقدم

(١) الخبيص: الحلواء المخلوطة من التمر والسمن، وجمعه: أخبصة. المعجم الوسيط (١/ ٢١٦).
(٢) الفالوذج: من الحَلْوَاءِ، هو: الذي يؤكل يسوَّى من لُبِّ الحنطة. (لسان العرب: مادة " فلذ ").

من كفرهم، كما قال الرحمن الرحيم، الرؤوف الكريم: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة (٣٨) إلا أصحاب اليمين (٣٩) في جنات يتساءلون (٤٠) عن المجرمين (٤١) ما سلككم في سقر (٤٢) قالوا لم نك من المصلين (٤٣) ولم نك نطعم المسكين (٤٤) وكنا نخوض مع الخائضين (٤٥) وكنا نكذب بيوم الدين (٤٦) حتى أتانا اليقين (٤٧) فما تنفعهم شفاعة الشافعين (٤٨)﴾[المدثر]؛ فهذا معنى ما ذكر الله من الذرو في الكتاب ....(إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس﴾، فقلت: إذا كان الله قد ذرأهم لها، فكيف يقدرون على المخلص منها؟

واعلم أن الذرو الذي ذكر الله هو: الذرو الثاني في الحشر؛ حشر المؤمنين إلى النعيم المقيم، وحشر المنافقين الفاسقين إلى العذاب الأليم، لا ما يتوهم الجهلة العمون على رب العالمين، من خلق الفاسق فاسقا، والمنافق منافقا، والصالح صالحا، والطالح طالحا، ولو كان ذلك كذلك لما أرسل إليهم المرسلين، ولما أمرهم بأن يكونوا من المؤمنين، ولكان في أمره إياهم بذلك داعيا لهم إلى مغالبته، آمرا لهم بالخروج من جنته، ولم يكن المحسن أولى بثواب الإحسان من المذنب، ولم يكن المذنب أولى بعقوبة الذنب من المحسن؛ وذلك قول الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

وقال في موضع آخر من الكتاب:

وسألت عن: قوله سبحانه: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾؟

فمعنى قوله: ﴿ذرأنا﴾ هو: أنشأنا، وجعلنا، وهو: الذرو الآخر، والنشأة الآخرة في يوم القيامة، عند خروج الناس من قبورهم، فيساق أهل كل دار إلى دارهم، من عمل في الدنيا خيرا أحشر إلى الجنة، وذرأ لها، ومن عمل في الدنيا شرا أحشر إلى النار، وأنشأ لها وإليها؛ جزاء على عمله، وإعطاء لما أسلف من فعله.

وأما ما ذكر الله من القلوب والأعين والآذان: فإنه أخبر بذلك أنهم كانوا لا ينتفعون بها في الدنيا؛ كانوا لا يميزون بقلوبهم ما أمروا بتمييزه، ولا يعتبرون بما يرونه من أثر صنعة الله لغيرهم، ولا يقبلون عن الله ما يسمعونه بآذانهم؛ فهم في قلة القبول والاقتداء، وترك الانتفاع بما يسمع ويرى -كالأنعام؛ بل هم أضل من الأنعام؛ لأن معهم من التمييز ما ليس معها، ثم هي في الإعراض وقلة الانتفاع كـ" هم " سواء؛ فهم بذلك وشبهه أشر منها وأردى، وآفك عن الحقيقة وأبلا؛ فنعوذ بالله من الحيرة والعمى، والهلكة باتباع الهوى.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله تعالى: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها﴾... الآية؟

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: الجواب في ذلك: أنهم كانوا عميا عن الحق، صما عن استماعه، من غير عمى ولا صمم كان بهم؛ والعرب تكلم بهذا في قولها، من ذلك أن الرجل إذا كلم رجلا، فلم يرفع لكلامه رأسا -قال:" أنت أصم عن قولي، وأعمى عما أريد منك "، قال الشاعر في نحو ذلك:

أعمى إذا ما جارتي خرجت ... حتى يواري جارتي الستر

وأصم عما كان بينهما ... سمعي وليس يحويه وقر

وفي هذا البيت الآخر إضمار أيضا؛ فافهم؛ ألا ترى كيف قال:" وأصم عما كان بينهما "، ولم يذكر اثنين، وإنما ذكر جارة واحدة، ثم قال:" بينهما "، فصار

اثنين؛ وذلك: أنه أرادها وزوجها، فأضمر: الزوج؛ وهذا ليس من مسألتك؛ ولكن زدناك حجة في الإضمار؛ فاعلم ذلك إن شاء الله.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧)﴾ [الأعراف: من آية (١٨٧)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم حين سئل عن قيام الساعة: ﴿قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، يعني: قيام الساعة؛ قد أعلم الله تعالى الساعة القليل من خلقه، وهم أهل صفوته، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :((إن من أشراط الساعة: مطرا ولا نبات، وتبايع الناس بالعينة[1]، وكثرة أولاد الزنى، وترك العمل بكتاب الله تعالى، وتجارة النساء، وتجارة الراعي في أمته))، مع شرائط كثيرة.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠)﴾ [الأعراف:١٨٩، ١٩٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

وقوله تعالى : ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها

---

(١) العِينة – بكسر العين –: هي أن يبيع الرجل سلعة بثمن معلوم، إلى أجل معلوم، ثم يشتريها البائع من المشتري بأقل مما باعها به أولاً.

ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين (١٨٩) فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون (١٩٠) أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون...﴾ إلى آخر الآية[الأعراف:١٨٩-١٩١]؟

الجواب عن ذلك : أن هذه الآية في آدم وحواء عليهما السلام. وأما شركهما فإنما هو: استخدام ولدهما في منافع الدنيا، وهو شرك لغوي لا شرعي، ولم يفرغاه لعبادة الله تعالى.

وقوله: ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون﴾[الأعراف:١٩١] فأراد: أن أعمال الدنيا لا تبقى كأعمال الآخرة، وأن المعبود من دون الله لا يخلق شيئا، فأعاد الخطاب إلى من يعبد الأصنام، وإن لم يسبق له ذكر، ومثل هذا موجود في القرآن.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته: عن قول الله سبحانه: ﴿فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾؟

فهو: ما وهب لهما من ولدهما وأعطاهما، جعلا [له] فيما أحسب بين الله وبينهما، يعبد الله ويحرث الحرث.

وقد يذكر في التوراة: أنهما سمياه عبد الحارث، وقالوا: إن الحارث هو إبليس، فيما أحسب؛ وهم وهمته اليهود في التفسير، فقالت فيه بالتلبيس، وأدخلوا مكان " ما جعلاه له من الحرث ": عبد الحارث، فجعلوه عبدا لما جعلاه، ولم يفرقوا فيه بين الحرث والحارث؛ ألا ترى كيف يقول سبحانه: ﴿فلما آتاهما صالحا﴾ يعني: ولدا ذكرا ﴿جعلا له شركاء﴾ منه ﴿فيما آتاهما﴾، يريد تبارك وتعالى: نصيبا فيما أعطاهما، من صالح الولد، فجعلاه بينهما وبين التعبد؛ ألا ترى لقوله سبحانه فيه

إذا: يسلماه كله إليه: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾[الأعراف: ١٩٠]، يقول: فتعالى الله أن يكون هو وهم في شيء من الأشياء مشتركون، كما قال في أهل الجاهلية: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا﴾ – يعني: شريكا – ﴿فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون﴾[الأنعام:١٣٦]، وكذلك قال الله تبارك وتعالى: ﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا﴾ – يعني: شريكا – ﴿مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون﴾[النحل: ٥٦]. وليس يتوهم الشرك عليهما بالله، إلا من لا علم له فيهما بأمر الله.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿جعلا له شركاء فيما أتاهما﴾؟

فقال: إن آدم وحواء صلى الله عليهما لما أن أسكنهما الله الجنة التي ذكر في كتابه، نظر آدم صلى الله عليه إلى خلقه، ونظر إلى خلق حواء عليهما السلام، فقال: لئن آتيتنا ولدا على مثل خلق آدم لنخلينه لعبادتك وطاعتك، فلما أن رزقهما الله تبارك وتعالى ولدا ذكرا، وشب ذلك الغلام وكبر –لم يستغن عنه أبوه في معونته في حرثه وزرعه، وجميع مرافقه، فاستخدمه يوما، وخلاه لعبادة ربه يوما، فكان على ذلك فعله، فأنزل الله تبارك وتعالى قرآنا، وهو قوله: ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾، لا ما يقول به الجاهلون، القائلون على الله ما لا يعلمون.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ (١٩٥)﴾ [الأعراف:١٩٤ – ١٩٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ فهو: من دونه سبحانه؛ كذبا وافتعالا؛ وقد يكون تأويل: "من دونه": أنهم دونه كبرياء وجلالا. والذين كانوا يعبدون[١] فهم: من عبدوا من الملائكة المقربين، ومن كانوا يعبدون من دونه من الآدميين، ومن عبد من الناس أحدا من الشياطين؛ هؤلاء كلهم فهم عباد أمثالهم. وقد عبدوا من عبدوا من العباد: ما كانوا يعبدون من الأصنام، والتماثيل والأوثان، التي ليس لها أرجل ولا أيدي، ولا أعين ولا أسماع، ولا عندها لأحد عبدها أو لم يعبدها ضر ولا انتفاع، وفي الأصنام ما يقول الرحمن، له الكبرياء والجلال: ﴿ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها﴾، وما ذكر من غير ذلك عند ذكرها، وليس شيء من ذلك كله لها، فكيف يعبدونها مع زوال ذلك كله عنها، وهو أفضل في ذلك كله منها، إلا لفعلهم الفاسد المدخول، بالمكابرة لحجة العقول.

(١) – المراد: والذين كانوا يعبدونهم، والضمير المحذوف هو العائد.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (١٩٨)﴾[الأعراف:١٩٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قال الله سبحانه: ﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا﴾، تأويل ذلك: لم يطعيوا ولم يعوا ـ ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾، وتأويل ذلك: لا يبصرون من الهدى ما تبصرون... (إلى آخر كلامه عليه السلام)

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)﴾[الأعراف: ٢٠٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وإنما أمر عز وجل بالإنصات والاستماع في هذه الآية: في الصلاة خاصة، وإذا لم يسمع فلم ينصت؛ وإنما يقع الإنصات على من سمع القراءة، فإذا سمعها وجب عليه أن ينصت، ويقف من القراءة خلف الإمام، ولا يقرأ شيئا؛ لأنه إذا قرأ لم يسمع، ولم يكن منصتا؛ فحظر الله سبحانه على المستمعين للقراءة: أن يقرأوا؛ وذلك لقوله: ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾؛ على أنه إذا لم يجهر الإمام: أن يقرأ فيما خافت فلم يسمعوه، فإذا لم يسمع من خلف الإمام قرآءته -وجب عليهم أن يقرأوا... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١)﴾ [الأنفال:١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

الأنفال فهي: الغنائم التي نفلها الله المسلمين، وجعلها لهم وأطلقها، ولم يكن أطلقها لأحد قبل محمد صلى الله عليه وآله؛ فأخبرهم الله: أنه لا يجوز لهم فيها هبة ولا قبض ولا انبساط، وأعلمهم: أن الحكم فيها إلى الله ورسوله، فحكم الله عز وجل فيها ورسوله بما قد علمته من خمسها، وقسم الأربعة الأخماس على ما حضرها من الرجال والفرسان على الأسهم المعروفة، للراجل سهم، وللفارس سهمان.

وقال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام في سياق كلام عن الإيمان:

قال: ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾، معنى ذلك: وإلا فلستم مؤمنين لأنفسكم من عذاب الله، ثم فسر: من المؤمنين لأنفسهم من عذابه؟ فقال: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون

أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾[الأنفال: ٢]، فدل جل ذكره على أن في عباده: مؤمنين بالإقرار، إيمانهم باطل لا ينفعهم، وهم الذين قرنوا به معصيته فأحبطوه، ولم يبق - جل ذكره - شيئا مما يؤمن به العبد نفسه من سخطه وعذابه، مما أمره به وفرضه، ونهى عنه وواعد عليه، إلا وقد ذكره مجملا بقوله: ﴿وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾، وذكر بعضه مفصلا.

والإيمان الحق هو - مع الإقرار -: فعل ما يؤمن به الإنسان نفسه من سخط مولاه ووعيده؛ ويدخل فيه الإيمان الذي هو: الإقرار، والتصديق بالقلب واللسان، وجميع الطاعات لله؛ والحمد لله.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

سأل - أيده الله - عن: قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾، الأنفال ما هي؟

الأنفال في أصل اللغة هي: الزيادة من المحبوب؛ قال لبيد:

إن تقوى الله من خير نفل ... وبإذن الله ريثي وعجل

ثم صارت في العرف: تنفيل الغنائم؛ فكأنها زيادة في الخير، وسبب السؤال: أن المسلمين تنازعوا في الغنيمة يوم بدر، وكانت المشيخة والجلة ردءا للمسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان الشبان والفرهان أوغلوا في اتباع القوم، فقال الشبان والفرهان: الغنيمة لنا؛ لأنا فضضنا القوم وتبعناهم؛ فبنا حيزت الغنائم. وقالت الجلة: نحن ردؤكم، وحفظنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلولا نحن لم تغنموا. فلما ساءت ظنونهم، وعظم تشاجرهم -نزلت في ذلك سورة الأنفال، من أولها إلى آخرها، وهي تسمى: سورة القتال، وسورة الأنفال؛ وفي ذلك ما رويناه بالأسانيد إلى زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطلبي، يرفعه، قال: نزلت سورة الأنفال في أهل بدر، في اختلافهم في النفل حين اختلفوا، فقال

تعالى: ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾[الأنفال:١]، فكان عبادة بن الصامت رحمه الله إذا سئل عن الأنفال قال:" فينا معشر أهل بدر نزلت، حين اختلفنا في النفل يوم بدر، فانتزعه الله تعالى من أيدينا؛ حين ساءت فيه أخلاقنا، فرده الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فقسمه بيننا على بواء "، معناه: على السواء؛ فكان في ذلك تقوى الله وطاعته وطاعة رسوله، وصلاح ذات البين.

قال أيده الله:" وهل إضافتها إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إضافة تمليك أو إضافة تولية؟ وإذا كان إضافة تمليك: فهل حكم هذه الآية باق إلى الآن، أم هو منسوخ بآية الغنيمة؟ "

الجواب: أن إضافتها إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إضافة تمليك، لا تولية؛ والدليل على ذلك: أنه يفعل فيها ما شاء، وكيف شاء، وذلك: حقيقة الملك؛ لأنه لو كان تولية كان حكمه حكم ولي اليتامى: له التصرف بحكم الولاية، ولا يجوز له المفاضلة؛ ولا قائل بذلك من الأمة فيما نعلمه.

وسألت عن: حكم هذه الآية هل هو باق أو منسوخ بآية الغنيمة؟

وهو باق إلى الآن؛ لأن للإمام أن يفعل في الغنيمة ما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفعله، فلو كانت منسوخة لاختلف الحكم، ولا اختلاف في ذلك بين أهل العلم.

قال أيده الله:" وإذا كان هذا الحكم باقيا: فهل علم من حاله أنه استأثر بالغنيمة، دون المهاجرين والأنصار، أم لا؟ "

والجواب عن هذه المسألة: أن الاستئثار ليس من طرائق الأحرار، فكيف يضاف إلى المصطفين الأخيار، وقال عنترة في جاهليته:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك .... إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

ينبيك من شهد الوقيعة أنني .... أغشى الوغى وأعف عند المغنم

فإذا كانت جفاة الجاهلية يمتدح بترك الاستئثار؛ فكيف يكون في أهل الإسلام؛ فكيف يكون في أصل الإسلام وأساسه، من صفوة الله من خلقه، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!! والاستئثار يبطل حكم المروءة؛ فكيف يجوز على من خصه الله بالنبوة؟!! هذا ما عنه سائل، ولا به في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائل.

قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦)﴾ [الأنفال: ٥ – ٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته: عن قوله سبحانه: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾...، إلى قوله: ﴿وهم ينظرون﴾؟

فقال: هذا إخبار من الله تبارك وتعالى، بما كان من خيرته لنبيه صلى الله عليه وآله في خروجه إلى أحد، وتبرزه عن المدينة، حتى كان الحرب بأحد، ولم يكن على أبواب المدينة، فكان ذلك خيرة من الله لنبيه؛ فأما قوله: ﴿وإن فريقا من المؤمنين لكارهون﴾، فقد كان رسول الله صلى لله عليه وآله شاورهم: أين يكون قتالهم: ((أترون أن نثبت حتى يأتونا المدينة، فنقاتلهم على دروبها، أو نخرج فنقاتلهم ناحية منها؟)) فأشاروا عليه بالقتال في المدينة، فأطاعهم، ثم بدا لهم، فأشاروا بالخروج، فأطاعهم، فدخل منزله، ولبس لامته، ثم ركب وخرج، فلما أن خرج قالوا: يا رسول الله، ارجع بنا إلى الرأي الأول، إلى القتال على أبواب المدينة، نثبت لهم حتى يأتونا إلى هاهنا. فقال صلى الله عليه واله: ((ما كان لنبي إذا لبس لامته – يعني:

درعه - أن يفسخها حتى يقاتل))، ومضى صلى الله عليه وآله نحو أحد، فكرهوا ذلك، وجادلوه فيه، وثقل عليهم الخروج إلى قريش، ورجع من الطريق عبد الله ابن أبي الأنصاري في ثلاثمائة، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله في باقي الناس، وبهم من الهيبة والفرق ما قال عز وجل: ﴿كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾؛ من لقاء القوم، وحاربهم وكان من الأمر ما كان.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧)﴾ [الأنفال: ٧]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قوله سبحانه: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته﴾؟

فقال: الطائفتان فهم: عسكر قريش الذي لقي النبي صلى الله عليه وآله ببدر، والطائفة الأخرى فهي: العير التي أقبلت من الشام إلى مكة؛ لحمل الطعام، فلما أن وعدهم الله أن يظفرهم بأحديهما -أحب المسلمون وودوا: أن تكون طائفة العير والطعام، الذي ليس فيها إلا الحمالين، الذين لا يحاربون ولا يدافعون عنها، ولا شوكة فيها، وأشفقوا من طائفة العسكر، والجيش الذي فيه السلاح والخيل والقتال؛ فأحبوا أن يلقوا غير هذه الطائفة، فتكون أهون عليهم في المعاناة، وأسلم لهم، وكان الله يريد غير ذلك من إذلال العسكر ومن فيه، وقتل أعداء نبيه، وإظهار النصرة على عدوه، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧)﴾ [الأنفال:١٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام بعد ذكر الآية ما لفظه:

ذلك في قصة أهل بدر، ولما كان الغالب على أمر قريش القوة والاستظهار، وكان أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم في نهاية من الضعف، كما قال تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾[آل عمران:١٢٣] -أضاف القتل إليه؛ لتأييده تعالى لهم بالملائكة عليهم السلام، والفعل مضاف إليه؛ تفخيما للحال، وتعظيما للأمر، كما يقال:" السلطان قتل بني فلان "، وإن كان جنده قاتليهم؛ فلما وقع قتل المشركين بتأييد الملائكة، وقذف الرعب في قلوبهم -أضاف الأمر إلى الله تعالى، وكذلك في قوله : ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾[الأنفال:١٧]: فلأن الرمي وقع على وجه لا يدخل تحت مقدور العباد؛ لأنه رمى بكف من حصى وتراب، فما بقي رجل إلا دخل من ذلك في عينه شيء؛ فكان المتولي لذلك. وأما حركة كف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد كانت منه، ولهذا قال تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت﴾[الأنفال:١٧]؛ فأضاف الرمي إليه، الذي دخل تحت مقدوره، ونفى عنه ما عدا ذلك؛ فتأمل ذلك تفهم معناه، موفقا إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١)﴾ [الأنفال: من آية (٢١)]

قال في المجموعة الفاخرة:

وأما ما سأل عنه من قول الله: ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾، فتوهم: أنهم كانوا لا يسمعون؛ لصمم جعله الله سبحانه في آذانهم، أو لسبب جعله حاجزا بين الهدى وبينهم.

وليس ذلك – والحمد لله – كذلك، ولو كان الله فعل ذلك بهم لما عاب صممهم، ولكان أعذر لهم من أنفسهم، ولما بعث إليهم المرسلين، ولا أمرهم باتباع المهتدين، وإنما أراد الله سبحانه بذلك حض المؤمنين، على الطاعة لرب العالمين، والاستماع لسيد المرسلين، فقال للمؤمنين: ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾، يقول: لا تكونوا كالذين قالوا أطعنا بألسنتهم، وهم كاذبون في قلوبهم؛ بل قلوبهم منكرة لذلك، جاحدة له، يدارون بالقول؛ خوفا من المؤمنين والرسول، ويكفرون من ورائه بكل الدين والتنزيل، وهم الذين قال فيهم الرحمن الجليل: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن﴾[البقرة: ١٤]، وقال: ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾[الفتح: ١١]، وهم الذين قال الله فيهم، من منافقي قريش والأعراب وغيرهم: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ [المنافقون: ١]، فنهى المؤمنين عن مشابهة المنافقين، ولم يكن قوله ما قال إخبارا منه بتركيب ما ذمه منهم فيهم، ولو كان الله سبحانه فعله فيهم –لما نهى المؤمنين عن ذلك؛ إذ هو فعله، لا فعلهم؛ فكيف ينهاهم عن أن يفعلوا فعله؟! ولو جاز: أن ينهاهم عن فعل ما فعله فيهم – لكانوا مقتدرين على أن يفعلوا كفعله، ولو كانوا مقتدرين على أن يفعلوا كفعله –إذا لخلقوا كخلقه، ولو خلقوا كخلقه – لامتنعوا بلا شك مما يكرهون من أفعاله، من موتهم وابتلائه إياهم بما يبتليهم به، ولتزيدوا فيما آتاهم مما يحبونه؛ فتعالى من هو على خلاف ذلك، والمتقدس عن أن يكون كذلك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢)﴾ [الأنفال: ٢٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

هم - رحمك الله -: أهل الكفر بالله الذين لا يؤمنون، والذين علم الله: لو أسمعهم بزيادة في التبيين لما كانوا يسمعون، يريد تبارك وتعالى: لما كانوا يطيعون، وفيهم ما يقول الله سبحانه: ﴿إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾[الأنفال:٥٥]، وفي أن السمع هو: الطاعة - ما يقول سبحانه: ﴿ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا﴾[النساء:٤٦].

وقال في المجموعة الفاخرة، بعد ذكره الآية ما لفظه:

يقول: الذين لا يهتدون إن هدوا، ولا يقبلون الحق إن دعوا، ولا ينتهون إذا نهوا، فضرب الله لهم ذلك مثلا؛ إذ كانوا في الضلال على هذه الحال، وهم في ذلك لقبول الحق مطيقون، وعلى اتباع الصدق مقتدرون، فلما أن تركوا ذلك شبههم الله بالصم البكم الذين لا يعقلون؛ إذ تركوا فعل ما كانوا يطيقون.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣)﴾[الأنفال: من آية (٢٣)]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾؟

فقال: معنى قوله: ﴿لأسمعهم﴾ فهو: لوفقهم ولسددهم، فهداهم وأرشدهم إلى صواب ما يسمعون، وإليه من الحق يدعون؛ ولكن لم يعلمهم ممن يريد الحق، ولا يصدق فيستأهل منه ما ذكر من الإسماع، الذي هو الهداية والتوفيق والتسديد؛ بل علم أنه لو فعل ذلك بهم ما قبلوه، ولتركوه، وتولوا عنه، وهم معرضون عن قبوله وعن الإقرار به.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: من آية (٣٥)]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله عز وجل: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾، وقلت: ما المكاء، وما مخرجه في اللغة؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: المكاء في لغة العرب هو: الصفير؛ موجود ذلك في كلامها وأشعارها، من ذلك قول عنترة العبسي:

وحليل غانية تركت مجدلا ... تمكوا ترائبه كشدق الأعلم

يقول: يصفر ويخور عند خروج نفسه حين قتله، وأن ترائبه - زعم الشاعر - مفتحة كشدق الأعلم، والأعلم فهو: مشقوق الشفه.

قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١)﴾ [الأنفال: ٤١]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

فأما السهم الذي لله: فيصرفه الإمام في أمور الله، وما يقرب إليه، مما يصلح عباده، من إصلاح طرقهم، وحفر بيارهم، ومؤونة قبلتهم، وما خرب من مساجدهم، وإحياء ما مات من مصالحهم، وغير ذلك مما يجتهد فيه برأيه، مما يوفقه الله فيه لما لا يوفق له غيره. وأما السهم الذي لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهو: لإمام الحق، ينفق منه على عياله، وعلى خيله، وعلى غلمانه، ويصرفه فيما ينفع المسلمين، ويوفر أموالهم. وأما سهم قربى آل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهو: لمن جعله الله فيهم، وهم الذين حرم الله عليهم الصدقات، وعوضهم إياه بدلا منها، وهم أربعة بطون: وهم آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، ويقسم بينهم ذلك قسما سواءا الذكر فيه والانثى، لا يزول عنهم أبدا؛ لأن الله سبحانه إنما أعطاهم ذلك لقرباهم من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومجاهدتهم معه، واجتهادهم له، ولا يزول عنهم حتى تزول القرابة، والقرابة فلا تزول عنهم أبدا، ولا تخرج إلى غيرهم منهم؛ وهذه الأربعة البطون فهم: الذين قسم عليهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الخمس؛ وقد روي لنا: أنه أعطى في الخمس بني المطلب، فبلغنا عن جبير ابن مطعم، قال: لما قسم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سهم ذي القربى بين بني هاشم وبني المطلب أتيته أنا وعثمان، فقلنا: يا

رسول الله، هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم؛ لمكانك الذي وضعك الله به منهم؛ أرأيت إخواننا من بني المطلب، أعطيتهم ومنعتنا، وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة. فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام، إنما بنو هاشم وبنو المطلب كهاتين))، ثم شبك بين أصابعه؛ فلذلك قلنا: إنه لا يجوز أن يقسم على غير هؤلاء الأربعة البطون؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يذكر: أنه قسم لغيرهم، إلا أن يكون بني المطلب، فقد يمكن أن يكون قسم لبني المطلب عطاء منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لهم، وهبة وشكرا على ما كان من قديم فعلهم، وصبرهم معه واجتهادهم، لا على أنه سهم لهم فيه، والإمام في ذلك موفق ينظر فيه بنور الله وتسديده.

قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: وإنما يجب ما ذكر الله من سدس خمس الغنيمة لمن سماه الله من قربى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهم هؤلاء الأربعة البطون الذين سمينا -إذا كانوا كلهم للحق تابعين، ولإمام المسلمين ناصرين، سامعين مطيعين، مواسين صابرين، موالين للحق والمحقين، معادين للباطل والمبطلين، فأما من كان من هؤلاء كلهم غير متبع ولا مجتهد، وكان عاندا عن الصدق، منحرفا عن إمام الحق -فلا حق له في ذلك، ولا نصيب له مع أولئك، إلا أن يتوب إلى الله من خطيئته، ويظهر للإمام ما أحدث من توبته، فيكون له - إن كان منه ذلك - أسوة غيره من الرجال، في حكم الله سبحانه وفي المال. وأما سهم اليتامى، وسهم المساكين، وسهم ابن السبيل: فإن يتامى آل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومساكينهم، وابن سبيلهم -أولى بذلك من غيرهم، فإذا لم يكن في آل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتيم، ولا مسكين، ولا ابن سبيل -رد ذلك على أقرب أبناء المهاجرين إلى رسول رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فكلما استغنى قوم أقرب إلى رسول الله

صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قوم -رد في قوم سواهم، ممن هو أقرب إلى الرسول، فإذا استغنى أبناء المهاجرين من الأقرب فالأقرب من رسول رب العالمين -رد ذلك في الأنصار على قدر ما كان من منازل أوليهم واجتهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ يبدأ منهم بأكثرهم اجتهادا في الجهاد والنصيحة لله وللإسلام، فإذا استغنى من ذلك الأنصار -رجع في سائر المسلمين من العرب وغيرهم، فكان ليتاماهم ومساكينهم وابن سبيلهم. ومن عند من أبناء المهاجرين والأنصار وسائر المسلمين، عن الحق والمحقين، فناصب أو خالف أو خذل إمام المؤمنين -لم يكن له في شيء من ذلك حق، كما لم يكن لمخالفي آل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في ذلك حق، ولا في غيره حق.

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: وإنما قلنا إن يتامى آل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومساكينهم، وأبناء سبيلهم -أولى بما جعل الله لليتامى والمساكين وابن السبيل في الخمس من غيرهم؛ لأن يتامى غيرهم ومساكينهم وابن سبيلهم يأخذون ما يجبى من الأعشار والصدقات، وهم لا يأخذون، وينالون من ذلك مالا ينالون؛ فلذلك جعلناهم بسهام الخمس أولى من غيرهم، ما كانوا إليه محتاجين، وكان فيهم من ذكر الله من اليتامى والمساكين وابن السبيل؛ وفي ذلك ما بلغنا عن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام: أنه كان يقول في قول الله تبارك وتعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾: " هم يتامانا، ومساكيننا، وابن سبيلنا ". وقلنا: إنهم إذا استغنوا عن ذلك -رجع إلى الأقرب فالأقرب من أبناء المهاجرين؛ تفضيلا لمن فضل الله من قربى رسوله المجاهدين، وكذلك جعلنا ذلك من بعد أولئك للأنصار؛ لقدر اجتهادهم وصبرهم، وكذلك يجب على إمام المسلمين: أن يعرف لذوي العناء في الاسلام موضع عنائهم؛ فإن ذلك أنفع للدين، وأرجع على المسلمين.

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: وإن احتاج الإمام إلى صرف الخمس كله في مصالح المسلمين -فله أن يصرفه في ذلك، ولا يقسمه؛ كما فعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم حنين، وكما فعل أمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفين: أخذ الخمس، واستحل منه أهله؛ وإنما يكون للإمام ذلك عند حاجته إليه وضرورته، لا في وقت مقدرته وسعته، وإن كان المساكين أولى بذلك كله صرف إليهم، وكذلك أبناء السبيل.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم﴾، فقلت: لم يذكر الله سبحانه الخمس في الكتاب في صيد البر والبحر؟ وسألت: من أين أوجبناه نحن، وليس له في كتاب الله ذكر؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: اعلم - هداك الله وأعانك -: أن معنى ما ذكرنا من الخمس في البحر والبر، وأوجبناه - معنا فيه آية من كتاب الله عز وجل، والذين لم يوجبوه وأنكروه فإنما استحلوا ورخصوا فيه لأنفسهم، وجرت بهم سوء العادة عليه، وعدموا المؤدب والمنبه؛ فصار عندهم حكما واجبا باستحسان أنفسهم، وقلة المنكر عليهم، وليس ما فعله العباد بجهل، أو تجاوز وترخيص، تبع فيه الأول الثاني، وتبع الثاني الثالث -بحكم الله؛ إذ رضوا به وأجمعوا عليه؛ لأن إجماعهم على غير الحق غير موجب لهم صدقا، ولا مثبت من الله اتباعا؛ فلا تنظر إلى الإجماع على ما لا يشهد له به كتاب ولا سنة.

وإنا وجدنا الله سبحانه يقول في كتابه: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه﴾[الأنفال:٤١]، فقال: ﴿من شيء﴾، ولم يقل: شيئا واحدا؛ فكل ما وقع عليه اسم الغنيمة فقد أوجب فيه الخمس، وإن كنت تقول: حتى نجده لك مسمى في كتاب الله، خمس البحر، فقلت: تجده كذلك؛ ولكن قوله سبحانه: ما

غنتم من شيء - يوجب في البر والبحر الخمس، وإلا كان قال لك مناظرا: وجدنا للمعادن في كتاب الله تسمية في الخمس، أو في الركائز -فلن تجد ذلك أبدا، وإذا لم تجده وجب عليك أن تطرح الخمس من المعادن والركاز، وكذلك اللؤلؤ والجواهر الذي تخرج من البحر ليس فيها أيضا خمس، وإذا قال بذلك قائل فقد رد حكمه، وضاد أمره، وعاند نبيه، وخالف فرضه، وإن أوجب الخمس فقد أصاب الحق، وإذا أوجبه في هذه الأشياء التي ليس لها في كتاب الله ذكر، وكذلك أيضا لا يجب في الأشياء الأخر سواء سواء.

وقد احتججنا في هذا بحجج قد صارت إليك، ووصلت بك، والقاسم صلوات الله عليه فإنما أراد بقوله: " يحول الحول عليه ثم تكون فيه الزكاة ": أن كل ما كان من الغنائم - فإنما أراد- يجب فيه الخمس عند أخذه، ثم ليس فيه شيء على مالكه غير ذلك، حتى يحول عليه الحول، فإذا حال عليه الحول وجبت عليه فيه الزكاة، إذا كان قيمته مائتي درهم، أو عشرون مثقالا؛ لأن بعض الناس يوجب فيه من بعد الخمس العشر، ولسنا نرى ذلك حتى يحول عليه الحول، ثم فيه ربع عشره، وعلى ذلك يجري حسابه، في العشرين مثقالا: نصف مثقال، وفي المائتي درهم: خمسة دراهم. ولا اختلاف عندنا: أن القاسم صلوات الله عليه كان يوجب الخمس، وكذلك يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، وبذلك كان يقول الهادي إلى الحق صلوات الله عليه، وبه أقول، وعليه أعتمد، وكفى بالآية شاهدا ومبينا.

وقلت: إن كثيرا من أئمة الحلال والحرام لم يتكلموا في ذلك بشيء؟

واعلم - حاطك الله -: أن أئمة السلف أعلم، ومعهم من التوفيق والتسديد ما ليس مع الآخرين، ولعلهم لو سئلوا عنها، أو كشفوا عن جوابها: أن يجيبوا فيها بما أجبنا.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣)﴾ [الأنفال: ٤٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام، في سياق ردّه على ابن الحنفية ما لفظه:

وأما ما ذكر من قول الله عز وجل: ﴿وإذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور (٤٣) وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا﴾[الأنفال:٤٣، ٤٤]، فقال وتوهم أن هذا الأمر المفعول الذي يقضيه الله هو: قضاؤه على الفريقين بالقتال، والمزاحفة والاقتتال؛ وليس ذلك - ولله الحمد - على ما قال، ولا على ما توهم من المحال: أن الله يقضي على الكافرين بقتال المؤمنين، ولا أنه يقلل المؤمنين في أعين الكافرين؛ تشجيعا منه لهم على قتال المؤمنين، وتأييدا بذلك لهم على المهتدين؛ ولكن قللهم في أعينهم؛ لكيلا يروهم بحالة الكثرة، مع ما في قلوبهم من هيبة الروعة، فينهزموا ويذهبوا، ويرجعوا ولا يقاتلوا، فكان ذلك خذلانا لهم وخزيا عليهم، وقللهم في أعين المؤمنين؛ لكيلا يروهم على الكثرة التي كانوا عليها، فيهابوا ويخافوا، فقللهم في أعينهم؛ تأييدا منه لهم، ومعونة وإحسانا إليهم؛ فأما قوله: ﴿ليقضي الله أمرا كان مفعولا﴾، فمعناه: ليقضي الله وعدا كان منجزا، وهو ما وعد رسوله والمؤمنين من النصر إذا نصروه، والتسديد لهم إذا قصدوه؛ ألا تسمع كيف يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[محمد: ٧]، ويقول: ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾[الحج: ٤٠]، فقضى تبارك وتعالى لرسوله وللمؤمنين عند الالتقاء بما وعدهم من النصر، وفعل لهم

بما ضمن فعله من الأمر، وتغنيمهم ما وعدهم من إحدى الطائفتين: طائفة الجيش، وطائفة العير؛ فغنمهم الله طائفة الجيش، كما وعدهم من الأمر. وإنجاز ما وعد المؤمنين من النصر على الكافرين فهو: الأمر الذي ذكر الله أنه كان مفعولا، لا ما يتوهم أهل هذا القول الفاسد المخبول.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤)﴾ [الأنفال: ٤٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

تأويل ﴿ليقضي﴾: ليتم أمره فيكم وفيهم، ونصره لكم عليهم. والتقليل من الله في أعينهم للمؤمنين فإنه: تبيينه من الله للمستبينين، والتقليل فقد يكون أنواعا، إن كان لأنواعه كله جماعا، ليس ينكرها ممن أنكر منكر؛ لأن الله على كلها - لا شريك له - مقتدر.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

مسألة في قوله تعالى: ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم﴾: كيف يصح رؤية البعض دون البعض، والحال واحدة؟

الكلام في ذلك: أن الله تعالى صرف الشعاع عن بعض المقاتلين، ولم يصرفه عن بعضهم، وصورة الحال فيه: أن يجعل بين المقابل وبين الناظر حائلا لطيفا، على حد ما يمنع نفوذ البصر، ويجلي جهة من يريد إدراكه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢)﴾[الأنفال: ٦٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

يقول سبحانه: وإن يريدوا أن يخدعوك، فيمكروا بالكذب فيما أعطوك، فيعطوك المسالمة كذبا، ويكذبوك بالمخادعة تلعبا -فحسبك في ذلك بتأييد الله ونصره، وبما ألف من قلوب المؤمنين على دينه وأمره، وإذا كان استهزاؤهم ومكرهم إنما هو إخفاؤهم ما يخفون، وسترهم من أمرهم لما يسترون -وأمور[1] الله أستر وأبطن، وأخفى عنهم وأكن، وذلك فقد يكون مكرا من الله بهم واستهزاء، واختداعا من الله لهم صاغرين وإخزاء، وبذلك كان الله خادعا لمن خادعه، لا مخادعا ولا مخدوعا، وكان قلب من خادعه سبحانه من العلم بمكر الله به مقفلا مطبوعا، ليس فيه لله حذار، ولا عن منكره ازدجار، حتى يدهاه من أخذ الله دواهيه، ولا يوقن أن شيئا منها يأتيه، كما قال سبحانه: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾[آل عمران: ٥٤]، وقال جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله: ﴿ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون (٥٠) فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين (٥١)﴾[النمل: ٥٠ - ٥١].

---

(١) - هكذا في النسخة المنقول منها، والقياس أن تكون: [فأمور الله]؛ تأمل.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨)﴾ [الأنفال: ٦٧ – ٦٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام، في سياق رده على ابن الحنفية ما لفظه:

ويقال للجهلة الضالين، من المشبهين المجبرين: ما قولكم في قول ربكم، وما مخرج ذلك عندكم، حين يقول سبحانه: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾[الأنفال: ٦٧]، ما أراد الله بهذا من قوله؛ أليس هذا عتاب منه لرسوله، يخبره أنه لم يكن ينبغي له أن يأسرهم، ولا يطمع أصحابه في التشاغل بأخذهم، دون الإثخان لهم بقتلهم؟ ثم قال سبحانه، وجل جلاله، وعز سلطانه: ﴿تريدون عرض الدنيا﴾[الأنفال: ٦٧]، يريد بذلك: ما أخذوه منهم وفيهم من الفداء. ثم قال: ﴿والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم﴾[الأنفال: ٦٧]، يقول: والله يريد منكم الاجتهاد في أمر الآخرة، وما يقربكم إليه، ويزيد في كرامتكم لديه. ثم قال: ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾[الأنفال: ٦٧]، يقول: لولا حكم من الله سبق بالعفو عنكم، في وقت أسركم، وترككم الاستقصاء في قتل عدوكم -لمسكم فيما أخذتم من غنائمهم وفدائهم عذاب عظيم؛ فتبارك الله الحليم الكريم؛ فأخبر الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله: أنه قد فعل ما كان غيره أحب إلى الله وأرضى، ولم يتعمد صلى الله عليه وآله لله في ذلك إسخاطا؛ بل لعله توهم: أن الأسر في ذلك الوقت أنكأ، وللكافرين أذل وأشقى، حتى أعلمه الله أن القتل في وقت قيام الحرب كان أنفع، وعلى الإسلام وأهله بالخير أرجع؛ أفيقول الحسن بن محمد وأشياعه، ومن كان على الجهل من أتباعه: إن آجالهم كانت قد جاءت،

فدفعها رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم، فعاب الله عليه ما فعل من دفع وفاتهم، وتأخير ما كان الله قد جاء به من حضور آجالهم؟ أم يقولون: إن آجالهم لم تأت ولم تحضر، وقد بقي لهم من الحياة زمان وأعصر، وإنه قد كانت لهم مدة باقية، وأرزاق دارة غير فانية؛ فلم يستطع رسول الله صلى الله عليه وآله: أن يقطع مالم يقدر على قطعه من آجالهم، وأن يبيد ما قد بقي من أعمارهم، فلامه الله إذ لم يفعل مالم يستطع، ويبيد ويقطع من ذلك ما لم ينقطع؟ فلا بد أن يقولوا بأحد هذين المعنيين، وأن يتقلدوا وينتحلوا أحد هذين القولين، فيكونوا بانتحال أحدهما كافرين، وفي دين الله سبحانه فاجرين، أو يقولوا على الله ورسوله بالحق، فيقروا أن رسول الله صلى الله عليه وآله ومن كان معه من الخلق كانوا يقدرون على قتلهم، والإثخان لهم، وترك أسرهم، فلامهم الله في ذلك إذ هفوا، ووهوا فلم يفعلوا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤)﴾[الأنفال: ٧٢، ٧٣، ٧٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

وأما ما ذكره أيده الله تعالى من:" أن قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾[الأنفال:٧٢]، فسماهم مؤمنين، مع أنهم لم يهاجروا؛ بل أقاموا في دار الحرب، ونهى عز وجل عن ولايتهم على حسب الخلاف بين أهل العلم من المفسرين: هل هي الوراثة أم غيرها؟ "

قال أيده الله تعالى:" وأوجب عز وجل نصرتهم، إلا على قوم بيننا وبينهم ميثاق."

قال:" والمفهوم من هذه الآية: أنها نزلت في قوم مؤمنين بين كفار؛ إذ لو كانت الدار التي هم فيها قد أسلم أهلها كلهم -لم تجب عليهم الهجرة؛ ومن أي شيء يهاجروا إذا كانت الدار كلها قد أسلم أهلها؟! فلم يبق إلا أنها نزلت في كفار بين مسلمين مؤمنين، فسماهم تعالى مؤمنين، ونهى عن ولايتهم. "

الجواب: أن هذه الآية التي ذكر -هي شافعة لما تقدم مما قلناه آنفا؛ وذلك أن الله تعالى أخبرنا بحقيقة الإيمان في تلك الحال، وهو أن المهاجرين والأنصار رحمة الله عليهم بعضهم أولياء بعض، والولاية تدخل تحتها الإرث والتولي؛ فيلزم الموالاة بعضهم لبعض، والولاء والبراء من أصول الدين العظيمة، وهو: ما شرحه الأئمة وذكروه بما هو موجود في كتبهم عليهم السلام.

﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء﴾[الأنفال:٧٢].

قال أيده الله تعالى: " فسماهم مؤمنين مع أنهم لم يهاجروا؛ بل أقاموا في دار الحرب ."

وهذا شافع للأول؛ لأن الله تعالى حكى حكم من آمن إيمانا لغويا معناه: أقر وصدق؛ فهذا في اللغة؛ فإنه لا حقيقة لإيمانه في الشرع، فذكر الإيمان الشرعي،

وهو المتقدم، والإيمان اللغوي، وهو المتأخر، كما ذكر في الإيمان والإسلام، ومعناهما عندنا في الشرع واحد؛ لأنا نعلم أن المؤمنين حقيقة بعضهم أولياء بعض، وقد نطق بذلك القرآن، ولا يجوز شرعا أن يقول المؤمن للمؤمن: " لست وليي " إلا على ضرب من التأويل، وإنما لا يجوز أن يخرجه عن باب الموالاة.

فأما ترك الإرث لترك الهجرة: فذلك كان في بدء الإسلام ونسخ، فإن صح أن في دار الحرب مؤمن سقط عنه فرض الهجرة للعجز، أو بعض الأعذار المخلصة عند الله سبحانه، فإنه كان لا يرث في بدء الإسلام من قريبه المهاجر شيئا، فيكون على هذا: أن المراد بالولاية الإرث، ويستقيم القول على لفظ الآية، فيكون الإيمان شرعيا في الطائفتين على سواء، وكيف يصح ارتفاع الولاية بين المؤمنين، والله تعالى يقول: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾[التوبة:٧١]، فلولا حمله على ما ذكرنا لكان متناقضا سبحانه وتعالى أن يكون في قوله مثل ذلك، وقد قال سبحانه: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾[النساء:٨٢]، ولا اختلاف أعظم من تنافي المعاني، وأن يثبت بأحد اللفظين المتماثلين ما ينفيه الآخر.

وأما قوله أيده الله تعالى: " إنها نزلت في قوم مؤمنين بين كفار؛ إذ لو كانت الدار التي هم فيها قد أسلم أهلها كلهم لم يجب عليهم الهجرة، ولأي شيء يهاجرون إذا كانت الدار كلها قد أسلم أهلها؟! فلم يبق إلا أنها نزلت في كفار بين مؤمنين " - هذا لفظ السؤال، ويغلب في الظن: أنه غلط، وأن المراد: في مؤمنين بين كفار - " فسماهم الله عز وجل: مؤمنين، ونهى عن ولايتهم، لا غير."

والكلام في ذلك قد تقدم، وظاهر لفظ الآية: أنها في قوم آمنوا ولم يهاجروا، وهم على نوعين:

إما قوم آمنوا فعذروا من الهجرة؛ للضعف، أو لغيره من الأعذار؛ فانقطع إرثهم، وإن كان إيمانهم صحيحا؛ لعدم شرط الإرث في الحال الأولى، وهو الهجرة.

وإما أن يكون في قوم آمنوا، صدقوا الله ورسوله، ولم يهاجروا، مع التمكن من الهجرة، فسقط حكم ولايتهم؛ لأجل ذلك، وسماهم تعالى مؤمنين على أصل اللغة.

وأما التعلق بلفظ النصرة فلا وجه في ذلك يوجبه؛ لأن النصرة تجب لغير المؤمنين، كما تجب نصرة الذمي، ومن دخل دارنا بأمان وإن كان كافرا، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كان عقد بينه وبين اليهود حلفا على المناصرة، حتى نقضت ذلك اليهود يوم الأحزاب، وقد نصر الناصر عليه السلام جستان، وهو مجوسي على أهل خراسان، وهم يدعون الإسلام، فلا يمتنع أن تتعلق المصلحة بأن ينصر من آمن بالله تعالى ورسوله على من جحدهما، وإن كان حكمه حكم الكفار؛ لبعض الأسباب.

وأما قوله:" ونهى عن ولايتهم " -فكيف ينهى تعالى عن ولاية المؤمنين لإخوانهم المؤمنين، وقد أمر الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام بالتبري من أبيه، كما قال سبحانه: ﴿فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه﴾[التوبة:١١٤]، والولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين -من أصول الدين، لا يختلف في ذلك أهل العدل والتوحيد، وهو مذكور في كتب الأصول، وظهوره أغنى عن ذكر شيء منه، ولا يصح أن ينعقد الإيمان على ترك ولاية المؤمنين في جميع الشرائع ولا ذلك مما يصح فيه النسخ، فأما ولاية الإرث -فلا مانع من ذلك، فالآية دالة على ما قلنا على أي وجه.

قال أيده الله تعالى: " وقد قسم الله تعالى الناس في آخر الأنفال على أصناف: منهم: من آمن وهاجر، وله حكم. ومنهم: من آمن ولم يهاجر، وله حكم. ومنهم: من أصر على الكفر، وله حكم. ومنهم: من آمن وآوى ونصر، وحكمه

حكم من آمن وهاجر.

وقال تعالىٰ في سورة الفتح في قصة فتح مكة: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾[الفتح:٢٤] ...إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم﴾[الفتح:٢٥]، فسماهم تعالىٰ مؤمنين، مع وقوفهم في دار الحرب، وكف أيديهم عن قتلهم، فقال تعالىٰ: ﴿لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما﴾[الفتح:٢٥]، فلو كانوا كفارا لوقوفهم بين أهل مكة لكان حكم الجميع حكما واحدا، ولم يحتج إلىٰ الكف، ولا يقول: ﴿لو تزيلوا﴾.

قال:" ولم يفرق بين أن يكونوا قادرين علىٰ الانتقال ".

والكلام في ذلك قد تقدم أكثره؛ لأن الله تعالىٰ ذكر المهاجرين والأنصار جملة، حيث قال: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾[الأنفال:٧٢]، فهذه في المهاجرين والأنصار، وقد تقدم الكلام فيها، وقال: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتىٰ يهاجروا﴾[الأنفال:٧٢]، فهؤلاء علىٰ وجهين:

إما أنهم آمنوا، ولم يتمكنوا من الهجرة -فلا ولاية لهم، أي لا إرث كما كان في صدر الإسلام التوارث بالهجرة، فمتىٰ عدم الشرط عدم المشروط، ونحن لهم أولياء في الدين، وإخوان في الله، ودينهم صحيح لا نقص فيه.

والوجه الثاني: أنهم آمنوا، وصدقوا بالله وبرسوله وبالدين، ولم يهاجروا مع التمكن -فهؤلاء الذين لا ولاية لهم باطنة ولا ظاهرة، وعلينا لهم النصرة لمصلحتنا، كما ننصر المعاهدين، وإن كانوا كفارا حكما ومعنىٰ، وبعد هذا قوله تعالىٰ: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض

وفساد كبير﴾[الأنفال:٧٣]، فأخبر بالولاية بين الكفار، وأوجب تعالى الولاية بين المؤمنين، وفرضها باق إلى الآن. وإن لم نثبت الأحكام التي علمنا، ونمضيها على وجهها -يكن إهمالنا لها فتنة في الأرض، وفسادا كبيرا. ﴿الذين آمنوا وهاجروا﴾: هؤلاء المهاجرون الآخرون، بعد المهاجرين الأولين؛ فلا تكرار في الأولى، ﴿والذين آووا ونصروا﴾ أعاد ذكر الأنصار تأكيدا، ﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾[الأنفال:٧٤]؛ فأفاد بقوله: ﴿حقا﴾: الإيمان الشرعي؛ والمؤمنون غير حق هو: الإيمان اللغوي، والحق نقيضه: الباطل، والباطل غير دين.

سورة التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن سورة براءة: لم لم تكتب في أولها: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾؟

واعلم - هداك الله ووفقك، وأعانك على نجاتك وبصرك -: أن ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ مفتاح خير وبركة، ورضى وتزكيه؛ أثبتها الله فيما كان نزله على نبيه وعلى المؤمنين من القرآن، وأن برآءة نزل أولها مفتاح حرب وإنذار، ونبذ للعهد الذي كان بين الرسول وبين المشركين، وإنذارا وإبعادا لهم من ذي الجلال والإكرام، عن المسجد المطهر، والبيت الحرام، وإخبارا لهم بأن ما كانوا يفهمون ويعرفون -قد زال وتصرم وحال، وأنهم إن ثبتوا على شركهم -قتلوا حيث ما ثقفوا؛ إشادة من الله سبحانه بذكر الإسلام، وإظهارا وإعزازا لدعوة نبيه عليه السلام؛ فلذلك لم يثبت فيها: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦)﴾[التوبة: ٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾؟

وكلام الله فهو: وحي الله وقوله، وإنما قيل كلام الله؛ لأنه من فعل الله، وما

كان من فعل الله -فهو منسوب إلى الله؛ لأن هذا الكلام خلق الله، فلما أن كان من الله، وفعل الله -نسب إليه، كما يقال: سماء الله، وأرض الله، وعبد الله.

قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)﴾ [التوبة: ١٩]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام، عند ذكره لبعض فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام ما لفظه:

ويقول تبارك وتعالى فيه، وفي العباس بن عبد المطلب، عندما كان من تشاجرهما في الفضيلة، فقال العباس: أنا ساقي الحجيج. وقال علي عليه السلام: ((أنا السابق إلى الله ورسوله))، فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم﴾، وكان سبب ما أنزل الله من ذلك: أن العباس بن عبد المطلب رحمه الله ذكر فضل ما في يده، وما يظهر من عمله، من سقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام، وذكر أمير المؤمنين قديم إسلامه وهجرته واجتهاده في جهاد أعداء ربه، وبذله مهجته لله ورسوله؛ فقضى الرحمن بينهما، وبين الفصل بين فضيلتهما، بما ذكر وقال في كتابه؛ ولو ذهب أحد يصف ما لأمير المؤمنين عليه السلام في واضح التنزيل، من الذكر الجميل -لعسر عليه ذكره، وطال عليه شرحه؛

والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله على محمد الأمين، وعلى آله البررة الطيبين الطاهرين.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)﴾[التوبة: ٢٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في الرد على القائلين بجواز تسليم بعض المال للظلمة، ما لفظه:

وقالوا: إنما قلنا بجواز تسليم بعض المال ليسلم ما هو أكثر منه، ولندفع بذلك محظورا، وهو: اغتصاب الظلمة سائر أملاكنا لو فررنا وتركناها، أو إفسادها.

قلت - وبالله التوفيق -: إن ذلك لا يصح التعلق به؛ لأن الله لم يجعله عذرا في محكم كتابه، حيث قال تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾[التوبة:٢٤].

ووجه الاستدلال بهذه الآية الكريمة، على بطلان ما تمسكوا به: أن مفارقة الآباء والأبناء، والإخوان، والأزواج، والعشيرة، وكذلك الأموال، ولو انتهت أو فسدت؛ لأن الله تعالى لم يستثن شيئا -ولم يجعله [1] الله عذرا ولا رخصة في

(١) - هكذا في النسخة المطبوعة، والأولى حذف الواو من : " ولم يجعله "؛ ليستقيم الكلام.

ترك طاعته، وطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وترك الجهاد في سبيله، حيث قال تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم﴾، إلى قوله: ﴿أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله﴾، والمراد بذلك: طاعته تعالى، وطاعة رسوله، لا مجرد المحبة التي يزعمون أنها لا تفارق قلوبهم؛ لأنه لو أراد ذلك لم يكن للآية معنى؛ لأن مجرد تلك المحبة التي يزعمون ممكنة مع عدم المفارقة للمال؛ فإن أبيت هذا التأويل: فاعلم أن المحبة لله ولرسوله مستلزمة لطاعة الله وطاعة رسوله؛ لأن المحبوب مطاع، كما في قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[آل عمران:٣١]، وكما يروى لأمير المؤمنين كرم الله وجهه شعرا:

تعص الإله وأنت تظهر حبه .... هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته .... إن المحب لمن يحب مطيع

فإذا لم تكن مفارقة الآباء والأبناء، والإخوان والأزواج والعشيرة، والأموال على أنواعها، ولا خشية اغتصابها وفسادها عذرا ولا رخصة في ترك طاعة الله، وطاعة رسوله، والجهاد في سبيله -فبطريق الأولى: أن لا يكون مراعاة صيانتها من الانتهاب لها وفسادها عذرا، ولا رخصة في فعل معصية، وهي: تقوية الظالم على ظلمه؛ لأنه ترك طاعة الله تعالى، وهي: مباينة الظالمين، والانفصال عنهم، وترك للجهاد في سبيله، وهو: نهيهم عن المنكر بالحد إذا لم يؤثر ما هو دونه، مع زيادة تقويتهم بما يسلمون إليهم، وذلك لا يخفى على عاقل؛ فتسليم بعض المال ليسلم الكثير، إذا كان يؤدي إلى قوة ظلم الظالم -فسق؛ بصريح قوله تعالى في آخر الآية: ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾[المائدة:١٠٨].

وقولهم:" ليدفعوا بذلك محضورا، وهو اغتصاب أموالهم وإفسادها " ضلال عن الحق بين؛ لأنهم ولو دفعوا ذلك فقد جلبوا به من المحظورات ما لا يحصى، مما هو أعظم من ذلك وأكثر، كقتل النفوس المحرمة [بغير الحق]، وتعطيل الشرائع، مع أن ما ذكروه واجب عليهم تركه إذا لم يتمكنوا من حمله، ولا من

إفساده بأنفسهم؛ لئلا ينتفع به الظالمون؛ بنص قوله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم...﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِيْنَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦)﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

أخبر الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم: أن الكثرة لا تغني شيئا، وأن أهل القلة في كل أمر ممدوحون.

وقال الله تعالى: ﴿وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾.

قال زيد بن علي عليه السلام: وكانوا فيما بلغنا - والله أعلم - اثني عشر ألف رجل، ثم قال: ﴿ثم أنزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾، وهم: الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين، وكانوا سبعة نفر من بني هاشم وبعضهم من الأنصار، منهم: العباس بن عبد المطلب، أخذ لجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ممسك بثفرها [١]، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليه، والفضل بن العباس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: ﴿ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين﴾[الأنفال: ١٩]، يعني: الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) ثفر الناقة: الخرقة التي توضع تحت ذنبها. تمت قاموس.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨)﴾ [التوبة: ٢٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته: عن لمس ثوب كافر، أو جسد كافر، وهو مبتل؟

فقال: ﴿إنما المشركون نجس﴾ - كما قال الله سبحانه - ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾، وهو في النجاسة: كالدم المسفوح الكثير، وكالميتة، ولحم الخنزير، وإن أصاب شيء من ذلك كله من المشرك، أو غيره -جسد مسلم أو ثوبه، أو مصلى مسلم أو مسجده، فبان في شيء من ذلك قذر أو نتن، ظاهر مبين -غسل ذلك وطهره، كما يغسل البول والعذرة؛ وإن لم يبن من ذلك أثر، ولم يظهر به قذر ولا نتن -كان كما لم يكن، وكما يبقى من ماء الغدران، وما يكون في الأودية من ماء الأمطار، الذي يكون فيه الدم المسفوح الكثير، والميتة والجيف ولحم الخنزير، فلا يتبين في الماء أثر، ولا يظهر فيه نتن ولا قذر -فلا بأس بشربه، ولا في الوضوء به؛ لأن اسم الماء لازم له؛ وقد قال الله سبحانه: ﴿ماء طهورا﴾[الفرقان:٢٨]، وما لزم الماء اسمه، كانت له طهارته وحكمه؛ وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((كان يتوضأ من بئر بالمدينة، يقال لها: بضاعة، وكان يلقى فيها الميتة والجيف، وخرق الحيضة))؛ لأنه لا يبين في البير شيء من النتن والأقاذير، وكذلك ما مس المشرك أو لباسه، من ماء مسلم أو ثيابه -فليس على المسلم غسله ولا تطهيره، إلا أن يبين نتنه وقذره وتغيره. ولا ينبغي لمسلم أن يمس المشرك، جسدا أو لباسا؛ لأن الله جعل المشركين أنجاسا، وليس ينبغي أن يمس المسلم ولا يلمسه؛ وقد ذكر عن بعض السلف الماضين، منهم الحسن بن أبي الحسن البصري: أنه كان يتوضأ من مصافحة اليهود، والمجوس،

والنصارى. ولسنا نحن نوجب ما أوجب الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: من آية (٣٠)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

فقد يمكن أن يكون عنى بذلك: ماضيهم، وأن يكون أيضا اليوم من يقول من باقيهم، وليس كلهم لقيت، وإنما لقيت منهم من شاهدت ورأيت.

قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: من آية (٣١)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن محمد عليه السلام ما لفظه:

قد بلغنا في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾...الآية[التوبة:٣١]، فقال صلى الله عليه وآله: ((أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم أحلوا لهم ما حرم الله، وحرموا عليهم ما أحل الله)).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ﴾ [التوبة: من آية (٣٤)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

الأحبار والرهبان هم: علماء التوراة وقادة أهل الكتب، وهم جماعتهم عند أنفسهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣٧)﴾ [التوبة: ٣٧]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾؟

فالنسيء هي: الأشهر التي كان أهل الجاهلية ينسؤنها، ومعنى "ينسؤنها" فهو: يبدلونها ويتركونها، كانوا يجعلونها هي، ويعصون في الأشهر التي أبدلوا عن المظالم. ومعنى النسيء: ينسؤن هذا؛ ليتركوه مرة، ثم يأخذونه وينسؤن غيره، مرة يحرمون التظالم في شهر، ومرة يحلونه فيه، ولا يحرمونه في غيره؛ فأخبر الله تبارك وتعالى: أن هذا من فعلهم؛ زيادة في ما هم عليه من كفرهم، وتمردا على خالقهم؛ فضل به الكافرون من فعلهم، يحلونه عاما، ويحرمونه عاما، ويطلقونه وقتا، ويحرمونه وقتا؛ فأخبر الله بعصيانهم في ذلك، وأعلم أنهم في الكفر كذلك.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله عز وجل في النسيء؛ ما كانت الجاهلية تفعل فيه، من: تحليله عاما، وتحريمه عاما؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: فهو: شهر كانوا يحرمون فيه عاما، ثم ينسؤونه السنة الأخرى، ويحرمون شهرا آخر غيره.

قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)﴾ [التوبة: ٤٠]

قال في كتاب ينابيع النصيحة عند رده على شبه القائلين بإمامة أبي بكر ما لفظه:

ربما يحتجون بقول الله تعالى: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾[التوبة:٤٠]؛ وهذا يفيد الإمامة؛ لأنه إشارة إليها.

والجواب عن ذلك: أنا نقول: لا علاقة بذلك في باب الإمامة، على نحو ما تقدم بيانه في لفظة الصديق؛ فإن تعلقوا بذلك في فضله فصلنا القول فيه بعون الله؛ فقلنا: أما قوله: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾: فما من اثنين إلا ويجوز أن يضاف أحدهما إلى الآخر؛ تصديقه قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾[المجادلة:٧]؛ فإنه يدخل فيه المسلم والكافر، والبر والفاجر؛ فلم يدل ذلك على الفضل، مع كون الله تعالى رابع الثلاثة، وسادس الخمسة، إلى غير ذلك؛ لقوله: ﴿ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا﴾؛ فكذلك لا يدل كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثانيا لأبي بكر – على فضل أبي بكر.

وأما قوله تعالى: ﴿إذ يقول لصاحبه﴾ -فإن لفظ الصاحب لا يدل على الفضل أصلا؛ بل يدخل فيه المؤمن والكافر؛ تصديقه قول الله سبحانه: ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا (٣٧)﴾[الكهف]؛ فأطلق عليه سبحانه لفظ الصاحب، وهو كافر بالله تعالى، ولم يدل ذلك على فضله؛ بل لم يدل على كونه مسلما.

وقد كان من جملة الصحابة: عبد الله بن أبي، وهو منافق، ولم يدل ذلك على

فضله. وأما قوله:﴿لا تحزن إن الله معنا﴾، فما نهاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا عن مكروه، إلا أن يقول المخالفون: إن أبا بكر نهى رسول الله عن الحزن -فغير مسلم، وغير صحيح؛ بإجماع علماء التفسير. ثم لو سلمنا ذلك تسليم جدل -لما كان لأبي بكر أن يقول مثل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد؛ فإن الله اختص نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالرحمة والتأييد، دون أبي بكر كما في سياق الآية؛ قال الله تعالى: ﴿فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها﴾[التوبة:٤٠]: يريد بذلك محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بلا خلاف؛ فهلا أشرك أبا بكر في السكينة، كما أشرك أمير المؤمنين عليه السلام ومن وقف معه يوم حنين في السكينة، في قوله تعالى: ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها﴾[التوبة:٢٦]؛ فدلت هذه الآية على نقيض ما ادعوه من الفضل لأبي بكر.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩)﴾[التوبة: ٤٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قوله سبحانه: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني﴾؟

فقال: نزلت هذه الآية في جد بن قيس؛ وذلك أنه أمره رسول الله صلى الله عليه وآله بالخروج معه في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله، قد علمت إعجابي بالنساء، ومحبتي لهن، وأنا أخشى إن رأيت بنات الأصفر أن لا أصبر، وافتتن بهن؛ فأنزل الله سبحانه: ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾، يقول سبحانه: ألا في العذاب وقع وسقط؛ والفتنة فمعناها: العذاب، فأخبر سبحانه: أنه حاد وتعلل لمعنى قد وقع فيه، بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥)﴾ [التوبة: ٥٥، ٨٥]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾، فقلت: فقد نراه يخرج من دار الدنيا، وهو معاند لله عز وجل، ولم تنكبه نكبة، ولم يعذب بعذاب، وله المال الكثير والأولاد؟

قال أحمد بن يحيى عليه السلام: هذا كلام يخرج على التقديم والتأخير؛ فافهمه، كأنه قال: ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا؛ إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة؛ فقدم وآخر، والتقديم والتأخير موجود في لغة العرب؛ قال أوس بن حجر:

أما حصانا فلم يضرب بكلتها ... - قد طفت في كل هذا الناس أحوالي-

على امرئ سوقة ولا ملك ... أبذى وأكمل منه أي إكمال

يريد: فلم يضرب بكلتها على امرئ سوقة؛ فقطع بين الكلام بنصف بيت؛ للتقديم والتأخير، وقال الأخطل التغلبي:

إن الفرزدق صخرة عادية ... طالت فليس تنالها الأوعالا

يريد: الصخرة طالت فليس الأوعالا تنالها. وقال ذو الرمة:

كأن أصوات - من إيغالهن[١] بنا- ... أواخر الميس إنقاض الفراريجِ

---

(١) - أي إسراع الركاب والرحال بهم، وإنقاض الفراريج: أصوات مفاصل فرخ الدجاج، وكل صوت مفاصل الإنسان والفراريج والعقرب وغيرها يسمى نقضا. انظر تاج العروس للزبيدي (١٩/ ٩٠/ ط: دار الهداية)

وإنما أراد: كأنما أصوات الميس؛ فقدم وأخر؛ فافهم هذا الباب إن شاء الله.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

مسألة في قوله تعالى: ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾: الكلام في ذلك، ومن الله نستمد التوفيق والمعونة: إن الله تعالى نهى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يدخل في قلبه العجب بأموالهم وأولادهم، فتعظم عنده حالهم، وهو حقير عند الله، ولا تعدل الدنيا عنده جناح بعوضة، ولولا ذلك لما سقى الكافر منها شربة؛ فوجه الأمر في النهي إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والمراد: أمته؛ وذلك كثير في كتابه سبحانه، وهذا في أمر الكفار؛ تأسية لنبيه ض. وقوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾، وتعذيبه لهم في الدنيا بالأموال والأولاد إنما هو: بهم حصول الأموال، وحفظها بعد حصولها، والحسرة عليها، والأسف عند فواتها أو فوات شيء منها، وكذلك فيما يقع على الأولاد من الأمراض والعوارض والموت، فكل ذلك تعذيب فيما نعلمه، ووقوع ذلك على وجه الانتقام، كما طمس على أموال آل فرعون، ولا يقع فيه عوض فهو: عذاب محض على الحقيقة، لا تجبر مسرة حصوله مضرة ذهابه.

وقوله تعالى: ﴿وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾، تزهق: تذهب وتبطل، والكافرون: المعطلون لنعم الله تعالى بالجحدان والعصيان؛ فهذا ما توجه عندنا في معنى هذه الآية، ومن الله نستمد التوفيق.

وقال في كتاب ينابيع النصيحة بعد ذكر الآية:

يعني: بالسبي والغنيمة للأموال؛ فلا تعجبك إذا كان ذلك عاقبته. ذكره المسرفون.

وكذلك قوله: ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[التوبة:٧٤]:ففي

الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة: عذاب النار.

وكذلك قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١)﴾[التوبة]: إحدى المرتين: في الدنيا، والثانية: في القبر. والعذاب العظيم: في نار جهنم.

قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: من آية (٦٧)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

نسوا الله أن يطيعوه، وأن يذكروه كما أمرهم، فنسيهم من ثوابه؛ والنسيان هاهنا: الترك؛ نسأل الله أن يجعلنا من المتقين، المطيعين لله ولرسوله برحمته.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

مسألة: قلت: فقوله: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾، كيف النسيان من الخلق، وكيف النسيان من الله جل ذكره؟

قال: النسيان منهم هو: تركهم لأمره، وإضاعتهم لفرضه وإقامة حقه؛ فلما تركوا ذلك وأعرضوا عنه -تركهم من رشده ورحمته ونصره، وتوفيقه وتسديده، وإحسانه وعونه؛ فهذا معنى النسيان من الله عز وجل... (إلى آخر كلامه عليه السلام)

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧)﴾ [التوبة: ٧٥ – ٧٦ – ٧٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام في سياق الرد على ابن الحنفية ما لفظه:

وأما ما سأل عنه من: قول الله سبحانه: ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين (٧٥) فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون (٧٦) فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون (٧٧)﴾ - فقد يمكن أن يكون الله سبحانه لما أن كذبوه وأخلفوه -خذلهم، ومن الإرشاد والتوفيق تركهم، فتكمهوا في ضلالهم، وارتكبوا القبيح من أعمالهم، فأعقبهم كثرة ضلالهم، وعظيم اجترائهم، على قول الزور والبهتان، وارتكاب الضلال والعصيان -تماديا في ذلك، حتى مردوا على الكذب والفساد، والنفاق وقول المحال والإلحاد، فيجوز أن يقال: أعقبهم الله نفاقا؛ إذ تركهم من التوفيق، والتسديد والتحقيق، حتى غلب عليهم الهوى، ورفضوا الخير والهدى، واستعملوا بينهم النفاق في كل أمرهم، فعادوا منافقين، وللرشد تاركين، ينافق بعضهم بعضا، ويفرضه في الغيب له فرضا؛ وقد يكون الذي أعقبهم في قلوبهم النفاق هو: فعلهم وكذبهم، وغدرهم في موعدهم الذي أوجبوه لخالقهم؛ وذلك أن الكذب والردى يجر بعضه بعضا، فلما أن كذبوا فيما قالوا، ووعدوا خالقهم من أنفسهم فأخلفوا - كانوا لغيره فيما يعدون أخلف، ولسواه سبحانه أكذب، فكاذبوا بيناتهم، وأبطلوا

بالزور قالاتهم، فدعت حالة حالة، حتى تكمهوا في الغي والضلالة، ودعا ما كان منهم أولا من الكذب والإخلاف -إلى قلة الصدق والإنصاف؛ فحل بينهم التضاغن، وذهب عنهم الإئتلاف، فعاد كل منافق في قوله غير صادق، فكان الذي أعقبهم النفاق آخرا -هو: فعلهم للكذب والإخلاف أولا، فجر فعل الصغائر، إلى ارتكاب موبقات الكبائر، حتى صار ذلك لهم عادات، وكان لهم وعليهم علامات، يعرفون بها دون غيرهم ودلالات؛ فهذا أيضا معنى يصح في اللسان، ويعرفه من كان ذا بيان؛ والحمد لله ذي الجلال والبرهان، والجبروت والقدرة والسلطان.

وأما ما سأل عنه من: معنى قول الله سبحانه: ﴿إلى يوم يلقونه﴾ -فقد يمكن أن يكون المعني باللقاء هو: الله الرحمن الأعلى، يريد بقوله: ﴿يلقونه﴾، أي: يلقون حكمه ويعاينونه؛ وقد يكون الذي يلقونه: ما تقدم من عملهم ومضى، فيعاينونه في الآخرة يوم الحساب، ويجدونه عند الله مثبتا في الكتاب؛ كما قال سبحانه: ﴿إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾[يس: ١٢]، وقال: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره (٧) ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (٨)﴾[الزلزلة: ٧، ٨]، يقول سبحانه: يرى جزاءه، ويعاين ما حكم عليه به، من الخير والثواب، والعذاب والعقاب، فيكون لقاؤهم لأعمالهم هو: توقيف الله لهم على القليل والكثير من أفعالهم، وما يكون منه سبحانه على ذلك من جزائهم، فيلقى المحسنون ما وعدهم الله في إحسانهم من الثواب، ويلقى المجرمون ما وعدهم من العقاب.

قوله تعالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٨٧)﴾ [التوبة: من آية ٨٧]

قال في كتاب ينابيع النصيحة:

روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: أن الطبع: نكتة سوداء في قلوبهم، جعلت علامة لقلب الكافر، يعلم به أنه لا يفلح أبدا. وقيل: على وجه التشبيه والذم لها؛ فكأنها كالمطبوع عليها؛ فلا يدخلها خير، ولا ينتفي عنها شر. وقيل: استفهام بحذف ألف الاستفهام، كما في الختم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون (٨) وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون (٩)﴾[يس]، نزلت هذه الآية في أبي جهل وأصحابه، حلف إن رأى محمدا يصلي ليرضخ رأسه بحجر، فرآه فحمل حجرا فلزق بيده! فعاد إلى أصحابه، فقام رجل من بني مخزوم، فقال: أنا أقتله بهذا الحجر؛ فأعمى الله بصره! وعليه يدل قوله تعالى: ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾

فأما قوله: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا...﴾ الآية، فقيل: هو في الدنيا؛ شبه الكفار بمن هو كذلك في تركهم الإيمان. وقيل: يكون الكفار كذلك في الآخرة ، وهو حقيقة.

قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٠٢)﴾ [التوبة: ١٠٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا

صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾؟

فقال: هؤلاء أهل التوبة إلى الله من بعد المعصية، فذكر الله عنهم أنهم عملوا عملا سيئا، ثم خلطوا أعمالهم بالصالحات؛ فعملوا بها من بعد التوبة وبعد العمل الردي. ومعنى ﴿عسى الله﴾ هو: إيجاب القبول للتوبة من التائبين، من بعد الإخلاص لله بالتوبة، وليس كما يقول الجهال: إنهم يعملون قبيحا وحسنا في حالة واحدة، ويتقبل منهم الحسن، هذا ما لا يكون؛ لأن الله يقول:﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾[المائدة: ٢٧]، ومن كان في معصية الله فليس بمتق، ومن لم يكن بمتق فليس يقبل عمله منه.

قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: الصلاة في هذا الموضع دعاء لهم بالخير والرحمة وما أشبه ذلك، والصلاة في لغة العرب فهي: الدعاء؛ قال الأعشى البكري:

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا ... يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ... نوما فإن لجنب المرء مضطجعا

يقول: عليك مثل الذي دعوت لي به، وهذا غير منكر في لغة العرب؛ فافهم ذلك إن شاء الله.

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)﴾ [التوبة: ١٠٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

أي: فسيرى المؤمنون والأنبياء في الآخرة أعمالكم إذا ظهر الغيب، وانكشف الستر، وكان فريق في الجنة، وفريق في السعير، واستبان للخلق المطيع من العاصي، والكافر من المؤمن، والصالح من الطالح، فكم من مستور عليه يجر إلى عذاب أليم، وكان عند الناس على خلاف ذلك في دار الدنيا.

قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)﴾ [التوبة: ١٠٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وكذلك، ومن ذلك: كل أرض مسجد أو مكان ما كان -أخذ من أهله غصبا، أو مسجد بني بمال سرق، أو غلب عليه أهله من المؤمنين أو الذميين غلبا، فلا يحل لأحد أن يأتيه، ولا يسع مؤمنا أن يصلي فيه؛ لأنه اتخذ بكفر في دين الله ومعصية، وأسس بأسباب لله سبحانه غير مرضية؛ ألا تسمع لقول الله سبحانه، ما أنور بيانه: ﴿الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون (١٠٧) لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين (١٠٨)﴾[التوبة: ١٠٧ - ١٠٨]؛ فنهاه صلى الله عليه وآله إذ بني لمعصية

وبمعصية عن أن يقوم فيه أبدا، وجعل تركه للقيام فيه - وإن كان مسجدا من المساجد - طاعة وهدى، وكيف تجوز فيه صلاة، أو يكون له طهر أو زكاة، ولم يأذن الله سبحانه في بنائه لمن بناه قط؟! بل بناؤه له معصية لله كبيرة وسخط، ودخوله على من بناه محرم لا يحل، فكيف تحل فيه صلاة أو تقبل؟! ألا تسمع لقول الله جل ثناؤه، فيما رفع من البيوت بإذنه: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدوة والآصال (٣٦) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار (٣٧)﴾[النور: ٣٦ - ٣٧]؛ فدل سبحانه عليها وعلى زكاتها، بما ذكر من إذنه في رفعها وبنائها، فلو كان ما أذن الله في رفعها منها كما لم يأذن فيه -لكان ذكر الإذن منها فضلا لا يحتاج إليه، وكان سواء فيها أذن أو لم يأذن، وكان ما بين من ذلك كما لم يبين، فلما لم يأذن سبحانه لأحد في رفع المسجد الحرام، كان محرما فيها - فضلا عن الصلاة - كل دخول أو قيام، ومن ذلك: ما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أن يقوم في مسجد الضرار؛ إذ بني مخالفة لله سبحانه وعصيانا؛ ولقد كان ما ذكرنا من هذا الباب، قبل ما نزل من وحي الكتاب، وإن في الجاهلية منه لرسما، أصابوه فكرة أو تعلما؛ فقالوا قريش عندما أرادوا من بناء الكعبة: لا تخرجوا فيما أردتم من بناء بيت ربكم، إلا نفقة طيبة؛ فاجمعوا فيما تريدون من بنائه من كل مال زكي، ونقوه من كل ظلم، ومن أجر كل بغي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)﴾[التوبة: ١١٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام، في سياق كلام عن الهجرة ما لفظه:

ولذلك: ما ذكر الله سبحانه إيمان خليله ورسوله إبراهيم خليل الله - عليه أزكى الصلوات وأفضل التسليم-، حين ذكر استغفار إبراهيم لأبيه، وهو يرجوا رجوع أبيه إلى طاعة الله عز وجل ومرضاته، فوعده الاستغفار له إذا تاب مما كان عليه، من شركه بالله ومعصيته؛ فلما أبى ما دعاه إليه ابنه إبراهيم – صلى الله عليه –، من التوبة من عظيم خطيئته، وبان له ما كان عليه أبوه من مشآقة الله جل ذكره، وعصيانه وعداوته، بعد استغفاره له، ورجاءه لرجوعه عن الشرك، وإنابته – تبرأ منه، وخرج من قلبه ما كان عليه من رقته عليه ورحمته، وأثنى الله سبحانه على إبراهيم عليه السلام، فقال: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾؛ فأثنى الله عز وجل على تحلمه وصبره في طاعته له سبحانه وشكره، وأنه أواه؛ والأواه: المتأوه، والمتأوه: الرفيق الراحم الكريم؛ فهو – صلى الله عليه – مع تأوهه ورحمته تبرأ من أبيه إذ بان له مشاقته لله، وما كان عليه من عداوته.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٥)﴾ [التوبة: ١١٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته: عن: ﴿وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾؟

يقول سبحانه: [ما كان] ليتركهم ضلالا، بعد تبيينه لهم لما بين، حتى يبين لهم كل ما يحذرون.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ [التوبة: ١١٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألتم عن: الثلاثة الذين خلفوا، فقلتم: من هم؟ وما معناهم؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: هو كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرة بن ربيعة، تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك، من غير مرض ولا علة ولا عرض، إلا طلبا للخفض، وتركا للجهاد، واعتلوا بعلل لم يقبلها الله سبحانه منهم، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة -أقبلوا مع الناس يسلمون عليه، فلم يرد عليهم السلام، ولم يكلمهم، وأمر المسلمين: ألا يكلموهم، ولا يبايعوهم، ولا يشاورهم؛ فأقاموا بذلك مدة، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت كما قال الله سبحانه، وكانوا في ذلك يتوبون إلى الله عز وجل ويتضرعون، حتى قبل الله تبارك وتعالى توبتهم، وعفى عنهم وغفر لهم، فأمر نبيه بالصفح عن زلتهم، فصفح صلى الله عليه وآله وقبلهم؛ فهذا ما كان من خبرهم، وما سألتم عنه من صحة أمرهم.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)﴾ [التوبة: ١١٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

الصادقون: الذين أوجب الله طاعتهم، وأمر سبحانه باتباعهم، والكون معهم -فهم: أئمة التقى، الداعون إلى الرشد والهدى.

قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام، بعد ذكره للآية:

﴿الذين يلونكم﴾ فهم: الذين بينكم ومعكم ممن يدعي الإسلام، وهو كافر بالله ذي الجلال والإكرام، كاذب فيما يدعيه، ثابت من الكفر فيما هو عليه، من جبابرة الظالمين، وفراعنة العاصين، الذين قتلوا الدين، وخالفوا رب العالمين وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وانتهكوا محارمه، ولم يأتمروا بأمره، ولم ينتهوا عن نهيه، وحاربوه في آناء الليل وأطراف النهار، فراعنة ملاعين، جورة متكبرون، لا يحكمون بكتاب الله، ولا يقيمون شيئا من شرائع دين الله، قد قتلوا الإسلام والمسلمين، وأضاعوا الأيتام والمساكين، واستأثروا عليهم بأموالهم، فمات الخلق هزلا في دولتهم، لا في أمور المسلمين ينظرون، ولا إلى الله يرغبون، ولا عذابه يخافون، ولا ثوابه يرجون، معتكفين على اللهو والمزامير، والضرب بالمعازف والطنابير، هممهم همم بهائمهم: ما واروه في بطونهم، أو باشروه بفروجهم، أو لبسوه على ظهورهم؛ بغيتهم إذلال الحق والمحقين، وشأنهم إظهار الفسق والفاسقين، ومعتمد أمرهم مكايدة رب العالمين؛ فهؤلاء - يرحمك الله - ومثلهم، وأعوانهم وخدمهم، وأصحابهم وشكلهم -أولى بالمجاهدة والقتال، من نصارى بني تغلب الأنذال؛ لأن هؤلاء أضر بالإسلام وأهله وأنكى، ومن كان كذلك من العباد -فهو أولى بالجهاد؛ لضرره على المسلمين والعباد؛ فافهم ما ذكرنا من تفسير خبرهم، واجتزينا بالقليل من ذكرهم؛ فإن لك في ذلك كفاية وشفاء، ودليلا على ما سألت عنه وجزاء.

وقال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

وأما قوله: ﴿يلونكم من الكفار﴾ فإنما معناها: بينكم، الذين هم أضر من

غيرهم عليكم، ثم كذلك فرض عليكم أن تقاتلوا الأدنى فالأدنى من العاصين، حتى لا تبقوا على الارض لي مخالفين؛ كذلك حروف الصفات يعقب بعضها بعضا، فقامت " يلي" مقام " بين"، فكان المعنى: بينكم، فقال:" يلونكم "، وكل ذلك في العربية سواء؛ من ذلك قول رب العالمين، فيما حكى من قول فرعون اللعين، حين يقول: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾، فقال: ﴿في جذوع النخل﴾، وإنما معناها: على جذوع النخل؛ فقامت " في " مقام " على "، وقال الله سبحانه: ﴿وما ذبح على النصب﴾، وإنما أراد: للنصب، ومن أجلها، فقال:" على "، فقامت مقام اللام؛ وكذلك حروف الصفات كلها، يعقب بعضها بعضا، وفي ذلك ما يقول الشاعر:

شربن بماء البحر ثم ترفعت ... لدى لجج خضر لهن نئيج

فقال:" ترفعت لدى لجج "، وانما أراد: ترفعت على لجج خضر، وإنما يصف السحاب، ويذكر أنها ترتفع فوق لجج البحر.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)﴾[التوبة: ١٢٦]

قال في كتاب شرح الرسالة الناصحة للإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام، بعد ذكره للآية ما لفظه:

فسره الهادي -عليه السلام-، فقال:" يمتحنون بمرض الأجساد، وفراق الأحبة والأولاد، ومثل ذلك من جميع المحن، النازلة من الله -سبحانه- على جميع العباد، بنزول الامتحان عليه إما في نفسه أو في غيره ...(إلى آخر كلامه عليه السلام)

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)﴾[التوبة:١٢٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام بعد ذكره للآية:

العرش العظيم فهو: السلطان والملك، الذي ليس لأحد مع الله فيه نصيب ولا شرك. والتوكل فهو: الاعتماد عليه والثقة به، وأصل توكل كل متوكل فهو: اليقين والمعرفة بربه؛ وفي التوكل على الله وذكره، وما عظم الله من التوكل عليه وقدره -ما يقول تبارك وتعالى لقوم يؤمنون: ﴿الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾[التغابن : ١٣] . وفي التوكل على الله، ما يقول رسل الله : ﴿ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾[إبراهيم:١٢]؛ فمن توكل على الله كفي بالله واستغنى، وعاش في دنياه مسرورا آمنا، غير مشوبة كفايته ولا غناه، بحاجة ولا فقر في آخرته ولا دنياه، ولا مشوب سروره بحزن، ولا أمنه بخوف ولا وهن، كما قال سبحانه: ﴿ألآ إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون (٦٣) لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم (٦٤)﴾[يونس : ٦٢ – ٦٤]، وكيف يخاف أو يحزن، ولا يأنس فيأمن، من كان الله معه، ومن حاطه ومنعه؟!! وإن مكر به الماكرون، وخذله من قرابته الناصرون!!

سورة يونس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [يونس: من آية (٩)]

قال في كتاب الأساس للإمام القاسم بن محمد عليه السلام:

اعلم، أن الهدى بمعنى: الدلالة والدعاء إلى الخير؛ قال تعالى: ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾.

وبمعنى: زيادة البصرية بتنوير القلب بزيادة في العقل؛ قال تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾، ومثله قوله تعالى: ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾، أي: تنويرا يفرقون به بين الحق والباطل.

وبمعنى: الثواب؛ قال تعالى: ﴿يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار﴾، أي يثيبهم في حال جري الأنهار.

وبمعنى: الحكم والتسمية؛ قال الشاعر:

ما زال يهدي قومه ويضلنا ... جهرا وينسبنا الفجار

فيجوز أن يقال: إن الله لا يهدي القوم الظالمين، بمعنى: لا يزيدهم بصيرة لما لم يتبصروا، أو لا يثيبهم، أو لا يحكم لهم بالهدى، ولا يسميهم به.

العدلية: لا بمعنى: أنه لا يدعوهم إلى الخير، خلافا للمجبرة.

قلنا: ذلك رد لما علم من الدين ضرورة؛ لدعاء الله الكفار وغيرهم بإرساله إليهم الرسل، وإنزاله إليهم الكتب، وقال تعالى: ﴿وأما ثمود فهديناهم

فاستحبوا العمى على الهدى﴾، وقال تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾.

قوله تعالى: ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤)﴾[يونس: من آية (١٤)]

قال في ينابيع النصيحة في سياق كلام ما لفظه:

معناه: لينظر إلى عملكم موجودا، فيثيبكم أو يعذبكم على ما يحصل من أعمالكم؛ لأنه لا يجوز أن يعذبهم تعالى على علمه بما سيعملون؛ لأنه ليس بعمل لهم قبل فعله.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩)﴾[يونس:١٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم﴾؟

المعنى في ذلك: أن الله سبحانه أخبر أن الناس في الحق كانوا أمة واحدة في الإقرار بالله، وما أمروا به من طاعة الله، وأن الحكم من الله والأمر لهم في ذلك وله، لم يزل واحدا حتى اختلف أهل العصيان والخلاف؛ فعصوا وخالفوا ما جعل الله لهم من الأصل في الدين، وثبت لهم من اليقين؛ بغيا وضلالا، وكفرا بالله وطغيانا، ومعنى قوله: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم﴾، يقول: لولا حكم من ربك سبق بالتأخير لهم إلى يوم القيامة –لقضي بين المحقين والمبطلين؛ ولكن سبقت هذه الكلمة، وهي: الحكم من الله بالتأخير لمن خالف الحق، إلى عقوبة الآخرة بالنار، وبئس المصير؛ وربما أذاقهم سبحانه من العذاب

الأدنى، دون العذاب الأكبر.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: من آية (٢٢)]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة﴾، فقلت: كيف جاز أن يقول:" كنتم "، ثم قال بعدها:" بهم "؟

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: ذلك جائز في لغة العرب، معروف في خطابها وأشعارها؛ قال أبو كبير الهذلي يرثي رجلا:

يا ويح نفسي صار جدة خالد ... وبياض وجهك للتراب الأعفر

ولم يقل:" وبياض وجه خالد "؛ في أول الكلام: كأنه يخاطب غيره، وفي آخره: كأنه يخاطبه هو، دون غيره؛ فاعلم ذلك إن شاء الله.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد للّه بن حمزة عليه السلام:

قوله تعالى: ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر﴾[يونس:٢٢]، معناه: أعطاكم آلة السير وقدرته، في البر: الظهر والقدرة، وفي البحر: الرياح والألواح، ثم إن قصدتم في فعلكم رضا الله تعالى كنتم قد أطعتموه، وإن قصدتم هوى نفوسكم كنتم قد عصيتموه.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: من آية (٢٦)]

قال في كتاب حقائق المعرفة، في سياق رده على الحشوية ما لفظه:

وأما استدلال الحشوية بقول الله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾،

بأن قالوا: الزيادة هي الرؤية -فهذا غلط من وجوه، منها: أن الزيادة لا تكون أرفع من المزيد عليه. ومنها: أن الزيادة لا تكون إلا من جنس المزيد عليه؛ قال الله تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾[محمد:١٧]، وقال تعالى: ﴿فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾[النساء:١٧٣]. ومنها: أنه قد روي أن الزيادة: قصر في الجنة؛ فلا تعلق لهم بهذا.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

وأما قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾[يونس:٢٦] فالحسنى عند أهل البيت عليهم السلام: المستحق، والزيادة: التفضل، فلا بد من حصول ذلك لهم في دار الكرامة.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)﴾[يونس:٣٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام، بعد ذكره للآية:

فصدق الله العظيم؛ لقد علم منهم أنهم لا يؤمنون؛ اختيارا منهم ومحبة للفسق، ولو أنهم كانوا عنده مطيعين - لا مستحقين للفسق - ما سماهم به، وإنما حقت كلمته عليهم بعد فسقهم، وصدهم عن أمره ونهيه، وبعد الكفر منهم؛ لا الابتداء منه لهم؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿حقت كلمت ربك على الذين فسقوا﴾، ولم يقل سبحانه: على الذين آمنوا، ولا على المسلمين؟ وإنما معنى ﴿حقت كلمت ربك على الذين فسقوا﴾ أي: وجب عليهم حكمه ووعيده، وقوله: ﴿أنهم لا يؤمنون﴾: اختيارا منهم للكفر، ومحبة له، وأنه قد حكم عليهم بالفسق لما فسقوا وخالفوا عن أمره ونهيه.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥)﴾ [يونس: ٣٥]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام، في سياق ذكره لبعض فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام:

وفيه: ما يقول تبارك وتعالى: ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾ فكان الهادي إلى الحق غير مهدى، والداعي إلى الصراط السوي، والسالك طريق الرسول الزكي، ومن سبق إلى الله، وكان الهادي إلى غامض أحكام كتاب الله؛ فهو أحق بالإمامة؛ لأن أسبقهم أهداهم، واهداهم أتقاهم، وأتقاهم خيرهم، وخيرهم بكل خير أولاهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ (٤٦)﴾ [يونس: ٤٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته: عن قول الله سبحانه: ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾؟

فقال: الذي يعدهم هو: الانتقام منهم؛ فقال سبحانه: إن أريناك ذلك فبفضل منا، و إن لم نرك إياه في الدنيا -فستراه وتعلمه في الآخرة، عند رجوعهم إلينا، ونزول العذاب بهم في يوم الدين.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[يونس: من آية (٤٩)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام، في سياق كلام عن الضُرِّ في كتاب الله ما لفظه:

وأما قوله تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا﴾ أي: لا أملك جر نفع ولا دفع ضرر، والضر أيضا: الشدة والبلاء، كقوله تعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضر﴾، ﴿والصابرين في البأساء والضراء﴾؛ فمن الشدة: قحط المطر؛ قال تعالى: ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته﴾ [فصلت: ٥٠]، أي: مطرا من بعد قحط وجدب، ومنه: الهول أيضا، كقوله تعالى: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر﴾، ومنه: المرض، كقول أيوب عليه السلام: ﴿أني مسني الضر﴾، وكقوله تعالى: ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه﴾ [يونس: ١٢]. ومنه: النقص، كقوله تعالى: ﴿لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم (٣٢)﴾ [محمد: ٣٢] .

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧)﴾[يونس: ٨٧]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته: عن قول الله سبحانه: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة﴾؟

فقال: أمرهما أن يتبوآ لقومهما بمصر بيوتا، وهي: القرى والأمصار. ومعنى قوله: ﴿بمصر﴾ أي: بمصر من الأمصار، وقد قيل: إنها مصر هذه المعروفة، ومعنى: ﴿قبلة﴾ -فقد قيل: إنها مواجهة أبوابها للقبلة. وقد قيل: إن معنى: ﴿اجعلوا بيوتكم قبلة﴾ أي: اجعلوا جميع قراكم أهل ملة ودعوة، وصلاة إلى

بيت المقدس، وصلة. والمعنى الآخر أحبها إلي، وأحسنها عندي.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٨)﴾ [يونس: ٨٨]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾؟

معنى: ﴿آتيت﴾ فهو: أعطيت فرعون وقومه هذه الأموال والزينة؛ ﴿ليضلوا عن سبيلك﴾، معناه: لأن لا يضلوا، ولأن يشكروا ويؤمنوا، فلم يفعلوا، ولم يهتدوا؛ بل عصوا، فطغوا وخالفوا، فقال: ﴿ليضلوا﴾. وإنما أراد: لأن لا يضلوا، فطرح الألف؛ استخفافا لها، والعرب تفعل كذلك، تطرحها وهي تريدها، وتثبتها وهي لا تريدها، فبقيت: ﴿ليضلوا﴾، فدخلت النون في أدراج الكلام، فبقيت: ﴿ليضلوا﴾، والمعنى فيها: لأن لا يضلوا، فلما أن طرح الألف جاز كما ذكرنا؛ وطرح الألف في القرآن كثير، وفي لغة العرب وأشعارها، من ذلك: قول الله سبحانه: ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾، و ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾، المعنى فيها معنى قسم؛ أراد الله سبحانه: ألا أقسم، فطرحها؛ استخفافا لها؛ فمخرج اللفظ معنى نفي، وإنما معناه معنى إيجاب: ألا أقسم. وقد تثبتها العرب في كلامها وهي لا تريدها، فيخرج معنى اللفظ معنى نفي، وإنما معناه معنى إيجاب، من ذلك قول الله: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله﴾، فقال: لأن لا يعلم، وإنما المعنى فيها: ليعلم؛ فأثبت فيها" لا "، وهو

لا يريدها، وقد تفعل ذلك العرب، تثبتها وهي لا تريدها، وتطرحها وهي تريدها؛ فإنما أثبتها وهو لا يريدها في قوله: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾؛ فأثبتها وهو لا يريدها. وأما طرح الألف وهو يريدها -فهو ما ذكرنا من قوله: لأن لا يضلوا...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

مسألة: قوله تعالى: ﴿واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾: كيف يجوز للنبي أن يدعو بذلك، وكيف يجوز من الله سبحانه وتعالى أن يجيب من دعاه بذلك؟.

الكلام في ذلك: أن الدعوة لم تقع إلا على من علم الله سبحانه: أنه لا لطف له ولا رجعة، فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما هو الواجب؛ عقوبة من الله تعالى، وأما إجابة الباري فهو أجاب فيما يفعله تعالى، والإجابة تكريما وتشريفا، كما تشفع الملائكة فيمن ارتضاه؛ لزيادة المنازل، ورفع الدرجات؛ فهو تعالى لم يجب إلا فيما يجوز أن يفعله، ويلزم في الحكمة فعله، من تعذيب عذابه؛ لأنه لو لم يعذبهم لكان ذلك إغراء بالمعاصي، ولما تميز الولي من العدو، ولكان تمكينا للظالمين من الظلم، الذي لم يقع في مقابلته للجزاء ظلم، والله يتعالى عن ذلك كله .

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾[يونس: من آية (٨٩)]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله عز وجل: ﴿قد أجيبت دعوتكما﴾، وقلت: إنما كان الداعي موسى عليه السلام وحده؛ فصار الخطاب لاثنين؟

قال أحمد بن يحيى عليه السلام: قد بلغنا أن موسى صلى الله عليه كان يدعو، وهارون عليه السلام كان يؤمن على دعاء موسى، فلذلك صارت الدعوة لكليهما صلوات الله عليهما.

قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠)﴾[يونس: ٩٠]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

قلت: فما معنى قوله في فرعون: فلما أدركه الغرق ﴿قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾، فهل قبل الله ذلك منه؟

قال: لا؛ ألا تسمع كيف يقول الله: ﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾، وقوله: ﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾، وإنما أمر الله البحر، فألقاه على جانبه شلوا ميتا. وقوله: ﴿ببدنك﴾، فالبدن هو: الدرع، وإنما كانت درع من جوهر وياقوت قد اتخذها، وكان لا يلبسها إلا في عظائم أموره الجسيمة الفادحة؛ فأراد سبحانه: أن ينجيه بها؛ لمعرفة من رآه من قومه، فيعتبرون به، ويعلمون أن الله تباركت أسماؤه هو الذي أهلكه، وأنه لا مغالب لحكمه، وهو السميع العليم.

قلت: فما الدليل على ما قلت في البدن من أنها الدرع؛ بينه لي من لغة العرب؛ حتى أفهمه؟

قال: الدليل على ذلك ما يقول الشاعر:

.... تحبون للركبات في الأبدان[1]

---

(١) – وفي حاشية المنقول منها: أن البيت لعُبيد بن الأبرص من قصيدة له، وصدره:
أمَّا إذا دُعِيَتْ نَزَالِ فإنهم ... يحبون للركبات في الأبدَان
وقال في تاج العروس للزبيدي: " (و) البَدَنُ: (الدرع القصيرة)، كما في الصحاح؛ زاد ابن =

وذلك عندما يكون من تنبذ الحرب بينهم، وهذا دليل على ما سألت عنه، وذلك فيه كفاية إن شاء الله.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٤)﴾ [يونس: ٩٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، بعد ذكره للآية:

وسألت: عن قوله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وآله: ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾؟

ليس قوله سبحانه: ﴿فإن كنت في شك﴾: أنه فيه، ولا أنه يشك في شيء مما نزله الله إليه؛ ولكنه تنزيه له من ذلك كله، وتثبيت ليقينه، ولتفضله فيه على غيره؛ ألا ترى أنه يقال لمن كان موقنا يقينا صادقا، وكان فيما اعتقده منه كله معتقدا عقدا محقا:" إن كنت يا هذا في شك من أمرك، فتثبت فيه بغيرك "، فيغضب على من قال له ذلك؛ ليقينه، كان موقنا بذلك في دنياه أو دينه. وقد يكون من أسباب اليقين لغيره برسالته، وما نزله الله عليه من حكمه وآياته –ما في أيدي أهل كتب الله من ذكره، وهدايته في دينه وأمره، فقال سبحانه: ﴿إن

سيده: على قدر الجسد، ومنهم من قال: القصيرة الكمين، وقيل: في الدرع عامة؛ وبه فسر ثعلبٌ قوله تعالى: ﴿فاليوم ننجيك ببدنك﴾، قال: بدرعك؛ وذلك أنهم شكُّوا في غرقه؛ فأمر الله تعالى البحر: أن يقذفه على دِكَّةٍ في البحر ببدنه، أي: بدرعه، فاستيقنوا حينئذ أنه غرق. قال الجوهري: قال الأخفش: وهذا ليس بشيء. وفي حديث علي لما خطب فاطمة رضي الله تعالى عنهما: قيل: ما عندك؟ قال: فرسي وبدني. وفي حديث سطيح: أبيض فضفاض الرداء والبدن، أي: واسع الدرع، يريد به: كثرة العطاء."

كنت﴾، ولم يقل: إن كان غيرك ممن آمن أو لم يؤمن في شك أو ارتياب -فاسأل عن أمرك أهل الكتاب.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليهما السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: ليس رسول الله صلى الله عليه وآله في شك مما أنزل إليه؛ بل هو على أيقن اليقين، ولم يقل الله سبحانه: أنه في شك، وإنما قال: إن كنت في شك، وليس هو عليهما السلام في شك؛ بل هو على بصيرة ثابتة، وعزيمة ماضية، بعيدة من الشك والارتياب، وليس يظن أحد أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في شك إلا أعمى القلب، بعيد الذهن، كثير الجهل.

وهذه المخاطبة في لغة العرب تستعملها، وتتكلم بها، ويخاطب بعضهم بعضا فيها، وبها يقول القائل:" إن كنت في شك من قطع هذا السيف فيك فجرب "، وهو فلا يشك؛ بل يوقن، ويقول لصاحبه:" آتنا غداءنا عسى أن نأكل "، فأدخل " عسى "؛ لمجاز الكلام، وإنما أراد: أن نأكل، ولم يكن شاكا في ذلك؛ بل كان قصده له؛ قال الله سبحانه: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه﴾[الأنبياء:٨٧]، ولم يظن عليهما السلام أن الله عز وجل لا يقدر عليه؛ بل هو موقن بقدرة الله عز وجل، ونفاذ أمره، وقد يخرج ﴿فظن﴾ على: الاستفهام، كما يقول القائل:" لم باع فلان طعامه، وترك نفسه؛ أظن أنه لا يحتاج إلى الأكل "، وهو فلم يظن ذلك؛ وهذا مما تعارفه العرب في لغتها، وتجيزه في كلامها.

ومعنى: ﴿فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾ فإنما أراد عز وجل: كتبهم المنزلة، وما فيها من القصص وأخبار الأنبياء عليهم السلام، وما لقوا وما امتحنوا به من أممهم، مما قص الله عز وجل عليه من أخبارهم؛ فأقامهم مقام: كتبهم؛ لأنهم لو كانوا قصدوا بالمسألة لكانوا في موضع الصدق، ولو صدقوا ما

خالفوا أمر الله عز وجل، ولا نبيه عليه السلام؛ ولكن حرفوا وكذبوا، وغيروا وبدلوا، ومن كانت هذه حاله لم يكن في موضع المسألة؛ ولكن الله عز وجل أراد: ما في كتبهم من القصص والأخبار.

وقد قيل: إن الذين أمر بمسألتهم هو: من كان معه مسلما، من مؤمني أهل الكتاب.

وليس المعنى فيه إلا على ما شرحنا؛ ألا تسمع كيف يقول الله عز وجل: ﴿لتنذر أم القرى ومن حولها﴾[الشورى:٧]، وأم القرى فإنما هي: مكة، فأقام القرى مقام: أهلها، ومثل قوله في قصة يعقوب، حين يقول: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾[يوسف:٨٢]، والقرية فإنما هي: لبن وحجارة، والعير فهي: الإبل، وليس هي تتكلم؛ ولكن أقيمت مقام أهلها، ومثل قوله سبحانه: ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾[البقرة:٩٣]، والعجل فلا يشرب، وإنما أراد: حب العجل، ومحمد عليه السلام فأشد الخلق معرفة لله سبحانه، وإعظاما لعلمه وفضله، وما من الله عز وجل به عليه من تفهيمه وتعريفه؛ فرحمة الله ورضوانه، وصلواته وبركاته عليه.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩)﴾[يونس: ٩٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام، في سياق رده على المجبرة ما لفظه:

ومما يحتجون به أيضا: قول الله سبحانه: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ -فصدق الله، لو شاء ذلك لأمكنه أن يكرههم على الإيمان، إن شاؤا أو أبوا، ولم يكن ذلك بغالب له،

ولا ما هو أعظم منه؛ إذ كان ذلك معجزا وغالبا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، لا يقدر على ذلك منهم، ولا يمكنه فيهم؛ فأخبر الله سبحانه: أن ما لا تقدر عليه لو أراده هو من جهة الجبر والإكراه -لأمكنه؛ ولكنه لم يرده إلا من جهة التخيير منهم، والاختيار والرغبة لما استوجبوا بذلك الفعل بثوابه وعقابه؛ فافهم ذلك وميزه إن شاء الله.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

وأما قوله: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض﴾، وما شاكله من الآيات - فذلك مستقيم، ومعناه: أنه لو شاء إكراههم على الإيمان لآمنوا كرها لا طوعا، وكان التكليف يرتفع، وتنتقض الحكمة، ويزول الغرض بالتخيير والتمكين، ولا يفرق بين المسيء والمحسن؛ وقد قال تعالى: ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾[الأنفال:٣٧]، وقال: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء﴾[البقرة:٢١٤]، وقال: ﴿الم (١) أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (٢)﴾[العنكبوت:١، ٢]؛ فلولا الإحسان والتخيير لم يتفاضل الناس في المنازل، ولو عجل تعالى عقوبة العاصين لما عصي، ولو عجل ثواب المطيعين لأطاع الجميع؛ رغبة في العاجل؛ لكنه جعل الجميع غيبا آجلا؛ ليعلم الذين صدقوا، ويعلم الكاذبين، والمراد: ظهور المعلوم، وليقع الاستحقاق، وإلا فهو تعالى علام الغيوب، يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن كيف كان يكون، وما كان لو لم يكن كيف كان يكون؛ ولكنه ليس يصلح في الحكمة: أن يعاقب بعلمه، ولا يثيب بعلمه قبل وقوع الفعل من العبد؛ لأنه لا يستحق التعظيم والثواب، والاستحقاق والعقاب، إلا على فعله؛ وعلمه تعالى غير فعل عبده.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: من آية (١٠٠)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام في سياق رده على المجبرة، ما لفظه:

واحتجوا أيضا بقوله عز وجل ذكره: ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ -فصدق الله عز وجل، لولا أنه أذن لهم بالإيمان، وخلى بينهم وبينه -ما عرفوه، ولا دلهم عليه، ولا أمرهم به، ولا أرسل إليهم المرسلين، حتى بينوا لهم فضله، وشريف منزلته؛ فأي إذن أكبر، أو فعل أخطر مما فعل الله بهم؟! ألا ترى إلى قوله: ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾[الزمر:٥٤]؟!

تم الجزء الأول، ويليه الجزء الثاني وأوله سورة هود عليه السلام

الفهرس